

موسوعة عُمان في التراث العربي

(الجزء الثالث)

في عيون المؤرخين والنسابة
والجغرافيين والرحالة

د. هلال المحجري

الناشر:



الطبعة الأولى ٢٠١٨
جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ٨٦
رقم الإيداع الدولي (ISBN)
٩٧٨-٩٩٩٦٩-٣-٠٢٧-٠

موسوعة عُمان في التراث العربي

(الجزء الثالث)

**في عيون المؤرخين والنسابة
والجغرافيين والرحالة**

المؤلف: د. هلال المحجري



(سلطنة عُمان - مسقط)

هاتف: ٢٤٥٩١٦٤٦ - ٩٩٢٦٠٣٨٦
ص.ب: ٢٠٦٨ الرمز البريدي: ١٣٣
alghshamoman@gmail.com
www.takween.net

تصميم الغلاف: منيرة الهطالي
التصميم الداخلي: ساره العلوي

موسوعة عُمان في التراث العربي

(الجزء الثالث)

في عيون المؤرخين والنسابة
والجغرافيين والرحالة

د. هلال المحجري

أنساب الخيل لابن الكلبي

يرد اسم عمان في هذا الكتاب حين يتحدث ابن الكلبي عن أصول الخيول العربية؛

وحدث الكلبي محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إن أول ما انتشر في العرب من تلك الخيل، أن قومًا من الأزد من أهل عُمان قدموا على سليمان بن داود بعد تزويجه بلقيس ملكة سبأ فسألوه عما يحتاجون إليه من أمر دينهم وديناهم حتى قضوا من ذلك ما أرادوا، وهموا بالانصراف، فقالوا: يا نبي الله إن بلدنا شاسع وقد أنفضنا من الزاد. مر لنا بزاد يبلغنا إلى بلادنا. فذفع إليهم سليمان فرسا من خيله، من خيل داود، قال: هذا زادكم، فإذا نزلتم فاحملوا عليه رجلاً، وأعطوه مطردًا، وأوروا ناركم، فإنكم لن تجمعوا حطبكم وتوروا ناركم حتى يأتيكم بالصيد. فجعل القوم لا ينزلون منزلًا إلا حملوا على فرسهم رجلاً بيده مطرد واحتطبوا وأوروا نارهم فلا يلبث أن يأتيهم بصيد من الطباء والحرمر فيكون معهم منه ما يكفيهم ويشبعهم ويفضل إلى المنزل الآخر. فقال الأزديون: ما لفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب. فكان ذلك أول فرس انتشر في العرب من تلك الخيل.

فلما سمعت بنو تغلب، أتوهم فاستطرقوهم، فنتج لهم من زاد الراكب: الهجيس، فكان أجود من زاد الراكب.

فلما سمعت بكر بن وائل أتوهم فاستطرقوهم فنتجوا من الهجيس: الديناري، فكان أجود من الهجيس.

فلما سمعت بذلك بنو عامر أتوا بكر بن وائل فاستطرقوهم على سبل، وكانت أجود من أدرك. وأمها: سواده، وأبوها: فياض. وأم سواده قسامة.

وكان فياض وقسامة لبني جعدة. ويزعم أن أبا فياض من حوشية وبار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح، وأنه لما هلكت وبار صارت خيلهم وحشية لا ترام.

فزعم محرز بن جعفر عن أبيه عن جده، قال: ليس أعوج بني هلال من بنات ذاد الراكب، هو أكبر من ذلك، هو من بنات حوشية وبار وإنما أعوج الذي كان ابن الديناري فرس لبهاء، سمي باسم أعوج. وكان لبني سليم بن منصور، ثم صار إلى بهاء. فأما أعوج الأكبر فإن أمه سبل بن حوش وبار، وأبوه منها.

قال: وحدثني أبي عن أبيه أن أم أعوج نتجته وهي متبرزة من البيوت. فنظر شيخ لهم إلى فرس إلى جنب سبل قد حاذت جحفلته بحجبتها فقال: أدركوا الفرس لا يبتسر فرسكم. فخرجوا يسعون، فإذا هي قد نتجت. ووافق ذلك اليوم نجعة فساروا من بعض يومهم أو ليلتهم، وأصبح أعوج مع أمه لم تفته. فلما كان في الليلة الثالثة، حملوه بين جوالقين وشدوه بحبل فارتكض فأصبح في صلبه بعض العوج فسمي لذلك أعوج، فمنه أنجبت خيول العرب، وعمامة جيادها تنسب إليه.

فلما سمعت بنو ثعلبة بن يربوع، استطرقوا بني هلال فنتجوا عنه ذا العقال، وهو ابن أعوج، لصلبه، ابن الديناري بن الهجيس بن زاد الراكب.

فتناسلت تلك الخيول في العرب وانتشرت، وشهر منها خيل منسوبة الآباء والأمهات. وزعم آخرون- والله أعلم- أن سليمان لما عقر تلك الخيل نفر منها ثلاثة أفراس لها أجنحة، فوقع فرس في ربيعة، وفرس في الأزد، وفرس في بهاء، فحملوها على خيولهم. فلما أعقت لها طارت فرجعت إلى البحر. وتنتجت الخيل بعضها من بعض لما أراد الله تعالى. وقال الواقدي: هذا الحديث المعتمد عليه، والله أعلم!

فتوح الشام للواقدي

**يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث الواقدي عن معارك الشام منوها
بمشاركة عرب عمان في هذه المعارك بقيادة أبي عبيدة بن الجراح؛**

قال: حدثنا سهل بن عبد الله عن أويس بن الخطاب أن الذي قدم مع الأمير أبي عبيدة من المسلمين من أهل الحجاز واليمن وحضرموت وساحل عُمان والطائف وما حول مكة كان سبعة وثلاثين ألف فارس من الشجعان، وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف فارس، والذين قدم بهم خالد بن الوليد رضي الله عنه من العراق ألف فارس وخمسمائة فارس فكان جملة ذلك سبعة وأربعين ألفاً وخمسمائة غير ما جهز عمر بن الخطاب في خلافته، وسنذكر ذلك إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى، هذا وإن خالدًا نزل بنصف المسلمين على الباب الشرقي ونزل أبو عبيدة بالنصف الثاني على باب الجابية. فلما نظر أهل دمشق إلى ذلك نزل الرعب في قلوبهم، ثم إن خالدًا أحضر البصريين بين يديه وهما كلوس وعزازير فعرض عليهما الإسلام فأبيا فأمر ضرار بن الأزور أن يضرب عنقيهما ففعل. قال: فلما نظر أهل دمشق ما فعلوا بالبصريين كتبوا إلى الملك كتابًا يخبرونه بما جرى على كلوس وعزازير، وقد نزلت العرب على الباب الشرقي وباب الجابية، وقد نزلوا بشبانهم وأولادهم وقد قطعوا أرض البلقاء وأرض السواد ووصفوا له ما ملك العرب من البلاد فأدركنا وإلا سلمنا إليهم البلد، ثم سلموا الكتاب إلى رجل منهم وأعطوه أوفى أجرة وأدلوه بالحبل من أعلى الأسوار في ظلمة الاعتكار!

١ - محمد بن عمر الواقدي. فتوح الشام، دون تحقيق (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ج١، ص ٣٥-٣٦.

كتاب التيجان

لابن هشام الحميري

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يروي الحميري عن حكم بني قحطان للجزيرة العربية:

قال وهب: وكان قد تملك بيت المقدس وملك الشام ونمرود بن كنعان ابن ماريح بن كنعان بن حام بن نوح وأنه زحف إلى بيت المقدس وقحطان بسمرقند، فلم يكن لبني عملاق به طاقة فأجابوه ودافعه راثش بن لاوذ ابن سام بن نوح فقتلها فممن بقي من راثش صاروا في إخوانهم عملاق في آخر الدهر. فأول قبيل انقطع عن الدنيا من ولد ارم بن سام عاد وراثش وبلغ قحطان خبر نمرود بن كنعان فأقبل إليه بجموعه فلم يستطع بنو حام مدافعة بني سام ومن لف إليهم من بني يافث فهربت النوبة والفرار إلى المغرب فنزلت النوبة والفرار بجوار القوط من بني يافث ولكنهم تقربوا إلى المغرب وكان القوط قبل ذلك باليمن فتبعتهم عاد إلى الشام وهربوا من قحطان إلى المغرب وإن قحطان لما نزلوا على بني كنعان ببيت المقدس وخذلهم إخوانهم من بني حام ورحلوا عنهم القوط فنزلوا على النيل أخذ نمرودًا أسيرًا فقتله وصلبه ببيت المقدس وكان النمرود بن كنعان أول قتيل صلب. ثم حج قحطان ورجع إلى اليمن فعاش مدة طويلة ثم مات بمأرب، وولي أمره ابنه يعرب بن قحطان، وكان ولي الملك من ولد قحطان لصلبه عشرة إلا أنهم من تحت ملك أخيهم يعرب بن قحطان وهم: جرهم بن قحطان وعاد بن قحطان وناعم بن قحطان وحضرموت بن قحطان وظالم بن قحطان وغاشم بن قحطان وأيمن بن قحطان وقطان بن قحطان والسلف بن قحطان وهميسع بن قحطان. فولي جرهم بن قحطان أمر مكة فتملك أمر من كان بها، وولي عاد بن قحطان أرض بابل، وولي حضرموت بن قحطان أرض الحبشة، وولي ناعم بن قحطان عُمان.

وولي أيمن بن قحطان الجزيرة، فلم يكن من هؤلاء من لم ينل الملك، ويعرب يملكهم ذلك، وعاش يعرب مدة طويلة ثم مات فولي (يشجب بن يعرب) بعد أبيه وكان سقيمًا فدام به السقم حينًا ثم مات ولم يعمر في الملك. فلما مات يشجب ادعى كل رجل شريف من بني عابر

الملك وأراد أن يتمتع ومرج أمر الناس فقام (عبد شمس بن يشجب) فجمع بني قحطان وبني هود فملكوه على أنفسهم!

ويرد أيضا حين يتحدث الحميري عن ملك يعفر بن السكسك:

قال وهب: ولما ولي يعفر بن السكسك زاحف ملوكًا من أهل اليمن كان عمره يسيرًا فمات ومرج أمر حمير وافترقوا على ملوك شتى.

قال وهب: وكان يعفر بن السكسك رجلاً سقيمًا لم يكن يلي لرحوف بنفسه فكان يدخل عليه في عمالاته النقص ولم يكن له ولد فلما انقضت مدته وحان وقته وأيقن الموت أخذ تاجه وهو تاج جده وائل لن حمير فقال لقومه: يا قوم هذا تاجكم فخذوه فأخذ قومه التاج ووضعوه على بطن امرأة يعفر وهي مثقلة وملكوا ما في بطنها فولدت غلامًا فسموه النعمان فكان النعمان ملكًا في بطن أمه.

قال وهب: كانت أم وائل ومالك وعوف بن حمير مالكة ابنة عميم ابن زهران بن يشجب بن يعرب، وكان وائب بن حمير حين ولي الملك يعد أبيه حمير ولي أخويه مالكًا وعوفًا فنافساه في الملك، فغلب على مالك أخيه فعزله وأذعن له عوف فأقره على عُمان والبحرين، فعظم أمره وشأنه بعد أخيه وائل حتى ولي السكسك بن وائل الملك فدان له عوف. ومات النعمان فولي أمره باران بن عوف بن حمير، فلما هلك السكسك بن وائل بن حمير وولي بعده ابنه يعفر بن سكسك نابذه باران العداوة وراجعته وأخذ الهنييق والأحقاف، وكان يعفر رجلاً سقيمًا ولم يكن يغزو فانتقص ملكه وعظم ملك باران بن عوف بن حمير، ثم مات فولي الأمر بعده ابنه عامر ذو رياش فزحف إلى غمدان وأخذه وأخذ صنعاء وما والاها فغيب نفسه النعمان بن يعفر بن سكسك في مغارة في جبل عنفر ومعه أمه نائلة بنت مالك بن الحاف ابن قضاة بن مالك بن حمير.^٢

ويرد أيضا حين يتحدث الحميري عن ملك عامر ذي رياش:

قال وهب: وإن همدان قال للذين معه ويلكم أن ذا رياش نكد جبار لن يرحم قريبًا ولا بعيدًا ولن تروا معه راحة ولكن قدموا في النعمان يدًا فإن أدرك أمله ووفى لكم أفدتم وإن لم يكن هذا كنتم قد وفيتم لسلفه فأجابوه فقال لهم: يأتي كل رجل منكم غدا بجديدة ففعلوا ووضع

١ - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. التيجان في ملوك حمير، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية (بيروت): دار العودة، ١٩٩٥، ص ٥٥ - ٥٦.

٢ - المصدر السابق، ص ٦٧ - ٦٨.

النقب في وسط المجلس حتى خرجوا من خارج القصر وكان ذلك وقت رجوع ذي رياش إلى عُمان خالفه إليها مالك بن الحاف بن قضاة فأخرجوا النعمان من ذلك السرداب ليلاً وإن النعمان كان يرسل في وجوه بني وائل بن حمير وبني مالك ابن حمير وسائر بني قحطان، فأجابوه إلى القيام على ذي رياش. فجمع حمير ثم سار يريد ذا رياش وإن إذ رياش لقي مالك بن الحاف فهزمه ذو رياش - ومر مالك على وجهه يريد أرض برهوت قال طلبه لحق بأرض الحبشة ولما بلغ ذا رياش ومن معه من أهل صنعاء وأهل العالية والهنبيق خروج النعمان بن يعفر في ديارهم وطوع الناس له فارقوا عسكر ذي رياش هاربين إلى ديارهم وذراريتهم، ثم خرج عنه من كان معه من بني وائل بن حمير وهم: أعد حمير وتبعهم مالك بن حمير، فلما رأى ذو رياش أن جمعه قد افترق أكثره عنه وصار إلى النعمان جميع من معه، سار يريد حرم مكة عائداً به. وسار النعمان في أثره فلقيه بالمشلل فقاتله فهزمه النعمان وأخذه أسيراً. وسار النعمان إلى مكة فأوفى نذره ورجع إلى غمدان بذي رياش أسيراً ثم أن النعمان دعا همدان فقال له: هذا الملك لك ولأصحابك فما رأيك في ذي رياش؟ قال له همدان: حبس بحبس لا عدوان فقبل منه وأحسن إليه وإلى أصحابه وأنشأ يقول:

إذا أنت عافرت الأمور بقدره

بلغت معالي الأقدمين الأقاويل

فأما حمام النفس تلقاه عاجلاً

وأما تراث الملك عن ملك وائل

فهل يدفع النعمان أمراً يريده

وهل يتقي شر الذي غير نازل

إذا لم يكن بد من الموت حتمه

فما تغن عني خافقات الجحافل

إذا لم يكن للمرء بد من التي

تبد الأمانى عاجلاً أو بأجل

ويصبح في الأهلين يوماً جنازة

ويلحق حتماً بالقرون الأوائل

علام يداري الدهر والدهر جائر
ويرضى بظلم من يد المتناول
ولكن نباني الملك في درج العلا
كنجم اعوجاج من فنا الملك وائل
يفوز سعيداً أو يلاقي منية
ويمسي على الدنيا بعيد المناهل
فما المرء للأيام تخلق نفسه
وهل كان إلا حيضة للقوابل
ألا أيها الراضي بأيسر خطة
صبرت على خسف من الذل نازل
قيامك في الدنيا حياة لأهلها
وصبرك عنها غير مُجدٍ بطائل
إذا لم يكن للمرء عزم يزينه
ولب يرى عيب القوي المخاتل
له سطوة تكسو العزيز مذلة
وتهدي حتوفاً للنساء الحوامل
له علل تعلقو النجوم وسطوة
تصم فيخشى طرقها كل جاهل
وللموت خير من لباسك ذلة
تجاذب مأسوراً صليل السلاسل
محلاً يراه الزائرون شماتة
هوائاً لمقدام العشيرة باسل'

ويرد أيضا حين يتحدث الحميري عن ملك شمر يرعش بن ناشر النعم:

وقال شمر يرثي أباه ناشر النعم:

بمغاني الأيك والسمر
 ملك أشفى على قدر
 ما على الأرضين إن ونيت
 عن سنا الدنيا أبي شمر
 ماتت الدنيا لميته
 ونأى بالسمع والبصر
 يا منار العز عدت صدى
 بنهاونــــد ودينور

ثم قفل بالجيوش يريد أرض المغرب، فأخذ على باب ونزل بغمدان، وولي الملك شمر يرعش وهو تبع الأكبر الذي ذكره الله سبحانه في القرآن لأنه لم يقم للعرب قائم قط أحفظ لهم منه لم يكن عنده من العرب طرف أغنى وأقنى يتجاوز عن مسيئهم ويحسن إلى محسنهم فكان جميع العرب بنو قحطان وبنو عدنان شاكرين لأيامه، وكان أعقل من رأوه من الملوك وأعلاهم همة وأبعدهم غورًا وأشدهم مكرًا لمن حارب فضربت به العرب الأمثال وهو عندهم تبع الأكبر وإن كان قبله تبابعة عظماء أعظم منه ولكن لمحبتهم فيه وعظمتهم في قلوبهم. وإن الصغد والكرد والخوز والزط والقوط كلهم بنو يافث بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم بعثوا إلى إخوانهم من بني يافث من كان منهم بأرض أرمينية إلى بلجا وجاجا فقالوا لهم: ألا تغضبون لما نزل بنا من ناشر النعم سبى منا مائة ألف بكر وقتل منا مائة ألف مقاتل فأجابهم إخوانهم من بني يافث إلى النصر والقيام وهم: الترك والديلم والغور والخوز وبلغ ذلك بني فارس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. فاجتمعوا اللسان الأعجمي وكرهوا أيام التبابعة لما يكلفونهم من السخرة في المغازي وغير ذلك من أصناف العمل من المتاع والسلاح. فقدم بنو فارس قباذ بن شهر يار الفارسي في الملك وتوجوه، وإن الصغد والكرد وأهل نهاوند ودينور عمدوا إلى قبر ناشر النعم فهدموه وفرقوا رخامه وزجاجه وما كان فيه من جزع وغيره وبلغ ذلك تبعًا شمر يرعش فنذر الله

نذراً ليرفعن ذلك القبر بجماجم الرجال حتى يعود جبلاً منيفاً شامخاً كما كان وغضب غضباً شديداً وغضبت العرب لغضبه، وكان بنى قبر أبيه ناشر النعم بالرخام الأبيض والأحمر والجزع الأزرق والأحمر حتى جعله جبلاً منيفاً شامخاً وأمر جميع من حوله من القبائل ألا تقرب منه ولا يقطنون حوله فيدمونه وما حوله فأمر تبع شمر يرعش بالجيش فبرزت وخرج جميع أهل جزيرة العرب طوعاً وغضباً لغضب شمر يرعش بمحبتهم فيه فخرج في عساكر لم يجمع أحد مثلها من التبابعة من بعد ذي القرنين وبلغ ذلك بني يافث وقدمت فارس قباذ إلى قتال تبع شمر يرعش وأقبل بنو يافث بأجمعهم يناصرون قباذ وهم: الترك والديلم والخزر والغور والتبت والصغد والكرد والزط والخوز، وبلغ ذلك شمر يرعش وكان انتصاب قباذ بن شهر يار ومن معه من فارس وبني يافث بجمبال الري، فسار تبع شمر يرعش حتى نزل بالمشلل ف خلف ابنه عمراً الأقرن بالمشلل في مائة ألف فارس وخلف ابنه صيفياً بعمان في مائة ألف، ثم سار فترك العراق الذي فيه جمع فارس وبني يافث وقصد الجزيرة وأخذ على الفرات يريد أرمينية وأنشأ يقول:

اثن على الله بالآية

وارغب إلى الحق عن الباطل

لعله ينسى مدى إنه

ويرسل العاجل للأجل

إلى مجوس الصغد والكرد أو

خزر محل الأردل السافل

فقل لقحطان حلوم النهى

أهل المقام الباذخ الهائل

وقل لعدنان سليل الرضى

قوموا فإن الرشد للفاعل

أنا إذا مالت دواعي الهوى

وأنصت السامع للقائل

واصطرع الناس بألبابهم
 نقضي بعلم فاصل عاجل
 لا نجعل الجاهل في أمره
 يوماً ولا الأنوك كالعاقل
 ولا ذوي الغفل كأهل الحجا
 ولا رشيد الرأي كالجاهل
 نقضي على ذا وعلى ذا بما
 نقضي على العالم والواهل
 لعام أحلام لها منصب
 يجلي عمى الجهل عن السائل
 برزت في جمع كمثل الحصى
 يقذف بالرامح والنايل
 تسعين ألفا كالدبا يلقتها
 والدهم مثل العارض الوايل
 والكمث والشقر وأسرابها
 مثل القطا المستورد الناهل
 والخيل تشتد بفرسانها
 بكلّ قرم ماجد باسل
 يالك من جمع إذا ما دنا
 ليس بموهون ولا خاذل
 أقسم لا أنفك حتى أرى
 جماجمًا تسحج بالآفل

والسيف يمضي والردى حاكم
يحكم بالمقتول للقاتل
إن أغفلوا العهد وآياته
فإن شمراً ليس بالغافل
سيصبحوا يوماً على ذلة
تجحف بالمأكل للأكل
كم من فتاة طفلة غادة
تصبح بالفيء إلى النافل
نكاح نمي غير ذي رشدة
تفرح أو تحزن للعافل
إن صبحوا الأمن فلا بد من
ساعة شغل في مدى شاغل
حتى يذيقوهم حتوفاً كما
ذاقت ثمود الحنف في العاجل
لنا وجوه الأرض مأمورة
نطاع باليم وبالساحل
والذهب الأحمر يجبي لنا
يحملة الرق مع الجمال
والمسك والأنجوج من صيته
والدر في أصدافه الذابل
لاشين إلا الموت يحدو بنا
محلول الموت في تائل

وإن تبعاً شمر يرعش بلغ أرمينية فبلغ ذلك قباذ فأمر الترك بالسير إلى أرمينية، فسارت الترك تريد أرمينية فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم هزمهم فقتلهم قتلاً ذريعاً إلا من تحصن له في قلة جبل وسبى وخرّب المدائن من أرض أرمينية وإن قباذاً زحف من موضعه يمن معه من فارس وفرغان والصغد والكرد والنزط والخوز يريد أرض العرب لما بلغه أن تبع يرعش بأرمينية فسار قباذ بن شهريار حتى بلغ حنوقراق من أرض العراق وبلغ ذلك عمراً الأقرن ابن شمر يرعش تبع فلقية بالمشلل فاقتتلوا أياماً وبعث الأقرن إلى أخيه صيفي فاتاه من عُمان في مائة ألف، ونفر إليه المخلفون من أهل اليمن في مائة ألف فلما وصل صيفي إلى أخيه الأقرن هزم قباذ فهرب إلى القادسية فطلبوه، فهرب إلى القصر الأبيض من جبال خراسان وتحصن في رؤوس الجبال، وبعث الأقرن وصيفي إلى أبيهما فأعلماه بما كان من أمر قباذ، فرجع من بلجا وجاجا، وقد أمعن في قتل أهل المشرق فعبر الفرات وسار يريد أرض بابل، ثم قصد قباذ بن شهريار وقد تمعن في رأس جبل، فلما رأى قباذ الغلبة قال لابنه بلاس بن قباذ: اقتلني يا بلاس فإنني ميت على يد تبع قال له بلاس: لا تطاوعني يدي على ذلك، قال له: إن لم تفعل قتلت أنا وإخوتك وقومك وطلب من بقي من فارس، ولكن اقتلني وامض برأسي فخذ أماناً لك ولأخوتك وقومك ولولدك من بعدك، فقال له بلاس: لست أقتلك ولكن إذا رأيت ذلك هو الرأي فانظر أي ميتة أهون عليك فمت بها، قال فعمد نفسه ففجر الأكلحين ثم تركهما يجريان حتى مات ثم عمد بلاس إلى رأسه فجزه وسار إلى نبع شمر يرعش فقال له: أيها الملك هذا رأس قباذ، هذا سبيل من عصاك فما يكون سبيل من أطاعك ولجأ إليك ورغب في رضاك؟ قال تبع: من طلب رضاي فله رضاه، قتلت أباك في رضاي فلك رضاك، قال بلاس: أيها الملك ليس أبي ممن أراد هلاكه ولكن أبي ممن أراد بقائي، قال له تبع: فما تريد يا بلاس؟ قال له أمانني وأمان إخوتي وقومي ومن بقي من فارس، ويجعلني الملك من بعض خدمه، قال له تبع: لك ما سألت. وكان يرعش أكرم ملك على الأرض وأعقلهم وأكثرهم عفواً وأقربهم رافة. فقال له بلاس: نحن فارس بنو حام حاشية الملك، قال له: أما أني لم أرد قتلكم يا آل فارس لأنكم إخواننا الكرام من بني سام ولكن اعترضتم دون بني يافث وقد عدلت انقاء عليكم وقد سألتني يا بلاس أن أجعلك من خدمي، فإن خدمتني في أرضي وفي قومي، لم تطب لك معيشة ولا وفيت لك بانقطاعك إلي ولا كافيتك فيما صنعت فإنه ما سبقك أحد ممن كان قبلك إلى مثل فعلك وقد كرهنا لك قتل أبيك ورضينا لك قصدنا، فقد وليتك على قومك فارس، فخذ جيشاً من فارس ثم تقدم بين

يأتي إلى الصغد والكردي قال: أيها الملك إن أنا لم أنبلهم بين يديك بالسهم الكرمانية والنصال الهندية لم أف لك، فسار بلاس إلى أرض نهاوند ودينور فقتل الصغد والكردي والزط وأكثر القتل في الصغد والخوز والزط فهم أقل بني يافث إلى اليوم وكانوا أكثرهم، وأخذ من كل أمة غلب عليها أمماً يستخدمهم في الصناعات، كل قوم فيما أحكموه فيما أحكموه من الصناعات، ثم بلغ سنجان إلى قبر أبيه مالك ناش النعم فأمر ببناء قبر أبيه تبع ناشر النعم وكان نذر لله إنه إن ظفر بالزط والكردي والصغد أن يبني قبر أبيه بجماجم الصغد والكردي حتى يعود جبلاً منيعاً كما كان وأنه أمر بقبر أبيه فبني بجماجم الصغد والكردي حتى عاد كما كان فمشى إليه أشراف حمير فقالوا: أيها الملك وما في هذا من الشرف أن تبني قبر الملك ناشر النعم بجيف هؤلاء العلوج، وقد بلغ الملك أربه وقضى نذره فأمر به فهدم وأمر الكرد والصغد والزط أن يبنوه بأنواع الرخام الأبيض والأحمر والأزرق والأخضر ورصعوه بالجزع اليماني حتى عاد جبلاً شامخاً كما كان فطاف به ومشى في داخله، فلم يعجبه من بنائهم شيء فأمرهم بهدمه فهدموه وأمر الفرس ببنائه فبنوه بأنواع الرخام وأنواع الجزع والزجاج والدر والياقوت، وأنه طاف به ومشى في داخله فلم يعجبه من بنائهم شيء. قال: ائتوني ببقايا سحرة سليمان بن داود بلقيس بنت الهداد فأتوه بهم فأمرهم ببنائه فينوه بالكلس الأزرق وأجادوا فيه الصنعة بالدهن والصلق حتى صار جبلاً منيعاً وصار كالمرأة السجندل ثم إنه طاف به فرأى نفسه وفرسه وجميع من معه فيه كما رأى نفسه فيه من خارجه في جميع جهاته، فأعجبه. فرأى الطير إذا همت أن تنزل عليه رأت تماثلها فيه فنفرت فلا ينزل عليه طائر، فأمرهم بعقد الجن حوله أن لا يدنو منه أحد من الناس ففعلوا ذلك فمن نزل حوله رجمته الجن، فإنه كذلك إلى اليوم بسنجان بين نهاوند ودينور. ثم هدم المدائن ودينور وسنجان فجميع الأرض التي خرب شمر يرعش سماها بنو فارس شمر كند أي شمر خرب باللسان الفارسي فأعربته العرب بلسانها فقالوا: سمرقند وهو اسمها إلى اليوم. ثم رجع إلى قطربيل وسار يريد أرض الصين، وكان ملك الهند بأرض الصين نفير الهندي -والهند والسند والحبشة والنوبة والقطب بنو حام بن نوح عليه السلام- فلما بلغ نفير خروج تبع من بابسير من أرض قطربيل جمع الهند من جميع أرض الصين وانتصب إلى تبع من بابسير من أرض وعش، وخلف تبع الجرحى والزمني والمرضى بأرض نهاوند وسنجان ودينور، ثم أن تبعاً لقي نفير العندي ومن معه فقاتله قتالاً شديداً أياماً، ثم غلب عليه تبع فقتل أمماً من الهند وغلب على أرض الصين وتمنع نفير ومن معه في جبل عظيم، فلما رأى غلبة تبع وتثاقله في أرض الصين

ضاق من ذلك واشتد عليه، فدعا أهل مملكته وجنده فقال: لي فيما تقدم من دهري عمر يرزاه المرء لم يبق لي من آخره إلا ما آسف به على أوله وإن شيئاً يكون الفناء آخره وغايته لتحقيق على الحازم أن يزهد فيه وقد أردت أمرًا فيه الموت والشقاء، ثم جمع أهل المكر والسحر فقال لهم: ماذا ترون في تبع وأجناده؟ قال له أهل المكر: أيها الملك المحاجزه قبل المناجزة - والمكر قبل القسر - وليس بعد القسر إلا الرضا للأمر، فقال لهم: سمعتم، فقالوا أيها السحرة، قال له السحرة: أيها الملك الموت أعجل والسحر أنبل وقد سبق المثل الدهر عبد الدول وأنى ينفع سحرنا وقد سقط جدنا قال نفير: عرف الرأي أهله، ثم عمد إلى أذنيه فقطعهما وجدع أنفه وأمرهم فضربوه بالسياط، ثم أتى تبعًا فقال له: أيها الملك إن قومي الهند هم في هذا الجبل الوعر وهم أهل غدر ومكر، وقد أمرتهم أن يسمعون للملك ويطيعوا فأبوا ذلك وفعلوا في ما ترى، ولكن أيها الملك أفود بك وبعسا كرك إلى موضع تطلع منه إلى هذا الجبل فلا يعلمون حتى يؤخذ عليهم الجبل فتقتل من أحببت وتدع من أحببت؟ قال له تبع: ليس لعساكري في أرضكم ما يحملها أجمع ولكنني أرسل معك عسكريًا جحفلًا أهل النجدة والبأس والفضل في الرأي والسابقة، قال له نفير: افعل أيها الملك. فأمر تبع بعسكر لم يدع من أهل الفضل والبأس أحدًا إلا بعث معهم وتقدمهم نفير فسار بهم حتى أتى ماء فقال لهم: خذوا الماء لثلاثة أيام، فأخذوا، ثم مضى بهم إلى مجانة لا آخر لها فلجج بهم في المجانة فقال لهم: اتقوا من الماء فإني ذاهب إلى موضع الماء فاحتسبوا معهم شيئًا من الماء، فأسرع بهم في المجانة وهم يتعللون بذلك الماء اليسير الذي معهم فأبعدهم مسيرة أيام في المجانة وفرغ الماء الذي معهم، وقد خلفوا خلفهم من المجانة ما لا يقدرون أن يقطعوه بلا ماء مسيرة أيام، فقالوا: ويحك يا هندي أين الماء ومتى نقطع هذه المجانة؟ فقال لهم: إلى الأبد الأبد تقطعونها وترون الماء، ويلكم أسعدتكم أيامكم فحملتم أموركم على الغرور وصحبتموها بالجهل، هل أبصرتم طائرًا ووحشًا يدلکم على أن بين أيديكم ماء والله إنها مجانة لا تخرجون منها أبد الأبد أيها العرب لكم الصبر ولا تعلمون الغدر، أتدرون من أنا؟ قالوا له: لا قال لهم: أنا نفير ملك الهند فعلت بنفسي ما ترون لأقتلكم وأشتفي منكم نعمة لقومي وشفقة عليهم فأخذوه ورجعوا في طريقهم.

قال أبو محمد: لما سار نفير عن تبع بعسكره جمع حمير فقال: معاشر حمير إن العجم قليل صبرهم عند اللقاء وسريع غدرهم عند البلاء وقد مضى هذا الهندي بجميع رجالي ولم يمض بهم إلا إلى معاتش فإني لا أرى في أرضهم شيئًا يكاد به إلا المجانة فأخرج ذا جدن بن

المسكين الحميري وأمره بحمل الماء على الجمال ففعل ذو جدن ما أمره به تبع، وتبع أثرهم فلقبهم وهم يتساقطون عطشاً فشرّبوا وسقوا خيولهم ورجعوا. فلما نظر إليهم نفير لم يمت منهم إلا اليسير من الأتباع قال: يا نفير دافعت القضاء بالمنى، ولكن أنت بين أمرين إن خلصت ناصحت لتبع وإن مت وفيت لقومك وكلا الحالين كرم. ثم إن عسكر تبع رجع إليه وأمر بنفير فمثل بين يديه فقال له تبع: أنت نفير؟ قال له: نعم أيها الملك، قال له تبع: لم غدرت؟ قال له نفير: أيها الملك إني لم أغدر لأنني لم أعهد بل وفيت لقومي ومكرت بعدوهم فإذا قتلتني قتلت مانحاً وإن تركتني تركت ناصحاً والعفو أخلق بقدرة الكريم. قال له تبع: يا نفير وفيت لقومك وقد يكون لك منهم العدو الكاشح والحسود الضاغن والمماري الملحد فكيف بك أن أحسن؟ فإني يا نفير قد عفوت عنك وصفحت عن زلتك وذنبتك ووليتك على قومك، قال له نفير: أيها الملك أسأت إليهم وأحسنت إلي فأوثقت به عهدي وملكت به رقي وهل أنت مطيعي أيها الملك؟ قال تبع: قل، قال نفير: أيها الملك أرض الهند وبيئة لطارتها فلا تقارعها بالمهج فمن تاجر بروحه لم يربح وقومي في جبل كما تراهم يموتون أجمع فيه ولا ينزلون فيطلق يدي الملك افعل برأيي. فطلع نفير إلى قومه الهند إلى الجبل فأنزلهم وأنزل جميع أولاده حتى أتى بهم تبعاً قال له يا نفير: أمنهم وأنزلهم منازلهم وبلغهم مراتبهم فإن كل أمة لم تبلغ مراتبها دخلت صدورها ووغرت قلوبها فاستخفت فتكها وهانت عليها أعمارها وملك أمورها أشارها وأنت أعلم بها- ففعل نفير ما أمره به تبع، ثم جمع بنيه ودخل بهم على تبع فقال: أيها الملك غرست ولم تأكل ثمر غرسك هؤلاء أولادي وهم بقايا عفوك وغرس نعمتك فامنحهم بالطاعة لك فمن أوفى فقد كافي ومن غدر ففي سيفك الوزر والحكم لمن غدر، قال تبع: أنا لا آمرك فيهم ولا أنهاك، لأن المرء أعلم بولده. فقال له نفير: أيها الملك هذا أحزم أولادي وأضبظهم للملك وأصلبهم حجراً وأحسنهم عقلاً فقدمه تبع على أرض الصين وكان اسمه جلهم بن نفير فهو أول من تتوج بأرض الصين تأسى في ذلك بتبع. قال تبع لنفير: أنت أقوم بهذا الأمر؟ قال له نفير: أيها الملك أزعجني عن أرض الصين فإن قومي الهند قد أدركهم ثلاث خلال: أما واحدة فإنه مات من قومي ما بغضت إلي أرض الصين إلا بعدهم، والثانية ذهب أنفي وأذناي فكرهت أن ينظر إلي بالنقص من يعرفني بالتمام، والثالثة وهي أعظمهن عندي إن عجزت عن خدمتك لم أكافئك بإحسانك وإني لبصير بكيد الملوك وإدارة الحرب ولن يستغني عني الملك لأن رجال الملك لهم آلات كآلات الصناعات رجال للمشورة ورجال للحجاجة ورجال لإدارة الحرب عند

اللقاء ورجال يصلون الناس ورجال للخدمة، فلا يقوم للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات من الرجال، وأنا أيها الملك معي عامة الخصال المحمودة وأنا أيها الملك من خاصتك ما عشت. فشكر له تبع قوله وفعله، ثم جمع نفيير بنيه فقال: يا بني عليكم بالسمع والطاعة لجلهم ولا تنازعوا فتهدموا ملككم ولا تخالفوا.

أمره فيجيش صدره عليكم، ثم أقبل إلى جلهم فقال له: ساجلهم لا تستأثر عنهم لملكك فيحسدوك ولا تطاول عليهم فيقتلوك ولا ترغب في أموالهم فيغضبوك، اسبط لهم وجهك ويدك وجنبهم سخطك وبطشك وكن لهم معقلا ومرتقى، أحسنوا حالكم يا بني فإنكم لن تروني بعدها ولن تخشى علي من سطوة تبع ولا من غدر العرب، إن لم أوت من قبلي لم أحذر ولكن أفي للملك بإحسانه وأكون بين يديه عمري. ثم رجع إلى تبع فقال له تبع: يا نفيير أي وجه من الأرض آخذ عليها راجعًا عن بلدك، قال له نفيير: العلم كثير والخير قليل والأرض واسعة والرأي يصيب ويخطئ وأنت أيها الملك امرؤ نبيل والطريق قطربيل والأمر يحدث والسيف حيث أراد، وإني أيها الملك أرى ما تلاه، فقال له تبع: وما هو يا نفيير؟ قال: أنتم العرب لكم بأس عند اللقاء وسلامة صدور عند الرضا وأراك أكثرت في عساكر من الأعاجم وهم قليل صبرهم عند اللقاء كبير غدرهم عند الرضا، فأخرجهم عن عساكر لا يوغرون صدور العرب فإن الفرس السوء تملئ، واعلم أيها الملك أن الأعجمي يضطرب إلى الغدر كما يضطرب البازي إلى صيده. فأمر بهم تبع فشردهم من عساكره ثم قفل من أرض الصين ومعه نفيير ملك الهند حتى بلغ إلى قطربيل، فأتاه أن الزط والكرد والخوز غدروا عساكره التي كانت عندهم من المرضى والجرحى، وكان أسباب علوم الدهر عن ذي القرنين وموسى الخضر وسليمان بن داود عليهم السلام وكان قريب العهد من سليمان فقال:

أرقت وما ذاك بي من طرب

ولكن بدلي وهنا سبب

قتلت جموعًا فأفنيتها

وفي الأرض مني لقومي أرب

وخبرت بالصين لي بغية

ثياب الحرير وكنز الذهب

فسرت إليهم بجيش لهم
كثير اللهاء شديد اللجَب
لقيت من الترك آسادهما
فقتلتها حين جد الوصب
فغادرت أيامها سدفة
وموطنها بالقنا منتهب
لها عاصفات إذا وجهت
تكاد الجبال لها تنقلب
وبالشرق والغرب آثارها
وبالخافقين رياح تهب
بأبناء قحطان من حمير
بهاليل أسد صميم العرب
رزان الحلوم نجوم العلوم
خفاف المعاذير بيض النقب
فلما نزلت بأرض العراق
عبرت العراق بعزم حرب
فسار قباذ إلى فارس
إلى البحر يسعى لأمر كتيب
فبادره الأقرن المستطيل
سريعاً حثيثاً شديد الأرب
وأقبل صيفي من أرض عُمان
لمن شد منهم ومن قد قرب

فكان ببابل يوم عبوس
 بقتل ذريع أليم النصب
 فحام قباذ وأشياعه
 وولي سريعاً حثيث الهرب
 رأى الموت تحت ظلال السيوف
 وحتى النفوس له يضطرب
 تجر المنية أذيالها
 فكان العزيز بها من غلب
 فأضحوا كأن لم يكونوا بها
 كذلك العزيز بها من غلب
 فأضحوا كأن لم يكونوا بها
 كذلك الزمان إذا ما انقلب
 فأتبعه شمر في جمعه
 إلى القصر ذي شرفات الحجب
 سقينا البرية في دهرنا
 سامماً مدوناً بضرب القُضْب
 نقود الجياد لأقصى البلاد
 إذا ما قضينا قضاء وجب
 نهضت بجمع كمثل الدبا
 صباح الوجوه صلاب الحسب
 ربعة منها هداة السبيل
 علوم المجال لنول الشعب

وبأس إياد رفيع القذال
طويل العنان شديد الكلب
وانمار عند اللقا سادة
تزيل النفوس وترجي السلب
ترى مضراً عند إرزامها
مكللة روسها بالذهب
لهالجة عند نار الوطيس
بييض مضار بها تلتهب
تصاممت عن نبأة أسمعت
لقد صرحت عن حديث عجب
لقد جد غدر بني يافث
وجد المنون بهم فاقترب
عذيري لحرب تلافيتها
لقد ألهبوا بأسها والتهب
جموع ليافث لما بدت
تريد النزال فتمسي حصب
لقد غدروا بعدما أكدوا
مهاريق عهد يقوم غيب
سيعلوا المشيب على طفلها
بيوم مخوف ولما يشب
وسوف إذا ما اقتضاني الردى
يلي الملك بعدي كآل قسب

ويستلب الملك من حمير
 مجوس وسود عليها رهب
 وينقلب الدهر عن وجهه
 ويضحى به الرأس تحت الذنب
 لعشرين حولًا بها يقتلون
 ويستلب الجمع منها الحلب
 إلى أن يلي الملك من هاشم
 نبي أمين كريم النسب
 رسول من الله أتباعه
 على الحق منا رجال غلب
 فلو مد عمري إلى عمره
 لفرجت عنه جميع الكرب
 وإني أدين بما دانه
 ولست أقول له قد كذب
 فيللى به الله من خلقه
 قرونا من الناس أعطوا الغلب
 وتأتي العجائب من بعده
 إذا ما بدا نجمها ذو الذنب
 وتأتي الدلائل حتى ترى
 له الشم عن أسرها تنقلب
 ويرقى الدخان بأفاقها
 ويعلو بيثرب صوت صخب
 إذا قتل الروح روح الرضا
 وسالت دماء بني المطيب

هنالك خسف بأرض الحجاز
فلا تنظر العين غير الشهب
ويأتي على النيل جيشانه
إلى البيت قصداً لها بالقضب
يهدون منه ذرى سمكه
ويعلون أركابه بالصلب
كأنه لم يكن حرماً قبلها
إذا أعاد نهباً محالاً خرب
يقوم بها من بني حمير
كريم شجاع كريم النسب
حديد اللاح رفيع الصياح
ربيط الجنان لها محتسب
فيأتي بقوم من أقصى العراق
ومن حضر موت ومن ذي حلب
ثمانين ألفاً على نجها
فليس لهم عندنا منتصب
ويقتل بالنيل أملاكهم
ويعطب في لجة من عطب
ومن بعده الملك في حمير
يقوم به الماجد المغترب
ومن بعده الموت يزجي بنا
إلى البعث والفصل غير الكذب!

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث الحميري عن سد مأرب؛

وهو السد الذي ذكر الله في كتابه العزيز، وكان السد بين جبل مأرب وجبل الأبلق - وكان الأبلق متصلًا بالجبال الزرق- وإنما قيل الأبلق: لأنه في أرض سواد فيها معادن اللجن وأرض غرباء فيها معادن العقان وأرض زرقاء فيها معادن الزبرجد والجزع - وكان يقال له الأبلق الباذخ- ومأرب الشامخ، فأرب متصل بجبال عُمان والأبلق متصل بجبال لجة وما فوق السد ستة أشهر وما تحته ستة أشهر يدركه نفع الماء وكان يأتي إلى السد سبعون نهرًا كبارًا سوى ما كان يأتيه من السيول من أرض حضرموت وأرض برهوت إلى باب الحبشة. فكان ما يلي مأرب عن شمال السد لبني كهلان، وما يلي الأبلق لبني حمير بن سبأ. فكان يحبس السد لما فيه من الماء سنة من الحول إلى الحول يسقون به جناتهم وزراعتهم وما حاولوه من أمرهم على قدر ما يريدون فكان كما قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ - جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) إلى قوله: (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ). وكان لعمر بن عامر مزيقيا من الجنات والزروع مثل ما كان لجميع أهل سبأ، وكان لعمر بن عامر من الولد أحد عشر الأكبر ثعلبة العنقاء وحرثة وأبو حرثة وعوف وعلبة ومالك - قاتل الجوع- وكف ووداعة وعمر وقيس وعبيد وأمهم مارية ذات القرطين بنت ظالم بن معاوية بن كندة بن مريع بن مالك بن عريب بن زيد ابن كهلان. وكان لعمر أخ أكبر منه يقال له عمران بن عامر، وكان ملكًا متوجًا قبله، وكان كاهنًا لم يكن في الأرض أعلم منه، وكان بيده علم من بقايا دعاة سليمان، وكان له حظ عظيم من ذلك، وكانت العرب لا تعدل بعلم عمران بديلاً وكان يخبر قومه أن بلادهم ستخرب آخر الزمان حتى يفترق قومها في مشرق الأرض ومغربها، وكانوا يكتُمون ذلك من قوله ويقولون: شيخ قد كبر وبلغ من السنين أربعمئة عام، وكان أخوه عمرو بن عامر قد بلغ ثلاثمئة عام. فلما حضر عمران الموت دعا بأخيه عمرو وقال له: يا عمرو إني ميت وهذه البلاد ستخرب ويفترق أهلها وإن لله عليها نعمتين وسختين: أما النعمة الأولى فهذه النعمة التي كنتم فيها، والسخطة الأولى: ينهدم هذا السد ويفيض عليكم فيهلككم ويهلك زروعكم وجناتكم وأموالكم وتفترقون في الأرض، والسخطة الثانية تغلب عليكم الحبشة. والنعمة الثانية: يبعث الله النبي محمد التهامي صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة ويغلب أهل الأوثان في آخر الزمان أهل الأديان فيخرجونهم من البيت الحرام ويخربونه، فيرسل الله عليهم رجلاً من حمير يقال له شعيب بن صالح فيهلكهم ثم يخرجهم منه، فلا يكون بالدنيا إيماناً إلا بأرض اليمن. وإني أخبرك بما يكون لك النجاة ولقومك

وذلك أن امرأة من قومك يقال لها ظريفة بنت الحبر الحجورية -وهي وارثة علمي- فلما مات عمران وولي أخوه عمرو تزوجها وتتوج عمرو بعد أخيه، وكان عمرو أعظم ملك بمأرب وكان له تحت السد من الجنات ما لا يحاط به. كانت المرأة تمشي من بيتها وعلى رأسها مكتل فلا تصل إلى بيت جاريتها إلا وهي تملؤه من كل فاكهة من غير أن تمس منها شيئاً وكانت كما قال الله تعالى (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) وإن الرجل يمشي تحت ظلال الشجر شهرين فلا تصل إليه الشمس من كثرة الجنات حتى دعوا على أنفسهم فقالوا: (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) فأرسل الله عليهم السيل!

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث الحميري عن تفرق الأزد بعد انهيار سد مأرب:

ورحلوا عن بلادهم وأموالهم. فقال ثعلبة بن عمرو: لا تمسوا شيئاً من أموالهم فانظروا إلى موضع من بلادهم ترضونه فانزلوه إلى أن تروا مكاناً وترحلون عنهم فإننا لا نريد الإقامة في بلادهم وهم كارهون، وأحسنوا جوار من رجع منهم. ثم بعث إلى همدان: هلموا إلى أموالكم وبلادكم فإننا لا حاجة لنا فيهم، فرجعوا فقالوا لهم: يا قومنا وقع بيننا وبينكم قتلى كانت حياتهم خيراً لنا ولكم من موتهم وليس بد من المقدور فاطمأنت همدان ورجعت إلى منازلها وأصلحت مع غسان. قال ثعلبة لهمدان: يا قومنا نريد أن نرحل عنكم، فقالت همدان: أيها الملك سخطنا قدومك وأساءتنا رحلتك، فما أحسن الفرقة قبل المعرفة، وأحسن الاجتماع بعد الفرقة. ثم إن ثعلبة وغسان رحلوا وتخلف في بلاد همدان بنو وادعة ابن عمرو فأحسننت همدان جوارهم وملكوهم على أنفسهم وأسندوا إليهم أمورهم حتى دعاهم ذلك إلى أن انتسبوا إليهم فقبل وادعة بن عمرو بن جشم بن حاشد بن همدان. فلما أجمعوا للمسير دعا ثعلبة ظريفة فقال لها: يا ابنة الخير أين ترين وجه السير؟ فقالت: والبرق والبيان والذهب والعقيان لتحار بن الفرسان ولتلقون خيلاً ذات سنان ذوي أسل وأبدان وصفائح الإيمان. فقدموا إلى أهل بنجران فعليكم بنجران فلما أتوها لقيهم مذحج سعد العشيرة فقاتلوهم حتى حال بينهم الليل. فلما هدا الناس نادت ظريفة في جوف الليل: يا بني عمرو بن عامر يا عظام المنابر قد جرى لكم خير طائر فإذا أضياء صبح وأصبح واعتلج الليل وبرح، فطوبى لمن أفلح ونظر في أمره والصلح. فلما أصبح غدوا إلى مذحج فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهمز قبائل مذحج ووقعت بينهم قتلى، ثم تصالحت

غسان مع مذحج وانتسبت في مذحج من غسان بنو زيد بن الهبور وصاروا معهم إخوة فيقال إلى اليوم بنو زيد بن الحارث بن كعب بن عبيد بن خالد بن مالك. ثم أجمع ثعلبة على المسير فقال لظريفة: أين ترين لبنيك المسير؟ فقالت:

نحو السراة عجلوا الرحىلا

لا تجعلوا من دونها بديلا

أصبح وجه الأمر مستحيلا

ثم قالت: يا ثعلبة من هذا المكان أحكم بالبيان امضوا الآن مسرعين ويتخلف منكم حيان. فمن كان منكم ذا هم بعيد ومراد جديد وحمل شديد فليات كابر وليد وقصر عُمان المشيد فأنت هذه نصر الأزد. فسار من سار إلى عُمان من الأزد وكان الذين تحملوا إلى عُمان بنو نصر ابن الأزد هم أهل بيت عمرو بن الخليل بن الكبير وسار بهم رئيسهم خيوان بن سالم بن ناهدة بن عمرو بن نصر بن الأزد فنزلوا عُمان والبحرين ثم قالت: يا ثعلبة من كان منكم ذا هم أمدن وخيل أدكن فليلحق أرض شنة - فكانت هذه صفات أزد شنة - فليحق بهم عون بن عدي بن حارثة بن عمرو وهؤلاء أزد شنة. ثم قالت: يا ثعلبة من كان منكم ذا حاجة وأسر وأناة وصبر على أزمات الدهر فلينزل الأراك من بطن مر - فأنت هذه صفة خزاعة - فسارت خزاعة حتى نزلوا بطن مر. ثم قالت: من كان منكم ذا رمح نجل وسيف نصل ورأي جزل وقول فصل - يريد صدق القول - والراسيات في الوحل المطعمات في المحل يعلم بعد الجهل وينصر خاتم الرسل فلينزل بيثرب ذات النخل - وهي المدينة - فنزلت بها قبيلتان: الأوس والخزرج - أهل الوجوه الوضية والأنفس الرضية والمناقب السنية فليخرجوا قبل نزول المنية وحلول القضية ولينزلوا بيثرب بجوار هزان بن حمير ذات التيجان أفضل الإخوان والجيران - فخرج حارثة وإخوته بنو ثعلبة العنقاء. قالت له: يا ثعلبة تفرق قومك ثم تلحق بنيك فمن كان منكم يريد بلداً عالياً وعيشاً راضياً وخيلاً صوافنا وملكاً دانياً فليلحق بالمشرق من أرض بابل بين القبائل في أطيب المنازل وأحسن المناهل وأعلى المعائل - فهذه صفة بني همدان بن الأزد - فسار نحو العراق إلى بابل. ثم قالت: ومن كان منكم يريد خمراً وخميراً وديباجاً وحريراً وملكاً كبيراً وتأميراً فليات بصرى وحفيراً ودمشقاً وغويراً، ومن كان وجهه منيراً وفرسه خميراً وطعمه قديراً وولده كثيراً فليمض إلى دمشق - فكانت هذه صفة علبه بن عمرو بن عامر - وعلبة هو فنة، فسار جفنة وبنيه وكان

لعلبة ولد كثير -وهو أعز غسان وأعز ولد عمرو بن عامر- وتخلف بمأرب مالك بن النعمان بن عمرو ابن مازن بن الأزد بعد خروج عمرو بن عامر على متخلف من وشل الأزد. ونزل السراة من الأزد بنو هبيرة بن الهبور بن الأزد، والبعض من ولد الهبور بن دهمان وأمر وآهله ابنا عبد الله بن نصر بن كعب بن الأزد -وهم أزد شنوءة- فهذه القبائل الذين سكنوا السراة بظهر الجبل الذي يقال له (الحجاز) أعلى نجد شديد البرد والحجاز ما حجز بين نجد وتهامة. ففي أعلى نجد الحر في الشتاء والصيف وفي أسفله غور في الشتاء بارد، ونزل سهب ومنهب وراسب بنو مالك بن نصر بن الأزد -وهم برق دهمان بن دهوان بن كعب بن نصر بن الأزد وهم اولاد عامر الجادر أول من جعل للبيت جدارًا- وهو الجادر بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد -وهم أهل بيت المهلب بن أبي صفرة- وهو ظالم بن سراق. ثم قالت ظريفة لحارثة ولولده: خذوا الجمل الأزور فخرجوه بالدم الأحمر وأرسلوه يمشي على قدر حتى ينزل بكم البلد الأغر بلد النبي الأزهر صلى الله عليه وآله وسلم. فنزلوا هؤلاء القبائل الذين نزلوا السراة الذي يقال له الحجاز -لأنه حجز بين نجد وتهامة- وهو السراة -وإنما سمي السراة لاستوائه كاستواء سراة الفرس- وأقام بالسراة من غسان من ولد عمرو بن عامر وولد عمران بن عامر. ثم سار ثعلبة بن عمرو في أصحابه ووجوه قومه، حتى إذا كان ببعض الطريق قالت لهم ظريفة: وحق ما نزل من علمي بالبيان وما نطق به اللسان ما أعلم مني إلا الرب الأعظم رب جميع الأمم إني لا أرى علمًا يكتنم، قالوا: ما ذاك يا ظريفة؟ قالت: خذوا البعير الشدقم فانحروه وخضبوه بالدم حتى تأتوا أرض جرهم ولا تبغ بالغبلة فتندم وكف يسلموا وتسلم جوار بيت الله الحرام بيت بناه النبي الأكرم خليل الولي المنعم بيت النبي الأعظم يقتل من كفر وأجرم. قال: فأخذوا الجمل فانحروه ثم مضوا حتى انتهوا إلى مكة فأصابوا بها جرهم وبني إسماعيل. فقال ثعلبة لجرهم: يا معشر جرهم أنتم أهل العز ولكم البأس والمجد ولكم على الناس حق بولايتكم هذا البيت ولسنا نحب أن يكون بيننا وبينكم حرب فإننا ما نصب لنا أحد من الناس حربًا إلا نصرنا عليه فخلوا لنا السهل والوطاء حتى تشحم وتلحم أنعامنا ونمضي عنكم ولا يكون بيننا وبينكم حرب فإنكم لا تدرون لمن تكون الغلبة ألكم أم عليكم. فغضبت جرهم وقالت: ما كنا نرى أن يطمع فينا أحد بهذا أو يرجوه. ثم تهيئوا للقتال هم وبني إسماعيل وكانت جرهم وبني إسماعيل قليلًا -فهزموهم حتى أدخلوهم مكة واستغاثوا بالحرم. وأقام ثعلبة بمكة في بطحائها. فذاق شدة العيش هو وأصحابه، ثم شخصوا عنها وبقي بمكة من غسان أبو حارثة بن عمرو بن عامر فولي أمرها

فأخذ الرعاف ومات، فكان كل من وليها منهم لا يقيم إلا سبعة أيام ثم يموت من الرعاف. ثم عم الرعاف عليهم فكانوا لا يتداركون، فهربوا ولحقوا ثعلبة. وإن ثعلبة انتهى إلى الجحفة. فلما بلغ المشلل قالت ظريفة: يا بني عمرو بن عامر أوصيكم -فقد حان موتي- ولكل أمر نبأ ولكل نبأ يولد ارتضاء، ثم قالت: انزلوا وأقيموا فإنني ميتة هذه الليلة وقد رأيت أن علمي يخلفني فيه مولودان في هذه الليلة فجعلهما الله آية للأولين والآخرين فهو مولود من غسان -ويقال له مسعود بن مازن بن ذؤيب بن عدي- ثم قالت: والاسم والرياء والعلم والإباء والنور والضياء لقد ولد في تميم آخر من بني العم ليس له مفصل ولا عظم يخرج ممسوحًا ثم تموت أمه لسبع ليال ينبئ بالزيادة والنقصان إلى فراغ الخلق والزمان وأقسم بالنور والفلق ما له رأس ولا عنق فكان يكبر كل شيء حتى صار كالرجل من أهل زمانه، وماتت أمه لسبعة أيام من مولده فأتوا به إلى ظريفة ففتحت فمه ففتت فيه وقالت: لا تسقوه لبن امرأة وأغدوه فإن هذا يكفيه إلى بلوغه ثم قالت: أنت خليفتي من بعدي، ثم قالت: أقسم بالله يمين الحق ليأتين مثل هذا شق يعلم ما جل وما دق به يد واحدة ورجل واحدة وآية الله عليه شاهدة يعلم ما خفي وما ظهر بيني بالحق عند تصديق الخبر فأتوها به فتفلت في فمه وقالت له: أنت خليفتي من بعدي، ثم قالت: يا ثعلبة إذا جاوزت الحجر والمقام فانزلوا على الأعلام من أرض الشام، فإذا أتاك الملك الأعجم في الجحفل العرمرم فقوموا عند انصرام الليل الأدهم فالتمسوا امرأة في جيبها إرقم فقلدوها الحرب الأصم، ثم سر أنت في الجيش اللهم إلى البلد الحرام. ثم قالت:

إن ابنة الخير لها أعجوبة

وميتة تقضي لها مكتوبة

يودي بها في ليلة العروبة

فماتت ليلة الجمعة في عقبة الجحفة وقبرها هناك مشهور، وإن عمرو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر نزل مكة فاحترق فيها بئراً وسمها غسان وخزاعة من بني عمران الكاهن ولما تخزعت خزاعة قال فيهم عمرو ابن أنيف الغساني:

ولما هبطنا بطن مر تخزعت

خزاعة منا في بطون كراكر

حمت كل واد من تهامة واحتمت

بييض القنا والمرهفات البواتر

ولما نزلت أزد شنوءة السراة وجدوا بها امرأة من قوم عاد بن قحطان فقالت لهم: إني بقية من قوم عاد أنا أعلم بالبلاد منكم فاحملوني على بعير وسيروا بي أخبركم عن الأرضين. فحملوها على بعير، فلم يستقل بها فقالوا لها: ما نجد بعيراً يحملك؟ فقالت: هل من ناقة هبراء فحملوها عليها فسارت بهم حتى أتت أرضاً تسمى ظرب فقالت: هذه طرب حجرها ضر وجبلها وعر يلقى الراعي بها شر. ثم خرجت بهم حتى أتت كراء. فقالت: هذا كراء مرملة قاتلة للنساء، ثم سارت إلى بيشة فقالت: منزلة خربة آمنة مانعة. فنزلت الأزد بهذه المنازل كلها. فقال لها رجل يومئذ -أي القسي خير- قال: أما السدرة فإنها مدرة هذرة ولكن عليك بالتبع فإنه أصلب عند تقارب النزح وإياك والشريان فإنها قسي الصبيان. ثم ساروا عنها وتركوها بالوادي، فقامت أزد شنوءة بالسراة وسارت منهم قبائل إلى عُمان -فأول من خرج بهم مالك بن فهم- وكان سبب خروجه أنه كان له جارة وكان لجارته كلبة وكان له أخ له أولاد كثيرة، فرمى ابن أخيه كلبة جارته فقتلها، وكان بنو أخيه أكثر من بنيه، فلم يستطع أن يفعل في بني أخيه شيئاً فغضب وقال: والله لا أقيم ببلد يفعل هذا فيه بضيغي، فسار حتى نزل عُمان فسمي الموضع الذي رحل إليه نجد الكلبة إلى اليوم. فلما ورد مالك بن فهم عُمان تزوج بها امرأة من بني عبد القيس فولدت له غلماناً كثيرة وكان أصغرهم سليمة وأنه أناخ إبله ذات ليلة وخشي عليها الطرد فعقلها ومعه سليمة فباتا فيها. فلما كان في الليل قام يفتقد عقلها فرآه سليمة وهو يكب عليها ويرفع رأسه فظن أنه لص فنزع له سهماً فرماه فقطع نساها فقتله ثم لحق بعُمان ثم أن الأزد ضاقت بهم أرض السراة فخرج من كل قبيلة منهم ناس، فخرج بنو رابعة بن عمران وبنو حارثة بن عمرو وبنو غالب بن دهران، فخرجوا ونزلوا بالشعب من أرض عُمان فقال في ذلك شاعر من غسان:

كونوا كعمران إذ سبي محلته

فقال حبس وضيغ بات في رصد

شد المطي على الأنساع فانشمرت

تطوي الصحاح حتى منتهى الرصد.^١

١ - المصدر السابق، ص ٢٨٧-٢٩٣.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث الحميري عن الملك التبّعي أسعد أبي كرب الأوسط:

ويزعمون يا أمير المؤمنين أنه لما ملك أكثر الغزو في كل ناحية - وكان رجلاً مجرباً منجماً يعرف السعود من النحوس، ولا يخرج بقومه مخرجاً حتى ينظر طوالها، فيخرج بسعودها - وكان يغزو سنة ويقيم سنة. إذا قرب المسير عليهم غزا وبعث، وإذا طال المسير في الغزو غزا بهم ثلاث سنين وقام سنتين، وكان يكثر التوجيه لقواده، فإذا سار بنفسه لم يسر إلا في كل عشر سنين. وإذا خرج لم يترك طريقاً إلا سلكه ولا منهلاً إلا ورده ولا بلدًا إلى وطئه وما وطئ أحد من آبائه وأجداده من البلدان إلا دخله وقصده ووطئه بنفسه أو بعث إليه عسكره. قال معاوية: فهل قال تبع شعراً فيما ظهر منه يا عبيد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين - قال تبع هذا الشعر الذي يقول فيه:

سيدكر قومي بعد موتي وقائعي

وما فعلت قومي بقيس أفاعلا

وما دوخت أرض اليمامة بالقنا

وما صبحت فيها تيمياً ووائلا

فكم من ملوك قد قتلنا رجالهم

وكم من نساء قد تركنا ثواكلا

وكم من أسير ظل في القيد ساقه

يبيت يراعي غله والسلاسل

سيدكر قومي نجدتي ومكارمي

ويدخل باب العز من كان جاهلا

بنيت لهم مجداً مع النجم سمكه

وصيرته للعالمين معاقلا

فحمير سادات الملوك وخيرها

وهم من قديم الدهر سادوا القبائل

فأسكنت أرض الشام منهم قبائلًا
وأتبعت غسان الملوك الأفاضلا
وغسان حازوا بلدة الروم كلها
وفي الصين صيرنا الملوك الأقالوا
ويوم لقينا العجم في أرض فارس
لقت ضيعمًا من نسل قحطان باسلا
فدوخت أرض الفرس حتى تركتها
يبابًا مجوبًا علوها والأسافلا
ودوخت أملاك العراق ولم أزل
أحل بهم في كل عام زلازلا
يصبحهم في أول العام جيشنا
فيمكث فيهم قابلاً ثم قابلا
حشوت صخام الملك خيلي ورجلها
وأجريت من بعد البحار المناهلا
ونلت بلاد السند والهند كلها
وفي الصين صيرنا نقيبًا وعملا
ونلت بلاد المشرقين كليهما
ونلت بلاد المغربين وبابلا
ونحن أثرنا في سمرقند ضحوة
جحيماً لظاها يلفح الدور شاعلا
وجادت لنا في أصبهان سحابة
بودق يزيغ المذهلات الحواملا

بكل قضيب حادث العهد صقله
 وسهم منير يفتق الدرع داخلا
 وتسعين ألفاً تحمل البيض والقنا
 دخلنا بهم قصرًا درنحا وكابلا
 سيوف حداد يضج الناس وقعها
 وتحكم في عدنان حقًا وباطلا
 ومروا كتبنا المسندين ببابها
 ليعرف عنا القيل من كان غافلا
 ومثلي يلدن المحصنات مسودا
 مغيرًا إلى الهيجاء للقوم قاتلا
 وممسك عرف الخيل في حومة الوغى
 ترى البيض فيه والرماح الذوابلا
 وبحرًا عريضًا للحراب ومعقلا
 وغيثًا غزيرًا ينبت الزرع عاجلا
 ثلاثين بحرًا قد غشيننا بجيشنا
 فما رام سيفي ساعدي والأناملا
 فلما قضيت الغل من كل بلدة
 توجهت أرضي أعمد الدار قافلا
 فأمسيت في غمدان في خير محتد
 منيعًا وصنعا من حذاها المآجلا
 وريدان قصري في ظفار ومولدي
 بها أس جدي دورنا والمناهلا

على الجنة الخضراء من سهل يحصب

ثمانون نهرًا تدفق الماء سائلا

مآثرنا في الأرض تصديق قولنا

إذا ما طلبنا شاهداً ودلائلا

وعلمي بملكي سوف يبلى جديده

ويرجع ملكًا كاسف للون ما حلا

وملك جميع الناس يبلى وملكنا

على الناس باق ذكره ليس زائلا

قال عبيد: فلما فرغ تبع يا أمير المؤمنين عن أرض فارس وما يليها توجه إلى الشام وذكر ما صنع بأرض معد وغيرها من البلاد، فقال في ذلك وأنشأ يقول:

رب هم مؤرق بعد نوم

غير ما باطل ولكن بجدي

يا بني مازن فوارس معد

سربي ما فعلتم في معد

إذ أترتم مع العجاج عجاجاً

وانتضيتم لهم صفائح هند

أسروا ثلثهم وثلثا أبادوا

ومضى ثلثهم بأعس جد

منهم راعي المخاض ومنهم

مالي للحياض في كل ورد

وبعثنا إلى اليمامة خيلا

فأتيناهم بحزم وجد

وصرفنا إلى كنانة جنداً
 فتوافت إلى كنانة جندي
 وتركنا ثقيف تنضح للجند
 بقهر على هوان وكدي
 وجعلنا الخرج منزل قيس
 قد أقروا بالخرج من غير عهد
 وجعلنا بني نزار هداة
 يرشدون الطريق في كل قصد
 وجعلنا نصرًا وأحلاف نصر
 خولا بين خادم ومؤدي
 وطحننا قرى اليمامة بالخيول
 زمائنا نعيد فيهم ونبدي
 وقسمنا بني خزيمة بالجند
 فكلُّ عبدٍ لنا وابن عبد
 ثم أحدثت بالمشقر أرضاً
 وجناتاً تحلها الناس بعدي
 ثم أنزلت في عُمان رجالا
 يستعدون من فوارس أزد
 ثم سرنا إلى العراق بجمع
 ملأ الأرض بين غور ونجد
 فترى الناس وسطها وعليها
 أسد غابات من كهول ومزد

يتردون باليمانية البيض
تراها تجر في كل غمد
وبأيديهم مخاصر موف
وعليهم مسرودة أي سرد
فتووا بالعراق حيناً من الدهر
يدوسونها على غير عهد
ثم دوخت أرض فارس طرا
وقبأداً وأرض هند وسند
ثم أنزلت حميراً جبل الصين
فذاق الذليل عز الأشد
وركضنا الجياد في عرض الروم
كفعل الكاشح المتعدي
ثم أنزلت حيث أنزلت لخمًا
وجذامًا وهم جناحي ورفدي
ثم أقبلت أقرب الشام قصداً
برجال على ضوامر جُرد
ثم وجهت نحو يثرب خيلاً
لنبيط بها يحلون بعدي
فصدمنا آطام يثرب بالخيل
العناجيج بالمقاول تردي
وتركنا بها من الأوس والخزرج
حسباً من آل بأس ومجد

ثم أقفلت من بها من خيول
 نحو أرضي ونحو قومي وولدي
 وإذا سرت رافقتني جبال
 ورجال هم جناحي وجدي
 فجبالي إذا أحقت حديد
 ورجالي إذا تأخرت عندي
 تقهر الناس والشعاع بخيل
 تحصد الناس في الوغى أي حمد
 قال معاوية: يا عبيد أنشد شعراً غيره. قال: نعم يا أمير المؤمنين أنشأ تبع يمدح قومه ويقول:

أيها الناس لست أعرف قومًا
 مثل قومي في سالف الأزمانِ
 نحن كنا إلى المآثر والمجد
 ورثنا العلاء من قحطانِ
 لم تزل حمير لها الفضل في الناس
 عطاء من واهب منانِ
 فهم سادة الملوك وكل الناس
 عبد لنا بسوق هوانِ
 لم نزل نملك البلاد بقهر
 وندوس البلاد بالفرانِ
 يوم قدنا الخيول نحو معد
 من ظفار فجانبى غيمانِ
 مائتا ألف فارس كل ألف
 في لواء مشهّر الألوانِ

معهم مثلهم رجال مصاليت
ليوث يمشون في البلدان
ثم قدمتهم سوى الألف ألفا
كلهم ماهر بعطف عنان
يسمع السامعون للأرض منهم
هدة لا تزال في رجفان
يتركون الفضاء ضيقًا بما فيه
وما دونه من الغيطان
ساقهم من بلادهم لبلاد
غيرها أسعد أبو حسان
ملك يرم الأمور بحزم
غير زميلة ولا متواني
لم يزل يقدم الجيوش بخيل
وعليها عديدهم للطعان
كل قيل مملك حميري
ليس بالمنثني ولا بالجبان
يشرع الرمح في نحور الأعادي
ويروي القناة بعد السنان
ويشق الصفوف في حومة الموت
إلى الموت والرمح دواني
فوطئنا ما بين يثرب والشام
بكلب والجمع من غسان

وسددنا ثغر الحجاز بأزد
 الصقوا بالحجاز كل هوان
 وورثنا عُمانَ قدما بأزد
 غير هذا فتلك أزد عُمان
 قال معاوية: لله أنت يا عبید! فأین قول تبع الذي قال على الباء:
 أرقنت وما ذاك بي من طرب
 ولكن تذكر ما قد ذهب

قال عبید: يا أمير المؤمنين إنك لتكلفني أقوال أقوام قد ذهبوا، كانوا ملوكًا فإذا قالوا صغروا غيرهم لقدرتهم وعظمتهم. قال معاوية: يا عبید قد غاب ذلك عنا فقل فما جراننا لذلك إن تكن حمير ملكت كما ذكرت فقد أورثنا الله ذلك من ملكهم فهو لنا اليوم وقد انتزعه الله بنبيه محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو منا فنحن أسرته وخير الناس بعده، ولولاه لم نكن شيئًا وجعل حميرًا لنا، والحمد لله الذي أكرمنا بنبيه وأورثنا أرض أعدائه الجبابرة العتاة فقل غير متق شيئًا ولا سائب أحدًا فأنت في ذمتي وجواري والله لك علي بذلك شاهد.

قال عبید: يا أمير المؤمنين، ثم أقبل تبع بن ملكي كرب في جموع حمير من اليمن ومعهم عيالهم وأولادهم حتى وقفوا بأرض العراق للذي بلغه من رفاهية عيشها وكثرة خيرها يريد الأعاجم وملكها قباذ. وإن تبعًا سار حتى نزل موضع الحيرة اليوم، فعسكر بجموعه بالحيرة إلى الكوفة مما يلي شط الفرات قبل أن تكون الحيرة والكوفة. قال معاوية: الحيرة قبل الكوفة؟ قال عبید: وقبل البصرة بزمان، والكوفة قبل البصرة بزمان طويل.

قال معاوية: خذ في حديثك عن تبع. قال عبید: بلغ الأعاجم جمع تبع فاجتمعوا إلى ملكهم قباذ ببابل -ولم يكن تبع يدرك تلك القبائل- فأجمعوا على الحرب، فبعث تبع ابن أخيه شمر ذا الجناح على مقدمة الجيوش وجرده معه الخيول وأمره أن يجده في الطلب حتى يلتقى قباذ وأصحابه وجموعه. ورحل تبع في الأثر مجددًا في الطلب فتحير في صحراء الحيرة ثم نظر تبع فإذا هو غير بعيد من مكانه الذي رحل منه قال تبع: إن لهذا المكان نبأ عظيم فخلف العيال وذوي الزمانة والضعفاء والأثقال وخلف معهم عشرة آلاف فارس تحفظهم وسماها تبع (الحيرة)

للذي كان من تحيره فيها ومضى تبع حتى واقع قباذ وجموعه ببابل فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم قباذ وجنوده حتى أتى الري فأتبعه شمر ذا الجناح بالري، وقد جمع بها من عسكره جموعاً كثيرة ليقاتلهم بها - فواقعه شمر ذو الجناح فقتل قباذ بالري وفض جموعه بها وأقبل تبع حتى نزل الحيرة بعد هزمه قباذ ببابل فخلف بها من أحب أن يخلف مما جرى عليه من الأعاجم، وسار على وجهه ذلك إلى خراسان، وفي ذلك يقول الشعر الذي قال على الباء. قال معاوية: فأسمعني قوله؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فأنشد عبيد عند ذلك:

أرقت وما ذاك بي من طرب
ولكن تذكر ما قد ذهب
تذكر ما أفت مما مضى
وهل يطرب الثائر المغتصب
وأمر هممت بإمضائه
إذا الهم خالطني والنصب
وأوتيت ملكاً من الله هاج
فظم على خلقه والتهب
حباني به الله من عنده
ولمّ به صدعنا والشعب
نعم البلاد ونغشى النجاد
عزيزي المعادة والمنقلب
نهد الحصون ونعلو الحزون
ونبكي العيون بكاء الحرب
فدان به الناس طر لنا
وقد خاب من جاءني بالكذب
توارث ذلك آباؤنا
قديم الزمان أبا بعد أب

لقد رمت أمراً فأمضيته
 ومثلي إذا رام أمراً صلب
 أعالج أمراً لإمضائه
 وذو العزهمي وذاكم أرب
 وخبرت بالصين لي بغية
 ثياب الحرير وكنز الذهب
 فسرت إليهم بجيش لهام
 شديد الزهاء كثير اللجب
 بأبناء قحطان من حمير
 بهاليل أسد صميم الحسب
 بأبطال قومي شم الأنوف
 كرام الجدود السراة النجب
 غزوت الأعاجم في أرضها
 فأعطوا القيادة وخلوا السلب
 ولما هبطنا بلاد السواد
 وفر قباذ سريع الهرب
 فاتبعته شمراً ذا الجناح
 فسار حثيثاً سريع الطلب
 فكان ببابل يوم لهم
 طويل العناء شديد الكلب
 فلما انتهوا عند غيبوبة
 من الشمس كفوا وقل الصخب

فيسقون سماءً ويسقونه
بأسياف صدق كمثل الشهب
قفر قباذ وأشياعه
وكان العزيز بها من غلب
وأضحوا كأن لم يكونوا بها
كذاك الزمان إذا ما انقلب
وطاروا ومروا أقاضي البلاد
فزالت همومي وولت كرب
سبقنا البرية في غزونا
بحمل المزاد ونوط القرب
ولبس الدروع وقود الجياد
إذا ما قضينا قضاء وجب
فدانت معد لنا عنوة
وكلهم ما لهم من حسب
فمنهم رعاء لأموالنا
عليهم خراج لنا مغتصب
نميرًا جعلت لحوك البرود
وحل النعال ووضع اليلب
خزيمة كان عليها الدباغ
وقد السيور وقتل السلب
تميمًا جعلت لبري القداح
وشحذ النصال ورفض القصب

وقيساً وضعت بأرض الحجاز
لنسج العباء وخرز القرب
هذياً جعلت لنحت البرام
وكانت كنانة فيها القتب
جعلت الرباب لحفر البئار
وميح الدلاء عليها الكرب
سليماً جعلت لسقي الحجيج
كذاك اليماني إذا ما غضب
جعلت ربيعة تهدي الطريق
مناراً على القصد حيث الشعب
وأزداً تركت بأرض عُمان
ليوث المغازي كرام الحسب
إرادة إذ يسكنون بها
بأن يقتلوا كل من قد نصب
ومنهم جعلت بأرض الحجاز
لمن شذ من أهلها أو هرب^١

١ - المصدر السابق، ص ٤٥٢-٤٨٧.

تاريخ خليفة

يقول خليفة بن خياط في كتابه هذا مؤرخا أحداث سنة إحدى عشرة للهجرة:

قبض رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَانُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَعَمَرُو بَنَ الْعَاصِ إِلَى عُمَانَ قَبْضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمَرُو عَلَيْهَا وَيُقَالُ قَدْ كَانَ بَعَثَ أَبَا زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى عُمَانَ وَسَلِيْطُ بْنُ سَلِيْطٍ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لَوْيٍ إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَأَسْلَمُوا فَأَقْرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ^١.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث خليفة عن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

حَدَّثَنَا الْأَنْصَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَوَلِيَّ الْأَنْصَارِيِّينَ وَوَجْهَ أَبُو بَكْرٍ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ إِلَى عُمَانَ وَكَانُوا ارْتَدُّوا فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَجَّهَهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْيَمَنِ وَوَلِيَّ عُمَانَ حُدَيْفَةَ الْعَلْقَانِيَّ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى تُوفِّيَ^٢.

ويقول خليفة مؤرخا لأحداث سنة خمس عشرة هجرية:

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلى عَمْرُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَرْضَ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ فَسَارَ إِلَى عُمَانَ وَوَجَّهَ أَخَاهُ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ^٣.

ويقول في أحداث سنة تسع وسبعين هجرية:

وَفِيهَا وَلى الْحَجَّاجُ مُحَمَّدُ بْنُ صَعْصَعَةَ الْكَلَابِيِّ الْبَحْرَيْنِ وَضَمَّ إِلَيْهِ عُمَانَ وَعَزَلَ زِيَادَ بْنَ الرَّبِيعِ الْحَارِثِيَّ فَوَلَّى مُحَمَّدُ بْنُ صَعْصَعَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَجَاءِ الْعَوْذِيَّ صَاحِبَ قَصْرِ أَبِي رَجَاءِ بِنَاحِيَةِ الْبُصْرَةِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الرِّيَّانُ الْنَكْرِيَّ بَقْرِيَّةً يُقَالُ لَهَا طَابٌ مِنَ الْخَطِّ بِالْبَحْرَيْنِ وَقَدِمَ عَلَيْهِ مَيْمُونُ الْحُرُورِيِّ مِنْ عُمَانَ فَأَنْهَزَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَهَرَبَ مُحَمَّدُ بْنُ صَعْصَعَةَ

١ - خليفة بن خياط الشيباني. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ)، ص ٩٧.

٢ - المصدر السابق، ص ١٢٣.

٣ - المصدر السابق، ص ١٣٤.

فَرَكَبَ الْبَحْرَ فَقَدِمَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ بَعَثَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي كَبْشَةَ مُمَدًّا لِمُحَمَّدِ بْنِ صَعْصَعَةَ فَهَرَبَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ أَنْ يَقْدِمَ عَلَيْهِ يَزِيدُ ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ^١.

ويقول مسميا ولاة عبد الملك بن مروان:

عُمان: بعث إليها الحجاج موسى بن سنان بن سلمة وذلك سنة كذا وسبعين ثم غلب عليها سعيد وسليمان ابنا عباد فبعث الحجاج طفيل بن حصين البهراني فأخرجهما منها فكتب إليه الحجاج أن يستخلف ويقفل فاستخلف حاجب بن شيبه فمات بها فغلب عليها ابن عباد فوجه الحجاج مجاع بن سعر ثم صرفه عنها وولى محمد بن صعصعة فقتله ابن عباد فبعث الحجاج سورة بن الحر فقتل ابن عباد وولاها الحجاج سعيد بن حسان الأسيدي^٢.

ويقول مسميا ولاة الوليد بن عبد الملك والحجاج على الأمصار، سنة ست وتسعين

هجرية، ومنها عمان:

عُمان: عبد الرحمن بن سليم الكلبي ثم عبد الجبار بن سبرة المجاشعي حتى مات الحجاج^٣.

ويقول مسميا عمال سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين هجرية:

عُمان: ولاها صالح بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن قيس الليثي ثم ولاها يزيد بن المهلب أخاه زياد بن المهلب^٤.

ويقول مسميا عمال عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة:

عُمان: ولى عدي سعيد بن مسعود المازني ثم ولاها عمر بن عبد العزيز من قبله عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري^٥.

١ - المصدر السابق، ص ٢٧٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٩٧.

٣ - المصدر السابق، ص ٣١٠.

٤ - المصدر السابق، ص ٣١٩.

٥ - المصدر السابق، ص ٣٢٣.

ويقول مسميا عمال الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة؛

عُمان: ولاها يُوسف بن عُمَرُ الفَيْضُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ كَرْدَمِ بنِ بيهس^١.

ويرد اسم عمان في هذا الكتاب حين يروي خليفة بن خياط القتال الذي دار بين مروان

بن محمد والضحاك بن قيس الشيباني سنة ثمان وعشرين ومائة هجرية؛

فِيهَا سَارَ الضَّحَّاكُ بنُ قَيْسٍ حَتَّى أَتَى المَوْصِلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَامِلُهَا فَقتله الضَّحَّاكُ وَاسْتولى عَلَى المَدِينَةِ فَبَلَغَ مَرْوَانَ فَكَتَبَ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَرْوَانَ وَهُوَ يَوْمئِذٍ عَلَى الجَزِيرَةِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَنْزِلَ بِنَصِيبِينَ وَسَارَ إِلَيْهِ الضَّحَّاكُ فَحَاصِرَهُ نَحْوًا مِنْ شَهْرَيْنِ قَبْنَصِيبِينَ فَلَمْ يَظْفِرْ مِنْهُ بِشَيْءٍ وَبَثَ الخُيُولَ فِي العُغْرَةِ عَلَى أَرْضِ الجَزِيرَةِ حَتَّى بَلَغَتْ خَيْلَهُ الرِّقَةَ وَاجْتَمَعَتْ إِلَى الضَّحَّاكِ مُلُوكُ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ هَرَبَ مِنْ مَرْوَانَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَسَارَ مَرْوَانُ يُرِيدُ نَصِيبِينَ فَرحل من عين الوردة فنزل الأكرد ثم رحل من الأكرد يوم الاثنين زحفا على تعبئة ورجالته تمشي وخيوله مجففات وهو في القلب فاستقبله الضحَّاك على قريب من فرسخين من عسكر الضحَّاك قريبا من صلاة الظهر

قَالَ إِسْمَاعِيلُ فَخَدَّثَنِي السَّرِيُّ بنُ مُسْلِمٍ وَالوَلِيدُ بنُ سَعِيدٍ أَنَّ العَسْكَرِينَ لَمَّا تَقَارَبَا قَامَ إِلَى الضَّحَّاكِ أَشْرَافٌ مِنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالُوا لَهُ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَ إِلَى دَاعٍ دَعَا إِلَى هَذَا الرَّأْيِ مُنْذُ كَانَ الإِسْلَامُ مَا اجْتَمَعَ مَعَكَ فَتَأَخَّرَ وَقَدِمَ مِنْ خَيْلِكَ وَرَجَالَتِكَ وَفِرْسَانِكَ مِنْ يَلْقَى هَذَا الطَّاعِيَةَ فَقَالَ إِنِّي وَاللَّهِ مَا لِي فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ حَاجَةٌ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا الطَّاعِيَةَ وَقَدْ جَعَلَتْ لِي اللهُ عَلَيَّ إِنْ رَأَيْتَهُ أَنْ أَحْمِلَ عَلَيْهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَعَلِي دِينَ سَبْعَةَ دَرَاهِمٍ فِي كَمِي مِنْهَا ثَلَاثَةٌ دَرَاهِمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ مَرْوَانَ فَالْتَقَوْا فَاقْتَتَلُوا حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ وَقَتَلَ الضَّحَّاكُ فِي المَعْرَكَةِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ وَحَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلَ وَرَجَعَ الفَرِيقَانِ إِلَى مَعْسَكِهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوَ مِنْ سِتَّةِ آلَافٍ وَأَكْثَرَ الثَّقَلَى أَضْحَابَ الضَّحَّاكِ وَقَتَلَ مِنَ الشَّرَاةِ نَحْوَ مِنْ ثَمَانِ مِائَةِ امْرَأَةٍ وَأَمْرَ مَرْوَانَ جِيْنَ أَصْبَحَ فَنَصَبَ رَايَةَ أَمَانَ وَدَعَا إِلَيْهَا وَخَرَجَ الخَيْبَرِيُّ وَدَعَا فِي شِرَاتِهِ مِنْ أَرَادَ الجَنَّةَ وَالْمَوْتَ فَلِيَنْتَدِبَ مَعِيَ فَانْتَدَبَ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَخَمْسُونَ فَارْسًا فَحَمَلُوا عَلَى مَرْوَانَ فِي القَلْبِ فَانْكَشَفَ وَأَعْرَى القَلْبَ وَشَدَّ رَجُلٌ مِنَ الخَوَارِجِ عَلَى مَرْوَانَ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى عَاتِقِهِ فَقَطَعَ الحِمَائِلَ وَسَقَطَ الجِفْنَ وَضْرَبَهُ مَرْوَانُ فَأَصَابَ يَدَهُ وَوَلَّى هَارِبًا

١ - المصدر السابق، ص ٣٦٧.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي السَّرِيُّ وَكَانَ شَهِدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالَ هَاجَتْ يَوْمَئِذٍ صَبَابَةٌ فَمَا كَانَ الرَّجُلُ يَبْصُرُ عَرَفَ فَرَسِهِ وَلَا سَوْطَهُ وَمَضَى فَلِ مَرْوَانَ فِي كُلِّ وَجْهِ وَبَقِيَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ فِي الْمَيْمَنَةِ وَإِسْحَاقُ بْنُ مُسْلِمٍ فِي الْمَيْسِرَةِ عَلَى خَالِهِمَا لَا يَعْلَمَانِ خَالَ مَرْوَانَ وَجَاءَ الْخَيْبَرِيُّ فَدَخَلَ عَسْكَرَ مَرْوَانَ فَقَطَعَ أَطْنَابَ رِوَاقِهِ وَقَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ حَوْلَ الْحُجْرَةِ فِي النَّهْبِ وَالْقَتْلِ وَشِعَارِهِمْ يَا خَيْبَرِيُّ وَلَا يَعْلَمُ سَائِرَ أَصْحَابِ الْخَيْبَرِيِّ بِالْأَمْرِ لِلنَّقْعِ وَالضَّبَابِ وَلَا يَرُونَ الْخَيْبَرِيَّ إِلَّا وَقَدْ قُتِلَ فَلَمَّا رَأَى مِنْ فِي عَسْكَرِ مَرْوَانَ قَلْتَهُمْ ثَارَ مَوْلَى لِمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ فِي حَرْسِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مَسْرُوحٍ مِنَ الْبَرَابِرَةِ فَنَادَى فِي الْعَبِيدِ مَنْ اتَّبَعَنِي فَهُوَ حَرٌّ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَبِيدِ وَغَيْرِهِمْ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلٌ أَوْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ رَجُلٌ فَقَتَلَ الْخَيْبَرِيُّ وَانْجَلَّتِ الصَّبَابَةُ عَنْ مَجْنِبَتِي مَرْوَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ وَإِسْحَاقُ بْنُ مُسْلِمٍ فَرَأَوْا أَعْلَامَ الشِّرَاةِ فِي مَوْضِعِ مَرْوَانَ فَقَالُوا قَدْ قَتَلَ الْخَيْبَرِيُّ وَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ فِدْفَنُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى رَأْسِهِ وَلَا جَسَدِهِ وَخَرَجَ مَوْلَى لِمَرْوَانَ يُقَالُ لَهُ غَرْوَانُ يَزْكُضُ عَلَى فَرَسِهِ حَتَّى أَتَى مَرْوَانَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ فَرَجَعَ مَرْوَانَ إِلَى عَسْكَرِهِ وَتَابَعَتِ الشِّرَاةُ مَكَانَهُمْ فَارْتَحَلُ شَيْبَانَ رَاجِعًا حَتَّى نَزَلَ الزَّابِينَ مِنْ أَرْضِ الْمُوصَلِ فَخَنَّدَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَتَاهُ مَرْوَانَ فَقَاتَلَهُمْ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ كُلَّ يَوْمٍ رَايَةَ مَرْوَانَ مَهْزُومَةً ثُمَّ رَفَضَ شَيْبَانَ الْخَنَادِيقَ وَخَرَجَ إِلَى شَهْرَزُورٍ ثُمَّ انْحَدَرَ عَلَى مَاهٍ ثُمَّ عَلَى الصَّيْمِرَةِ ثُمَّ أَتَى كَرْمَانَ ثُمَّ أَتَى جَزِيرَةَ بَرْكَوَانَ ثُمَّ أَتَى عُمانَ فَمَاتَ وَفَقَاتَلُوهُ فَكُتِلَ بِهَا.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ الْحَدَّثَانَ قَالَ حَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ جَدْرَةَ الْهَلَالِيُّ قَالَ مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَشَدَّ كَمْدًا مِنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ قَتَلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجَهَا وَأُمَّهَا وَعَمَّتَهَا وَخَالَتَهَا مَعَ الضَّحَّاكِ فَمَا رَقَاتُ لَهَا عَيْنٌ وَلَا رَأَيْتُهَا ضَاحِكَةً وَلَا مَبْتَسِمَةً فَقَالَتْ:

مِنْ لِقَابِ شَفَى الْحَزْبُ
 أَوْ لِنَفْسِ مَالِهَا سَكْرُ
 ظَعْنِ الْأَبْرَارِ فَارْتَحَلُوا
 خَيْرَهُمْ مِنْ مَعْشَرِ ظَعْنُوا
 مَعْشَرِ قَضُوا نَحْوَهُمْ
 كَلِمًا قَدْ قَدَّمُوا حَسْرُ

صَبَرُوا عِنْدَ السِّوْفِ فَلَمْ
يَنْكُلُوا عَنْهَا وَلَا جَبَنُوا
فَتِيَةٌ بَاعُوا نَفُسَهُمْ
لَا وَرَبِّ الْبَيْتِ مَا عُيِنُوا
تَبِعُوا مَرْضَاةَ رَبِّهِمْ
حِينَ مَاتَ الدَّيْنُ وَالسَّنْبُ
فَأَصَابَ الْقَوْمَ مَا طَلَبُوا
مِنَّةَ مَا بَعْدَهَا مِنْ

ويرد اسم عمان أيضا في هذا الكتاب حين يتحدث الخياط عن خلافة هارون الرشيد،
سنة سبعين ومائة؛

ثُمَّ بُويعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدَ بْنَ هَارُونَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأُمَّهُ الْخِيزَرَانُ فِي التَّصَفِّ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةَ فَأَقْرَعَ عَلَى
الْبَصْرَةِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ فَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ يَحْيَى بْنَ سَعْدِ السَّعْدِيِّ فِي ثَلَاثَةِ
عَشْرَةِ مَرَكَبَاتٍ فِي بَحْرِ الْبَصْرَةِ حَتَّى بَلَغَ عُمانَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا.^٢

١ - المصدر السابق، ص ٣٧٨-٣٨١.

٢ - المصدر السابق، ص ٤٤٧.

المحبر لابن حبيب

يرد اسم عمان في هذا الكتاب ضمن فصل وضعه ابن حبيب بعنوان "أسواق العرب المشهورة في الجاهلية ومبايعتهم فيها" :

فمنها سوق (دومة الجندل) وهي فيما بين الشام والحجاز.

وقيامها في أول يوم من شهر ربيع الأول إلى النصف منه. ثم ترقّ فلا تزال قائمة إلى رأس الشهر. ثم يفترقون عنها إلى مثلها من قابل.

وكانت كلب وجديلة طيئ جيرانها. وكان ملكها بين أكيدر العبادي ثم السكوني وبين قنافة الكلبي. فكان العباديون إذا غلبوا وليها أكيدر. وإذا غلب الغسانيون ولوها قنافة. وكانت غلبتهم أن الملكين كانا يتحاجيان فأيما ملك غلب صاحبه بإخراج ما يلقي عليه، تركه والسوق فصنع فيها ما شاء. ولم يبع بها أحد شيئاً إلا بإذنه حتى يبيع الملك كلما أراد بيعه، مع ما يصل إليه من عشورها.

وكان لكلب فيها قن كثير في بيوت شَعْر. فكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء. وكانوا أكثر العرب. وكانت مبايعة العرب فيها إلقاء الحجارة. وذلك أنه كان ربما اجتمع على السلعة نفر، يسامون بها صاحبها. فأيهم رضي، ألقى حجره. وربما اتفق في السلعة الرهط، فلا يجدون بدا من أن يشتركوا وهم كارهون. وربما اتفقوا فألقوا الحجارة جميعاً إذا كانوا عدداً على أمر بينهم فوكسوا صاحب السلعة إذا طابقوا عليه. وكان كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز يتخفر بقريش ما داموا في بلاد مضر. لأن مضر لم تكن تعرض لتجار مضر، ولا يهيجهم حليف لمضري. كان ذلك بينهم. فكانت كلب لا تهيجهم لحلفهم بني تميم. وطيء أيضاً لا تهيجهم لحلفهم بني أسد. وكانت مضر تقول :

"قضت عنا قريش مذمة ما أورتنا إسمعيل من الدين". فإذا أخذوا طريق العراق، تخفروا ببني عمرو بن مرثد، من بني قيس بن ثعلبة، فتجيز ذلك لهم ربعة كلها.

ثم يرتحلون منها إلى (المشقر) بهجر فتقوم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشهر. فتوافي بها فارس يقطعون البحر إليها ببياعاتهم. ثم تنقشع عنها إلى مثلها من قابل. وكانت عبد القيس وتميم جيرانها. وكان ملوكها من بني تميم، من بني عبد الله بن زيد، رهط المنذر بن ساوى. كانت ملوك فارس تستعملهم عليها، بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عُمان. وكانوا يصنعون فيها ويسيرون فيها بسيرة الملوك بدومة الجندل. وكانوا يعشرونهم.

وكان من يؤمها من التجار، يتخفرون بقريش، لأنها لا تؤتي إلا في بلاد مضر. وكان بيعهم فيها الملامسة والهمهمة. أما الملامسة الإيماء، يومئ بعضهم إلى بعض، فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا إيماء.

وأما الهمهمة فكيلا يحلف أحدهم على كذب إن زعم المشتري أنه قد بدا له.

ثم سوق (صُحار) بعمان. وكانت تقوم أول يوم من رجب فتقوم خمس ليال. وكان يعشرهم فيها الجُلندي بن المستكبر.

ثم سوق (دبا). وهي إحدى فرضتي العرب. يأتيها تجار السند والهند والصين وأهل المشرق والمغرب. فيقوم سوقها آخر يوم من رجب. وكان بيعهم فيها المساومة. وكان الجُلندي بن المستكبر يعشرهم فيها وفي سوق صحار. ويفعل في ذلك فعل الملوك بغيرها.

ثم سوق (الشَّحْر) شَحر مَهرة، فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام. ولم تكن بها عشور، لأنها ليست بأرض مملكة. وكانت التجار تتخفر فيها ببني محارب بن هرب، من مهرة. وكان قيامها للنصف من شعبان. وكان بيعهم بها إلقاء الحجارة.

ثم سوق (عدن). وكانت تقوم أول يوم من شهر رمضان إلى عشر يمضين منه. وكانوا لا يتخفرون هناك بأحد، لأنها أرض مملكة وأمر محكم. وكانت الأبناء تعشرهم بها، ولا تشتري في أسواقهم ولا تبيع. والأبناء هم أبناء الفرس الذين فتحوا اليمن مع وهرز، وقتلوا الحبشة.

ثم سوق (صنعاء). كانت تقوم في النصف من شهر رمضان إلى آخره. وكانت الأبناء تعشرهم. وكان بيعهم بها الجس جس الأيدي.

ثم سوق (الرابية) وسوق (عكاظ). فالرابية بحضرموت وعكاظ بأعلى نجد قريبا من عرفات. فأما الرابية فلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة، لأنها لم تكن أرض مملكة. وكان من عز فيها

بز صاحبه. فكانت قريش تتخفر فيها بيني آكل المرار. وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق بن وائل، من كندة. وكانت مكرمة لآل البيتين جميعا. وساد بنو آكل المرار بفضل قريش على سائر الناس.

فكان يأخذ إليها بعض الناس، وبعض إلى عكاظ. وكانت تقومون في يوم واحد: للنصف من ذي القعدة، إلى آخر الشهر. وكانت عكاظ من أعظم أسواق العرب. وكانت قريش تنزلها وهوازن وطوائف من أفناء العرب: غطفان، وأسلم، والأحباش (وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وعضل، والديش، والحيا، والمصطلق). وكانت تقوم للنصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر.

ولم تكن فيها عشور ولا خفارة. وكان بيعهم السرار: إذا وجب البيع وعند التاجر فيها إلف ممن يزيد الشراء ولا يريد، أشركه في الربح.

ثم سوق (ذي المجاز) وهي قريبة من عكاظ. فتقوم أول يوم من ذي الحجة إلى يوم التروية. ثم يصيرون إلى منّا ثم تقوم (نظاة) بخيبر وسوق (حجر) باليمامة يوم عاشوراء إلى آخر المحرم!

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث ابن حبيب عن "أسماء المصلبين من الأشراف":

صلب زياد بن المهلب الخيار بن سيرة المجاشعي بعُمان. وكان الحجاج ولاء إياها فأضر بالأرد. فلما خالف يزيد، ولى أخاه زيادا عُمان. فصلب بها الخيار.....

وصلب أهل عُمان القاسم بن سعر السعدي، فوجه إليهم الحجاج أخاه مجاعة بن سعر. فجاء فوجد أخاه مصلوبا، فاراد أصحابه إنزاله فأبى وعاث فيهم، ثم أنزله بعد.....

وصلب أهل عُمان عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي. وكان الرشيد ولاء عُمان. فخرج بأهل البصرة فجعلوا يفجرون بالنساء في طريقهم ويسلبونهم. فبلغ أهل عُمان ذلك فحاربوا عيسى ومنعوه من دخول بلدهم، فظفروا به فصلبوه، وامتنعوا على السلطان فلم يعطوا طاعة.^٢

١ - محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي. المُخَبَّر، تحقيق: إيلازة ليختن شتير (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت)، ص ٢٦٣-٢٦٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٨.

المعارف لابن قتيبة الدينوري

ورد ذكر عمان في كتاب "المعارف" في عدة مواضع، منها تعريف ابن قتيبة بالنبي هود عليه السلام. يقول:

قال وهب: هو هود بن عبد الله بن رباح بن جاوب بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وكان أشبه ولد إرمَ بإرمَ عليه السلام خلا يوسفَ عليه السلام، وكان رجلاً آدم كثيرَ الشعر حسنَ الوجه. وكانت عادُ ثلاثَ عشرةَ قبيلةً ينزلون الرمل، وبلاذهم أخصب بلاد الله، وكثرتهم وديارهم بالدو والدهناء وعالجٍ ويبرينَ ووبار إلى عمانَ إلى حضرموتَ إلى اليمن، فلما سخط الله عز وجل عليهم جعلها مفاورَ وغيطاناً، فلما أهلك الله قومَه لحق هود ومن آمن معه بمكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا وكان هودُ رجلاً تاجراً^١.

وفي موضع آخر يتحدث ابن قتيبة عن عمرو بن وداعة ونسله، ذاكرا عمان. يقول:

وأما عمرو بن وداعة فولده أنمار وعجل ومحارب والدليل والعوق وامرؤ القيس، فمن ولد الدليل أهل عُمان منهم بنو صوحان ومصقلة بن ربيعة الخطيب، ومنهم: آل المَعَدَّل بن عيلان بالبصرة. وأما العوق فمنهم: العوقة وهم عمانيون قليل^٢.

ويرد ذكر عمان أيضا في هذا الكتاب حين يتحدث ابن قتيبة عن نوفل بن الحارث بن عبد المطالب الهاشمي. يقول:

وأما نوفل بن الحارث: فكان أسنَّ من أسلم من بني هاشم، كان أسنَّ من حمزة والعباسِ وجميع أخوته، وأسر يومَ بدر ففداه العباس، وأسلم وهاجر أيام الخندق، وله عقب كثير منهم عبد الله بن الحارث ولقبه بَبَّة، وكان أصمَّ وخرج مع ابن الأشعث فلما هزم هرب إلى عُمان فمات بها^٣.

١ - عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢)، ج١، ص٢٨.

٢ - المصدر السابق، ج١، ص٩٣-٩٤.

٣ - المصدر السابق، ج١، ص١٢٧.

ويرد ذكر عمان أيضا عند ابن قتيبة حين يعرف بعثمان بن أبي العاص . يقول :

هو عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله تعالى عنه يكنى أبا عبد الله واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف فلم يزل عليها إلى أن مضت سنون من خلافة عمر، واستعمله عمر على عُمان والبحرين وصار إلى توج فقاتل شهرك الأذري فقتل شهرك، ونزل عثمان بالبصرة فأقطع عثمان بن عفان اثني عشر ألف جريب ومات في خلافة معاوية وله عقب أشراف^١.

ويرد اسم عمان في كتاب المعارف حين يترجم الدينوري للمهلب بن أبي صفرة قائلاً :

هو المهلب بن أبي صفرة، وأبو صفرة ظالم بن سراق من أزد العتيك، أزد دبا، ودبا فيما بين عُمان والبحرين.

قال الواقدي: كان أهل دبا أسلموا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة، فوجه إليهم أبو بكر عكرمة بن أبي جهل فقاتلهم فهزمهم وأتخن فيهم القتل وتحصن فلهم في حصن لهم، وحصرهم المسلمون ثم نزلوا على حكم حذيفة فقتل مائة من أشرافهم وسبى ذرارهم وبعث بهم إلى أبي بكر وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ، فأعتقه عمر وقال: اذهبوا حيث شئتم فتفرقوا فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة، وكان المهلب يكنى أبا سعيد وكان من أشجع الناس وحمى البصرة من الشراة بعد جلاء أهلها عنها، إلا من كانت به قوة فهي تسمى بصرة المهلب، ولم يكن يعاب إلا بالكذب، وفيه قيل: راح يكذب.

وكان ولي خراسان فعمل عليها خمس سنين ومات بمرور سنة ثلاث وثمانين واستخلف ابنه يزيد بن المهلب، ويزيد ابن ثلاثين سنة، فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج ومشورته وولى قتيبة بن مسلم وصار يزيد في يد الحجاج فعذبه، فهرب من حبسه إلى الشام يريد سليمان فأتاه فشفع له إلى الوليد بن عبد الملك فأمنه وكف عنه، ثم ولاه سليمان خراسان حين أفضت إليه الخلافة فافتتح جرجان ودهستان. وأقبل يريد العراق فتلقيه موت سليمان بن عبد الملك فصار إلى البصرة فأخذه عدي بن أرطاة فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز فحبسه عمر، فهرب من حبسه وأتى البصرة، ومات عمر، فخالف يزيد بن عبد الملك فوجه إليه مسلمة فقتله ولحق فل آل المهلب بنواحي كرمان وقنديل، وكان ابنه مخلد بن يزيد سيداً شريفاً على حدائته يقدم على أبيه ويقال: إنه وقع إلى الأرض، من صلب المهلب ثلاثمائة ولد^٢.

١ - المصدر السابق، ج، ١، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

٢ - المصدر السابق، ج، ١، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

ويرد ذكر عمان في هذا الكتاب أيضا حين يعرف ابن قتيبة بخازم بن خزيمة النهشلي،
الذي ولي عُمان وقتل الإمام الجلندي بن مسعود . يقول :

هو من صخر بن نهشل، وكان لأم ولد ويكنى أبا خزيمة وولي خراسان وقتل العنزية، وولي
عُمان، ومات ببغداد، فعزى عنه أبو جعفر. وابنه خزيمة بن خازم ويكنى أبا العباس، وولي
الولايات، وابنه إبراهيم بن خازم قتله الوليد بن طريف الشاري!

أنساب الأشراف للبلاذري

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث البلاذري عن سامة بن لؤي:

وأما سامة بن لؤي، فإنه وكعب بن لؤي أخاه جلسا على الشراب. ففقا سامة إحدى عيني كعب، وخرج هاربا. فأتى عمان، فتزوج ناجية بنت جرم بن ربان- وهو علاف- بن حُلوان بن عَمْران بن الحاف بن قضاة.

فيقال إن سامة ركب بعيرا له بعمان، وأرخى رأسه. فجعل يرمى. فوقع فم البعير على حشيشة تحتها أفعى. فنهشته في مشفره، فنفضها. فوقعت على سامة، فنهشته في ساقه فقتلته. فقال الشاعر:

عين بكى لسامة بن لؤي

حملت حتفه إليه الناقه

عين بكى لسامة بن لؤي

علقت ما بساقه العلاقة

قال هشام، فأخبرني أبي، عن عده، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: سامة حق، أما العقب فليس له. قال هشام: وأما من ثبت العقب لسامة، فإنهم يقولون: كان له بمكة ابن يقال له الحارث، وأمه هند بنت تيم الأدرم، بن غالب. فماتت هند. فحمل الحارث معه إلى عمان.

وتزوج سامة ناجية بعمان، أو بسيف من أساف البحر، فولدت له غالب بن سامة. فهلك وهو ابن اثنتي عشرة سنة. وخلف الحارث على ناجية نكاح مقت، فعقب سامة منه. وقوم يقولون: كان لناجية ولد من غير سامة، وكان سامة متبنيا له. فنسب إليه. فالعقب لذلك الولد. وقال بعضهم: إن سامة شرب مع أخيه كعب. فرأى كعبا قد قبل امرأته. فأنف من ذلك، فهرب إلى عمان. فقال الشاعر في ذلك، وهو المسيب بن علس:

وقد كان سامة في قومه
له أكل وله مشرب
فساموه خسفا فلم يرضهم
وفي الأرض (من) خسفهم مهرب

ومن قال إنه تزوج ناجية بنت جرم بتهامة، فقد غلط^١.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث البلاذري عن أمر معين بن عبد المحاربي:

قالوا: بلغ المغيرة أن معين بن عبد المحاربي يريد الخروج عليه، وكان اسمه معنًا فصغر، فأرسل إليه فأتته الخيل وعنده جماعة، فندروا بها فتفرقوا، وأخذ معين ورجل من بني تميم فحبسهما المغيرة، وكتب إلى معاوية بخبرهما، فكتب إليه إن شهدا أني خليفة فخل سبيلهما، إذ كانا لم يخرجنا ولم يقتلا أحداً، فأما التميمي فشهدت بنو تميم أنه مجنون فخلي سبيله، وأما معين فقال له: أشهد أن معاوية خليفة وأنه أمير المؤمنين، فقال: أشهد أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، قال: إنك لمجنون، قال: وددت أني من صالحى الجن، قال: أشهد ويحك بما قلت لك؟ قال: أشهد أن تميمًا أكرم من محارب، فقال رجل من بني هلال يقال له قبيصة: اسقني دمه، قال: دونك، فقتله، فلما كانت ولاية بشر بن مروان وقف رجل من خوارج الكوفة من أهل عُمان على حلقة فيها قبيصة وهو في صدرها، فقال: من هذا؟ فقالوا: هذا قاتل معين، فجلس على باب قبيصة حتى إذا خرج من منزله مشى معه ثم ضربه حتى قتله، فلم يعرف له أثر حتى خرج مع شبيب بن يزيد، فلما قدم الكوفة جعل ينادي: يا أعداء الله أنا قاتل قبيصة^٢.

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن أمر قريب بن مرة وزحاف بن زحر الطائي:

قالوا: ثم خرج قريب بن مرة الأزدي وزحاف بن زحر الطائي وهما ابنا خالة في ثمانين- ويقال في ستين، ويقال في سبعين- وأرادوا أن يولوا زحافاً أو قريباً فلم يفرق لهم الرأي في ذلك حتى بلغ زياداً خبرهم، فبعث إليهم الشرط، فقالوا:

١ - أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦)،

ج١، ص٤٦ - ٤٧.

٢ - المصدر السابق، ج٥، ص١٦٧.

نقاتل يومنا هذا، فإن سلمنا أمرنا قريباً أو زحافاً، فَقَالَ بعضهم: لا قتال إلا مع إمام، فصيروا قريباً إمامهم.

وقال بعض الرواة: صيروا إمامهم زحافاً وخرجوا يستعرضون الناس ويقتلون من لقوا، وكانوا يدينون بالاستعراض، وكان خروجهم بناحية جبانة بني يشكر، وذلك في شهر رمضان، فَقَالَ أَبُو بلال مرداس بن أديّة: قريب (لا) قربه الله من كل خير وزحاف (لا) عفا الله عنه، لقد ركباها عشواء مظلمة، يَقُول: لاستعراضهما، فقتلوا رجلاً من بني ضبيعة يقال له حكاك رآهم فظنهم مع صاحب الشرط، وقتلوا غيره، وضربوا رجلاً من بني قطيعة فصار أضجم، وأتوا مسجد بني قطيعة فأخذوا بأبوابه حتى هرب الناس ووثبوا الجدر، وصعد رجل المنارة فنادى: يا خيل الله اركبي، فأنزلوه وقتلوه، وخرج بكير بن وائل الطاحي من الأزد وقد اتقاهم بطيلسان له فقطعوه بأسيافهم، ثم نجا، وأتوا بني راسب فقاتلوهم، وكان حجار بن أبجر العجلي بالبصرة قد قدمها من الكوفة في حاجة، فضربوه فصرع، وحامى عليه شقيق بن ثور السدوسي فنجا، فَقَالَ العديل بن فرخ العجلي:

ونجيت حجار بن أبجر بعد ما

بدت للحرويين منه مقاتله

وإن بني ثور إذا ما لقيتهم

لهم زبرتا مجد العراق وكاهله

ونادى حجار: يا بني راسب جئت لأنصرمكم أفأقتل بينكم؟! فقالوا: لا بأس عليك يا أبا الفضل، وحموه حتى ركب، وجاءت الشرط- وكان الشرط خمسمائة- فقاتلوهم مع بني راسب حتى اضطروهم إلى دار فحصرهم فيها، وكان عباد ابن الحصين الحبطي مستخفياً لأن زياداً غضب عليه، فأتاهم مع الفجر فدخل الدار ودخل الناس معه، وقصد لقريب فاجتلدا، وضربه عباد فصرعه وقتله، وقتل الباقر في الدار، وبعث عباد برأس قريب إلى زياد فرضي عنه، وكان خليفة زياد يومئذ بالبصرة عبيد الله بن أبي بكر، وكان زياد بالكوفة يومئذ، فلما قدم زياد بالبصرة رأى مع الشرط رماحاً قصاراً فَقَالَ: أراكم تحضرون برماح كأنها أيدي الجداء. وصلب قريب وزحاف وناس من أصحابهم، فجاءت جارية لقوم من الخوارج فقالت: سلام الله ورحمته عليكم فم طِبْتُمْ فادخلوها خالد بن، فأمر زياد فصلبت معهم، وقال زياد: أي خارجة خرجت في قبيلة فلم

تقاتلها كما فعلت بنو راسب حرمتهم العطاء وأجليتهم. وسير زياد أهل قريب وزحاف، وحمل نساء من نساء من خرج معهما في البحر، ووهب امرأة زحاف لشقيق بن ثور، وامرأة قريب لعباد بن الحصين، فردها عباد إلى أهلها وكساها.

ومرض بكبير بن وائل من جراحه فكان الناس يعودونه، ويدخل النساء على أهله يسألن به، فقَالَ:

غناء قليل عن بكبير بن وائل

ترمز أستاذ النساء العوائد

وقال أيضًا:

عشية لولا الطيلسان لقطعت

طوابق مني أو يميني لثلت

عشية قالوا إنما القوم شرطة

وتلك حروريو البلاد استقلت

وهل هي إلا عصابة سبئية

دعاها مضل للهوى وأضلت

وأتي زياد بامرأة فصلبها وعراها وقال: أيما امرأة خرجت فعلت بها مثل هذه، فكف النساء عن الخروج خوفًا من أن يعرين.

وحدثني بعض البصريين عن أبي عبيدة قال: مر أصحاب قريب وزحاف ببني علي وفيهم رماة فرموهم فقالوا لهم: يا بني علي لم ترمونا؟ خلوا لنا طريقنا، فقال رجل من أهل عُمان:

يقول لنا الزحاف خلوا طريقنا

فقلنا له لا والإله نريم!

ويرد ذكر عمان أيضا في هذا الكتاب حين يتحدث البلاذري عن أمر نجدة ابن عامر الحنفي:

قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: هُوَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِيَّارِ بْنِ الْمَطْرِحِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَذِيفَةَ، وَاسْمِي الْمَطْرِحِ لِأَنَّ بَنِي كَلَّابٍ أَصَابُوهُ وَهُوَ غَلَامٌ فَأَخَذُوهُ، وَكَانَ شَهَابُ بْنُ حَبِيبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ يَغْيِرُ عَلَى الْقَبَائِلِ فَقَالَ لَهُ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ: أَنْتَ تَغْيِرُ، وَابْنِي فِي بَنِي كَلَّابِ مَطْرِحٌ.

وَكَانَ نَجْدَةُ مَعَ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرُقِ ففَارَقَهُ مَعَ قَوْمِ فَارِقُوهُ لِتَبَرُّهُ مِنَ الْقَعْدِ، وَامْتِحَانِهِ الْمَهَاجِرِ إِلَيْهِ، وَتَحْرِيمِهِ التَّقِيَةَ فِي دَارِ قَوْمِهِ، وَصَارَ نَجْدَةُ إِلَى الْيَمَامَةِ فَنَزَلَ بِإِبَاضٍ، وَدَعَا أَبَا طَالُوتَ، وَهُوَ فِي قَوْلِ الْكَلْبِيِّ مَطْرُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَهِينَةَ بْنِ الْفَنْدِ، وَهُوَ شَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَمَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ صَعْبٍ وَدَعَا سَالِمَ بْنَ مَطْرٍ مَوْلَى بَنِي مَازَنَ بْنِ مَالِكِ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرٍ بْنِ وَاثِلِ إِلَى نَفْسِهِ، فَبَايَعَهُ خَمْسُونَ عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ وَجَدُوا مِنْهُ خَيْرٌ لِهِمْ مِنْهُ بَايَعُوهُ وَبَايَعَهُ مَعَهُمْ.....

وَأَقَامَ نَجْدَةُ بِالْبَحْرَيْنِ، فَلَمَّا قَدِمَ مَصْعَبُ بْنُ الرَّبِيعِ الْبَصْرَةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ، بَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمِيرِ اللَّيْثِيِّ الْأَعُورِ فِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفًا، وَيُقَالُ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا، وَيُقَالُ إِنْ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ الْمَوْجِهَ لَهُ حِينَ وَلِيَ الْبَصْرَةَ، فَجَعَلَ ابْنُ عَمِيرٍ يَقُولُ: اثْبَتْ يَا أَبَا الْمَطْرِحِ فَإِنَا لَا نَفِرُ، فَقَدِمَ وَنَجْدَةُ بِالْقَطِيفِ فَنَزَلَ عَلَى مِيلٍ مِنْ عَسْكَرِهِ، وَصِيرَ الْبَحْرَ خَلْفَهُ، وَالْأَثْقَالَ أَمَامَهُ، وَأَنَاخَ الْإِبِلَ أَمَامَ الْأَثْقَالَ، وَقَالَ لِأَخِي نَجْدَةَ أَخَذَا، وَحَضَّ نَجْدَةَ أَصْحَابَهُ، فَرِغْبَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ وَالْجَنَّةِ، وَزَهْدَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَاعْتَزَلَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ ذُوَادُ الْعَكْلِيِّ فَلَمْ يَنْهَضْ مَعَهُ، فَقَالَ نَجْدَةُ: إِنْ إِخْوَانِكُمْ هَؤُلَاءِ أَحْبَبُوا الْبَقَاءَ وَثَبَّتْ نَجْدَةُ فَيَمُنْ بَقِي مَعَهُ وَأَتَى ابْنُ عَمِيرٍ فِي عَسْكَرِهِ وَهُوَ غَارٌ فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا، وَأَصْبَحَ ابْنُ عَمِيرٍ فَهَالَهُ أَمْرٌ مِنْ رَأْيِ فِي عَسْكَرِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْقَطْعِ وَالْجِرْحِ، وَتَشَاغَلَ وَمِنْ فِي عَسْكَرِهِ بِمَوْتَاهُمْ وَجِرْحَاهُمْ، فَأَتَاهُمْ نَجْدَةُ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ انْهَزَمُوا فَلَمْ يَلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَحَوَى نَجْدَةَ الْعَسْكَرَ، وَأَصَابَ جَوَارِي لَابْنِ عَمِيرٍ وَفِيهِنَّ أُمَّ وَوَلَدٌ لَهُ، فَعَرَضَ نَجْدَةَ عَلَيْهَا أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فَيَمُنْ فَرَعْنِي، وَوَرَدَ ابْنُ عَمِيرٍ الْبَصْرَةَ فَارًا، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

مَا فَرَمَنْ جَيْشِ أَمِيرِ بَرَايَةَ

فَيَدْعِي طَوَالَ الدَّهْرِ إِلَّا مَنَافِقَا

تمنيتهم حتى إذا ما لقيتهم
تركت لهم دون النساء السرادقا
وأعطيت ما تعطي الحليلة بعلاها
وكنت حبارى إذ رأيت البوارقا
وقال العجاج حين قتل عمر بن عبید الله بن معمر، أبا فديك:
لقد شفاك عمر بن معمر
من الحروريين يوم العسكر

وقع امرئ ليس كوقع الأعور

يعني عبْد الله بن عمير في حرب نجدة.

وبعث نجدة بعد هزيمة ابن عمير عطية بن الأسود الحنفي إلى عمان وقد غلب عليهما عياذ بن عبْد الله وهو شيخ كبير، وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجيبان البلاد، فمانعوه وقتلوه فقتل عياذ وغلب عطية على عمان فأقام بها أشهرا، ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى أبا القاسم فقتله سعيد وسليمان ابنا عياذ وأهل عمان، وخالف عطية نجدة فعاد إلى عمان فلم يقدر عليهما فركب البحر وأتى كرمان، وضرب دراهم كان يقال لها العطوية، وأقام بكرمان، فيقال إن المهلب بعث إليه جيشا فلحق بسجستان، ثم صار إلى السند فقتلته خيل المهلب بقندايل، ويقال إن الخوارج قالوا له: هاجر فقال أنا مهاجر على ديني فقتلوه.

وسمع أبو حزابة امرأة كانت مع عطية تقول وهو بكرمان: هل من سيف هل من رمح، فقال: أتريدين نيزكا فرفعته إلى عطية فضربه أسواط، وقال الفرزدق لبني حنيفة:

وهم من بعيد في الحروب تناولوا

عياذ بن عبْد الله والخيل شحب

قالوا ووجه نجدة بعد هزيمة ابن عمير إلى البوادي من يأخذ من أهلها الصدقة، فكانوا يدعون القوم فإذا أجابوهم أخذوا الصدقة منهم، فقاتل أصحابه بنو تميم بكازمة وأعانهم أهل طويلع، وقتلوا رجلا من الخوارج، فوجه نجدة إلى أهل طويلع من أغار عليهم وقتل منهم نيفا

وثلاثين رجلا وسبى، ثمَّ إنه دعاهم بعد ذلك فأجابوه وأخذ منهم الصدقة، وَقَالَ الفرزدق:

لسنا بأقوام يبيعون دينهم

إذا علموا أن لا سبيل إلى التمر

وما كنت مذ شدت على السيف قبضتي

لانتقض بيعا بين زمزم والحجر

يعني بيعة ابن الزبير!

ويرد ذكر عمان أيضا في هذا الكتاب حين يتحدث البلاذري عن عبيد الله بن زياد بن ظبيان:

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَارُودِ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ: مَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: تَرَكْتُ الرَّأْيَ أَمْسَ حِينَ قَالَ لَكَ الْغَضْبَانُ تَعَشْ بِالْجَدِيِّ قَبْلَ أَنْ يَتَغَدَى بِكَ وَقَدْ ذَهَبَ الرَّأْيُ وَبَقِيَ الصَّبْرُ فَدَعَا ابْنَ الْجَارُودِ بِدِرْعِ فَلْبِهَا مَقْلُوبَةً فَتَطِيرُ، وَحَرَضَ الْحِجَاغَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ: لَا يَهْوُلُنْكُمْ مَا تَرُونَ مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّكُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ قَلَّةٌ وَلَا ذَلَّةٌ، فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ يَتَطَايَرُوا تَطَايِيرَ الْأَجْمِ الْمَنْفَرِ، إِنَّهُمْ أَخْوَرُ مِنَ الْيَرَاعِ وَإِنْ صَدَقْتُمُوهُمْ الضَّرْبِ سَأَلُوكُمُ الْأَمَانَ، فَتَنَازَحَ الْقَوْمَ وَعَلَى مَيْمَنَةِ ابْنِ الْجَارُودِ الْهَذِيلُ بْنُ عِمْرَانَ، وَعَلَى مَيْسَرْتِهِ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ وَعَلَى مَيْمَنَةِ الْحِجَاغِ قَتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ وَيُقَالُ عَبَادُ بْنُ الْحَصِينِ وَعَلَى مَيْسَرْتِهِ سَعِيدُ بْنُ أَسْلَمَ بْنِ زُرْعَةَ الْكَلَابِيِّ، وَحَمَلَ ابْنَ الْجَارُودِ وَأَقْدَمَ أَصْحَابَهُ حَتَّى جَازَ أَصْحَابَ الْحِجَاغِ، وَعَطَفَ عَلَيْهِ الْحِجَاغُ بِأَصْحَابِهِ فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً، ثُمَّ إِنَّ سَهْمَ غَرْبِ جَاءَ يَهْوِي حَتَّى أَصَابَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْجَارُودِ وَإِنَّهُ لَكَالظَّاهِرِ عَلَى الْحِجَاغِ فَوَقَعَ مَيْتًا، وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ دَخَلَ دِيرًا قَرِيبًا مِنْهُ وَمَعَهُ قَوْمٌ مِنَ الْهَجْرِيِّينَ، فَأَحْرَقَ الدَّيْرَ عَلَيْهِمْ، فَخَرَجُوا فَقَتَلُوا ابْنَ الْجَارُودِ وَالْهَجْرِيِّينَ، وَنَادَى مَنَادِي الْحِجَاغِ بِإِيمَانِ النَّاسِ إِلَّا الْهَذِيلَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَكِيمٍ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَتَّبِعُوا، وَقَالَ الْأَتْبَاعُ لَهُمْ مِنْ سُوءِ الْغَلْبَةِ.

ولما هلك ابن الجارود قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَضَالَةَ الْأَزْدِيِّ لِعُكْرَمَةَ بْنِ رَبِيعِي مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَابْنِ ظَبْيَانَ: قَدْ هَلَكَ هَذَا الرَّجُلُ، وَمَا أَرَى لِي إِلَّا لِلْحَاقِ بِخِرَاسَانَ، فَقَالَ عُكْرَمَةُ: أَمَا أَنَا فَلِأَنَّكَ بِالشَّامِ فَقَدْ كَانَ لِي عِنْدَ الْمَلِكِ بَلَاءٌ هُوَ رَاعٍ لَهُ، وَقَالَ ابْنُ ظَبْيَانَ: وَأَنَا سَامِضِي إِلَى بَعْضِ النَّوَاحِي، فَحَمَلُوا حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَ النَّاسُ وَثَارَ الْغُبَارُ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَحْوَ الْوَجْهِ

الَّذِي أَرَادَهُ، فَأَتَى عَكْرَمَةَ يَزِيدِ بْنِ أَبِي النَّمَسِ الْغَسَانِيِّ وَاسْتَجَارَ بِهِ فَكَلِمَ فِيهِ عَبْدَ الْمَلِكِ وَذَكَرَ لَهُ بِلَاءَهُ، وَقَالَ: هَفَا وَزَلْ، فَأَمَنَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي النَّمَسِ أَثِيرًا عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَمِعَهُ يَوْمًا يَقُولُ هَمَمْتُ أَنْ أَقْطَعَ كُلَّ حَبْلَةٍ بِالشَّامِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ أَحَبُّ أَنْ يَعْصِيَ عَصِي فَضْحَكَ عَبْدَ الْمَلِكِ.

وَأَتَى ابْنُ ظَبْيَانَ سَعِيدَ بْنَ عَبَادِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْجَلَنْدِيِّ الْأَزْدِيَّ بَعْمَانَ، فَقِيلَ لِسَعِيدٍ: إِنَّهُ رَجُلٌ فَاتَكَ فَأَحْزَرَهُ، فَلَمَّا جَاءَ الْبَطِيخَ بَعَثَ إِلَيْهِ بِنِصْفِ بَطِيخَةٍ قَدْ سَمَهَا وَقَالَ لِرَسُولِهِ: قُلْ لَهُ: هَذَا أَوْلُ شَيْءٍ رَأَيْنَاهُ مِنَ الْبَطِيخِ الْعَامِ، فَأَكَلْتُ نِصْفَ بَطِيخَةٍ، وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِنِصْفِهَا فَأَكَلَ عبيد الله بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ نِصْفَ الْبَطِيخَةِ فَقَتَلْتَهُ، وَلَمَّا أَحْسَسَ بِالسَّمِ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَقْتَلَهُ فَقَتَلَنِي^١.

ويرد اسم عمان أيضا حين يذكر البلاذري المكاتبات بين الحجاج بين يوسف الثقفي والمهلب بن أبي صفرة في حرب الأزارقة:

وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْمَهْلَبِ وَهُوَ بِكَازِرُونَ: إِنَّكَ أَقْبَلْتَ عَلَيَّ جَبَاةَ الْخِرَاجِ وَأَبْطَأْتَ عَنِّي قِتَالَ الْعَدُوِّ، وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُولِيَ عَبَادَ بْنَ حَصِينٍ أَوْ عبيد الله بْنَ حَكِيمِ الْمَجَاشِعِيِّ مَا وَلَيْتَكَ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ عَلَيْكَ.

وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ: اسْتَبَطَّ الْحَجَّاجُ الْمَهْلَبَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: "إِنَّكَ مَزُونِي وَابْنُ مَزُونِي، وَلِلْعَجَبِ مِنْكَ حِينَ تَهَابَ قِتَالَ الْأَزَارِقَةِ، كَأَنَّكَ تَرَى أَنَّكَ تَرِثُ الْأَرْضَ، وَأَيْمَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَتَّجِزْهُمْ لَأُبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مِنْ يَحْمَلُكَ عَلَيَّ مَكْرُوهُ أَمْرِكَ وَالسَّلَامَ".

فَكَتَبَ إِلَيْهِ: "أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَإِنِّي لِمَزُونِي وَابْنُ مَزُونِي مَا أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَزُونُ عَمَانَ سَمَّيْتُهَا الْعَجْمَ بِذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ مِنْ قَبِيلَةٍ قَدْ ادْعَتْ إِلَى حَمِيرٍ وَعَدَّةَ قَبَائِلٍ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهَا بَعْدَ، كَانُوا بَقِيَّةَ ثَمُودَ ثُمَّ انْتَمَوْا إِلَيَّ وَحَاطَةَ مِنْ حَمِيرٍ، ثُمَّ إِلَيَّ أَيَادٍ، ثُمَّ إِلَيَّ عِدْوَانَ، ثُمَّ إِلَيَّ قَسِيَّ بْنَ مَنبَهٍ".

فَلَمَّا قَرَأَ الْحَجَّاجُ الْكِتَابَ تَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَفْحَشْنَا لِلرَّجُلِ فَأَفْحَشَ.

١ - المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٩ - ٢٩٠.

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ: كَتَبَ إِلَيْهِ الْحِجَاجُ: "إِنَّكَ تَشَاغَلْتَ بِالْجَبَايَةِ عَنِ الْحَرْبِ". فَكَتَبَ إِلَيْهِ: "إِنْ مِنْ ضَعْفٍ عَنِ الْجَبَايَةِ فَهُوَ عَنِ الْقِتَالِ أَوْضَعُفٌ، وَلَوْ وَلِيْتَ غَيْرِي مِمَّنْ سَمِيَتْ لِرَجْوَتِ أَنْ يَكُونَ لِلْوَلَايَةِ أَهْلًا فِي فَضْلِهِمَا وَجِرَاتِهِمَا، وَذَكَرْتَ أَنِّي رَجُلٌ فِي الْأُرْدِ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ وَإِنْ شَرَا مِنَ الْأُرْدِ قَبِيلَةٌ تَنَازَعَتْهَا ثَلَاثُ قَبَائِلَ، ثُمَّ لَمْ يَسْتَقِرْ لَهَا بَيْتٌ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ".

وَنَاهَضَ الْمَهْلَبُ قَطْرِيَا وَأَصْحَابَهُ بِكَازِرُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، وَقَاتَلَ مَعَهُ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَجَعَلَ عَبِيدَةَ يُقَاتِلُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ.

إِنِّي لَمَذْكَ لِلشَّرَاةِ نَارَهَا

وَمَانَعُ مِمَّا أَتَاهَا دَارَهَا

وَوَاسِلُ بِالطَّعْنِ عَنْهَا عَارَهَا

ثُمَّ تَرَاجَعُوا، وَأَبْلَى يَوْمَئِذٍ عِيَاشَ الْكَنْدِيِّ، وَكَانَ مِنَ الْفَرَسَانِ، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ الْمَهْلَبُ: لَا وَأَلْتِ أَنْفُسَ الْجَبْنَاءِ بَعْدَ عِيَاشٍ، وَكَانَ مِنْ رِجَالِ الْمَهْلَبِ.

وَقَتَلَ مَرَّةً الْكَنْنَانَ فَبَكَى قَطْرِي حِينَ أَتَى بِرَأْسِهِ. فَقِيلَ لَهُ: أَتَبْكِي عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا يَبْكِي عَلَى أَهْلِ النَّارِ. وَكَانَ مِنْ قَوْمِهِ.

وَأَبْلَى أَهْلَ الْكُوفَةِ يَوْمَ كَازِرُونَ حَتَّى عَرَفَ مَكَانَهُمْ، وَحَذَرَ الْمَهْلَبُ الْحَرِيْشَ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي تَمِيمِ الْبِيَاتِ فَقَالَ الْحَرِيْشُ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ الْمَهْلَبِ:

يَا أَبَا خَدَاشٍ، لَا تَخَافَنَّ الْبِيَاتِ مِنْ قَبْلِنَا. وَأَرَادَ الْخَوَارِجُ أَنْ يَبِيْتُوهُمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا. وَقَالَ الْحَرِيْشُ:

وَجَدْتُمُونَا وَقَرَأْنَا أَنْجَادَا

لَا كَشَفَا مَيْلًا وَلَا أَوْغَادَا

وَتَرَجَّلَ أَبُو الْأَحْوَصِ صَاحِبُ مَسْعُودٍ وَخَزِيمَةَ بْنِ نَصْرِ الْعَبْسِيِّ وَغَيْرِهِ، وَقَاتَلُوا فَقَتَلَ ابْنُ مَخْنَفٍ وَارْتَثَ جَعْفَرُ ابْنَهُ.

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ يَلْقَبُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ضَرْطَةَ الْجَمَلِ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ الْقَائِلُ مَا حَكَى عَنْ ابْنِ الْأَشْعَثِ مِنْ قَوْلِهِ: هُمْ عَلِيٌّ أَهْوَنُ مِنْ ضَرْطَةِ جَمَلٍ.

وَقَالَ حميد بن مسلم يرثي ابن مخنف:

إِن يقتلوك أبا حكيم غرة

فيما يشد ويقتل الأبطالاً

ولمثل قتلك هد قومك كلهم

من كات يحمل عنهم الأثقالاً

في أبيات.

وَقَالَ سراقه بن مرداس البارقي:

أعيني جوداً بالدموع السواكب

وكيفاً كراس شنة مع راكب

وكونا بخير قبل قتل ابن مخنف

وكل فتى يوماً لبعض المذاهب

أمات دموع الشيب من أهل مصره

وعجل في الشبان شيب الرواسب

وَقَالَ أيضاً:

ثوى سيد الأزدین أزد شنوءة

وأزد عُمان وهو رمس بكازر

وصابر حتى مات أكرم ميتة

بأبيض من بيض الحديد البواتر

في أبيات^١.

١ - المصدر السابق، ج٧، ص٤٢٥ - ٤٢٧.

ويرد اسم عمان أيضا حين يتحدث البلاذري عن أمر ريان النكري؛

قال أبو الحسن: وخرج بعد هذا المحاربي على محمد بن صعصعة الكلبي: ريان النكري، نكرة بني لكيز بن أفصى سنة سبع وسبعين على فراسخ من سوق الخط. وقدم ميمون الخارجي من عمان في أصحابه فنزلوا دارين، فكتب إليه الريان أن أقبل إلي. فصار ميمون إلى الزارة، وأتاه الريان، فندب محمد بن صعصعة الناس، فأبطأ عنه العبيدون، وأتاه قوم من أهل الخط فوجه إلى الخوارج رجلاً من الأزد. ويقال وجه إليهم عبد الله بن عبد الملك العوزي، فهزمهم الخوارج وقتلوا أميرهم، ورجع الفل إلى محمد بن صعصعة، فخافهم محمد ولم يكن معهم جند سواهم. وخذله العبيدون فخرج من البحرين، وأقام ميمون بالبحرين أربعين يوماً، ثم انصرف إلى عُمان، وأقام الريان بالزارة^١.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث البلاذري عن الخليفة عمر بن عبد العزيز؛

وقال أبو اليقظان: كتب إلى عمر عامله على عُمان وهو عامر بن عبد الله بن أبي طلحة، يعلمه أن من كان قبله كانوا يستعينون بالجند، وأن قد اختار ثلاثين رجلاً من أهل عمان فولاهم الصدقات. ويسأله أن يقفل من قبله من الجند. فكتب إليه: "قد فهمت ما ذكرت فاقفل من قبلك من الجند بعد أن تخيرهم بين ركوب البحر وسلوك البر، فمن اختار البحر فاكثر له وزوده من بيت مال المسلمين، ومن اختار البر فاكثر له ظهرا وزوده ما يقيمه أيضا والسلام".

وقال سحيم بن حفص أبو اليقظان: استعمل عدي بن سعيد بن مسعود المازني على عمان فأخذ رجلا من الأزد يقال له خليل بن سعوة، فضربه مائة سوط في باقة أرادها ابن مسعود، فأتى عمر فشكا ذلك إليه، وأنشدته قول كعب الأشعري:

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما

عمال أرضك بالعراق ذئاب

لم يستقيموا للذي تدعو له

حتى تضرب بالسيوف رقاب

١ - المصدر السابق، ج٨، ص٤٩ - ٥٠.

بأكف منصلتين أهل بصائر
في رفعهن مواعظ وعقاب
لولا قریش نصرها ودفاعها
أسميت منقطعا بي الأسباب

فقال عمر: لمن هذا الشعر؟ قال: لرجل من الأزد من أهل عمان يقال له كعب. فقال له: ما كنت أرى أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر، وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة: "إن استعمالك سعيد بن مسعود قدر من الله قدره عليك، وبلية ابتلاك بها، فإذا أتاك كتابي فابعث إليه من يعزله، وابعث به إليّ مشدودا موثقاً". فعزله واستعمل عبد الرحمن بن قيس، وحمل سعيدا إلى عمر فجعل سعيد يرتجز ويقول:

كيف ترى الشيخ أبا الزبير
يدل بعد خطب الأمير

سوق الروايا وحدا البعير

فلما دخل عليه كلمه عمر فقال: أصلحك الله أتكلمني وأنا موثق؟
أطلق عني حتى أتكلم بحجتي، فأطلق عنه وقال للأزدي: اضربه، فقال قمير بن سعيد: أنا الذي ضربته ولم يضربه أبي، قال: فأعطي الأزدي سوطا، وقال عمر: قم فاجلده كما جلدك. فجلد قميرا مائة سوطا، فقال له أبوه: يا قمير أصرر أذنك إصرار الفرس الجموح، وعض على نواجذك، واذكر أحاديث غد، وإياك وذكر الله فإنه معجزة!

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن أمر يزيد بن المهلب وقصته قبل ولاية يزيد بن عبد الملك وفي أيامه:

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف، وقال المدائني عن أشياخه وغيرهما قالوا: ولي الحجاج المهلب خراسان.

قال المدائني: وبعض ولد المهلب يقول: ولاء إياها عبد الملك بن مروان.

فمات المهلب بزاعول وهي قرية بمرور الروذ، وأوصى حبيب بن المهلب أن يسير بجيشه حتى يسلمه إلى يزيد ابنه وكان بمرور. وقال: يزيد خليفتي على خراسان، فتولى يزيد بن المهلب أمر خراسان بعد أبيه، وكان متجبراً متكبراً فبلغ الحجاج عنه ما يكرهه.

ويكتب المفضل بن المهلب وهو أخوه لأمه بهلة بخبره فيلقيه إليه، فكتب الحجاج إلى حبيب بن المهلب بعد سنة من ولاية يزيد يأمره بالقدوم عليه، فقدم فولاه كرمان، وكتب إلى يزيد أن ابعث إلي أوثق من قبلك في نفسك، فبعث إليه الخيار بن سبرة المجاشعي، وكان من رجال المهلب وخاصته، فقال له الحجاج: أخبرني عن يزيد، فقال: أخبر سرا أم أخبر علانية؟ قال: بل أخبر سرا، واستدناه فقال: لقد رأيت رجلاً إن أقررت له ولم تهجه فبالحري أن يفني لك، وإن رمت عزله فلا أحسبه والله يعطيك طاعة أبداً. فقال الحجاج: صدقت، فاحتسبه الحجاج عنده ولم يزعه للرجوع وولاه عمان وأوصاه بإذلال من بها من أهل بيت المهلب وقال: إن الخيار قدم علي فرأيت رجلاً جزلاً ذا عقل فاحتجت إليه لولاية عمان فوليته إياها. ثم إنه كتب إلى يزيد بعد أشهر يعلمه حاجته إلى مشافهته بأمر لا يحتمله الكتاب، ولا تحمله الرسل، فكتب إليه يعتل بالعدو وبشدة شوكته وانتشاره، فكتب إليه إنه لا بد لك من القدوم، فاستخلف المفضل أخاك على عملك وأقدم علي منبسط الأمل، واثقا برأي أمير المؤمنين فيك....

وشخص يزيد بن المهلب إلى العراق وخراسان مضمومة إليه، وتخلف المفضل وعبد الملك عند سليمان، وكان بهما معجبا، فلما قدم يزيد واسطا وجد الجراح بن عبد الله الحكمي على البصرة من قبل يزيد بن أبي كبشة، فكتب إليه في المصير إليه، وولى البصرة رجلاً يقال له مروان بن المهلب، وولى سجستان مدرك بن المهلب، وولى عُمان زياد بن المهلب، وأمره بقتل الخيار بن سبرة المجاشعي، فقتله فقال الفرزدق:

فلو كنت مثلي يا خيار تعسفت

بك البيد ضرب العوهجي وداعر

ترى إبلا ما لم تحرك رءوسها

وهن إذا حركن غير الأباغر

في أبيات....

قالوا: ويبيع الناس يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحول إلى دار الإمارة، ووجد في بيت المال عشرة آلاف ألف درهم، وخذق على البصرة، وولى شرطته عثمان بن أبي الحكم الهنائي من الأزدي، واستعمل محمد بن المهلب على فارس، وهلال بن عياض الهنائي على الأهواز، وزيايد بن المهلب على عمان، والمهلب بن أبي عيينة على جزيرة ابن كاوان، والأشعث بن عبد الله بن الجارود أو مهزم بن القرن العبدي على البحرين، وولى مدرك بن المهلب خراسان، وولى وداع بن حميد اليمحمدي من الأزدي قنذاييل، فقال له حبيب بن المهلب: لا توله فإن في رأسه وعينييه غدرة، فكان من أمره أنه أغلقها دونهم، فقال المفضل: رحم الله أبا بسطام- يعني حبيبا- لأنه كان يرى أمر وداع، ويقال إن وداعا كان قتل قبل هربهم إلى قنذاييل.

قالوا: ولما كان يوم الفطر خرج يزيد بن المهلب إلى المصلى فخلع يزيد بن عبد الملك، وشم بني مروان، ودعا إلى الرضا من بني هاشم، وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن فقال: وهذه الضبعة العرجاء مضطجعا بالكوفة، فأخذ الناس عليه قوله: الضبعة، وإنما هي الضبع والذكر ضبعان.

وأصاب الناس يومئذ مطر شديد، فانصرفوا وانصرف يزيد عن المصلى إلى الأزدي وصحبه ناس قليل فغداهم وكساهم وأعطاهم مالا قسم بينهم، ثم رجع إلى دار الإمارة.

ووجه يزيد بن المهلب إلى بسطام بن مزي المعروف بشوذب الشاري السميدي، ويقال حبيب بن خدرية يدعوه إلى نصرته، فقال شوذب للذي أرسله يزيد من هذين الرجلين: لولا مكانك من الدين لقتلتك. أتدعوني إلى نصر يزيد؟ وضربه عشرين سوطا. وكان السميدي وحبيب صفريين.

قالوا: وقدم عبد الملك ومالك ابنا مسمع بن مالك بن مسمع من السند، فكرها أن يقاتلا يزيد، فدعوا بني بكر إلى نصره عدي، وكتبا إلى يزيد بن عبد الملك كتابا في أمر يزيد بن المهلب، فصار الكتاب إلى ابن المهلب فقال: أراهما يعينان علي ويبغياني الغوائل فحبسهما مع عدي وأصحابه.

قالوا: وكان قتادة بن دعامة السدوسي الفقيه ينتقص يزيد بن المهلب وينال منه، فبلغ ذلك يزيدا فأرسل يزيد إليه، وهو في الأزدي، فلما دخل عليه شتمه، فأغظ له قتادة فقال السميدي:

دعني أبعج بطن هذا الأعمى، أعمى الله قلبه كما أنه أعمى البصر والقلب، فقال يزيد: أنا أراقب قومه، وأمر به فوجئ في عنقه ووضع فيها حبل وبعث به إلى الأهواز فحبس فيها.

وخرج قتادة وهو يبكي فقال له رجل: أتبكي يا أبا الخطاب؟ قال: نعم مما أرى. فلم يزل محبوباً حتى قتل يزيد فأخرجه صاحب السجن وكان من بني عجل.

وكتب ابن المهلب إلى زياد بن المهلب، وهو بعُمان، أن يفرض لفرض لثلاثة آلاف رجل من أهل عمان، واستعمل عليهم المشماس بن عمرو الأزدي ثم الجديدي، فقدموا على يزيد، قالوا: وكان بالبصرة قاض يقال له زيد. فشاور الحسن في صحبة يزيد فنهاء فضحبه، فأخبر يزيد بقول الحسن فقال: يا قوم مالي وللحسن يخذل الناس عني، إني لأخاف والله نفسي عليه، فكان الحسن يقول: يأتينا أقوام فينتصحنونا فننتصح لهم فيسيئون بنا. زيدل، وما زيدل. لعن الله زيدلاً.

وقال يزيد وذكر الحسن: والله ما أدري ما استبقائي إياه فإنه شيخ جاهل، لهمت أن أضربه حتى يموت، فقال المفضل: أصلح الله الأمير.

إن له قدماً وفضلاً وقدراً بالمصر، فكفه ذلك عنه!

ويرد أيضاً حين يتحدث البلاذري عن خبر آل المهلب بقندايل:

قالوا: وهرب آل المهلب بعيالاتهم إلى قندايل، فحرقت منازلهم بالبصرة وهدمت، وأراد مسلمة أن يوجه تميم بن زيد القيني ليتبع فل يزيد وولد المهلب ثم قال له: لو جهت رجلاً من بني تميم كان أبلغ فيما تريد، فوجه هلال بن أحوز المازني، وهو هلال بن أحوز بن أربد بن محرز بن لأي بن سمير بن صباري بن حجية بن كابية بن حُرْقُوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن غنم من بني تميم، فعقد له على اثني عشر ألفاً من أهل الشام وأهل العراق، فسار وعلى مقدمته الحارث بن سليمان التجيبي فأتى قندايل، فنصب هلال رايته ونادى مناديه: من هرب فهو آمن، ومن أتى هذه الراية فهو آمن إلا أن يكون من ولد المهلب، فتسارع الناس إليه.

الْمَدَائِنِيُّ عَن جَهْمِ بْنِ حَسَانَ السَّلِيْطِيِّ قَالَ: التَّقَى هَلَالُ بْنُ أَحْوَزَ وَبَنُو الْمَهْلَبِ بِقَنْدَائِيلَ وَقَدْ عَبَا هَلَالٌ مَيْمَنَةً وَمَيْسِرَةً، فَخَرَجَ مَدْرِكُ بْنُ الْمَهْلَبِ يَطْلُبُ الْمُبَارِزَةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ

ف قيل له: أنت أخو الأمير وليس ينبغي أن تبارزه فرجع، فلامه أخوه هلال وشتمه فخرج فبارز مدركا فقتله سلم.

وكان لمدرک سيف قاطع فجعل ينيو فقال: إن هذا لأمر يراد، الله المستعان، خذلتنا سيوفنا أيضا.

ويقال إن هلالا آمن الناس إلا معاوية بن يزيد لقتله عديا وأبا حاضر الأسدي، أو حاضر بن أبي حاضر، وإنما قتلهم وهم أسراء في يده، فانتدب معاوية بن يزيد فقال: أنا قاتل أبي حاضر الأسدي، أو قال: قاتل حاضر بن أبي حاضر، وعدي وابنه، فحمل عليه رجل من أهل الشام فقتله، ويقال قتله رجل من بني كعب بن عمرو بن تميم كأنه سفود من شدة سواده.

وكان أمير آل المهلب بقنداويل المفضل بن المهلب وهو أعور، أصيبت عينه يوم العقر، وكان لواؤهم مع عمرو بن قبيصة بن المهلب.

ونادى هلال: من جاء برأس فله ألف درهم حتى أتى برأس المفضل فقيل له: هذا رأس المفضل رئيس القوم، فقال: ما عهدي به أعور، فقالوا: فقتت عينه يوم العقر، فنزل حتى جلس على بساط، وأسر عثمان بن المفضل وأتى به هلال فكان الذي يخبره عن رؤوس آل المهلب فحبسه وسهل عليه فهرب من الحبس.

ولما قتل ولد المهلب وكل هلال بالحرم من يحفظهم، وفر عثمان بن المفضل، وأبو عينية بن المهلب، وعمر بن يزيد بن المهلب. ونادى منادي هلال: ألا برئت الذمة ممن اتبع موليا. وأمر أن لا يعرض أحد للنساء وما في أيديهن وقال: من رفع سترا أو دخل على امرأة فلا ذمة له. وشكت امرأة من آل المهلب أن رجلاً دخل منزلها فضرب عنقه، وكان نساء آل المهلب يقلن: لو أن المهلب ولينا ما فعل بنا إلا دون ما فعل هلال بن أحوز. وأتته ميسون بنت المغيرة فسألته أن يأذن لها في دفن جثث رجالها فأذن لها.

وقال المدائني عن بشر بن عيسى عن أبي صفوان قال: أخذت امرأة من آل المهلب صحيفة فأعطتها مولى لها فكتب قتل فلان، ثم فلان، ثم فلان. للميراث.

وحدثني خلف بن سالم المخزومي وأبو خيثمة عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه، ومحمد بن أبي عينية قالا: وجه مسلمة: عبد الرحمن بن سليم الكلبي فهدم دور آل المهلب، وولى على شرطته عمر بن يزيد الأسدي.

قالوا: وفي عبد الرحمن بن سليم يقول الفرزدق:

أرى ابن سليم يعصم الله دينه

به وأثافي الحرب تغلي قدورها

هو الحجر الرامي به الله من بغى

إذا الحرب بالناس اقشعرت ظهورها

في قصيدة.

ثم عزل مسلمة: الكلبي عن البصرة، وولاه عُمان، واستعمل على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان، ووجه مسلمة مدرك بن ضب في اتباع فل آل المهلب، فلما انتهى إلى كرمان لقي بها مدرك بن المهلب مقبلا من خراسان وقد انضم إليه بعض فل يزيد من أهل الكوفة وغيرهم فاقتتلوا.

وقال أبو مخنف وغيره: لقي مدرك بن ضب: مدرك بن المهلب، ومعه النعمان، ومالك ابنا إبراهيم بن الأشر، ومحمد، وعثمان ابنا إسحاق بن محمد بن الأشعث، ووصول مولى يزيد بن المهلب، فاقتتلوا فقتل يومئذ النعمان بن إبراهيم ومحمد بن إسحاق، وجرح عثمان بن إسحاق جراحة فمضى متحاملا حتى انتهى إلى حلوان، فدل عليه فقتل، وبعث برأسه إلى مسلمة.

ومضى مالك بن إبراهيم بن الأشر إلى الكوفة فطلب الأمان من مسلمة فأمنه، وأسر صول فبعث به ابن ضب إلى مسلمة فقال: أنت الذي كتبت على سهمك: صول يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه؟ وأمر به فضربت عنقه، وتخلص مدرك فقتل بقندايل.

حدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة عن يونس النحوي عن أم ولد معاوية بن يزيد بن المهلب قالت: كنا بقندايل فما راعنا إلا خيل هلال بن أحوز، وإن معاوية لجالس يأكل شهدانج وسمسما، فقام متعجلاً فلبس سلاحه، ثم خرج فقتل هو وأهل بيته، وقتل المفضل وهو أميرهم، وعبد الملك أخوه لأمه بهلة، وزباد وكان- قيل- على عُمان، ومروان وكان على البصرة، والمنهال بن أبي عيينة وعمره والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب، وحملت رؤوسهم وفي آذانهم الرقاع بأسمائهم.

أساءوا فإنّ تعفو فإنك قادر

وأفضل حلم حسبة حلم مغضب

فقال يزيد: يا أبا صخر هيهات، أظن بك الرحم. لا سبيل إلى ذلك، إن الله أقاد منهم بأعمالهم الخبيثة. ثم قال: من يطلب آل المهلب بدم فليقم، فقام يزيد بن أوطاة فقال: يا أمير المؤمنين قتلوا أخي، وابن أخي.

فقال: خذ منهم رجلين فاقتلتهما ففعل.

وقام ابن لعبد الله بن عروة البصري فقال: يا أمير المؤمنين قتلوا أبي، فقال: اقتل منهم رجلاً. ثم أمر ببقيتهم فقتلوا حتى كان آخرهم غلام، فقالوا: هذا غلام صغير. فقال: اقتلوني فما أنا بصغير، فقيل: انظروا أنبت؟ فقال: أنا أعلم بنفسي قد شوكت ووطئت النساء فقال يزيد: اضربوا عنقه، فقتل.

وقال يزيد لرجل من اليمانية: كيف كانت غزاتكم بالعراق؟ قال:

قتلنا أشرافنا وجئناك فقال: أما يزيد فقد طلب عظيمًا ومات كريماً.

وكتب يزيد في قبض آل المهلب وهدم دورهم ولم يكن ليزيد دار، إنما كان ينزل دار المهلب، وكان يزيد يقول: داري السجن أو دار الإمارة.

قالوا: وبعث هلال بن أحوز إلى أم الفضل بنت غيلان بن خرشة، وهي أم مخلد بن يزيد أن اختاري من يخرج معك فاخترت قوماً من مواليهم يخرجون معها ومع نساء آل المهلب، وبعث معهم بمشيخة من أهل الشام، وبعث بالرؤوس إلى مسلمة بن عبد الملك فورد العراق وقد عزل مسلمة بن عبد الملك، وولي عمر بن هبيرة، فأخذ ما كان في أثقالهن وبسط عليهن حتى استنظف ما كان عندهن فأخذ الرقيق لنفسه، وخاف أن يخرج النساء إلى الشام فيخبرن بما صار إليه فكتب إلى يزيد يستعفيه لهن من الشخوص فأعفاهن.

وقال أبو عبيدة: لما طيف برأس يزيد والرؤوس التي كانت مع رأسه بالشام، ردت إلى البصرة فنصبت بها.

قالوا: وأقام مسلمة بعد يزيد على العراق ثمانية أشهر، ويقال ستة أشهر، فقدح فيه عند يزيد بن عبد الملك، وقيل إنه غير مأمون على الخراج، وليس هو ممن يكشف عنه. فعزله وولى العراق عمر بن هبيرة.

قالوا: وجعلت طوائف من الأزد تقول بعد قتل يزيد إنه حي. فلما تزوج عمر بن يزيد امرأته عاتكة بنت الملاءة قال الفرزدق:

لقد بينت بنت الملاءة من نعي

لأزد عُمان جيفة ابن المهلب

قال المدائني: ولم يزل هلال على السند وقنديل حتى قدم ابن هبيرة العراق، وقدم نساء المهلب فقال لأم مالك بنت زياد بن المهلب: قد علمت أني الوالي وأني أقدر على مضرتكم ونفعكم، وقد قتل هلال رجالكم فلم يبق، وأنا كاتب في هلال أذكر خيانتته فصدقيني. وكتب إلى يزيد بن عبد الملك بذلك، وبعث بأم مالك وقرظها في كتابه إلى يزيد فكذبته، وأثنت على هلال وقالت: أحسن ولايتنا بعد أن بالغ في أمرك ولم يبق غاية في طاعتك، فكتب يزيد إلى ابن هبيرة يعنفه.

وقد قيل إن النساء أشخصن إلى يزيد أشخصهن ابن هبيرة فخلى سبيلهن.

قالوا: وبقي عيينة بن المهلب، وعثمان بن المفضل بن المهلب، وعمر بن يزيد بن المهلب، عند رتبيل بسجستان، فبعثت هند بنت المهلب إلى يزيد في طلب الأمان لأبي عيينة فأمنه فقدم العراق وبقي عمر بن يزيد، وعثمان بن المفضل عنده حتى قدم أسد بن عبد الله القسري أميراً على خراسان، فكتب إليهما بأمانهما فقدموا خراسان.

وقال بعض الرواة: كان الأسراء الذين قدم بهم على يزيد بن عبد الملك فأمر بقتلهم: المعارك، وعبد الله، والمغيرة، بني يزيد بن المهلب، ودريد، والحجاج ابني حبيب بن المهلب، وغسان، وشبيب والفضل بني المفضل بن المهلب، والمفضل بن قبيصة بن المهلب، والفضل، والمنجاب ابني يزيد بن المهلب.

وقال الفرزدق حين قتل يزيد بن المهلب:

إذا ما المُرُوتِيَّاتُ أَصْبَحْنَ حُسْرًا

يُيَكِّينَ أَشْلَاءَ عَلَى عَقْرِ بَابِلِ

فكن طالبا بنت الملاءة إنها

تذكر ريعان الشباب المزابل

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن مقتل يزيد بن المهلب:

قالوا: وكان رجاء بن حيوة يلعن يزيد بن المهلب حين أتاه خبره، وقد قيل في آل المهلب شعر كثير جداً.

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةَ الْأَنْزَمِيُّ عَنْ أَبِي عبيدة قال: لما كتب يزيد بن المهلب إلى ابن عاتكة يطلب الأمان كتب له أماناً ووجه به خالد بن عبد الله، وأتاه كتاب عدي بخلع يزيد فبعث فرد رسل يزيد بن المهلب وقال: كذبتكم أمير المؤمنين وأوطأتموه العشوة، فقالوا: أما عهدنا به فإنه لم يخلع ولم يسفك دماً. فأمر بهم إلى السجن فلم يخرجوا منه حتى قدم بآل المهلب من قنديل. ومن رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الأسرى لما حملوا إلى يزيد بن عبد الملك قام خالد بن عبد الله القسري فذكر العفو والصفح، وكان مفوهاً، وقال: أنهم أحداث لا جرائم لهم ورقته عليهم بجهد حتى هم بالعفو عنهم، فقام عثمان بن حيان المري فقال: كلا يا أمير المؤمنين لا تعف عنهم واحصدهم بمعصيتك كما انبتهم بطاعتك، فلعمري ما ترضى عشيرة منا أذنت ذنباً وقد صفحت عن هؤلاء إلا أن تصفح عن ذنوبهم، فمن هؤلاء الأعلاج الذين لا أصل لهم ولا فرع. نكل بهم يرتدع غيرهم يا أمير المؤمنين.

وأشار عليه رجاء بن حيوة بالعفو عنهم وقال: إن الله يقول:

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) فأبى يزيد بن عاتكة أن يعفو عنهم، ودفع بكل رجل ممن قتل مع عدي بن أرطاة رجلاً إلى وليه، ثم خلى الباقيين ويقال قتلهم.

وقال أبو عبيدة: وجه مسلمة في إثر معاوية بن يزيد بن المهلب عبد الرحمن بن سليم الكندي، وكان معاوية قد أعد له سفينة في الزردات، فركبها حتى وافى الأهواز، فلم يلحقه عبد الرحمن وأقام بالبصرة فولاه مسلمة إياها، ثم عزله وولاه عمان، وولى البصرة ابن بشر بن مروان. وقال أبو عبيدة: استأذنت بأهله في صلب يزيد بن المهلب، فأذن لها فصلبوه منكسا وشدوا على بطنه سمكة، ثم نزعوها وشدوا مكانها زقا من خمر، ثم نزعوه وشدوا إليه خنزيرة بيضاء كانوا يرونها في قرية عند موضع الوقعة.

وقال أبو عبيدة: أراد مسلمة ألا يواقع يزيد حتى يعرض عليه الأمان، فقال العباس بن الوليد: لا تؤمنه فلا يبقى أحد إلا خلع وأفسد وسفك الدماء ثم ركن إلى الأمان، فأبى وأمنه فلم يقبل يزيد أمانه.

وقال أبو عبيدة في روايته: كان يزيد حين شهد الحرب في رجالة قد أطافت به فأصاب برذونه سهم فشب به وضرب بيده ورجله حتى عقر عدة ممن كان حوله، ثم صرعه أو نزل يزيد عنه فغار البرذون فعرفه بعضهم فقال:

هذه دابة يزيد، فثاروا يطلبونه وجعلت العمانية تقول: التل التل، لتل كان هناك عظيم عال قد وقف مسلمة عليه حين قصدت الأزد وربيعه له فنزل عنه، وكان يزيد بن المهلب أخرج قوما مستكرهين فنخلوه، ومالوا إلى مسلمة.

وقال أبو عبيدة: بعث مسلمة برأس يزيد مع سالم بن وابصة الأسدي، وكان سالم في الوفد الذي أوفدهم برأسه ورؤوس من حملت رؤوسهم معه، فقال سالم وقد وضع الرأس بين يدي يزيد بن عاتكة:

أتينا به ما نسمع الصوت في السرى

ولا نشتكى شكوى أبين ولا قبر

نعرف أهل الحق بالشام رأسه

من النذل مخطوم الخياشم والثغر

وقال أبو عبيدة: قال يزيد بن المهلب لدهقان برس: أتدلي على أرض طيبة أغرس فيها النخل والشجر، فقال: يبيك الله ويسلمك ثم تنظر في هذا فما أكثر الأرضين. ثم قال: رأيتم أعجب من هذا، قد غشيه البلاء وهو يسأل عن الأرضين.

وكانت بيزيد خلفه من داء أو هيضة، فكان ضعيف البدن، ومعه ريحان يشمه فقال له بعض أهله: قد قرب القوم منا وأنت تشم الريحان؟ فعندها ركب فقاتل.

وقال أبو عبيدة: بعث يزيد إلى الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن ناجية بن عقال بن مُحَمَّد بن سُفْيَان بن مجاشع بن دارم، وهو على عُمان من قبل عدي بن أرطاة، ولاه إياها بعد عامل كان له عليها، فنهاه عمر بن عبد العزيز عن توليته، والخيار لا يعلم بأمر يزيد حتى دخلت عليه رسله، وعليهم زياد بن المهلب فضربوا عنقه، وكان متحاملا على الأزد بعُمان، فقال الفرزدق:

لو كنت مثلي يا خيار حزمتهما
 بكل علاقي من الميس فاطر
 فقد كنت في أرض المهاري مُسلطاً
 على كل بادٍ من عُمان وحاضر
 ترى إبلاً ما لم تحرك رءوسها
 فإن حركت أبصرت عين الأباغر

قال أبو عبيدة: وكان على السند من قبل عدي: عمرو بن مسلم، فبعث إليه يزيد بن المهلب: وداع بن حميد وهو رجل من أهل اليمن في ستة نفر ويقال في أربعة نفر فقيل له: رسل الأمير على الباب. فظن أنهم رسل عدي فأذن لهم، فلما قرأ الكتاب الذي مع وداع قال: أتحبون أن أعطيكم حياتي؟. وراطن غلاما له طخاريا بالطخارية أن انطلق إلى بني وأهل بيتي فمرهم أن يلبسوا السلاح ويسرعوا فإن هؤلاء القوم أعداء، فدخلوا البيت مصلتين، وثار وداع وأصحابه نحو عمرو فاقتتلوا، فقتل وداع ومن معه، وأمر عمرو فاحتزت رؤوسهم وألقيت في السوق¹.

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن أخبار يوسف بن عمر الثقفي:

المدائني عن الحكم بن النعمان قال: أراد الوليد بن يزيد بن عبد الملك عزل يوسف، واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجاج، فكتب إلى يوسف: إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر إخراج ابن النصرانية البلاد، وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل، وقد ينبغي أن تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه فأشخص إلى أمير المؤمنين مصدقا ظنته بك: ليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك لكفايتك، ولما جعل الله بينك وبينه من القرابة، فإنك خاله، وأحق الناس بالتوفير عليه، ولما قد علمت مما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطيائهم، وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام لهم حتى أضرت ذلك ببيوت الأموال.

خرج يوسف واستخلف ابن عمه يوسف بن محمد، وحمل معه من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحمل مثله من العراق قط، فقدم على الوليد، وخالد بن عبد الله محبوس، فلقيه حسان

١ - المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٤٧ - ٣٥٠.

النبطي ليلاً فأخبره أن الوليد على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج، وقال له إنه لا بد لك من إصلاح أمر وزرائه وأصحابه، فقال: ليس عندي فضل درهم. قال: فعندي خمسمائة ألف فإن شئت فهي لك، وإن شئت فارددها إذا تيسرت فقال: أنت أعرف بالقوم وأقذارهم ومنازلهم ففرقها عليهم، ففعل فكان جميع من على باب الوليد يعظمه ويُجله، فقال له حسان: لا تُعُدْ على الوليد ولكن رح إليه، واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك: "إني كتبت كتابي هذا ولسْتُ أملك إلا القصر، وأمر أبان بن عبد الله النميري أن يتضمن خالدًا بأربعين ألف ألف، ثم زد عليه عشرة آلاف ألف، وتساءل أن يُدفع إليك". ففعل يوسف ذلك فقال له الوليد: ارجع إلى عملك، ودفع إليه خالدًا فحمله في محمل بغير وطاء، فقال محمد بن القاسم: فرحمته وقد جمعت الطافاً من أخصبة يابسة وغيرها في منديل، ثم دنوتُ منه فرميت بالمنديل إليه فقال لي:

هذا من متاع عُمان لأن أخي الفيض كان عامل عُمان. فقلتُ في نفسي: هذا على هذه الحال وهو لا يدع شرارته. فقال يوسف وفطن: ما قلت لابن النصرانية؟ قلت: عرضت عليه الحاجة. فقال: أحسنت وهو أسير، ولو فطن بما صنعت به للقيت منه شراً^١.

ويرد أيضاً حين يتحدث البلاذري عن أخبار شيبان سلمه ومقتله:

وأمد مروان ابن ضبارة بمصعب بن الصحصح في ألفين، فقتل الجون، وقدم فله على شيبان، وقوي مروان، وقطع ابن ضبارة عن شيبان المادة من العراق، وقطع مروان عنهم مادة الشام فضاق الخوارج حتى صار الرغيف في عسكرهم بدرهم.

وخاف شيبان أن يأتيه ابن ضبارة من خلفه فحضر مروان أصحابه وخرج إليهم في يوم أربعاء فواقعهم، ثم أجمع على أن يغاديهم في يوم الخميس، وكان مع مروان رجل يرى رأي الخوارج، فكتب إلى شيبان إن القوم مصبحوك فاحذر واستعد، ففعل.

وزحف إليهم مروان في كراديس فشدوا على الحسن بن منصور اليشكري، وهو في ميمنة شيبان، أو في ميسرته فأزالوه، وقواه شيبان بمدد فرجع إلى موقعه، وكشفت الخوارج خيل مروان وداست رجالته، وأكثر الخوارج فيهم القتل وصاروا إلى قصر مروان الذي في خندقه، فقال حبيب بن خدره:

١ - المصدر السابق، ج ٩، ص ١١٦ - ١١٧.

فَلَمْ أَنْسَهُمْ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَكَرَّهُمْ
عليه ويوم القصر إذ حُرِسَ الْقَصْرُ
وَدَفَعَهُمُ الْجَعْدِيُّ إِذْ يَطْرُدُونَهُ
وأدركه التحكيم والقضبُ السَّمَر

فِي آيَاتٍ .

وقال سليمان بن هشام، ويُقال بل نُجِلَهَا:

وسرْتُ مَعَ الضَّحَاكِ لَمَّا تَخَاذَلْت
مَعَاشِرَ أَهْلِ الشَّامِ شَرَّ الْمَعَاشِرِ
جَزَى اللَّهُ عَنَا الْحَيَّ بَكْرَ بْنِ وَاثِلِ
وَتَغْلِبَ خَيْرًا مِنْ مَحَامٍ وَنَاصِرِ
هَمْ صَبَرُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ شَفَوْا
غَلِيلَ النُّفُوسِ مِنْ سَلِيمٍ وَعَامِرِ
غَدَاةَ غَدَا مِرْوَانَ فِي عَارِضٍ لَهُ
تَحَرَّدَ عَلَيْنَا حَرْدَ أَبْلَجٍ قَادِرِ
سَمُونَا لَهُ مَنَا بِجَمْعٍ مَعَاوِدِ
قِرَاعِ الْأَعَادِي وَاقْتِصَاصِ الْعَسَاكِرِ
وَفَرَّ وَفَرَّثَ خَيْلَهُ مُبْدَعْرَةً
وَطَارَ بِهِ قَلْبٌ لَهُ غَيْرُ صَابِرِ
وقال كهمس بن عُثْمَانَ الرِّفَاعِي مِنْ بَنِي يَشْكُرَ لَشَيْبَانَ:
وَلَيْتَ الْمُسْلِمِينَ بِكَفَرْتَوْثَا
عَلَى حَالٍ يَزَلُّ بِهِ الْقِيَامِ

في أبيات. وقال رجل من الخوارج:

قد علمت خيلك يا بن الصحصخ
بالزابيين والعيون تلمخ
إنا إذا صيح بنا لا نبرخ
إن الحديد بالحديد يُفْلح

لن نبرح الموصل حتى تُفتح

وقتل الحباب بن عمير بن الحباب، وقتل شقيق الغنوي فقال بعض الخوارج:

قد علمت خيلك يا شقيق
أنك من سُكر لا تُفِيق

وقتل على لواء مروان سبعة عشر رجلا، وقال شيبان: قد ترون ما نحن فيه من الضيق وقد رأيت أن نأتي بلداً يتسع لكم به المعاش، فمن أراد الجهاد فليمض معي، فصبر معه قوم وتفرقت جماعة من الأعراب فلحقوا بأهاليهم، فأتى آذربيجان في أهل البصائر ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك، والمعمّر بن شعبة، وكان ذا بصيرة فيهم، وانصرف مروان عن الموصل وولاهها عُثمان بن عبد الأعلى بن سراقه الأزدي، وهو الثبت، ويُقال زهير بن الأصم.

وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يعلمه خبر الخوارج، وأن طريقهم عليه، ويأمره بطلبهم وتوجيه الجنود إليهم.

قالوا: ووجه مروان لطلب شيبان أبو سلمة مصعب بن الصحصخ الأسدي في ألف، وشقيقاً السلمي في ألف، وصالح بن حبيب في ألف، وعطيف بن بشر السلمي في ألف، وعليهم جميعاً عبد الله بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي، ووجه ابن هبيرة إليهم خيلاً.

وأتى شيبان العراق منصوراً من آذربيجان فنزل المدائن، فقال له المعمر بن شعبة: حتى متى هذا الروغان؟ فقال شيبان: إن في مطاولتهم غيظاً لهم ووهناً عليهم، وخالف المعمر في بعض الأحكام ففارقه وصار مع المعمر عامة أصحاب شيبان. وقال المعمر:

رأيتُ اليشكري بنا فَرورًا

فرار العود لَجَّ به النداد

وأتى شيبان الأهواز ومعه سليمان بن هشام ومنصور بن جمهور، ثم أتى فارس ومنصور معه فكانا مع عبد الله بن معاوية، وندم المعمر على فراق شيبان، وقال لأصحابه: قد وليته فتولوه فقد صدق ما كان قال.

ولقي المعمر عامر بن ضبارة فقاتله، فأصابته معمرًا جراحات مات منها، وتفرق أصحاب ابن معاوية عنه، فمضى إلى هراة، ومضى سليمان إلى عُمان، ومنصور بن جمهور إلى السند، وتوجه شيبان إلى جزيرة ابن كاوان فأقام بها حتى قدم عليه المسيح بن الحواري من قبل أبي العباس فقاتله فانهزم أصحاب المسيح والمسيح، وأتى شيبان عُمان فكره الجُلندي بن مسعود قدومه وقال: تركت مهاجر الضحاك وجئت إلينا؟ فقال: يا أهل عُمان ما تكهون مني؟ أما والله لئن ركبْتُ المزنوق وشددتُ عليكم لأكثرتُ فيكم القتل، فنافره الجُلندي فقاتلهم حتى قتل.

وكان يزيد بن سالم الجحدري قال له: هذا الليل فلا تقاتل. فأبى وقاتل ورمي، وأمسكوا عن القتال فوجد ميتًا. وقيل طعنه رجل في عينه، ثم جاءه سهم فمات في موضعه، واحتز رأسه رجل فنظر إليه يزيد بن سالم فقال: تكلتك أمك، أتدري أي رأس تحتز؟

وكان سليمان بن هشام قد تزوج ابنة شيبان فلما قتل شيبان رجع سليمان إلى البصرة، ثم تزوج امرأة بالكوفة واستؤمن له أبو العباس فأمنه، ثم أنه قتل بعد ذلك.

المدائني قال: قال بشر بن محدوج: قد مت من عُمان وشيبان بجزيرة ابن كاوان، فأخذت فأتي بي شيبان فإذا رجل أهتم طويل على رأسه رجل يظله، ثم قال: ما فعل الشيخ الأزدي؟ - يعني الجُلندي بن مسعود- قلت: على ما تحب في سمعه وطاعته. فتبسم ثم قال: لئن بقيت له لألقيته بفتية يقولون اللهم لا ترجعنا إلى أهلينا!

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن علقمة بن سهل المعروف بعلقمة الخصي:

قالوا: وعلقمة بن سهل من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وكان يكنى أبا الوضاح، وكان له إسلام وفضل ويسار بعمان، وكان أسر باليمن في الجاهلية، فهرب ثم ظفر به فهرب ثانية، ثم أخذ فخصي، فهرب ثالثة وأخذ جملين يقال لهما عوهج وداعر، فصارا بعمان وإليهما تنسب العوهجية والداعرية.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الداعرية نسبت إلى داعر بن الحماس بن ربيعة الحارثي فوقع إلى عمان فحل من الداعرية.

وعلقمة الخصي الذي يقول وهو مختصي.

يَقُولُ رجال من صديق وحاسد
نراك أبا الوضاح أصبحت ثاويا
فلا يعدم الباقون بيتًا يكنهم
ولا يعدم الميراث بعدي واعيا
وجفت عيون الباقيات وأقبلوا
إلى مالهم إذ بنت منهم وماليا
حراصًا على ما كنت أجمعه لهم
هنيئًا لهم جمعي فما كنت واليا

ومات علقمة بالبحرين، وقوم يقولون إن الحارث بن كعب نفر به بعيره فسقط، والأول أثبت.

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن نسب عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة؛

وولد عدي بن عبد مناة بن أد: جل بن عدي. وملكان بن عدي.

وجذيمة بن عدي، وهم أهل بيت يقال لهم بنو أسد بن لحي بن عدي بن عبد مناة.

وقال غير الكلبي: ولد عدي: ملكان. وجل، أمه تملك بنت تيم بن غالب. ولحي. وجذيمة. فأما جذيمة فلا عقب له، وأما بنو لحي فسقطوا إلى عُمان، فهم في الأزدي، وهم يعرفون نسبهم إذا وقفوا عليه.

وقال المدائني: من بني عدي: الأسود بن كلثوم الناسك، وجهه ابن عمر إلى بيهق من نيسابور، فأخذ عليه العدو ثلثة دخل منها إلى حائط لبعض أهل بيهق، فقاتل فقتل، وقام بأمر الناس بعده أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق، ولم يدفن أخاه لأنه كان يدعو أن يحشر من بطون الطير والسباع.

قال ابن الكلبي: فولد ملكان بن عدي: ربيعة بن ملكان.

وصعب بن ملكان. فولد ربيعة بن ملكان. ثعلبة، فولد ثعلبة: حارثة بن ثعلبة. وعوف بن ثعلبة. فولد عوف: خلف بن عوف. وكعب بن عوف. فولد كعب بن عوف بن ثعلبة: ساعدة بن كعب^١.

ويرد اسم عمان في هذا الكتاب حين يتحدث البلاذري عن عرفجة بن ناجية ولد ذؤيب بن عرفجة. يقول:

ومنهم: عرفجة بن ناجية ولد: ذؤيب بن عرفجة،

وكان ذؤيب أسر في الجاهلية فقدي بزقين من خمر، فغير الفرزدق الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن عرفجة بن ناجية بذلك، وكان الحجاج وجه الخيار بن سبرة إلى يزيد بن المهلب لينصرف إليه يعلم حاله وخبره، فأتاه فقال: جئتك من عند قوم أسرجوا ولم يلجموا، فبلغ ذلك ولد المهلب فحققوا عليه، فولاه الحجاج عمان فأقام بها عاملاً، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فقال:

كتبت إلي تستهدي جوارا

لقد أنعظت من بلد بعيد

فقال الفرزدق:

لقد قال الخيار مقال جهل

قد استهدى الفرزدق من بلد بعيد

فلولا أن أمك كان جدي

أباها كنت أحرص بالمشيد

وأن أبي ابن عم أهلك لَحَا

وأنك حين تنسب من أسودي

شَدَدْتُ عليك شدة أعوجي

يدفُّ شكيم مجدول الحديد

١ - المصدر السابق، ج ١١، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

ومات الحجاج والخيار على عُمان، وولي يزيد بن المهلب العراق في أيام سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
الملك، فاستعمل زياد بن المهلب على عُمان فقدمها، وقتل الخيار، فقال الفرزدق:

فلو كنت مثلي يا خيار لشمرت

بك العيس سير العُوْهَجِي وداعر

ألم تك في أرض المهاري مُسلطاً

على كل بادٍ من عُمان وحاضر

فهلا شددت الحُزْمَ فوق متونها

بكل علافٍ من الميس قاتر

وللخيار عقب. فلما قتل هلال بن أحوز من قتل من آل المهلب، قال جرير يذكر إدراكه
بدم الخيار، وغيره ممن قتل من آل المهلب:

تركت بقبر للخيار ومالك

وقبر عدي في المقابر أقبرا

وأدرك ثأر المسمعين بسيفه

وأغضب في قتل الخيار فأنكرا

مالك بن مسمع، وعدي بن أرطاة الفزاري والمسمعان: مالك بن مسمع بن مالك بن مسمع،
وعبد الله بن مسمع بن مالك بن مسمع!

ويُرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث البلاذري عن الجُتات بن يزيد بن علقمة بن حوي
بن سُفْيَانَ بن مجاشع:

هو الذي قال: يا بني مجاشع كونوا كما قال الله في كتابه: لا يعجز القوم إذا تعاونوا.

ووفد على مُعَاوِيَةَ فمات وقد أمر له بصلة فلم يقبضها، وقال الفرزدق:

أَبُولِكَ وَعَمِّي يَا مُعَاوِيَةَ أَوْرثَا

تُرَاثًا فيحتاز التراث أقاربه

فَمَا بِال مِيرَاثِ الْحُتَاتِ حَوَيْتِهِ

وميراث صخر جامد لك ذائبه

وقد كتبنا الخبر فيما تقدم، وكان اسم الحتات عامراً، وفيه يقول الأسود بن يعفر:

وما خلّطني في الحنظليين فَعَدَدًا

فيظلمني يا لهف أمي عامر

وأسلم الحتات في خلافة أبي بكر ووفد إلى عمر بن الخطاب.

وقال سحيم بن حفص: وفد حتات على معاوية مع الأحنف، وجارية بن قدامة، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف، وأعطاه سبعين ألفاً فقبلها، فلما كان في بعض الطريق قيل له إنهما فضلاً عليك بثلاثين ألفاً، فرجع إلى معاوية فقال: أعطيت مخذلاً ومحرماً مائة ألف وأعطيتني سبعين ألفاً فقال: يا أبا منازل إني اشتريت منهم دينهم لأنهم كانوا من أصحاب علي، وأنت عثمان بن عفان فقال: ومني فاشتر ديني فأكمل له مائة ألف درهم، ثم وفد إليه أيضاً فأعطاه أربعين ألفاً، فمات بالشام فارتجع معاوية المال، فقال فيه الفرزدق:

أَبُوكَ وَعَمِّي يَا مُعَاوِيَةَ أَوْرَثَا

تُرَاثًا فَيَحْتَازُ التَّرَاثَ أَقَارِبَهُ

وكان للحتات قطيعة بالبصرة، أتاه ابنه المبارك فمرض بها فتطير الحتات فباعها، ومات المبارك قبله. وولي عبد الملك بن الحتات عمان في أيام معاوية، وكان علقمة بن نهاز بن عبد الله بن الحتات من جند أبي جعفر المنصور^١.

ويرد أيضا حين يذكر البلاذري رجال بني نهشل:

ومن بني صخر بن نهشل: خازم بن خزيمة بن عبد الله بن حنظلة بن نضلة بن حُرثان بن مُطلق بن صخر بن نهشل القائد، ويكنى أبا خزيمة، وهو الذي قتل ملبد بن حرملة الخارجي، وكان ميمون النقيبة، ولي خراسان، وولي عمان، ومات ببغداد فعُزي عليه أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين^٢.

١ - المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٠٧ - ١٠٨.

٢ - المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٣٦.

ويرد أيضا حين يذكر البلاذري شاعرا هجا جريرا واسمه سنيح العماني:
 المدائني وغيره قالوا: لما قال جرير للأخطل:

لا تطلبن خؤولة في تغلب

فالزنج أكرم منهم أخوالا

غضب سنيح العماني مؤلى بني ناجية فهجا جريرا، وفضل عليه الفرزدق، وفخر عليه
 بالزنج فقال:

إت امرأ جعل المراغة وابنها

مثل الفرزدق خائر قد فالأ

إت الفرزدق صخرة عادية

طالت فلئيس تنالها الأوعالا

ما بال كلب من كليب سبنا

إت لم يوازن حاجبا وعقالا

قد قست شعرك يا جرير وشعره

فَقَصْرَتْ عَنْهُ يَا جَرِيرٍ وَطَالَا

وبنيت بيتك في قرار مسائل

فَجَرَتْ عَلَيْكَ بِه السَّيُولُ فَمَا لَا

والزنج لو لاقيتهم في صفهم

لاقيت ثم جحاجحا أبطالا

فَسَلِ ابْنَ عَمْرٍو حَيْثُ رَامَ رَمَاحَهُمْ

فرأى رماح الزنج ثم طوالا

فجعوا زيادا بانه وتنازلوا

لما دعوا بنزال حتى زالا

ربطوا خيولهم حوالي دورهم
وربطت حولك آتئنا وسخالا
كان ابن ندبة فيكم من نجلنا
وخفاف المتحليل الأثقالا
وابنا زبيبة عنتر وهراسة
ما إن نرى فيكم لهم أمثالا
وسلئك الليث الهزير إذا عدا
والقرم عباس علك فعالا
هَذَا ابن خازم الكريم وأمه
عجلى أبز على العدو قتالا
وبنو الجناب مطاعن ومطاعم
عند الشتاء إذا تهب شمالا
فلنحن أنجب منكم لخؤولة
ولأنت الأم منهم أخوالا
ابن عمرو بن حفص بن زياد بن عمرو العتكي كان خليفة أبيه على شرط البصرة فقاتل
رباح شارزنجي، ويقال شارزنجيان، الذي خرج بالفرات، بعثه إليه أبوه فقتله رباح.
فتى عياد: سليمان بن عياد قتل في بلاعص من أرض الزنج.
وابن ندبه: يعني خفاف بن ندبة كانت أمه سوداء، وعنتر: يريد العبسي، وأخاه سليك بن
سلكة وأمه سوداء. وابن خازم السلمي وأمه عجلى سوداء، وعباس بن مرداس السلمي وإخوته.
ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن نسب بني سعد بن زيد مناة بن تميم:
ومن بني ربيع: عسعس بن سلامة، وكان يكنى أباً صفرة،
وكان له بالبصرة قدر وفضل.

قال أبو اليقظان: وكان يُقال لبني دينار من بني ربيع رغبة القلوص، جاؤوا مترادفين على قلوص فدخلوا عُمان، ولا يدري من أين جاؤوا.

ومنهم: خليف بن عقبة وكان ظريفاً، وإليه تنسب الفالوذجة الخليفة بالبصرة.^١

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن بني مرة بن عبّيد:

ومن بني مرة بن عبّيد مُجاعة بن سِعر بن يزيد بن خليفة بن سنان بن قطن بن العجلان بن مرة بن عبّيد. كان شريفاً، وكان سِعر مع علي بن أبي طالب عليه السلام، فدخل عليه وعنده فالوذج فقال: ما هذا؟ قال: هذا الذي يقتل عليه بعض قريش بعضاً، فاعتزله ولزم ناحية من البصرة.

وولي مُجاعة عُمان للحجاج، وولي مكران، وبها مات فقال الشاعر:

ما من مشاهدك التي شاهدتها

إلا يزينك ذكرها مُجاعة

وكان القاسم بن مجاعة ولي عُمان فقتله أهلها وصلبوه، فقال الشاعر:

تناوم مُجَاع وأسلم قاسما

وما صاحب الحاجات بالمتناوم

فبعث الحجاج مُجاعة إلى أهل عُمان، فقتل منهم مقتله عظيمة فقال مُجاعة

حمدتُ الله حين شفيت نفسي

فهذا حين ساغ لها الشراب

وولي يوسف بن عُمَر غصياً بن القاسم بن مُجاعة عُمان.^٢

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن بني عامر بن عبّيد بن مُقاعس:

ومن بني عامر بن عبّيد بن مُقاعس: خليفة بن عبْد قَيْس بن بُو، شهد القادسية مع سعد بن

أبي وقاص وقال:

١ - المصدر السابق، ج١٢، ص٢٦٠-٢٦١.

٢ - المصدر السابق، ج١٢، ص٣٠٩.

أنا ابن جَوْ وَمَعِي مَخْرَاقِي

أَضْرِبُ كُلَّ قَدَمٍ وَسَاقٍ

أذكره الموت أَبُو إِسْحَاقِ

يعني سعد بن أبي وقاص.

وكان خليفة بن عبد قيس بن بو من أصحاب جفرة خالد، وهدم مصعب داره، وعقر نخله، وقتل ابنه تلك الأيام الحسن بن خليفة، ولم يمت خليفة حتى بلغ بنوه وبنو بنيه مائة رجل.

وكان من بنيه لصلبه أبو ذر، ولقب أبا زر، وكان زانياً وله يقول الشاعر:

زَنَا ابْنُ بَوِّ أَبُو زَرِّ صِرَاحِيَّةٍ

والله يمقت وجه الأشمط الزاني

وقال أبو زر عند الموت: اسقوني خمراً فقالوا: أتشرب خمراً عند الموت؟ فأنشأ يقول:

أَلَامَ عَلَيَّ شَرَابُ الشَّيْخِ كَسْرِي

وقد نحلث من العطش الجلود

وإنما نقلت كنيته إلى أبي زر إكراماً لأبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه.

وكان سليمان بن خليفة شاعراً، وكان مع القاسم بن سمر بعمان، فأخذ أسيراً، فقال له سليمان بن عياض: امدحني حتى أخليك فمدحه فخلاه، وقال:

لَأُجْزِيَنَّ أَبَا مِرْوَانَ مِدْحَتَهُ

وخير من أولي المعروف من شكرا

رد الإله به من بعد ما جشأ

نفسه وأثبت فوق الهامة الشعرا

أبو مروان: سليمان بن عياض الأزدي^١.

١ - المصدر السابق، ج ١٢، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن وُلدِ مالك بن عمرو بن تميم:

ومنهم: سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْتَدِ بْنِ قَطَنِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ كَابِيَةَ، كَانَ شَرِيفًا وَوَلَاهُ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيِّ عُمَانَ، وَوَلِيَ أَيْضًا صَدَقَاتِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ.

وَقَالَ أَبُو الْيَقْظَانَ: كَانَ سَعِيدٌ يَكْنَى أبا الزُّبَيْرِ، وَوَلِيَ صَدَقَاتِ بَكْرِ لِلْحِجَاكِ، وَوَلِيَ عُمَانَ لِعَدِيِّ، فَضْرِبَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ خَيْرًا، فِي نَاقَةٍ كَانَتْ لِلأَزْدِيِّ مِائَةَ سَوْطٍ، فَأَتَى الْأَزْدِيُّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَاسْتَعْدَاهُ، وَأَنْشَدَهُ شِعْرَ كَعْبِ الْأَشْعَرِيِّ:

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا وُلِّيتَ فإِنَّمَا

عَمَالَ أَرْضِكَ بِالْعِرَاقِ ذَنَابِ

لَنْ يَسْتَقِيمُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ

حَتَّى تَقْطَعَ بِالسِّيَوفِ رِقَابِ

بِأَكْفِ مَنْصَلَتَيْنِ أَهْلَ بَصَائِرِ

فِي وَقْعِهِنَّ مَوَاعِظَ وَعِقَابِ

لَوْلَا قَرِيْشٌ نَصَرَهَا وَدَفَاعَهَا

أَلْفَيْتَ مَنْقَطَعًا بِكَ الْأَسْبَابِ

فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَدِيِّ: "إِنْ تَوَلَّيْتُكَ سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودِ بَلِيَّةٍ، وَقَدَّرَ قَدْرَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَابْعَثْ إِلَيْهِ مِنْ يَعْزَلِهِ وَيَحْمِلُهُ إِلَيَّ فَفَعَلَ فَأَرَادَ ضَرْبَهُ فَقَالَ قَمِيرُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْعُودِ ابْنِهِ: أَنَا الَّذِي ضَرَبْتَ الرَّجُلَ، فَضْرِبَ مِائَةَ سَوْطٍ، فَقَالَ سَعِيدٌ لِابْنِهِ قَمِيرِ، وَكَانَ يُسَمَّى عَبْدَ الْعَزِيزِ: يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ أَصْرَرِ أذْنِيكَ إِصْرَارَ الْفَرَسِ الْجَمُوحِ، وَعَضْ عَلَيَّ نَاجِدَكَ وَادْكُرْ أَحَادِيثَ غَدٍ. وَقَدْ كَتَبْنَا هَذَا الْخَبَرَ فِي أَحَادِيثِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَقَالَ الشَّمْرَدَلُ بْنُ شَرِيكِ يَمْدَحُ بَنِي الْحَكَمِ:

مَا قَصَرَ الْمَجْدَ عَنْكُمْ يَا بَنِي حَكَمِ

وَلَا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودِ

إن تشهدوا يوجد المعروف عندكم

سهلاً وليس إذا غبتم بموجود

وأم قُمير بن سَعِيد ابنة مَرَّة الكَثَّان، وكان قُمير يكنى أبا الهذيل وكان جلدًا، وهو أوثق بلال بن أبي بردة وحمله إلى يُوْسُف بن عُمَر.

وكان هَدَّاب بن مَسْعُود أخو سَعِيد، وأمه أم ولد، من وجوه بني مازن.

وكان عَمْرُو بن هَدَّاب، وأمه أم هاشم بنت عبد الله بن مُسْلِم الباهلي، وكان عَمْرُو يكنى أبا أسيد، ولي فارس لمنصور بن زياد، ولخازم بن هَدَّاب عقب بالأهواز.

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن بني رزام بن مازن:

ومن بني رزام بن مازن: قَسامة. وعُقبة ابنا زُهَيْر فأما قَسامة بن زُهَيْر فكان من فقهاء أهل البصرة، وقتل بَعْمَان مَعَ القاسم بن سَعِن السعدي وله عقب بالبصرة. وأما عقبه بن زُهَيْر أخو قَسامة بن زُهَيْر فكان من فرسان بني تميم، ويكنى أبا عون وفيه يَقُولُ الشَّاعِر:

قَبَّحَ الإله عصابة وَلَحَاهُمُ

تركوا وراءهم أبا المختار

حاشا الغلام المَازِنِي فإنه

يَوْم الحفيظة خلفهم كرار

ومنه: هلال بن الأشعر، كَانَ أَكْوَلًا، زعموا أَنَّهُ أَكَلَ بَكَرًا، إلا ما حمل منه على ظهره.^١

ويرد أيضا حين يتحدث البلاذري عن ولد مازن بن الحارث بن قطيعة:

فولد مازن بن الحارث بن قطيعة ربيعة بن مازن، وأمه أسماء بنت غالب بن قطيعة بن عبس. وبجالة بن مازن. ويربوع بن مازن. وقُمير بن مازن بن ثعلبة بن سعد.

فمن بني يربوع بن مازن: خَالِد بن بَزَز، وِلاه الوليد بن عَبْدِ الملك دمشق، وله يَقُولُ مساور

بن هند:

١ - المصدر السابق، ج ١٣، ص ٤٣ - ٤٤.

٢ - المصدر السابق، ج ١٣، ص ٥٣ - ٥٤.

ثلاثة أشهر في دار بَرْزِ

نُرَجِّي نائلاً عند الوليد

وولد ربيعة بن مازن: رواحة بن ربيعة. وعُبيد بن ربيعة.

ورياح بن ربيعة. وروح بن ربيعة، وأمهم عبلة بنت مرة من الدَّيْل بن حنيفة بن لجيم.

فولد رواحة: جذيمة، وأمها حَيَّة بنت عامر بن مالك بن مرة بن عوف.

قَالَ الكلبِي: كانت حَيَّة بنت عامر بن مالك بن مرة عند فقحس بن طريف، فطلقها وهي حبلى فتزوجها رواحة بن ربيعة بن مازن فولدت له جذيمة أبا زُهَيْر بن جذيمة. وخلف بن رواحة. وعُوَيْر بن رواحة، وأمهم تَعَلَّة بنت عَمْرُو بن صِرْمَة بن مرة، وخرج بنو عَمْرُو بن رواحة مَعَ قيس بن زُهَيْر حين أتى عُمان، فنزل بها فبقوا بعُمان، وبالكوفة منهم أهل بيت شهد منهم صفين مَعَ عليّ بن أبي طَالِب كرم الله وجهه ضرار بن فلان، أو فلان بن ضرار، وخالد بن رواحة، وحنظلة بن رواحة.

فمن بني جذيمة بن رواحة بن ربيعة: زُهَيْر بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس، اجتمعت عَلَيْهِ غطفان، وأسيد بن جذيمة. وزنباع بن جذيمة. وحَدِيم بن جذيمة. وقيس بن جذيمة. وفي أسيد يُقُول خَالِد بن جَعْفَر بن كلاب:

لعل الله يمكنني عليها

جهازاً من زهيرٍ أو أسيد

فمن بني زُهَيْر بن جذيمة: قيس بن زُهَيْر صاحب داحس، وَقَدْ كتبنا خبره في نسب فزارة، ولما وقع الصلح سارت عبس تريد الشام، فنزلوا بُعراعر، وهو ماء لكلب، فدفعتهم كلب عنه فاقتلوا فظهرت عبس، ثُمَّ إن قيساً خافوا انقطاع بني عبس عَنْهُمْ، وذبيان خاصة، فسألوهم الرجوع فرجعوا، ونزلوا في بني كلاب، ثُمَّ في بني مرة، ثُمَّ في آل أبي حارثة، فلما تم صلحهم قَالَ قيس بن زُهَيْر: إني لأستحيي من فزارة أن يروني وَقَدْ قتلْتُ من قتلْتُ منهم فتقول هذه المرأة: قتل أخي، وتقول الأخرى: قتل زوجي، فأمر بني عبس أن يقيموا، ومضى إلى عُمان فمات بها، وقيل إنه أكل ورق شجر فقتله، وكان أَكَلُهُ إِيَّاه جوعاً، وهو القائل:

إِنْ قَيْسًا كَانَ مِيتُهُ
أَسْفًا وَالْحَيُّ مَنْطِقُ
فِي دَرِيْسٍ لَيْسَ يَسْتَرُهُ
رُبَّ حُرٍّ تَوْبُهُ خَلِقُ

وَيُقَالُ: إِنْ الشَّعْرَ لَعْرُوةَ بِنِ الْوَرْدِ.^١

١ - المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٩٤ - ١٩٥.

فتوح البلدان

للبلادري

جاء ذكر عمان في هذا الكتاب فيما رواه البلادري عن تفرق الأزد بعد انهيار سد مأرب:

وكانت الأزد نزلت بماء يقال له غسان فسُموا بذلك. ثم إن الأزد سارت حتى انتهت إلى بلاد حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عُريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فقاتلوهم. فظهرت الأزد على حكم، ثم إنه بدا لهم الانتقال عن بلادهم فانتقلوا، وبقيت طائفة منهم معهم. ثم أتو نجران فحاربهم أهلها فنُصروا عليهم، فأقاموا بنجران ثم رحلوا عنها إلا قوما منهم تخلفوا بها لأسباب دعوتهم إلى ذلك، فأتوا مكة وأهلها جُزهم، فنزلوا بطن مَرٍّ، وسأل ثعلبة بن عمرو مزيقيا جرهم أن يعطوهم سهل مكة، فأبوا، فقاتلهم حتى غلب على السهل. ثم إنه والأزد استوبئوا مكانهم وأرأوا شدة العيش به فتفرقوا، فأنت طائفة منهم عُمان، وطائفة السَّراة، وطائفة الأنبار والحيرة، وطائفة الشام، وأقامت طائفة منهم بمكة. فقال جذع: أكلما صرتم يا معشر الأزد إلى ناحية انخرعت منكم جماعة؟ يوشك أن تكونوا أذنا في العرب. فسُمي من أقام بمكة خزاعة. وأتى ثعلبة بن عمرو مزيقيا وولده ومن تبعه يثرب وسكانها اليهود فأقاموا بها خارج المدينة، ثم إنهم غنوا وكثروا وعزوا حتى أخرجوا اليهود منها ودخلوها. فنزلت اليهود خارجها، فالأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر، وأمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو، ويقال إنها غسانية من الأزد، ويقال إنها عُذرية^١.

ومما رواه البلادري عن عمان في فتوح البلدان قصة إسلام أهل عمان، وردة بعضهم

أيام الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

قالوا: كان الأغلبين على عمان الأزد وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي فلما كانت سنة ثمان بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ أَحَدَ الْخَزْرَجِ، وَهُوَ أَحَدٌ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْمُهُ فِيمَا ذَكَرَ الْكَلْبِيِّ: قَيْسُ بْنُ سَكَنٍ

١ - أحمد بن يحيى البلادري. فتوح البلدان، دون تحقيق (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨)، ص ٢٥ - ٢٦.

بن زيد بن حرام، وقال بعض البصريين اسمه عمرو بن أخطب، جد عروة بن ثابت بن عمرو ابن أخطب، وقال سعيد بن أوس الأنصاري: اسمه ثابت بن زيد، وبعث عمرو بن العاصي السهمي إلى عبّيد، وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه يدعوها فيه إلى الإسلام، وقال: إن أجاب القوم إلى شهادة الحق، وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأمير وأبو زيد على الصلاة، وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن، فلما قدم أبو زيد، وعمرو عمان وجدا عبّيدا، وجيفرا بصحار على ساحل البحر، فأوصلا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إليهما فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام فأجابوا إليه ورغبوا فيه، فلم يزل عمرو وأبو زيد بعمان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال: إن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك.

قالوا: ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت الأزد وعليها لقيط بن مالك ذو التاج وانحازت إلى دبا وبعضهم يقول دما في دبا فوجه أبو بكر رضي الله عنه إليهم حذيفة بن محصن البارقي من الأزد، وعكرمة ابن أبي جهل ابن هشام المخزومي، فواقعا لقيطا ومن معه فقتلاه وسبوا من أهل دبا سببا بعثا به إلى أبي بكر رحمه الله، ثم أن الأزد راجعت الإسلام وارتدت طوائف من أهل عمان ولحقوا بالشحر فسار إليهم عكرمة فظفر بهم وأصاب منهم مغنما وقتل بشرا، وجمع قوم من مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة جمعا فأتاهم عكرمة فلم يقاتلوه وأدوا الصدقة، وولى أبو بكر رضي الله عنه حذيفة بن محصن عمان، فمات أبو بكر وهو عليها، وصرف عكرمة ووجه إلى اليمن.

ولم تزل عمان مستقيمة الأمر يؤدي أهلها صدقات أموالها، ويؤخذ ممن بها من الذمة جزية رؤسهم حتى كانت خلافة الرشيد صلوات الله عليه فولاهها عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، فخرج إليها بأهل البصرة فجعلوا يفتجرون بالنساء ويسلبونهم ويظهرون المعازف فبلغ ذلك أهل عمان وجلهم شراة، فحاربوه ومنعوه من دخولها، ثم قدروا عليه فقتلوه وصلبوه وامتنعوا على السلطان فلم يعطوه طاعة، وولوا أمرهم رجلا منهم، وقد قال قوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وجه أبا زيد بكتابه إلى عبّيد، وجيفر ابني الجلندي الأزديين في سنة ست ووجه عمرا في سنة ثمان بعد إسلامه بقليل، وكان إسلامه، وإسلام خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة العبدي في صفر سنة ثمان أقبل من الحبشة حتى أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي زيد: خذ الصدقة من المسلمين

والجزية من المجوسِ حدثني أَبُو الْحَسَنِ المَدَائِنِيُّ عَنِ المَبَارِكِ بنِ فضالة، قال: كتب عمر ابن عَبْدَ العَزِيزِ إِلَى عدي بنِ أَرْطَأَةَ الفَزَارِيِّ عامله عَلَى البَصْرَةِ.

”أما بعد“ فَإِنِّي كُنت كُتِبْتُ إِلَى عُمُرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ أَن يَقسِمَ ما وَجَدَ بَعَمَانِ من عَشُورِ التمرِ والحبِّ في فِرقاءِ أَهلِها، وَمن سَقَطَ إِلَيْها من أَهلِ الباديةِ، وَمن إِضافته إِلَيْها الحَاجةِ وَالمسكنةِ وَانقطاعِ السبيلِ، فَكُتِبَ إِلَيَّ أَنَّهُ سَأَلَ عَامِلَكَ قَبْلَهُ عَن ذَلِكَ الطِعامِ وَالتمرِ فَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ باعَهُ وَحَمَلَ إِلَيْكَ ثَمَنَهُ، فَأَرَدْتُ إِلَى عُمُرِ ما كانَ حَمَلَ إِلَيْكَ عَامِلَكَ عَلَى عَمَانِ من ثَمَنِ التمرِ وَالحبِّ لِيَضَعَهُ في المَواضِعِ الَّتِي أَمَرْتَهُ بِها وَيَصْرِفَهُ فِيها إِنْ شاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ!

وفي موضع آخر يتحدث البلاذري عن جيش من العمانيين استعان به عامل عمر بن الخطاب على عمان في فتح السند:

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي سَيْفٍ، قَالَ: وَلى عُمَرُ بنِ الخِطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عُثْمَانُ بنُ أَبِي العاصِيِ التَّقْفِيِّ البَحْرِينِ وَعَمَانِ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةِ فُوجِهِ أَخاهُ الحَكَمَ إِلَى البَحْرِينِ وَمَضَى إِلَى عَمَانِ فَأَقْطَعَ جَيْشاً إِلَيَّ تانَهُ، فَلما رَجَعَ الجَيْشُ كُتِبَ إِلَيَّ عُمَرُ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: يا أَخا ثَقِيفٍ حَمَلْتَ دُوداً عَلَى عَودٍ وَإِنِّي أَحْلَفُ بِاللَّهِ لو أَصِيبُوا لأَخَذتَ من قَوْمِكَ مِثْلَهُمْ، وَوَجَّهَ الحَكَمَ أَيْضاً إِلَى بَرُوصِ، وَوَجَّهَ أَخاهُ المَغِيرَةَ بنَ أَبِي العاصِيِ إِلَى خُورِ الدَّيْبِلِ، فَلَقِيَ العَدُوَّ فَظَفَرَ، فَلما وَلى عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بنُ عَامِرِ بنِ كَرِيزِ العِراقِ كُتِبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَن يَوجِهَ إِلَيَّ ثَغرَ الهِندِ من يَعْلَمُ عِلْمَهُ وَيَنصَرِفُ إِلَيْهِ بِخِبرِهِ فُوجِهِ حَكِيمِ بنِ جَبَلَةَ العَبْدِيِّ، فَلما رَجَعَ أوفدَهُ إِلَيَّ عُثْمَانُ فَسأَلَهُ عَن حالِ البِلادِ فَقالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَدْ عَرَفْتها وَتَنَحَرْتها، قَالَ فَصَفَها لِي، قَالَ: ماؤُها وَشَلُّها وَثَمَرُها دَفْلٌ وَلِصْها بَطْلٌ، إِنْ قَلَّ الجَيْشُ فِيها ضاعُوا، وَإِنْ كَثُرُوا جاعُوا، فَقالَ لَهُ عُثْمَانُ: أَخابِرُ أَم ساجِعٍ، قَالَ: بَلْ خابِرٌ فَلَم يَغزِها أَحداً، فَلما كانَ آخِرَ سَنَةِ ثَمانِ وَثلاثينِ وَأوَّلَ سَنَةِ تِسعِ وَثلاثينِ في خِلافَةِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ تَوجَّهَ إِلَيَّ ذَلِكَ الثَغرَ الحارِثُ بنُ مَرَّةِ العَبْدِيِّ مَتَطوعاً بِإِذْنِ عَلِيِّ فَظَفَرَ وَأَصابَ مَغنِماً وَسِيباً وَقَسَمَ في يَومٍ واحِداً أَلْفَ رَأْسٍ، ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَ وَمن مَعَهُ بِأَرْضِ القِيقانِ إِلا قَلِيلاً، وَكانَ مَقْتَلُهُ في سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَربَعينِ وَالقِيقانِ من بِلادِ السِندِ مِمَّا يَلِي خِراسانَ، ثُمَّ غَزاهُ ذَلِكَ الثَغرَ المَهلبُ بنُ أَبِي صَفْرَةَ في أَيامِ مِعاوِيَةَ سَنَةَ أربَعِ وَأَربَعينِ فَأتى بِنَةَ والأهوازِ وَهما بَيْنَ المِلتانِ

وكابل فلقية العدو فقاتله ومن معه، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة فقاتلوه فقتلوه جميعاً، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتمشير منا فحذف الخيل فكان أول من حذفها من المسلمين وفي بنة يقول الأزد:

ألم تر أن الأزد ليلة بيتوا

ببنة كانوا خير جيش المهلب!

كتاب المسالك والممالك

لابن خرداذبة

مما جاء في كتاب المسالك والممالك وصف ابن خرداذبة للطريق من البصرة إلى عُمان على الساحل:

من البصرة إلى عبادان، ثم إلى الحدوثة، ثم إلى عرفجا، ثم إلى الزابوقة، ثم إلى المِقَرَّ، ثم إلى عصى، ثم إلى المعترس، ثم إلى خُلَيْجة، ثم إلى حسان، ثم إلى القرى، ثم إلى مسيلحة، ثم إلى حمص، ثم إلى ساحل هَجْر، ثم إلى العُقَيْر، ثم إلى قطر، ثم إلى السبخة، ثم إلى عُمان وهي صُحار ودَبَا!

ويصف ابن خرداذبة أيضا المسافة إلى المشرق في البحر، قائلا:

من البصرة إلى عبادان اثنا عشر فرسخًا، ثم إلى الخشبات فرسخان، ثم تصير إلى البحر فشطه الأيمن للعرب وشطه الأيسر لفارس، وعرضه سبعون فرسخًا وفيه جبالا كَسِير وَعُوَيْر، وعمقه سبعون باعًا إلى ثمانين باعًا، ومن الخشبات إلى مدينة البحرين في شط العرب سبعون فرسخًا، وأهلها لصوص يقطعون على المراكب، ولا زرع لهم ولهم نخل وإبل، قال أعرابي:

رمى به في موحش القفار

بساحل البحرين للصغار

ومنها إلى الدرود مائة وخمسون فرسخًا، ثم إلى عُمان خمسون فرسخًا، ثم إلى الشحر مائتا فرسخ، ومن الشحر إلى عدن مائة فرسخ، وهي من المراقي العظام ولا زرع بها ولا ضرع وبها العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهند والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجدة والقُلم. ^٢

١ - أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة. المسالك والممالك، تحقيق: دي غويه (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩)، ص ٦٠.

٢ - المصدر السابق، ص ٦٠ - ٦١.

وفي موضع آخر يصف ابن خردادذبة الطريق من عُمان إلى مكة على الساحل قائلا:

من عمان إلى فرق، ثم إلى عوكلان، ثم إلى ساحل هباه، ثم إلى الشَّحْر وهي بلاد الكُنْدُر
قال الشاعر:

أذهب إلى الشحر ودع عُمانا

إلا تجد تمرًا تجد لبانا

ثم إلى مخالاف كِنْدَة، ثم إلى مخالاف عبد الله بن مذحج، ثم إلى مخالاف لُحْج، ثم إلى عدن
أبَيْن، ثم إلى مغاض اللؤلؤ، ثم إلى مخالاف بني مجيد، ثم إلى المنجلة، ثم إلى مخالاف الرِّكْب،
ثم إلى المِنْدَب، ثم إلى مخالاف زَبِيد، ثم إلى غلافقة، ثم إلى مخالاف عَكْ، ثم إلى الجردة، ثم
إلى مخالاف حَكَم، ثم إلى عَثْر، ثم إلى مرسى صَنَكَان، ثم إلى مرسى حَلِي، ثم إلى السَّرِين، ثم
إلى أغيار، ثم إلى الهزْجَاب، ثم إلى الشُّعْبِيَّة، ثم إلى منزل، ثم إلى جُدَّة، ثم إلى مكة^١.

ويرد اسم عمان أيضا في كتاب المسالك والممالك حين يصف ابن خردادذبة مسلك
التجار اليهود الراذنية، مؤكدا أنهم كانوا يأتون إلى عمان:

”هم الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلبية، وإنهم
يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برًا وبحرًا يجلبون من المغرب
الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخزّ والفراء والسّمور والسيوف، ويركبون من فنجة
في البحر الغربي فيخرجون بألقرما ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة
وعشرون فرسخًا، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدّة ثم يمضون إلى السند
والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني وإن شاءوا حملوا
تجاراتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بأنطاكية ويسيروا على الأرض ثلاث مراحل
إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد، ثم يركبون في دجلة إلى الأبلّة، ومن الأبلّة إلى
عُمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض^٢.

١ - المصدر السابق، ص ١٤٧ - ١٤٨.

٢ - المصدر السابق، ص ١٥٣ - ١٥٤.

الأخبار الطوال

لأبي حنيفة الدينوري

أول ما يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث الدينوري عن الساميين . يقول :

وكان لسام بن نوح خمسة بنين: إرم وكان أكبرهم سناً، وأزفخشد، وعالم، واليفر، والأسور، فخص ولد إرم باللسان العربي عند تبلبل الألسن، وكانوا أيضاً سبعة إخوة: عاد، وثمود، وصحار، وطسم، وجديس، وجاسم، ووبار؛ فارتحل عاد مع من تبعه حتى حل بأرض اليمن؛ ونزل ثمود بن إرم ما بين الحجاز إلى الشام؛ ونزل طسم بن إرم عُمان والبحرين، ونزل جديس بن إرم اليمامة، ونزل صحار ما بين الطائف إلى جبلي طيء، ونزل جاسم ما بين الحرم إلى سفوان، ونزل وبار بن إرم ما وراء الرمل بالبلاد التي تعرف بوبار، وهؤلاء العرب الأولى انقروا عن آخرهم^١.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يذكر الدينوري ملوك اليمن :

وزعموا أن الملوك الأربعة، الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولعن أختهم أبضعة، لما هموا بنقل الحجر الأسود إلى صنعاء ليقطعوا حد العرب عن البيت الحرام إلى صنعاء، وتوجهوا لذلك إلى مكة، فاجتمعت كنانة إلى فهر بن مالك ابن النضر، فلقبهم، فقاتلهم، فقتل ابن لفهر، يسمى الحارثة، لم يعقب؛ وقتل من الملوك الأربعة ثلاثة، وأسر الرابع، فلم يزل مأسوراً عند فهر بن مالك حتى مات.

وأما أبضعة، فهي التي يقال لها العنقفير، ملكت بعد إختها بأخبث سيرة، كان تتخير الرجل على عينها، فمن أعجبها دعتة إلى نفسها، فوقع بها، لا يقدر أحد أن ينكر عليها، وأنها أبصرت فتى من قيس، فأعجبها، فدعتة إلى نفسها، فوقع بها، فألقحها غلامين في بطن، فسمت أحدهما سهلاً، والآخر عوفاً؛ وفي ذلك يقول شاعر من شعراء قيس:

١ - أبو حنيفة الدينوري. الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر (القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، ١٩٦٠)، ص ٣.

وذي تومه في أذنه وضميرة

وسيم جميل لا يخيل مخايله

إذا ما رآته قيلة حميرية

تجر له حبل الشمس تُهزله

قالوا: وكان ذو الشنائر ملك عنس ويحاير، وكان عظيم الملك، كثير الجنود، وكان ملكه على عمان، والبحرين، واليمامة، وسواحل البحر^١.

وفي سياق شبيه بهذا يذكر أبو حنيفة الدينوري عمان أيضا قائلا:

قالوا: وكان ملك كيخسرو وملك أفريقيس بن أبرهة في عصر واحد، وإن أفريقيس تجهز يريد المغرب، حتى أوغل في أرض طنجة والأندلس، فرأى بلادًا واسعة، فابتنى هناك مدينة، وسماها إفريقية اشتق اسمها من اسمه، ونقل إليها سكانًا، وهي المدينة التي ينزلها اليوم سلطان ذلك البلد وعظماؤها، ثم انصرف إلى وطنه؛ وفي ذلك العصر نشأ معد بن عدنان، وفيه انقضى ولد إرم من جميع أرض العرب إلا بقايا من طسم وجديس، غبروا بعمان والبحرين واليمامة.

ولما مات إفريقيس بن أبرهة ملك ابنه ذو جيشان بن إفريقيس، فتجهز لغزو كيخسرو ملك فارس، وجمع جنوده، وسار حتى نزل بنجران، وكان بعمان والبحرين واليمامة بشر كثير من ولد طسم، وجديس، ابني إرم بن سام، وكانوا من العرب العاربة، وكان ملكهم رجلًا من طسم، يسمى عمليقًا، وكان جائرًا ظلوماً، وبلغ من عتوه أن أمر ألا تزف امرأة من جديس إلى زوجها إلا بدأوه بها، فمكتوا بذلك دهرًا طويلًا^٢.

ويرد ذكر عمان أيضا في هذا الكتاب حين يتحدث الدينوري عن فتح المسلمين للأبلة. يقول:

فسار عتبة بن غزوان حتى أتى مكان البصرة اليوم، ولم تكن هناك يومئذ إلا الخريبة، وكانت منازل خربة، وبها مسالح لكسرى تمنع العرب من العبث في تلك الناحية؛ فنزلها عتبة بن غزوان بأصحابه في الأخبية والقباب؛ ثم سار حتى نزل موضع البصرة، وهي إذ ذاك حجارة سود وحصى، وبذلك سميت البصرة، ثم سار حتى أتى الأبلة، فافتتحها عتوة، وكتب إلى عمر

١ - المصدر السابق، ص ٣٩ - ٤٠.

٢ - المصدر السابق، ص ١٤ - ١٥.

رضي الله عنه: أما بعد، فإن الله، وله الحمد، فتح علينا الأبله، وهي مرقى سفن البحر من عمان، والبحرين، وفارس، والهند، والصين، وأغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريم، وأنا كاتب إليك ببيان ذلك إن شاء الله!

تاريخ اليعقوبي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث اليعقوبي عن النبي نوح عليه السلام:

وقسم نوح الأرض بين ولده، فجعل لسام وسط الأرض، والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عُمان إلى البحرين إلى عالج وبيرين، ووبار والدّوّ والدهناء وجعل لحام أرض المغرب والسواحل فولد كوش ابن حام وكنعان بن حام النوبة والزنج والحبشة. ونزل يافث بن نوح ما بين المشرق والمغرب، فولد له جومر وتوبل وماش وماشج ومأجوج فولد جومر الصقالبة، وولد توبل برجان وولد ماش الترك والخزر وولد ماشج الأشبان وولد مأجوج يأجوج ومأجوج وهم في شرقي الأرض من جهة الترك وكانت منازل الصقالبة، وبرجان أرض الروم قبل أن يكون الروم فهؤلاء ولد يافث.

وعاش نوح، بعد خروجه من السفينة ثلاثمائة وستين سنة، ولما حضرت وفاة نوح اجتمع إليه بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وبنوهم فأوصاهم وأمرهم بعبادة الله تعالى وأمر ساماً أن يدخل السفينة إذا مات ولا يشعر به أحد فيستخرج جسد آدم ويذهب معه بمَلَكِيَزَدَق بن لمك بن سام فإن الله اختاره ليكون مع جسد آدم في وسط الأرض في المكان المقدس وقال له: يا سام إنك إذا خرجت أنت وملكيزدق بعث الله معكما ملكاً من الملائكة يدلكما على الطريق ويريكما وسط الأرض فلا تعلمن أحداً ما تصنع فإن هذا الأمر وصية آدم التي أوصى بها بنيه وأوصى بها بعضهم بعضاً حتى انتهى ذلك إليك فإذا بلغت المكان الذي يريكما الملك فضع فيه جسد آدم ثم مر ملكيزدق ألا يفارقه ولا يكون له عمل إلا عبادة الله سبحانه وتعالى وأمره أن لا ينكح امرأة ولا يبني بنياناً ولا يهريق دمًا ولا يلبس ثوباً إلا من جلود الوحش ولا يقص شعراً ولا ظفراً وليجلس وحده وليكثر حمد الله ثم مات في أيار يوم الأربعاء وكانت حياته تسعمائة سنة وخمسين كما حكى الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً!

١ - أحمد بن جعفر اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا (بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠)، ج١، ص ٤٠ - ٤١.

ويرد أيضا حين يتحدث اليعقوبي عن مالك بن فهم وهجرته إلى عمان:

وتفرقت الأزدي بيثرب، وكانت يثرب منازل اليهود، فنازعتهم، وغلبتهم اليهود بكثرتهم، وقهروهم، حتى كان الرجل من اليهود ليأتي منزل الأنصاري، فلا يمكنه دفعه عن أهله وماله، حتى دخل رجل منهم يقال له الفطيون إلى دار مالك بن العجلان، فوثب عليه، فقتله، ثم صار إلى بعض ملوك اليمن فشكا إليه ما يلقون من اليهود، فسار ذلك الملك إليهم بجيشه حتى قتل من اليهود مقتلة عظيمة، فصلحت حال الأوس والخزرج وغرس النخل، وأنشأوا المنازل. وسار باقي القوم يؤمون الشام، حتى صاروا إلى أرض السراة، فأقام أزد شنوءة بالسراة وما حولها، وخرج منهم قبائل إلى عُمان، فكان أول من صار منهم إلى عُمان: مالك بن فهم بن غنم ابن دؤس بن عدثان بن عبد الله بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وتزوج مالك بامرأة من عبد القيس، فولدت له عدة أولاد، فيقال إن أصغر ولده قتله إذ كان معه في إبل له، فقام مالك بن فهم يطوف في الإبل، فرفع رأسه، فتوهمه ابنه سارقاً، فرماه فقتله، وكان يقال لأمه سليمة، فيقال إن مالك ابن فهم قال:

أَعْلِمُهُ الرمايةَ كُلَّ يَوْمٍ

فلما اشتدَّ ساعده رمانِي

ثم لحق بعد مالك بن فهم جماعة من بطون الأزدي منهم: الربيعة وعمران بنو عمرو بن عدي ابن حارثة بن عمرو بن عامر، وهم: بارق، وغالب، ويشكر بن قيس بن صعب بن دهمان، وقوم من عامر، وقوم من حوالة بعمان، فلما صاروا بعُمان انتشروا بالبحرين وهَجَرُوا!

ويرد أيضا حين يتحدث اليعقوبي عن عامر بن لؤي ونزوله بعمان:

وكان للؤي من الولد: كعب، وعامر، وسامة، وخزيمة، وأمهم عائذة، وعوف والحارث، وجشم، وأمهم ماوية بنت كعب بن القين، وسعد بن لؤي، وأمهم يسرة بنت غالب بن الهون بن خزيمة، فأما سامة بن لؤي، فإنه هرب من أخيه عامر بن لؤي، وذلك أنه كان بينهما شر، فوثب سامة على عامر ففقا عينه، فأخافه عامر، فهرب منه، فصار إلى عُمان، فيقال إنه مر ذات يوم على ناقة له، فوضعت الناقة مشفرها في الأرض، فعلقها أفعى ونفضتها، فوقع على سامة، فنهشت الأفعى ساقه، فقتلته، فقال فيما يزعمون، حين أحس بالموت:

عَيْنِ فَابْكِي لِسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ
 عَلَّقْتُ مَا بِسَاقِهِ الْعَلَّاقَهُ
 لَمْ يَرَوْا مِثْلَ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ
 يَوْمَ حَلَّوْا بِهِ قَتِيلًا لِنَاقِهِ
 بَلَّغَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولًا
 أَتَى نَفْسِي إِلَيْهِمَا مُشْتَاقَهُ
 إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارِي فَإِنِّي
 مَا جِدُّ قَدْ خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ فَاقَهُ
 رَبِّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يَا بْنَ لُؤَيٍّ
 حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهُ
 زُمْتَ دَفْعَ الْخُتُوفِ يَا بْنَ لُؤَيٍّ
 مَا لِمَنْ رَامَ ذَلِكَ بِالْحَتْفِ طَاقَهُ

ويرد أيضا حين يتحدث اليعقوبي عن الخريت بن راشد الناجي:

ولما بلغ عليًا قتل محمد بن أبي بكر والأشتر جزع عليهما جزعًا شديدًا، وتفجع، وقال علي: على مثلك فلتبك البواكي يا مالك، وأنى مثل مالك؟ وذكر محمد بن أبي بكر، وتفجع عليه، وقال: إنه كان لي ولدا ولولدي وولد أخي أخا، وخرج الخريت بن راشد الناجي في جماعة من أصحابه، فجردوا السيوف بالكوفة، فقتلوا جماعة، وطلبهم الناس، فخرج الخريت وأصحابه من الكوفة، فجعلوا لا يمرون ببلد إلا انتهبوا بيت ماله حتى صاروا إلى سيف عُمان.

وكان علي قد وجه الحلو بن عوف الأزدي عاملا على عُمان فوثبت به بنو ناجية فقتلوه، وارتدوا عن الإسلام، فوجه علي معقل بن قيس الرياحي إلى البلد، فقتل الخريت بن راشد وأصحابه، وسبى بنو ناجية، فاشتراهم مصقلة ابن هبيرة الشيباني، وأنفذ بعض الثمن ثم هرب إلى معاوية، وأمر علي بهدم داره، وأنفذ عتق بن ناجية، وكانوا يدعون أنهم من ولد سامة ابن لؤي.^٢

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٥ - ٩٦.

ويرد أيضا حين يتحدث اليعقوبي عن أبي الذلفاء الشيباني:

وصار سليمان بن هشام بن عبد الملك ومن هرب من اليمانية من أصحاب يزيد ابن خالد بن عبد الله معهم، وسار سليمان بن هشام بن عبد الملك يريد الشام، فلقية مروان بخُصاف، فهزمه، ومضى سليمان، وأصحاب الضحاك عليهم الخييري، فسار في عسكر عظيم، فلقى مروان فقتله مروان، فولت الخوارج أمرها أبا الذلفاء الشيباني، فرجع بأصحابه إلى الموصل، واتبعه مروان، فقاتله شهراً، ثم انهزم أبو الذلفاء، فوجه مروان خلفه عامر بن ضبارة المري، فصار أبو الذلفاء إلى عمان، فقتل، قتله الجُلندي بن مسعود الأزدي، فخرج أبو عبدة خليفة الضحاك إلى الكوفة، فولى مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري العراق، فقدمها سنة ١٢٨، فقتل خليفة الضحاك، وخرج ثابت بن نعيم الجذامي بناحية الأردن، فوجه إليه مروان بالرماحس بن عبد العزيز، وولي عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك المدينة ومكة!

تاريخ الرسل والملوك

للطبري

مما ورد في تاريخ الطبري عن عمان حديثه عن العماليق ووجودهم فيها . ويروي هذا الحديث الموقوف :

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا ضَاقَتْ بَوْلِدُ نُوحٍ سُوقَ ثَمَانِينَ تَحَوَّلُوا إِلَى بَابِلَ فَبَنَوْهَا، وَهِيَ بَيْنَ الْفُرَاتِ وَالصَّرَاةِ وَكَانَتْ اثْنَيْ عَشَرَ فَرْسَخًا فِي اثْنَيْ عَشَرَ فَرْسَخًا، وَكَانَ بِأَيْهَا مَوْضِعَ دَوْرَانِ الْيَوْمِ فَوْقَ جِسْرِ الْكُوفَةِ يُسْرَةً إِذَا عَبَرْتَ، فَكَثُرُوا بِهَا حَتَّى بَلَغُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَرَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، فَتَنَحَّحَ لَأَوْدُ بْنُ سَامِ بْنِ نُوحٍ شَبَكَةَ ابْنَةِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ فَارِسَ وَجُرْجَانَ وَأَجْنَسَ فَارِسَ، وَوَلِدَ لِأَوْدَ مَعَ الْفَرَسِ طَسْمَ وَعَمَلِيْقَ، وَلَا أَذْرِي أَهْوُ لَأُمِّ الْفَرَسِ أُمَّ لَا، فَعَمَلِيْقُ أَبُو الْعَمَالِيْقِ كُلِّهِمْ أُمَّمٌ تَفَرَّقَتْ فِي الْبِلَادِ، وَكَانَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ، وَأَهْلُ عُمَانَ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ، وَأَهْلُ الشَّامِ، وَأَهْلُ مِصْرَ، مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ كَانَتْ الْجَبَابِرَةُ بِالشَّامِ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ الْكِنَعَانِيُّونَ، وَمِنْهُمْ كَانَتْ الْفَرَاعِنَةُ بِمِصْرَ، وَكَانَ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ، وَأَهْلُ عُمَانَ مِنْهُمْ أُمَّةٌ يُسْمَوْنَ جَاسِمَ، وَكَانُوا سَاكِنُوا الْمَدِينَةَ مِنْهُمْ بَنُو هَبِّ وَسَعْدِ بْنِ هَزَّانَ، وَبَنُو مَطَرٍ، وَبَنُو الْأَرْزِقِ، وَأَهْلُ نَجْدٍ مِنْهُمْ بُدَيْلٌ وَرَاحِلٌ وَغَفَارٌ، وَأَهْلُ تَيْمَاءَ مِنْهُمْ، وَكَانَ مَلِكُ الْحِجَازِ مِنْهُمْ بَيْتِمَاءَ اسْمُهُ الْأَرْقَمُ، وَكَانُوا سَاكِنِي نَجْدٍ مَعَ ذَلِكَ، وَكَانَ سَاكِنِي الطَّائِفِ بَنُو عَبْدِ بْنِ ضَنْحَمٍ، حَيٌّ مِنْ عَبْسِ الْأَوَّلِ. قَالَ: وَكَانَ بَنُو أُمَيْمِ بْنِ لَأَوْدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ أَهْلُ وَبَارِضِ الرَّمْلِ، رَمْلٌ عَلِيٌّ، وَكَانُوا قَدْ كَثُرُوا بِهَا وَرَبَّلُوا، فَأَصَابَتْهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَقْمَةٌ مِنْ مَعْصِيَةِ أَصَابُوهَا، فَهَلَكُوا وَبَقِيَتْ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ، وَهُمْ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ النَّسَنَاسُ.

قَالَ: وَكَانَ طَسْمُ بْنُ لَأَوْدَ سَاكِنَ الْيَمَامَةِ وَمَا حَوْلَهَا، قَدْ كَثُرُوا بِهَا وَرَبَّلُوا إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَكَانَتْ طَسْمُ وَالْعَمَالِيْقُ وَأُمَيْمٌ وَجَاسِمٌ قَوْمًا عَرَبًا، لِلسَّانِهُمُ الَّذِي جَبَلُوا عَلَيْهِ لِسَانَ عَرَبِيٍّ وَكَانَتْ فَارِسُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ بِبِلَادِ فَارِسَ، يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا اللَّسَانِ الْفَارِسِيِّ.

قَالَ: وَوَلَدَ إِرْمَ بْنَ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَوْصُ بْنُ إِرْمَ، وَعَاثِرُ بْنُ إِرْمَ، وَحَوِيلُ بْنُ إِرْمَ فَوَلَدَ عَوْصِ بْنِ إِرْمَ عَاثِرُ بْنُ عَوْصٍ، وَعَادُ بْنُ عَوْصٍ، وَعَبِيدُ بْنُ عَوْصٍ وَوَلَدَ عَاثِرِ بْنِ إِرْمَ ثُمُودُ بْنُ عَاثِرٍ، وَجُدَيْسُ بْنُ عَاثِرٍ وَكَانُوا قَوْمًا عَرَبًا يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا اللِّسَانِ الْمُصْرِيِّ، فَكَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ لِهَذِهِ الْأُمَّمِ: الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ، لِأَنَّهُ لِسَانُهُمُ الَّذِي جُيَلُوا عَلَيْهِ، وَيَقُولُونَ لِابْنِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ:

الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِ هَذِهِ الْأُمَّمِ حِينَ سَكَنُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

فَعَادُ وَثُمُودُ وَالْعَمَالِيقُ وَأَمِيمٌ وَجَاسِمٌ وَجُدَيْسٌ وَطَسَمٌ هُمُ الْعَرَبُ، فَكَانَتْ عَادُ بِهَذِهِ الرَّمْلِ إِلَى حَضْرٍ مَوْتِ وَالْيَمَنِ كُلِّهِ، وَكَانَتْ ثُمُودُ بِالْحَجَرِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ إِلَى وَادِي الْقُرَى وَمَا حَوْلَهُ، وَلَحِقَتْ جُدَيْسُ بِطَسَمٍ، فَكَانُوا مَعَهُمْ بِالْيَمَامَةِ وَمَا حَوْلَهَا إِلَى الْبَحْرَيْنِ، وَأَسْمُ الْيَمَامَةِ إِذْ ذَاكَ جَوْ، وَسَكَنْتْ جَاسِمُ عُمَانَ فَكَانُوا بِهَا!

ومما جاء في تاريخ الطبري أيضا عن عمان حديث الطبري عن المنطقة التي كان يحكمها النعمان بن المنذر:

وكان - فيما ذكر - بين كسرى أنو شروان وبين يخطيانوس ملك الروم، مودعة وهدنة، فوقع بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام، يقال له خالد بن جبلة، وبين رجل من لخم، كان ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب؛ يقال له المنذر بن النعمان - نائراً، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، وغنم أموالاً من أمواله. فشكا ذلك المنذر إلى كسرى، وسأله الكتاب إلى ملك الروم في إنصافه من خالد. فكتب كسرى إلى يخطيانوس، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح، ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب، ويسأله أن يأمر خالدًا أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده، ويدفع إليه دية من قتل من عربها. وينصف المنذر من خالد، وألا يستخف بما كتب به من ذلك، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه.

وواتر الكتب إلى يخطيانوس في إنصاف المنذر، فلم يحفل بها، فاستعد كسرى، فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل، فأخذ مدينة دارا، ومدينة الرها، ومدينة منبج، ومدينة قنشرين، ومدينة حلب، ومدينة أنطاكية - وكانت أفضل مدينة بالشام - ومدينة فامية،

١ - أبو جعفر الطبري. تاريخ الرسل والملوك، دون تحقيق (بيروت: دار التراث، ١٣٨٧ هـ)، ج ١، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

ومدينة حمص، ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن؛ عثوة، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض، وسبى أهل مدينة أنطاكية، ونقلهم إلى أرض السواد.

ويقول الطبري ذاكرة خروج عمرو بن العاص من عمان:

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَزَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ عَمَانَ - بعد وفاه رسول الله ص - بِقُرَّةِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ، وَحَوْلَهُ عَسْكَرٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ مِنْ أَفْئَانِهِمْ، فَدَبَّحَ لَهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، فَلَمَّا أَرَادَ الرِّحْلَةَ خَلَا بِهِ قُرَّةً، فَقَالَ: يَا هَذَا، إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَطِيبُ لَكُمْ نَفْسًا بِالْإِتَاوَةِ، فَإِنْ أَنْتُمْ أَغْفِيْتُمْوهَا مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِهَا فَسَتَسْمَعُ لَكُمْ وَتُطِيعُ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَا أَرَى أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَيْكُمْ فَقَالَ عَمْرُو: أَكْفَرْتَ يَا قُرَّةُ! وَحَوْلَهُ بَنُو عَامِرٍ، فَكَّرَ أَنْ يَبُوحَ بِمُتَابَعَتِهِمْ فَيَكْفُرُوا بِمُتَابَعَتِهِ، فَيَنْفِرَ فِي شَرِّ، فَقَالَ: لَنُرَدَّنَّكُمْ إِلَى فَيْتِكُمْ - وَكَانَ مِنْ أَمْرِه الْإِسْلَامُ - اجْعَلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدًا فَقَالَ عَمْرُو:

أَتَوْعِدُنَا بِالْعَرَبِ وَتُخَوِّفُنَا بِهَا! مَوْعِدِكَ حَفْشُ أَمَلِكِ، فَوَاللَّهِ لَأُوطِئَنَّ عَلَيْكَ الْخَيْلَ وَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَالْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرَهُمْ.^٢

ويتحدث الطبري عن ردة أهل عمان ومهرة قائلًا:

قال أبو جعفر: وقد اختلف في تاريخ حرب المسلمين، فقال محمد ابن إسحاق - فيما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ سلمة عنه: كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام في سنة اثنتي عشرة.

وأما أبو زيد فحدثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وأبي عبيدة بن مُحَمَّد بن أبي عبيدة وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء، بإسنادهم عن مشيختهم وغيرهم من علماء أهل الشام وأهل العراق، أن الفتوح في أهل الردة كلها كانت لخالد بن الوليد وغيره في سنة إحدى عشرة، إلا أمر ربيعة بن بجير، فإنه كان في سنة ثلاث عشرة.

وقصة ربيعة بن بجير التغلبي أن خالد بن الوليد - فيما ذكر في خبره هذا الذي ذكرت عنه -

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥٩.

بالمصيخ والحصيد، قام وهو في جمع من المرتدين فقاتله، وغنم وسبى، وأصاب ابنة لربيعة بن بجير، فسباها وبعث بالسبي إلى أبي بكر رحمه الله، فصارت ابنة ربيعة إلى علي بن أبي طالب. فأما أمر عمان فإنه كان- فيما كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيِّ بن يحيى يخبرني عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ سَهْلِ بنِ يَوْسُفٍ، عَنْ الْقَاسِمِ بنِ مُحَمَّدٍ والغصن بن القاسم وموسى الجليوسى عن ابن محيريز، قال: نبغ بعمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامي في الجاهلية الجلندي، وادعى بمثل ما ادعى به من كان نبيا، وغلب على عمان مرتدا، وألجأ جيفرا وعبادا إلى الاجبال والبحر، فبعث جيفر إلى أبي بكر يخبره بذلك، ويستجيشه عليه فبعث أبو بكر الصديق حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير، وعرفجة البارقي من الأزدي، حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة وأمرهما إذا اتفقا أن يجتمعا على من بعثا إليه، وأن يبتدئا بعمان، وحذيفة على عرفجة في وجهه، وعرفجة على حذيفة في وجهه.

فخرجا متساندين، وأمرهما أن يجدا السير حتى يقدموا عمان، فإذا كانا منها قريبا كاتبا جيفرا وعبادا، وعملا برأيهما فمضيا لما أمرا به، وقد كان أبو بكر بعث عكرمة إلى مسيلمة باليمامة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة، وسمى لهما اليمامة، وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة فبادر عكرمة شرحبيل، وطلب حظوة الظفر، فنكبه مسيلمة، فأحجم عن مسيلمة، وكتب إلى أبي بكر بالخبر، وأقام شرحبيل عليه حيث بلغه الخبر، وكتب أبو بكر إلى شرحبيل بن حسنة، أن أقم بأدنى اليمامة حتى يأتيك أمرى، وترك أن يمضيه لوجهه الذي وجهه له، وكتب إلى عكرمة يعنفه لتسرع، ويقول: لا أرينك ولا أسمع بك إلا بعد بلاء، والحق بعمان حتى تقاتل أهل عمان، وتعين حذيفة وعرفجة، وكل واحد منكم على خيله، وحذيفة ما دتم في عمله على الناس، فإذا فرغتم فامض إلى مهرة، ثم ليكن وجهك منها إلى اليمن، حتى تلاقي المهاجر ابن أبي أمية باليمن وبحضرموت، وأوطئ من بين عمان واليمن ممن ارتد، وليبلغني بلاؤك.

فمضى عكرمة في أثر عرفجة وحذيفة فيمن كان معه حتى لحق بهما قبل أن ينتهيا إلى عمان، وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ في السير معه أو المقام بعمان، فلما تلاحقوا- وكانوا قريبا من عمان بمكان يدعى رجاما- راسلوا جيفرا وعبادا وبلغ لقيطا مجيء الجيش، فجمع جموعه وعسكر بدبا، وخرج جيفر وعباد من موضعهما الذي كانا فيه، فعسكرا بصحار، وبعثا إلى حذيفة وعرفجة وعكرمة في القدوم عليهما، فقدموا عليهما بصحار، فاستبرءوا

ما يليهم حتى رضوا ممن يليهم، وكاتبوا رؤساء مع لقيط وبدءوا بسيد بني جديد، فكاتبهم وكاتبوه حتى ارفضوا عنه، ونهدوا إلى لقيط، فالتقوا على دبا، وقد جمع لقيط العيالات، فجعلهم وراء صفوفهم ليحاربهم، وليحافظوا على حرمهم-- ودبا هي مصر والسوق العظمى- فاقتتلوا دبا قتالا شديدا، وكاد لقيط يستعلي الناس، فبيناهم كذلك، وقد رأى المسلمون الخلل ورأى المشركون الظفر، جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجيه، وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان، وشواذب عمان من بني ناجية وعبد القيس، فقوى الله بهم أهل الإسلام، ووهن الله بهم أهل الشرك، فولى المشركون الأدبار، فقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبوهم حتى أثنخوا فيهم، وسبوا الذراري، وقسموا الأموال على المسلمين، وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة، ورأى عكرمة وحذيفة أن يقيم حذيفة بعمان حتى يوطئ الأمور، ويسكن الناس، وكان الخمس ثمانمائه رأس، وغنموا السوق بحذافيرها فسار عرفجة إلى أبي بكر بخمس السبي والمغانم، وأقام حذيفة لتسكين الناس، ودعا القبائل حول عمان إلى سكون ما أفاء الله على المسلمين، وشواذب عمان، ومضى عكرمة في الناس، وبدأ بمهرة، وقال في ذلك عباد الناجي:

لعمرى لقد لاقى لقيط بن مالك

من الشر ما أخزى وجوه الثعالب

وبادى أبا بكر ومن هل فارتمى

خليجان من تياره المتراكب

ولم تنه الأولى ولم ينكأ العدا

فألوت عليه خيله بالجنائب

ولما فرغ عكرمة وعرفجة وحذيفة من ردة عمان، خرج عكرمة في جنده نحو مهرة، واستنصر من حول عمان وأهل عمان، وسار حتى يأتي مهرة، ومعه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس وراسب وسعد من بني تميم بشر، حتى اقتحم على مهرة بلادها، فوافق بها جمعين من مهرة: أما أحدهما فبمكان من أرض مهرة يقال له:

جيروت، وقد امتلأ ذلك الحيز إلى نضدون- قاعين من قيعان مهرة- عليهم شخريت، رجل من بني شخراة، وأما الآخر فبالنجد، وقد انقادت مهرة جميعا لصاحب هذا الجمع، عليهم

المصبح، أحد بني محارب والناس كلهم معه، إلا ما كان من شخريت، فكانا مختلفين، كل واحد من الرئيسين يدعو الآخر إلى نفسه، وكل واحد من الجندين يشتهي أن يكون الفلج لرئيسهم، وكان ذلك مما أعان الله به المسلمين وقواهم على عدوهم، ووهنهم.

ولما رأى عكرمة قلة من مع شخريت دعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، فكان لأول الدعاء، فأجابه ووهن الله بذلك المصبح ثم أرسل إلى المصبح يدعوه إلى الإسلام والرجوع عن الكفر، فاغتر بكثرة من معه، وازداد مباحدة لمكان شخريت، فسار إليه عكرمة، وسار معه شخريت، فالتقوا هم والمصبح بالنجد، فاقتتلوا أشد من قتال دبا.

ثم إن الله كشف جنود المرتدين، وقتل رئيسهم، وركبهم المسلمون فقتلوا منهم ما شاءوا، وأصابوا ما شاءوا، وأصابوا فيما أصابوا ألفي نجبية، فخمس عكرمة الفيء، فبعث بالأخماس مع شخريت إلى أبي بكر، وقسم الأربعة الأخماس على المسلمين، وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع والأداة، وأقام عكرمة حتى جمعهم على الذي يحب، وجمع أهل النجد، أهل رياض الروضة، وأهل الساحل، وأهل الجزائر، وأهل المر واللبان وأهل جيروت، وظهور الشحر والصبرات، وينعب، وذات الخيم، فبايعوا على الإسلام، فكتب بذلك مع البشير - وهو السائب أحد بني عابد من مخزوم - فقدم على أبي بكر بالفتح، وقدم شخريت بعده بالأخماس، وقال في ذلك علجوم المحاربي:

جزى الله شخريتا وأفناء هيشم

وفرضم إذ سارت إلينا الحلائب

جزاء مسيء لم يراقب لذمة

ولم يرجها فيما يرجى الأقارب

أعكرم لولا جمع قومي وفعالهم

لضاقت عليك بالفضاء المذاهب

وكنا كمن اقتاد كفا بأختها

وحلت علينا في الدهور النوائب^١

١ - المصدر السابق، ج ٣، ٢١٣ - ٢١٨.

ويذكر الطبري عمان حين يتحدث عن عزل أبي بكر خالد بن سعيد سنة ثلاث عشرة للهجرة:

كَتَبَ إِلَيَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي إسحاق الشيباني، عن أبي صفية التيمي، تيم بن شيبان، وطلحة عن المغيرة، ومحمد عن أبي عثمان، قالوا: أمر أبو بكر خالدًا بأن ينزل تيماء، ففصل رداء حتى ينزل بتيماء، وقد أمره أبو بكر ألا يبرحها، وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه، وألا يقبل إلا ممن لم يزد، ولا يقابل إلا من قاتله، حتى يأتيه أمره فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة، وبلغ الروم عظم ذلك العسكر، فصرّبوا على العرب الصحابة البعوث بالشام إليهم، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، وبنزول من استنقرت الروم، ونفر إليهم من بهراء وكلب وسليح وتبوخ ولخم وجدام وعسان من دون ريزاء بثلاث، فكتب إليه أبو بكر: أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله، فسار إليهم خالد، فلما دنا منهم تفرقوا وأغروا منزلهم، فنزله ودخل عامة من كان تجتمع له في الإسلام، وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك، فكتب إليه أبو بكر: أقدم ولا تقتحم حتى لا تؤتى من خلفك فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به من طرف الرمل، حتى نزلوا فيما بين أبل وزيزاء والقسطل، فسار إليه بطريق من بطارقة الروم، يدعى باهان، فهزمه وقتل جنده، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمده وقد قدم على أبي بكر أوائل مستنصري اليمن ومن بين مكة واليمن، وفيهم ذو الكلاع، وقد قدم إليه عكرمة قافلاً وغازياً فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو.

فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصداقات أن يبدلوا من استبدل، فكلهم استبدل، فسوي ذلك الجيش جيش البدال فقدموا على خالد بن سعيد، وعند ذلك احتاج أبو بكر للشام، وعناه أمره وقد كان أبو بكر ردد عمرو بن العاص على عماله كان رسول الله ص ولاها إياه من صدقات سعد هذيم، وعذرة ومن لفها من جدام، وحسد قبل ذهابه إلى عمان فخرج إلى عمان وهو على عدة من عمله، إذا هو رجع فأنجز له ذلك أبو بكر!

ومما ذكره الطبري في تاريخه عن عمان قوله:

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية وعن سفيان الأحمري، عن المجالد، عن الشعبي، قال: قال عمرو حين استجم جمع بجيلة: اتخذونا طريقاً، فخرج سراوات بجيلة ووفدهم نحو، وخلفوا الجمهور، فقال: أي الوجوه أحب إليكم؟ قالوا: الشام فإن أسلافنا بها،

فَقَالَ: بِلِ الْعِرَاقِ، فَإِنَّ الشَّامَ فِي كِفَايَةِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ، وَيَأْبُونَ عَلَيْهِ حَتَّى عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ، وَجَعَلَ لَهُمْ رُبْعَ حُمْسٍ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَى نَصِيهِهِمْ مِنَ الْفِيءِ، فَاسْتَعْمَلَ عَزْفَجَةَ عَلَى مَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى جَدِيلَةٍ مِنْ بَجِيلَةَ، وَجَرِيْرًا عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَلَاهَ قِتَالَ أَهْلِ عُمَانَ فِي نَفَرٍ، وَأَقْفَلَهُ حِينَ غَزَا فِي الْبَحْرِ، فَوَلَاهُ عُمُرَ عَظَمَ بَجِيلَةَ، وَقَالَ: اسْمَعُوا لِهَذَا!

ويرد ذكر عمان في تاريخ الطبري حين يتحدث عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيِّ، عَنْ شَعِيبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالَا:

وَلَمَّا رَجَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى عَلِيٍّ بِالْحَبَرِ دَعَا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَأَرْسَلَهُ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، فَقَالَ لَهُ: انْطَلِقْ فَأَصْلِحْ مَا أَفْسَدْتَ، فَأَقْبَلَا حَتَّى دَخَلَا الْمَسْجِدَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَتَاهُمَا مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، وَأَقْبَلَ عَلَى عَمَّارٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانَ، عَلَامَ قَتَلْتُمْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قَالَ: عَلَى شَيْءٍ أَغْرَضْنَا وَضَرَبَ أَبْشَارَنَا! فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَاقَبْتُمْ بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَيْسَ صَبَرْتُمْ لَكَانَ خَيْرًا لِلصَّابِرِينَ فَخَرَجَ أَبُو مُوسَى، فَلَقِيَ الْحَسَنَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى عَمَّارٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانَ، أَعَدُّوتَ فِيمَنْ عَدَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَحْلَلْتَ نَفْسَكَ مَعَ الْفُجَّارِ! فَقَالَ: لِمَ أَفْعَلُ، وَلِمَ تَسْوُونِي؟ وَقَطَعَ عَلَيْهِمَا الْحَسَنُ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، لِمَ تُتَبِّطُ النَّاسَ عَنَّا! فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَلَا مِثْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَخَافُ عَلَى شَيْءٍ فَقَالَ: صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! وَلَكِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّابِكِ، قَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِخْوَانًا، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا أَمْوَالَنَا وَدِمَاءَنَا، وَقَالَ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ"، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ".

فغضب عمار وساءه وقام وقال: يا ايها الناس، إنما قال له خاصة: أنت فيها قاعدًا خير منك قائمًا وقام رجل من بني تميم، فقال لعمار: اسكت أيها العبد، أنت أمس مع العوغاء واليوم تسافه أميرنا، وتار زيد بن صوحان وطبقته وتار الناس، وجعل أبو موسى يكفكف الناس، ثم انطلق حتى أتى المنبر، وسكن الناس، وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعاه الكتابان من عائشة رضي الله عنها إليه وإلى أهل الكوفة، وقد كان طلب كتاب العامة فضمه

إِلَى كِتَابِهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَمَعَهُ كِتَابُ الْخَاصَّةِ وَكِتَابُ الْعَامَّةِ: أَمَا بَعْدُ، فَتَبَطُّوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاجْلِسُوا فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا عَن قِتْلَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْكِتَابِ قَالَ: أَمَرْتُ بِأَمْرٍ وَأَمَرْنَا بِأَمْرٍ، أَمَرْتُ أَنْ تَقَرَّ فِي بَيْتِهَا، وَأَمَرْنَا أَنْ نُقَاتِلَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً، فَأَمَرْتُنَا بِمَا أَمَرْتُ بِهِ وَرَكِبْتُ مَا أَمَرْنَا بِهِ فَقَامَ إِلَيْهِ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ فَقَالَ: يَا عُمَانِيُّ- وَزَيْدٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عُمَانَ وَكَيْسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ- سَرَفْتَ بِجُلُولَاءِ فَقَطَعَكَ اللَّهُ، وَعَصَيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَتَلَكَ اللَّهُ! مَا أَمَرْتُ إِلَّا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، فَقُلْتُ: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَتَهَاوَى النَّاسُ!

ومما ذكره الطبري عن عمان قوله متحدثاً عن عمرو بن العاص:

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ص قَدْ بَعَثَ عَمْرًا إِلَى عُمَانَ، فَسَمِعَ هُنَالِكَ مِنْ حَبْرٍ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَى مُصَدَّاقَهُ وَهُوَ هُنَاكَ أَرْسَلَ إِلَيَّ ذَلِكَ الْحَبْرَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرَنِي مِنْ يَكُونُ بَعْدَهُ؟ قَالَ: الَّذِي كَتَبَ إِلَيْكَ يَكُونُ بَعْدَهُ، وَمُدَّتَهُ قَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِثْلَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ، قَالَ: فَمَا مُدَّتُهُ؟ قَالَ: طَوِيلَةً، ثُمَّ يَقْتُلُ قَالَ: غِيْلَهُ أَمْ عَنْ مَلَا؟ قَالَ: غِيْلَةً، قَالَ: فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟

قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِثْلَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ، قَالَ: فَمَا مُدَّتُهُ؟ قَالَ: طَوِيلَةً، ثُمَّ يَقْتُلُ، قَالَ: أَغِيْلَةً أَمْ عَنْ مَلَا؟ قَالَ: عَنْ مَلَا قَالَ: ذَلِكَ أَشَدُّ، فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يَنْتَشِرُ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَتَكُونُ عَلَى رَأْسِهِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ يَقْتُلُ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ، قَالَ: أَغِيْلَةً أَمْ عَنْ مَلَا؟ قَالَ: غِيْلَةً، ثُمَّ لَا يَرُونَ مِثْلَهُ قَالَ: فَمَنْ يَلِي بَعْدَهُ؟ قَالَ: أَمِيرُ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَيَطُولُ مُلْكُهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ تِلْكَ الْفِرْقَةِ وَذَلِكَ الْإِنْتِشَارَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَمُوتُ^٢.

ومما ذكره الطبري عن عمان قوله متحدثاً عن قننة عبد الله بن خازم وبيعة سلم بن زياد:

قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ الْأَزْدِيُّ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: لَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ بِخُرَاسَانَ وَنَكثُوا بِيَعَةَ سَلْمٍ، خَرَجَ سَلْمٌ عَنْ خُرَاسَانَ وَخَلَفَ عَلَيْهَا الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ، فَلَمَّا كَانَ بِسَرْخَسٍ لَقِيَهُ سُلَيْمَانَ بْنُ مَرْتَدٍ أَحَدِ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ خَلَفْتَ عَلَى خُرَاسَانَ؟ قَالَ: الْمَهْلَبُ،

١ - المصدر السابق، ج٤، ص٤٨٢-٤٨٣

٢ - المصدر السابق، ج٤، ص٥٥٩-٥٦٠.

فَقَالَ: ضاقت عَلَيْكَ نزار حَتَّى وليت رجلا من أهل اليمن! فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان، وولى أوس بن ثعلبة بن زفر- وَهُوَ صاحب قصر أوس بِالْبَصْرَةِ- هراة، ومضى فلما صار بنيسابور لقيه عَبْدُ اللَّهِ بن خازم فَقَالَ: من وليت خُرَاسَانَ؟ فأخبره، فَقَالَ: أما وجدت في مضر رجلا تستعمله حَتَّى فرقت خُرَاسَانَ بين بكر بن وائل ومَرْوَانَ عُمَانَ! وَقَالَ لَهُ: اكتب لي عهدا عَلَى خُرَاسَانَ، قَالَ: أوالي خُرَاسَانَ أَنَا! قَالَ: اكتب لي عهدا وخلاك ذم!

ومما رواه الطبري وفيه ذكر لعمان حديثه عن حرب المهلب بن أبي صفرة للخوارج، وانضمام سرية إلى جيشه عداها ثلاثة آلاف مقاتل من العمانيين:

وخرجت الخوارج على ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكري، وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز، وجاءوا وهم أحسن عدة، وأكْرَمُ خيولاً، وأكثرُ سلاحاً من أهل البصرة؛ وذلك لأنهم منحروا الأرض وجردوها، وأكلوا ما بين كِرمان إلى الأهواز، فجاءوا عليهم مغافر تضرب إلى صدورهم، وعليهم دروعٌ يسحبونها، وسَوْقٌ من زرد يشدونها بكلايب الحديد إلى مناطقهم، فالتقى الناس فاقتتلوا كأشد القتال، فصبر بعضهم عامة النهار. ثم إن الخوارج شددت على الناس بأجمعها شدةً منكرة، فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين لا تلوي أمٌّ على ولد حتى بلغ البصرة هزيمة الناس، وخافوا السباء، وأسرع المهلب حتى سبقهم إلى مكان يفاع في جانب عن سَنَنِ المنهزمين.

ثم إنه نادى الناس: إلی إلی عبادَ اللَّهِ، فتأب إليه جماعةٌ من قومه، وثابت إليه سرية عُمان فاجتمع إليه منهم نحوٌ من ثلاثة آلاف، فلما نظر إلى من قد اجتمع رضي جماعتهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فينهزمون، ويُنزَلُ النصر على الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري ما بكم الآن من قلة، إني لجماعتكم لراضٍ؛ وإنكم لأنتم أهل الصبر، وفرسان أهل المصر، وما أجْبُ أَنْ أَحَدًا ممن انهزم معكم، فإنهم لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خيالاً. عزمت على كل امرئٍ منكم لما أخذ عشرة أحجار معه، ثم امشوا بنا نحو عسكرهم، فإنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانكم؛ فوالله إني لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم، وتقتلوا أميرهم. ففعلوا، ثم أقبل بهم راجعاً، فلا والله ما شعرت الخوارج إلا بالمهلب يضار بهم بالمسلمين في جانب عسكرهم. ثم استقبلوا عُبيدَ اللَّهِ بن الماحوز وأصحابه، وعليهم الدروع والسلاح كاملاً، فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل

الرجل منهم، فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يُثخنه، ثم يطعنه بعد ذلك برمحه، أو يضربه بسيفه، فلم يقاتلهم إلا ساعة حتى قتل عبيد الله ابن الماحوز، وضرب الله وجوه أصحابه؛ وأخذ المهلب عسكر القوم وما فيه، وقتل الأزارقة قتلاً ذريعاً، وأقبل من كان في طلب أهل البصرة منهم راجعاً؛ وقد وضع لهم المهلب خيلاً ورجالاً في الطريق تختطفهم وتقتلهم، فانكفؤوا راجعين مفلولين، مقتولين محروبين، مغلوبين؛ فارتفعوا إلى كرمان وجانب أصفهان، وأقام المهلب بالأهواز، ففي ذلك اليوم يقول الصلتان العبدى:

بِسْلَى وَسِلْيَى مَصَارِعُ فُثَيْةٍ

كِرَامٍ وَقَتْلَى لَمْ تُوسِدْ خُدُودَهَا

وانصرفت الخوارج حين انصرفت؛ وإن أصحاب النيران الخمس والست ليجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلة العدد، حتى جاءتهم مادة لهم من قبل البحرين، فخرجوا نحو كرمان وأصفهان؛ فأقام المهلب بالأهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مصعب البصرة، وعزل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عنها!

ومما ذكره الطبري عن عمان حديثه عن غزو خازم بن خزيمة لعمان سنة أربع

وثلاثين ومائة؛

وفي هذه السنة شخص خازم بن خزيمة إلى عمان، فأوقع بمن فيها من الخوارج، وغلب عليها وعلى ما قرب منها من البلدان وقتل شييان الخارجي.

ذكر الخبر عما كان منه هنالك: ذكر أن خازم بن خزيمة شخص في السبعمئة الذين ضمهم إليه أبو العباس، وانتخب من أهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال من أهل مرو الروذ، قد عرفهم ووثق بهم، فسار إلى البصرة، فحملهم سليمان بن علي، وانضم إلى خازم بالبصرة عدة من بني تميم، فساروا حتى أرسوا بجزيرة ابن كاوان، فوجه خازم نضلة بن نعيم النهشلي في خمسمائة رجل من أصحابه إلى شييان، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فركب شييان وأصحابه السفن، فقطعوا إلى عُمان- وهم صفرية- فلما صاروا إلى عُمان نصب لهم الجلندى وأصحابه- وهم إباضية- فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل شييان ومن معه، ثم سار خازم في البحر بمن معه، حتى أرسوا إلى ساحل عُمان، فخرجوا إلى صحراء، فلقبهم الجلندى وأصحابه، فاقتتلوا قتالاً

١ - المصدر السابق، ج٦، ص٦١٨-٦١٩.

شديداً، وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم، وهم يومئذ على ضفة البحر، وقتل فيمن قتل أخ لخازم لأنه يقال له إسماعيل، في تسعين رجلاً من أهل مرو الروذ، ثم تلاقوا في اليوم الثاني، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وعلى ميمنته رجل من أهل مرو الروذ، يقال له حميد الورتكاني، وعلى ميسرته رجل من أهل مرو الروذ يقال له مسلم الأرعدي، وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشلي، فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة رجل، وأحرقوا منهم نحواً من تسعين رجلاً ثم التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم على رأي أشار به عليه رجل من أهل الصغد، وقع بتلك البلاد، فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاققة ويرووها بالنفط، ويشعلوا فيها النيران، ثم يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجلندی.

وكانت من خشب وخلاف، فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم شد عليهم خازم وأصحابه، فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم، وقتل الجلندی فيمن قتل، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف، وبعث خازم برءوسهم إلى البصرة، فمكثت بالبصرة أياماً، ثم بعث بها إلى أبي العباس، وأقام خازم بعد ذلك أشهراً، حتى أتاه كتاب أبي العباس باقفاله فقفلوا!

ويقول الطبري عن عمان في أحداث سنة تسع وثمانين ومائة:

وفي هذه السنة ولى هارون عبد الله بن مالك طبرستان والري والرويان ودنباوند وقومس وهمذان وقال أبو العتاهية في خروجه هارون هذه- وكان هارون ولد بالري:

إن أمين الله في خلقه

حن به البر إلى مولده

ليصلح الري وأقطارها

ويمطر الخير بها من يده

وولى هارون في طريقه محمد بن الجنيد الطريق ما بين همذان والري، وولى عيسى بن جعفر بن سليمان عُمان، فقطع البحر من ناحية جزيرة ابن كاوان، فاقتح حصناً بها وحاصر آخر، فهجم عليه ابن مخلد الأزدي وهو غار، فأسره وحمله إلى عُمان في ذي الحجة، وانصرف

الرشيد بعد ارتحال علي بن عيسى إلى خراسان عن الري بأيام، فأدركه الأضحى بقصر اللصوص، فضحى بها، ودخل مدينة السلام يوم الاثنين، لليلتين بقيتا من ذي الحجة، فلما مر بالجسر أمر بإحراق جثة جعفر بن يحيى، وطوى بغداد ولم ينزلها، ومضى من فوره متوجها إلى الرقة، فنزل السيلحين وذكر عن بعض قواد الرشيد أن الرشيد قال لما ورد بغداد: والله إني لأطوي مدينة ما وضعت بشرق ولا غرب مدينة أيمن ولا أيسر منها، وإنها لوطني ووطن آبائي، ودار مملكة بني العباس ما بقوا وحافظوا عليها، وما رأى أحد من آبائي سوءا ولا نكبة منها، ولا سيء بها أحد منهم قط، ولنعم الدار هي! ولكني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى والحب لشجرة اللعنة- بني أمية- مع ما فيها من المارقة والمتلصصة ومخيفي السبيل، ولولا ذلك ما فارقت بغداد ما حييت ولا خرجت عنها أبدا!

ويورد الطبري ذكر عمان في أحداث سنة خمس وخمسين وثلاثمائة:

وقدم أبو الفرج بن فسانحس من عُمان، فقال ابن نباته يمدحه بقصيده طويلة منها:

لعمري لقد أهدى النصيحة مرة

لآل عُمان خير حافٍ وناعلٍ

وناشدهم بالله حتى تقطعت

عرى القول وانحلت عقود الوسائل

فلما رأهم لا تثوب حلومهم

رماهم بأمثال القسي العواطل

فركب أغصان المنية فيهم

وراء الأعالي ظامئات الأسافل

سريت لهم ليلا تحول نجومه

وهمك في أعجازه غير حائل

كأنك إذ جردت رأيت فيهم

طلعت عليهم بالقنا والقنابل

دنا الحق حتى ناله كل طالب
وكان بعيدا من يد المتناول
وأصبح شمل الناس بعد تبدد
ينظم في سلك من الحق عادل^١

١ - المصدر السابق، ج ١١، ص ٤٠٦.

صفة جزيرة العرب للهمداني

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يصف الهمداني اليمن:

سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب، ويفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عُمان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهُجيرة وتثليت وأنهار جرش وكتنة، منحدرًا في السراة على شعف عنز، إلى تهامة على أم جحدم، إلى البحر حذاء جبل يقال له كدُمُل، بالقرب من حمضة، وذلك حد ما بين بلد كنانة واليمن من بطن تهامة، وأول إحاطة البحر باليمن من ناحية دما فطنوى فالجمجة فرأس الفرتك فأطراف جبال اليحمد وما سقط وانقاد منها إلى ناحية الشَّحر فالشَّحر فغَبَّ الخيس فغَبَّ الغيث بطن من مهرة فغَبَّ القمر زنة قمر السماء فغَبَّ العقار بطن من مهرة فالخيرج فالأسعاء، وفي المنتصف من هذا الساحل شرقاً بين عُمان وعدن ريسوت، وهو موئل كالقلعة بل قلعة مبنية بنياناً على جبل، والبحر محيط بها إلا من جانب واحد فالبر، فمن أراد عدن فطريقه عليها فإن أراد أن يدخل دخل وإن أراد جاز الطريق ولم يلو عليها. وبين الطريق الذي يفرق إليها والطريق المسلوك إلى عُمان مقدار ميل، وبها سكن من الأزد من بني جديد وقد كان قوم من القمر في أول عصرنا يبتئوا من بها ليلاً فقتلوا، فممن قتل بها رجل يقال له: عمرو بن يوسف الجديدي من رؤوس أهلها أزدى، والذين أبلوا ذاك من القمر بنو خنزريت وأخرجوا من بقي من أهلها منها فتفرقوا إلى بلاد الغيث من مهرة فسكنوا موضعاً يقال له حاسك ومرباط مدة ثم أعانتهم الثغرا من مهرة حتى رجعوا إلى قلعتهم، فلما دخلوا القلعة بعون الثغرا خافت بنو خنزريت فخرجوا إلى البلدان وخرج رئيسهم محمد بن خالد بجماعة من بني خنزريت حتى دخلوا موضعاً يقال له رُضاع برفع الرء وساكته بنو ريام بطن من القمر فجاوروههم، ولبنى ريام حصن بعُمان عظيم لا يرام، ويقال إن ساكن

ريسوت القدماء البياسرة، ونزلت عليهم جُدَيْد من الأزْد فترأست فيهم ثم نهكتها مع جديد ناس من أحياء العرب غير مهرة وقد يتزوجون إلى مهرة، ورأس من بها بعد ذلك موسى بن ربيع من العدس، ثم ينعطف البحر على اليمن مغرباً وشمالاً من عدن فيمر بساحل لحج وأبين وكثيب يرامس وهو رباط وسواحل بني مجيد من المندب فساحل العميرة فالعارة فإلى غلافقة ساحل زبيد فكمران فعطينة فالحدرة إلى منفهق جابر وهو رأس غزير كثير الرياح حديدها، إلى الشَّرْجة ساحل بلد حكم فباحة جازان إلى عَثْر فرأس عَثْر، وهو كثير الموج إلى ساحل حمضة، فهذا ما يحيط باليمن من البحر!

ويرد ذكر عمان أيضا في هذا الكتاب حين يصف الهمداني محنة خروج الأزْد من اليمن بعد انهيار السد وتفرقهم في عمان وغيرها من بلاد العرب، مستشهدا على ذلك بقصائد من أشعارهم:

ومن ذلك قول بعض آل أسعد بن ملكيكرب تبع منازل من خرج من اليمن في سائر جزيرة العرب وغيرها:

وقد فارقت منها ملوك بلادها
فصاروا بأرض ذات مبدى ومحضر
وقد نزلت منا خزاعة منزلا
كريمًا لدى البيت العتيق المستر
وفي يثرب منا قبائل إن دُعوا
أتوا سرِّبًا من دارعين وحسر
هم طردوا عنها اليهود فأصبحوا
على معزل منها بساحة خبير
وغَسَّان حيِّ عزهم في سيوفهم
كرام المساعي قد حووا أرض قيصر

١ - الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني. صفة جزيرة العرب، تحقيق: ماركس جوزيف مولر (اليدن: مطبعة برييل، ١٨٨٤)، ج١، ص ٥١ - ٥٢.

وقد نزلت منا قضاة منزلاً
بعيداً فأمست في بلاد الصنوبر
وكلب لها ما بين رملة عالج
إلى الحرة الرجاء من أرض تدمر
ولخم فكانت بالعراق ملوكها
وقد طرحت عدنان في كل مطحر
وحلت جذام حيث حلت وشاركت
هنالك لخما في العلا والتجبر
وأزد لها البحرات والسيف كله
وأرض عمان بعد أرض المشقر
ومنا بأرض الغرب جند تعلقوا
إلى بربر حتى أتوا أرض بربر
وقال عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي في كلمته التي يذكر فيها افتراق الأزد:
ودون لقاءها وادي عُمان
ونجران ومهيع نجد هاد
وقد جاوزتها ترجو رجاء
فرحت من الرجاء بغير زاد
وقد تدنو وتوصل من يداني
وتبعد من يحط إلى البعاد
وما طرب اللهيف إلى الغواني
على عقب المشيب من السداد

ألا من مبلغ عني رسولا

مغلغلة تحت إلى مراد

وعسّات الذين هم استتبوا

قبائلهم بأطراف البلاد

وحيا منهم نزلوا عُمَانًا

أراهم لم يهْمُوا بارتداد

فسيروا نحو قومكم جميعًا

ولا تناؤا سواهم في الأعادي

فإنكم خيار الناس قدما

وأجلدهم رجالًا بعد عادٍ

وأكثرهم شبابًا في كهول

كأسد تبالة الشهب الورد

أبعد الحيّ عمران بن عمرو

وبعد الأكرمين بني زيادٍ

وبعد شنوءة الأبطال أضحت

بيوتهم ترفّع بالعمادٍ

ولما خرج عمرو مزيقياء بن عامر السماء وهو مالك بن اليمان من مأرب في جماعة الأزد وظهرها إلى مخلاف خولان وأرض عنس وحقل صنعاء فأقبلوا لا يمرون بماء إلا نزفوه ولا بكلاً إلا سحقوه لما فيهم من العدد والعدد والخيل والإبل والشاء والبقر وغيرها من أجناس السّوام وفي ذلك تضرب لهم الرّواد في البلاد تلتمس لهم الماء والمرعى، وكان من روادهم رجل من بني عمرو بن العوث خرج لهم رائدًا إلى بلاد إخوتهم همدان فرأى بلادًا لا تقوم مراعيها بأهلها وبهم فأقبل آبًا حتى وافاهم وقام فيهم منشدًا لهذه الأبيات:

ألما تعجبوا منا ومما
تعسفنا به ريبُ الليالي
تركنا ماربًا وبه نشأنا
وقد كنا بها في حسن حال
نقيل سزُوحنا في كل يوم
على الأشجار والماء الزُّلال
وكنا نحن نسكرن جنَّتِها
ملوكًا في الحدائق والظلال

ثم أنهم أقاموا بأزال وجانب بلد همدان في جوار ملك حمير في ذلك العصر حتى
استحجرت خيلهم ونعمهم وماشيتهم وصلح لهم طلوع الجبال فطلعوها من ناحية سهام ورمع
وهبطوا منها على ذوال وغلبوا غافقًا عليها وأقاموا بتهامة ما أقاموا حتى وقعت الفرقة بينهم وبين
كافة عك فساروا إلى الحجاز فرقا فصار كل فخذ منهم إلى بلد فمنهم من نزل السَّروات ومنهم
من تخلف بمكة وما حولها ومنهم من خرج إلى العراق ومنهم من سار إلى الشام ومنهم من رمى
قصد عُمان واليمامة والبحرين ففي ذلك يقول جماعة البارقي:

حَلَّت الأزد بعد ماربها الغو
رَ فأرضَ الحجاز فالسَّرواتِ
ومضت منهم كتائب صدقِ
منجداتٍ تخوض عرض الفلاةِ
فأتت ساحة اليمامة بالأظ
مان والخيل والقنا والرُّماةِ
فأنافت على سيوفٍ لطسمِ
وجديس لدى العظام الرُّفاتِ

واتلأبت تؤم قافية البح
رين بالخور بين أيدي الرعاة
فأقرت قرارها بعُمان
فُعُمان محلُّ تلك الحُماة

المسالك والممالك

للاصطخري

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يصف الاصطخري بلاد العرب:

وأما بلاد مهرة فإن قصبته تسمى الشحر، وهي بلاد قفرة ألسنتهم مستعجمة جدا، لا يكاد يوقف عليها، وليس ببلادهم نخيل ولا زرع، وإنما أموالهم الأبل، وبها نجب من الأبل تفضل في السير على سائر النجب، واللبن الذي يحمل إلى الآفاق من هناك؛ وديارهم مفترشة، وبلادهم بواد نائية، ويقال أنها من عُمان. وعُمان مستقلة بأهلها، وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرمية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك، وقصبته صحار وهي على البحر، وبها متاجر البحر وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعُمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار، وبها مدن كثيرة، وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلثمائة فرسخ، وكان الغالب عليها الشراة، إلا أن وقع بينهم وبين طائفة من بني سامة ابن لؤي "وهم من كبراء تلك النواحي" حروب، فخرج منهم رجل يعرف بمحمد بن القاسم السامي إلى المعتضد فاستنجده، فبعث معه بابين ثور ففتح عمان للمعتضد، وأقام بها الخطبة له، وانحاز الشراة إلى ناحية لهم تعرف بنزوة، وإلى يومنا هذا بها إمامهم وبقية مالهم وجماعتهم؛ وعمان بلاد حارة جدا، وبلغني أن بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج دقيق، ولم أر أحدا شاهد ذلك إلا بالإبلاغ، وبأرض سبأ من اليمن طوائف من حمير وكذلك بأرض حضرموت. وأما ديار همدان وأشعر وكندة وخولان فإنها مفترشة في أعراض اليمن، وفي أضعافها مخاليف وزروع، وبها بواد وقرى تشتمل على بعض تهامة وبعض نجد اليمن من شرقي تهامة، وهي قليلة الجبال مستوية البقاع؛ ونجد اليمن غير نجد الحجاز، غير أن جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمالي نجد اليمن، وبين البحرين وبين عمان برية ممتنعة؛ وباليمن قرود كثيرة، بلغني أنها تكثر حتى لا تطاق إلا بجمع عظيم، وإذا اجتمعت كان لها كبير تتبعه مثل اليعسوب للنحل، وبها دابة تسمى

العدار، بلغني أنها تطلب الإنسان فتقع عليه، فإن أصابت منه ذلك تدود جوف الإنسان فانشق، ويحكى عن الغيلان بها من الأعجوبة ما لا أستجز حكايته.

وأما المسافات بديار العرب فإن الذي يحيط بها: من عبادان إلى البحرين نحو من ١٥ مرحلة، ومن البحرين إلى عُمان نحو من شهر، ومن عمان إلى أرض مهرة نحو من شهر، وإلى حضرموت من مهرة نحو من شهر، ومن أقصى حضرموت إلى عدن نحو من شهر، ومن عدن إلى جدة نحو من شهر. ومن جدة إلى ساحل الجحفة نحو من ٥ مراحل، ومن ساحل الجحفة إلى الجار نحو من ٣ مراحل، ومن الجار إلى أيلة نحو من ٢٠ مرحلة، ومن أيلة إلى بالس نحو من ٢٠ مرحلة، ومن بالس إلى الكوفة نحو من ٢٠ مرحلة، ومن الكوفة إلى البصرة نحو من ١٢ مرحلة، ومن البصرة إلى عبادان نحو من مرحلتين، فهذا هو الدور الذي يحيط بها....

وأما طريق عمان فهو طريق يصعب سلوكه في البرية، لكثرة القفار بها وقلة السكان، وإنما طريقهم في البحر إلى جدة، فإن سلكوا على السواحل من مهرة وحضرموت إلى عدن "أو إلى طريق عدن" بعد عليهم، وقل ما يسلكونه، وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق، يصعب سلوكه لتمانع العرب فيما بينهم بها، وأما ما بين البحرين وعبادان فغير مسلك وهوقفر، والطريق فيها على البحر، ومن البصرة إلى البحرين نحو من ١٨ مرحلة في قبائل العرب ومياهم مسلك عامر، غير أنه مخوف!

ويرد ذكر عمان أيضا حين يصف الاضطخري بحر فارس:

وإذا حاذأ أيلة ففيه سمك كثير مختلف الألوان، فإذا قابل بطن اليمن سمي بحر عدن إلى أن يجاوز عدن ثم يسمى بحر الزنج، إلى أن يحاذي عمان عاطفا على فارس، وهذا بحر يعرض حتى يقال أن عبره إلى بلاد الزنج سبعمائة فرسخ، وهو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شيء، وبقرب عدن معدن اللؤلؤ يخرج ما يرتفع منه إلى عدن وإذا جرت عمان إلى أن تخرج عن حدود الإسلام، وتتجاوزها إلى قرب سرنديب يسمى بحر فارس، وهو عريض البطن جدا، في جنوبه بلدان الزنج، وفي هذا البحر هوارات كثيرة ومعطف صعبة، ومن أشدها ما بين جنابة والبصرة، فإنه مكان يسمى هور جنابة، وهو مكان مخوف لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر، وبها مكان يعرف بالخشببات، من عبادان على نحو ستة أميال، على جري

١ - أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاضطخري. المسالك والممالك (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤)، ص ٢٥ - ٢٨.

ماء دجلة إلى البحر، ويرق الماء حتى يخاف على السفن الكبار، إن سلكته أن تجلس على الأرض إلا في وقت المد، وبهذا الموضع خشاب منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور، يوقد بالليل ليهدى به ويعلم به المدخل إلى دجلة، وهو مكان مخوف إذا ضلت السفينة فيه خيف انكسارها لرقة الماء، وبحداء جنابة مكان يعرف بخارك وبه معدن اللؤلؤ، يخرج منه الشيء اليسير، إلا أن النادر إذا وقع من هذا المعدن فاق في القيمة غيره، ويقال أن الدرّة اليتيمة تقع من هذا المعدن، وعمان وسرنديب في هذا البحر معدن لؤلؤ، ولا أعلم معدنا لؤلؤ إلا ببحر فارس، ولهذا البحر مد وجزر في اليوم والليلة مرتان، من حد القلزم إلى حد الصين حيث انتهى، وليس لبحر المغرب ولا لبحر الروم ولا لسائر البحار مد ولا جزر غير بحر فارس، وهو أن يرتفع الماء قريبا من عشرة أذرع، ثم ينضب حتى يرجع إلى مقداره، وفي هذا البطن من البحر الذي نسبناه خصوصا إلى فارس جزائر، منها لافث وخارك وأوال وغيرها من الجزائر المسكونة، وبها مياه عذبة وزرع وضرع، فهذه جوامع من صفة هذا البحر من حدود الإسلام^١.

١ - المصدر السابق، ص ٣١ - ٣٢.

مروج الذهب للمسعودي

من الواضح في كتاب مروج الذهب أن المسعودي رافق البحارة العمانيين في عودته من الصين عبر المحيط الهندي، حتى وصل إلى صحار، التي يسميها "سنجار". وهو يتحدث عن هؤلاء البحارة في أكثر من موضع؛ إذ يقول واصفاً جزيرة "قنبلو" في أفريقيا:

فأريت في جغرافيا النيل مُصَوَّرًا ظاهرًا من تحت جبل القمر، ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عينًا، فتصب تلك المياه إلى بحرين هناك كالبطائح، ثم يجتمع الماء جاريًا فيمر برمال هناك وجبال، ويخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج. فيتشعب منه خليج ينصب إلى بحر الزنج، وبحر جزيرة قنبلو، وهي جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين، إلا أن لغتهم زنجية: غلبوا على هذه الجزيرة، وسَبَّوْا مَنْ كان فيها من الزنج، كغلبة المسلمين على جزيرة إقريطش في البحر الرومي، وذلك في مبدأ الدولة العباسية وَتَقْضَى الأموية، ومنها إلى عمان في البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريُّونَ حَزْرًا منهم لذلك، لا على طريق التحصيل والمساحة، وذكر جماعةٌ من نَوَاحِذَةِ هذا البحر من السيرافيين والعمانيين وهم أرباب المراكب أنهم يشاهدون في هذا البحر في الوقت الذي تكثر فيه زيادة النيل بمصر، أو قبل الأوان بمدة سيرة ماءٍ يخترق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه، يخرج من جبال الزنج، عرضه أكثر من ميل عذبًا حلوا، يتكدر في إبان الزيادة بمصر وصعيدها، فيها الشوهمان، وهو التماسح الكائن في نيل مصر، ويسمى أيضًا الوَزَلُ^١.

ويقول عن المحيط الهندي، ويسميه البحر الحبشي:

يمتدُّ طوله من المغرب إلى المشرق من أقصى الحبش إلى أقصى الهند والصين، ثمانية آلاف ميل، وعرضه ألفان وسبعمئة ميل، وعرضه في موضع آخر ألف وتسعمئة ميل، وقد يتقارب

١ - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف أسعد داغر (بيروت: دار الهجرة، ١٤٠٩هـ)، ج١، ص ١١٣ - ١١٤.

في قلة العرض في موضع دون موضع، ويكثر كذلك، وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة، وأعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند أهل هذه الصناعة، وليس في المعمور أعظم من هذا البحر، وله خليج متصل بأرض الحبشة يمتد إلى ناحية بربري من بلاد الزنج والحبشة، ويسمى الخليج البربري، طوله خمسمائة ميل، وعرض طرفيه مائة ميل، وليست هذه بربري التي ينسب إليها البرابرة الذي ببلاد المغرب من أرض إفريقية لأن هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم، وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قبلو من بحر الزنج، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري - وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفوني - أكثر مسافة مما ذكرنا، وموجه عظيم كالجبال الشواهد فإنه موج أعمى، يريدون بذلك أنه يرتفع كارتفاع الجبال، وينخفض كأخفض ما يكون من الأودية، لا ينكسر موجه، ولا يظهر من ذلك زيد، كتكسر أمواج سائر البحار، ويزعمون أنه موج مجنون، وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد، فإذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرناه من الأمواج ترفعهم وتخضعهم فيرتجزون ويقولون:

بربري وجفني

ومؤجك المجنون

جفني وبربري

ومؤجها كما ترى

وينتهي هؤلاء في بحر الزنج إلى جزيرة قبلو على ما ذكرنا، وإلى بلاد سفالة والواق واق من أقاصي أرض الزنج، والأسافل من بحرهم، ويقطع هذا البحر السيرافيون، وقد ركبنا أنا هذا البحر من مدينة سنجار، من بلاد عمان وسنجانر قسبة بلاد عمان مع جماعة من نواخذة السيرافيين، وهم أرباب المراكب، مثل محمد بن الريدوم السيرافي، وجوهر بن أحمد، وهو المعروف بابن سيرة، وفي هذا البحر تلف ومن كان معه في مركبه، وأخر مرة ركبنا فيه في سنة أربع وثلاثمائة من جزيرة قبلو إلى مدينة عمان، وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي، بميكان وهي محلة من سيراف وفيه غرقا في مركبهم وجميع من كان معهما، وكان ركوبي فيه أخيرا والأمير على عمان أحمد بن هلال بن أخت القيتال، وقد

ركبتُ عدَّةً من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلمز واليمن، وأصابني فيها من الأهوال ما لا أحصيه كثرةً، فلم أشاهد أهولَ من بحر الزنج الذي قدَّمتنا ذكره، وفيه السمك المعروف بأفال طول السمكة نحوُّ من أربعمئة ذراعٍ إلى خمسِمئة ذراعٍ العمرية، وهي ذراع ذلك البحر، والأغلب من هذا السمك طوله مائة ذراع، وربما يهز البحر فيُظهرُ شيئاً من جناحه، فيكون كالقلع العظيم، وهو الشَّرَاع، وربما يظهر رأسه، وينفخ الصُّعداء بالماء فيذهب الماء في الجو أكثر من ممر السهم، والمراكب تفرع منه في الليل والنهار، وتضرب له بالبدابد والخشب لينفر من ذلك، ويحشُرُ بأجنحته وذنبه السمك إلى فمه، وقد فَعَرَ فاهُ، وذلك السمك يهوي إلى جَوْفه جرياً، فإذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى اللشك فتلتصق بأصل أذنها فلا يكون لها منها خلاص، فتطلب قعر البحر، وتضرب بنفسها حتى تموت، فتطفق الماء، فتكون كالجبل العظيم، وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة باللشك بالمركب فلا يدنو الأفال مع عظمتها من المركب، ويهرب إذا رأى السمكة الصغيرة، إذ كانت آفة له وقتلته.

يصف المسعودي في كتابه مروج الذهب بعض المناطق المطلة على المحيط الهندي،

ومغاصات اللؤلؤ في الخليج العربي :

فلنرجع الآن إلى ذكر تشعب مياه هذا البحر وُخُلجانه، ودخوله في البحر ودخول البحر فيه، فنقول: إن خليجاً آخر يمتد من هذا البحر الحبشي فينتهي إلى مدينة القُلُزم من أعمال مصر، وبينها وبين فُسْطَاط مصر ثلاثة أيام، وعليه مدينة أَيْلَّة والحجاز وجُدَّة واليمن، وطوله ألف وأربعمائة ميل، وعرض طرفيه مائتا ميل، وهو أقرب المواضع من عرضه، وعرضه في الوسط سبعمائة ميل، وهو أكثر العرض فيه، ويلاقي ما ذكرناه من الحجاز وبلاد أَيْلَّة من غربيه من الساحل الآخر من هذا الخليج بلادَ العلاقي وبلادَ العيذاب من أرض مصر وأرض البُجَّة، ثم أرض الحبشة والأحباش والسودان إلى أن يتصل ذلك بأقاصي أرض الزنج وأسافلها، فيتصل إلى بلاد سِفالة من أرض الزنج، ويتشعبُ من هذا البحر خليج آخر، وهو بحر فارس، وينتهي إلى بلاد الأبلَّة والخشبات وعبادان من أرض البصرة، وعرضه في الأصل خمسِمئة ميل، وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل، وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلاً، وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي أحد زواياه إلى بلاد الأبلَّة، وعليه مما يلي المشرق ساحلُ فارس من بلاد دورق الفرس وماهَرُ بان ومدينةُ حسان، وإليها تضاف الثياب الحسانية ومدينة نجيرهم ببلاد

سيراف، ثم بلادُ ابنِ عمارة، ثم ساحلُ كرمان، وهي بلادُ هرموز، وهرموز مقابلة لمدينة سنجار من بلاد عمان، ثم يلي ساحلُ كرمان ويتصل به على ساحل هذا البحر بلادُ مكران، وهي أرض الخوارج الشُّرأة، وهذه كلها أرض نخل، ثم ساحلُ السند، وفيه مصب نهر مهران، وهناك مدينة الديبل، ثم يكون ما رآ متصلاً بساحل الهند إلى بلاد بروض، وإليها يضاف القنَّا البروضي، برًّا متصلاً إلى أرض الصين ساحلاً واحداً، ويقابل ما ذكرنا من مبدأ ساحل فارس ومكران والسند بلادُ البحرين وجزائرُ قطر وشطُّ بني جذيمة وبلادُ عمان وأرضُ مهرة إلى رأس الجمجمة إلى أرض الشُّخ والأحقاف، وفيه جزائرٌ كثيرة مثلُ جزيرة خارَك، وهي بلادُ جتَّابة لأنَّ خارَك مضافةٌ إلى جتَّابة، وبينها وبين البر فراسخٌ وفيها مَعَاصُ اللؤلؤ المعروف بالخاركي، وجزيرة أوال فيها بنو مَعْن وبنو مسمار وخلاتق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحرين نحو يوم، بل أقلُّ من ذلك، وفي ذلك الساحل مدينة الزارة والعقل والقطف من ساحل هَجْر، ثم بعدَ جزيرة أوال جزائرٌ كثيرة، منها جزيرة لافِت، وتدعى جزيرة بني كاوان، وقد كان افتتحها عمرو بن العاص، وفيها فسجده إلى هذه الغاية، وفيها خلق من الناس قرى وعمارة متصلة، وتقرب هذه الجزيرة إلى جزيرة هنجام، ومنها يستسقي أربابُ المراكب الماء، ثم الجبال المعروفة بكُسَيْرٍ وعُوَيْرٍ وثالثٌ ليس فيه خير، ثم الدردور المعروف بدردور مسندم، ويكنيه البحرليون بأبي جهرة، وهذه مواضع من البحر، وجبالٌ سودٌ ذاهبة في الهواء لا نباتٌ عليها ولا حيوان، يحيط بها مياه من البحر عظيمٌ قعرها وأمواجٌ متلاطمة تجزع منها النفس إذا أشرفت عليها، وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لا بد للمراكب من الجواز عليها والدخول في وسطها، فتخطىء وتصيب، وهذا البحر هو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسي، عليه ما وصفنا من البحرين وفارس والبصرة وكرمان وعمان إلى رأس الجمجمة، وبين هذا الخليج وخليج القُلُزم أيلةٌ والحجاز واليمن، ويكون بين الخليجين من المسافة ألفٌ وخمسمائة ميل، وهي داخلة من البر في البحر، والبحر يطوف بها من أكثر جهاتها على ما وصفنا، فهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحبشة والحجاز والقُلُزم والزنج والسند ومن في جزائره ومن قد أحاط به من الأمم الكثيرة التي لا يعلم وصفهم ولا عددهم إلا من خلقهم سبحانه وتعالى، ولكل قطعة منه اسم يُفَرِّدها من غيرها، والماء واحد متصل غير منفصل.

وفي هذا البحر مغاصات الدر واللؤلؤ، وفيه العقيق والبادبيج، وهو نوع من البجادي، وأنواع الياقوت والماس والسنباذج، وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة، وحوله معادن

حديد مما يلي بلاد كرمان، ونحاسٌ بأرض عمان، وفيه أنواع الطيب والأفاويه والعنبر وأنواع الأدوية والعقاقير والساج والخشب المعروف بالدارزنجي والقنا والخيزران، وسنذكر بعد هذا الوضع تفصيل مواضع فيه أدركناها، وكلُّ ما ذكرنا من الجواهر والطيب والنيات ففيه وحوْلُه، وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي، ورياح ما وصفنا من قِطْعِه التي تدعى كلُّ واحدة منها بحرًا كقولنا: بحر فارس، وبحر اليمن، وبحر القلزم، وبحر الحبش، وبحر الزنج، وبحر السند، وبحر الهند، وبحر كِلَّة، وبحر الزانج، وبحر الصين- فمختلفة، فمنها ما ريحه من قعر البحر يظهر فتغليه ويعظم موجه كالقدر تفر مما يلحقها من موادِّ حرارة النار، ومنها ما ريحه والآفة فيه من قعره والنسيم، ومنها ما يكون مهْبُه من النسيم عونًا ما يظهر من قعره، وما وصفناه مما يظهر من قعره من الرياح فذلك تنفسات من الأرض تظهر إلى قعره ثم تظهر في سطحه، والله عزَّ وجلَّ أعلم بكيفية ذلك، ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفنها في أوقات تكون منها مَهَابُهَا، قد عُلم ذلك بالعادات وطول التجارب، يتوارثون علم ذلك قولًا وعملاً، ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إِبَانً هَيَجَانَهُ وأحوال ركوده وثورانه، هذا فيما سمينا من البحر الحبشي والروم، والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك، وكذلك من يركب بحر الخَزَر إلى بلاد جُزْجَانَ وطبرستان والديلم، وسنأتي بعد هذا الموضوع على جُمْلِ وفصول من علم معرفة هذه البحار، وعجائب أوصافها وأخبارها، إن شاء الله تعالى^١.

وينقل لنا المسعودي في كتابه "مروج الذهب" آراء النواخذة العمانيين في تفسير ظاهرة المد والجزر، فيقول:

وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر وهم أرباب المراكب، من السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون إلى عمائرهم من الأمم التي في جزائره وحواله إلى أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة: مرة يمد في شهر الصيف شرقًا بالشمال ستة أشهر، فإذا كان ذلك طغى الماء في مشارق الأرض وبالصين وما وراء ذلك الصقع وانحسر بالصين من مغارب البحر، ومرة يمد في شهر الشتاء غربًا بالجنوب ستة أشهر، فإذا كان الصيف طغى الماء في مغارب البحر وانحسر بالصين، وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح، وإن الشمس إذ كانت في الجهة الشمالية تحرك الهواء إلى الجهة الجنوبية لعل ذكروها فيسيل ماء البحر بحركة الهواء إلى الجهة الجنوبية، فكذلك تكون البحار في جهة الجنوب في

١ - المصدر السابق، ج١، ص ١٢٥ - ١٢٨.

الصيف لهبوب الشمال طامية عالية، وتقلُّ المياه في جهة البحار الشمالية، وكذلك إذا كانت الشمس في الجنوب وسال الهواء من الجنوب إلى جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية، فقلَّت المياه في الجهة الجنوبية منه، وينتقل ماء البحر في هذين الميلين أعني في جهتي الشمال والجنوب فيسمى جزاً ومدّاً، وذلك أن مدَّ الجنوب جزُّ الشمال ومدَّ الشمال جزُّ الجنوب، فإن وافق القمرُ بعضَ الكواكب السيارة في أحد الميلين تزايد الفعلان وقوي الحمي واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر إلى الجهة المخالفة للجهة التي ليس فيها الشمس. قال المسعودي: فهذا رأي يعقوب بن إسحاق الكندي وأحمد بن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه: أن البحر يتحرك بالرياح^١.

ويحكى المسعودي قصة رجل من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان خرج من بلاده، ومعه متاع كثير:

فحمل من جهازه، وانحدر إلى البصرة، وركب البحر حتى أتى إلى بلاد عمان، وركب إلى بلاد كَلَّة، وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك، وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم، وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك، وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأبلة والبصرة وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع التي ذكرنا إلى ما هناك، ولما عُدِم العدلُ وفسدت النيات وكان من أمر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعاً في هذا النصف^٢.

ويتحدث المسعودي أثناء وصفه لبحر فارس عن صحار، ومسقط، وجنوب عمان:

فأول هذا البحر مما يلي البصرة والأبلة والبحرين من خشبات البصرة، ثم بحر لا روى وعليه بلاد صيمور وسوبارة وتابة وسندان وكنباية وغيرها من السند والهند، ثم بحر هر كند، ثم بحر كلاه، وهو بحر كَلَّة والجزائر، ثم بحر كردنج، ثم بحر الصنف، وإليه يضاف العود الصنفي وإلى بلاده، ثم بحر الصين وهو بحر صنجي ليس بعده بحر، فأول بحار فارس على ما ذكرنا خشبات البصرة والموضع المعروف بالكفلاء وهي علامات منصوبة من خشب في البحر مغروسة علامات

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٢ - ١٣٣.

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٨.

للمراكب إلى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ، وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين، ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار، والفرس يسمونها مزون إلى المسقط، وهي قرية منها يستقي أرباب المراكب الماء من آبار هناك عذبة خمسون فرسخًا، ومن المسقط إلى رأس الجمجمة خمسون فرسخًا، وهذا آخر بحر فارس، وطوله أربعمائة فرسخ، هذا تحديد النواخذة وأرباب المراكب، ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشَّحْر والأحقاف، والرمل منه تحت البحر، لا يُدرى أين تنتهي غايته في الماء أعني الجبل المعروف برأس الجمجمة، وإذا كان ما وصفنا من الجبل في البر ومنه تحت البحر سمي في البحر الرومي سفالة، من تلك السفالة في الموضع المعروف بساحل سلوقيا من أرض الروم، واتصالها تحت البحر بنحو من جزيرة قبرص، وعليها عَطَبُ أكثر مراكب الروم وهلاكها، وإنما نعبر بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم، فمن هناك تنطلق المراكب إلى البحر الثاني وهو المعروف بلاروى ولا يُدرى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحرين، وربما يُقطع في الشهرين والثلاثة وفي الشهر، على قدر مهاب الريح والسلامة، وليس في هذه البحار أعني ما احتوى عليه البحر الحبشي أكبر من هذا البحر بحر لاروى، ولا أشدُّ، وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم، وعنبر هذا البحر قليل، وذلك أن العنبر أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشَّحْر من أرض العرب، وأهل الشحر أناس من قضاة وغيرهم من العرب، وهم مَهْرَة، ولغتهم بخلاف لغة العرب، وذلك أنهم يجعلون الشين بدلًا من الكاف، مثال ذلك أن يقولوا: هل لَش فيما قُلْتُ لَش، وقلت لي: أن تجعللي الذي معي في الذي مَعَش، يريد هل لك فيما قلت لك، وقلت لي أن تجعللي الذي معي في الذي معك، وغير ذلك من خطابهم ونوادير كلامهم، وهم في فقر وفاقة، ولهم نُجُب يركبونها بالليل تعرف بالنجب المَهْرِيَّة تشبه في السرعة بالنجب البجاوية، بل عند جماعة أنها أسرع منها، يسIRON عليها على ساحل بحرهم، فإذا أَحَسَّتْ هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه، قد رِيضَتْ لذلك واعتادته، فيتناولها الراكب، وأجود العنبر ما وقع في هذه الناحية وإلى جزائر الزنج، وساحله، وهو المدور الأزرق النادر كبيض النعام أو دون ذلك، ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالأوال المقدم ذكره، وذلك أن البحر إذا اشتد قذف من قعره العنبر كقطع الجبال وأصغر، على ما وصفنا، فإذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفق الماء، ولذلك أناس يرصدونه في القوارب من الزنج وغيرهم، فيطرحون فيه الكلايب والحبال، فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه، فما يخرج من بطنه يكون سَهْكًَا، ويعرفه العطارون بالعراق وفارس بالندِّ، وما بقي

على ظهر الحوت منه كان نقيًا جيدًا، على حسب لبثه في بطن الحوت، وبين البحر الثالث وهو هر كند والبحر الثاني وهو لاروى على ما ذكرنا جزائر كثيرة، وهي فرز بين هذين البحرين، ويُقال: إنها نحو من ألفي جزيرة، وفي قول المحق ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامر بالناس، ومملكة هذه الجزائر كلها امرأة، وبذلك جرت عادتهم من قديم الزمان لا يملكهم رجل، والعنبر يوجد في هذه الجزائر أيضًا، يقذفه البحر، ويوجد في بحرها، كأكبر ما يكون من قطع الصخر، وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف إلى هذه الجزائر أن العنبر ينبت في قعر هذا البحر، ويتكون كتكون أنواع الفطر: من الأبيض، والأسود، والكمأة، والمغاريد، وبنات أوبر، ونحوها، فإذا هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر، وأهل هذه الجزائر متفقون، وكلمتهم واحدة ولا يحصرهم العد لكثرتهم، ولا تحصى جيوش هذه الملكة عليهم، وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة، ونخلهم شجر النارجيل، لا يفقد من النخلة إلا التمر، وقد زعم أناس ممن عني بتولدات الحيوان وتطعيم الأشجار أن النارجيل هو نخل المقل، وإنما أثرت فيه تربة الهند حين غرس فيها فصار نارجيلًا، وإنما هو نخل المقل^١.

١ - المصدر السابق، ج١، ص١٧٠-١٧٢.

البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي

يرد ذكر عمان في كتاب "البدء والتاريخ" حين يتحدث المقدسي عن تقسيم الجغرافيين للأرض . يقول :

اعلموا أن القدماء قسموا المعمور من الأرض على سبعة أقسام يسمونها الأقاليم فالإقليم الأول يبتدئ من المشرق من أقاصي بلاد الصين ويمر إلى ما يلي الجنوب من الصين وعلى سواحل البحر من جنوب بلاد السند يقطع البحر إلى جزيرة العرب وأرض اليمن ويقطع بحر القلزم إلى بلاد الحبشة ويقطع نيل مصر وينتهي إلى بحر المغرب وفيه المدن من مدينة ملك الصين وبلاد جنوب السند وجزيرة الكرك وجنوب الهند من اليمن وعُمان وحضرموت وعدن وصنعاء وسبأ وجرش وظفار ومهرة^١.

ويرد ذكر عمان في هذا الكتاب أيضا حين يتحدث المقدسي عن انهيار سد مأرب . يقول :

قصة سبأ وكان هلاكها في الفترة باليمن قال الله عز وجل: "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ" إلى آخر الآيات الست . وسبأ اسم للقبيلة وهو أبوهم واسمه عبد شمس بن يعرب بن يشجب بن قحطان، وسمي سبأ لأنه أول من سبى في العرب، وكان له جنتان عن يمين مساكنهم وشمالها ملتفتان بأنواع الشجر، وهي أطيب أرض الله وأزكاها، وكان شربهم من أعلى الوادي من عين تخرج من ثقب في أسفل الجبل، والكهان قد أخبروهم بهلاك واديهم من قبل عينهم فبنوا عليه بنيانا بالحجارة والرصاص حتى لا يخرج الماء إلا بقدر، فلم يزالوا كذلك حتى كفروا بربهم وبطروا نعمته، فأرسل عليهم سيل العرم، فأهلك مساكنهم ومزارعهم، وكان رئيسهم عبد الله بن عامر الأزدي، رأى في المنام كأن الورد قد انبتق فسال الوادي، فأصبح وجمع بنيه العشرة فأخبرهم بالقصة، ثم باع ضياعه وأمواله وتحول إلى بلد عُمان، فلم يلبث القوم بعده إلا يسيرا حتى هلكوا. وفيهم يقول الأعمش:

١ - المطهر بن طاهر المقدسي. البدء والتاريخ، دون تحقيق (بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٣)، ج٤، ص٤٩.

وفي ذلك للمؤتسي أسوة
ومأرب ققى عليه العرم
ركام بنته له جميئر
إذا جاء مؤاره لم يرم
فأروى الزروع وأعنائها
على سبعة مائه إذ قسم
فصاروا أيادي لا يقدرون
على شرب طفل إذا ما فطم

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي

يرد ذكر عمان ضمن فصل يخصصه المقدسي للبحار والأنهار:

اعلم أنا لم نر في الإسلام إلا بحرين، حسب أحدهما يخرج من نحو مشارق الشتاء بين بلد الصين وبلد السودان فإذا بلغ مملكة الإسلام دار على جزيرة العرب كما مثلناه، وله خلجان كثيرة وشعب عدة، وقد اختلف الناس في وصفه والمصورون في تمثيله، فمنهم من جعله شبه طيلسان يدور ببلد الصين والحبشة وطرف بالقلزم وطرف بعبادان. وأبو زيد جعله شبه طير منقاره بالقلزم ولم يذكر شعبة ويلة وعنقه بالعراق وذنبه بين حبشة والصين. ورأيته ممثلًا على ورقة في خزانة أمير خراسان وعلى كرباسة عند أبي القاسم ابن الأنماطي بنيسابور، وفي خزانة عضد الدولة والصاحب، وإذا كل مثال يخالف الآخر، وإذا في بعضهن خلجان وشعب لا أعرفها. وأما أنا فسرت فيه نحو ألفي فرسخ، ودرت على الجزيرة كلها من القلزم إلى عبادان، سوى ما توهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه، وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا، من ربانيين وأشائمة ورياضيين ووكلاء وتجار، ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره. فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها. فعلمت من ذلك صدرًا صالحًا بعد ما ميزت وتدبرت، ثم قابلته بالصور التي ذكرت. وبيننا أنا يومًا جالس مع أبي علي بن حازم أنظر في البحر ونحن بساحل عدن إذ قال لي: ما لي أراك متفكرًا؟ قلت: أيد الله الشيخ قد حار عقلي في هذا البحر لكثرة الاختلاف فيه، والشيخ اليوم من أعلم الناس به لأنه أمام التجار ومراكبه أبدًا تسافر إلى أقاصيه، فإن رأى أن يصفه لي صفة أعتد عليها وأرجع من الشك إليها، فعُل. فقال: على الخبير بها سقطت، ثم مسح الرمل بكفه ورسم البحر عليه لا طيلسان ولا طير، وجعل له معارج متلسنة وشعبًا عدة ثم قال هذه صفة هذا البحر لا صورة له غيرها. وأنا أصوره ساذجًا وأدع الشعب والخلجان إلا شعبة ويلة لشهرتها وشدة الحاجة إلى معرفتها وكثرة الأسفار فيها وأدع ما اختلفوا فيه وأرسم ما اتفقوا عليه. وعلى الأحوال كلها لا شك إنه يدور على ثلاثة أرباع جزيرة العرب، وإن له لسانين

كما ذكرنا من نحو مصر يفترقان على طرف الحجاز بموضع يسمى فاران. وعظم هذا البحر وامتناعه بين عدن وُعُمان حتى يصير اتساعه نحو ستمائة فرسخ ثم يصير لسان إلى عبادان. ومواضع الخوف في المملكة جبيلان موضع غرق فرعون وهي لجة القلزم وفيها تسير المراكب العراض لترجع من البر الغامر إلى البر العامر. ثم فاران وهو موضع تهب فيه الرياح من مصر والشام فتتحاذيان وفيه هلاك المراكب ومن رسمهم أن يبعثوا رجالا يرقبون الريح، فإذا سكنت الرياح أو غلبت التي هم من نحوها ساروا وإلا أقاموا المدة الطويلة إلى وقت الفرج. ثم مرسى الحوراء كثير العرى تغتر فيه المراكب عند دخوله. ومن القلزم إلى الجارعى صعبة من أجلها لا يسيرون إلا بالنهار، والربان على الجخوار منكب يطلع في البحر فإذا ظهرت عراه صاح يمينًا وشمالًا وقد رتب صبيان يصرخان بذلك، وصاحب السكان بيده حبلان يجذبهما يمينًا وشمالًا إذا سمع النداء، وإن غفلوا عن ذلك صدم العرى المركب فأعطبته. ثم عن جزيرة الصلاب مضيق يتقى فيه للمراكب ويؤجل فمن أخذ ذات الشمال كان في سعة البحر. ثم جابر وهو موضع سوء يرى فيه قعر البحر وذلك القصير كثيرا ما يعطب فيه المراكب. وعند دخول كمران خوف وشدة. والمندم مضيق صعب لا يسلك إلا في شباب الريح وقوتها. ثم يتلجلج البحر إلى عُمان، وترى ما ذكر الله أمواجًا كالجبال الراسيات، إلا أنه سليم في الذهاب مخوف في الرجعة من العطب والغرق جميعًا، ولا بد في كل مركب من مقاتلة ونفاطين. ثم مرسى عُمان رَدِيٌّ مُهْلِكٌ. ثم فم السبع مضيق مخوف، ثم الخشبات التي تنسب إلى البصرة، وهي الطامة الكبرى، مضيق وبحر رقيق، وقد نصب في البحر جذوع عليها بيوت، ورتب فيها قوم يوقدون بالليل حتى يتباعدهم المراكب من رقة تلك المواضع، وسمعت شيخا يقول وقد لحقتنا ثم شدة وضرب المركب الأرض عشر مرات، هذا موضع يسافر فيه أربعون مركبًا فيرجع واحد. ولا أحب أن أطول هذا الأصل وإلا ذكرت مراسي هذا البحر والطرق فيه!

ويرد أيضا حين يفسر المقدسي بعض آيات القرآن التي تتحدث عن البحار:

وجعل أبو زيد البحار ثلاثة زاد المحيط ولم ندخله نحن في الجملة لأنه كما يقال مستدير بالعالم كالحلقة لا يعرف له غاية ولا نهاية، وأما الجيهانت فإنه جعلها خمسة زاد بحر الخزر وخليج القسطنطينية ونحن اقتصرنا على ما أنبأ الله في كتابه حيث يقول ”مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ

١ - أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١)، ص ١٠ - ١٢.

بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَا يَبِينَانِ، يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ” والبرزخ من الفرما إلى القلزم مسيرة ثلاثة أيام، فإن قيل إنما أراد الله تعالى بالبحرين العذب والمالح لأنهما لا يختلطان كما قال: ”وهو الذي مرج البحرين... الآية، فالجواب أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من الحلو والله يقول منهما ولا خلاف بين أهل العلم أن اللؤلؤ يخرج من الصينى والمرجان من الرومى فعرنا أنه إنما أراد هذين البحرين، فإن قيل البحار سبعة لأن الله -عز وجل- قال: ”وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ“ وزاد المقلوبة والخوارزمية. فالجواب لم يقل الله تعالى أن البحار سبعة وإنما ذكر بحر العرب، وقال ولو أن سبعة مثله جعلت أيضا مدادا كما قال: ”ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه“ مع أنه يجب بهذا الدعوى أن تكون ثمانية وأيضا فإننا نلتزم هذا السؤال ونتصب فنقول: إن البحر هو بحر الحجاز والسبعة بحر القلزم، وبحر اليمن، وبحر عُمان، وبحر مكران، وبحر كرمان، وبحر فارس، وبحر هَجْر، فهذه ثمانية كما نطقت الآية، فإن قيل يلزمك بهذا التأويل أن تكون أكثر من عشرة؛ لأنك تركت بحر الصين، وبحر الهند، وبحر الزنج، فالجواب من وجهين أحدهما أن الله تعالى خاطب العرب بما يعرفونه ويعاينونه ليوكد عليهم الحجّة، وما كانت أسفارهم إلا في هذه البحار. ألا ترى أن هذا البحر بهذه الأسمي يدور على ديار العرب من القلزم إلى عبادان. والوجه الآخر لا ننكر أن تكون البحار كثيرة، وذكر الله تعالى منها في هذه الآية ثمانية. فإن قيل هذا يرجع عليك ويلزمك أن البحار تجوز أن تكون سبعة وإنما ذكر الله منها في تلك الآية بحرين، فالجواب هذا لا يشبه ذلك لأن الله تعالى قال في تلك مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، فأشار إلى بحرين معهودين، والألف واللام إذا لم يكونا للجنس فإنما هما للتعريف، وقال في هذه يمدّه من بعده سبعة أبحر، ولم يدخل فيه حرف التعريف فيجوز أن يكون أراد به سبعة من جماعة، كما قال: ”سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما“، وأيام الله كثيرة، وقال في آية أخرى: ”وعلى الثلاثة الذين خلفوا“، فلا يجوز بأن يقال: إنهم كانوا أكثر. فإن قيل لما وقع الاختلاف في تفسير هذه الآية ورأينا بحر الصين لا يلقي الرومى سقط الاحتجاج بها وسلمت لنا الآية الأخرى فوجب أن تكون البحار سبعة، فالجواب: قد ارتفع الاختلاف بقوله ”يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان“ وأما الالتقاء فحدثني جماعة من مشايخ مصر أن النيل كان يفيض في بحر الصين إلى قريب، فإن قيل تأويلك يوجب التناقض لأن فيه أنهما يلتقيان وأن بينهما على ما ذكرت ثلاثة أيام وحاشى كتاب الله من التناقض، وما تأولناه مستقيم لأن التقاءهما جريان الحلو فوق المالح، والبرزخ المنع من

اختلاطهما، فالجواب تأويلنا أيضا مستقيم لأن أعطينا كل معنى حقه فقلنا الالتقاء ما ذكرناه من صبّ النيل في الصينيّ وطرف النيل اليوم يفيض في الرومى فبالنيل التقيا ويقال أن أم موسى إنما طرحت تابوته في بحر القلزم فخرج في النيل إلى مصر مع أن الالتقاء غير الاجتماع لأن الملتقيين يكون بينهما فصل ومسافة، وما ذهبوا إليه يسمّى اختلاء لا التقاء، فإن قيل لم جعلت بحار الأعاجم من السبعة بعد ما قلت إن الله خاطبهم بما يعرفونه، فالجواب فيه من وجهين أحدهما أن العرب قد كانت تسافر إلى فارس، ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إني تعلمت العدل من كسرى وذكر خشيته وسيرته، والآخر أن من سار إلى هجر وعبادان لا بد له من بحر فارس وكرمان وتيز مكران، أولا ترى إلى كثير من الناس يسمّونه إلى حدود اليمن بحر فارس، وأن أكثر صنّاع المراكب وملاحها فُرس، وهو من عُمان إلى عبادان قليل العرض لا يجهل المسافر فيه جهته^١.

ومن التعميمات الكاسحة التي تعبّر عن تعصب المقدسي وازدراؤه لبعض الأمم، ومن بينهم أهل عمان، قوله:

وليس أكثر ولا أرذل من مذكري نيسابور، ولا أطمع من أهل مكة، ولا أفقر من أهل يثرب، ولا أعفّ من أهل بيت المقدس، ولا أدب من أهل هرة وبيار، ولا أذهن من أهل الرّي، ولا أنقب من أهل سجستان، ولا أبخس من أهل عمان، ولا أجهل من أهل عمان، ولا أصحّ موازين من أهل الكوفة وعسكر مكرم، ولا أحسن من أهل حمص وبخارا، ولا أقبّح من أهل خوارزم، ولا أحسن لحي من الديلم، ولا أشرب للخمر من أهل بعلبك ومصر، ولا أفسق من أهل سيراف، ولا أعمى من أهل سجستان ودمشق، ولا أشغب من أهل سمرقند والشاش، ولا أوطأ من أهل مصر، ولا أبلّة من أهل البحرين، ولا أحمق من أهل حمص، ولا ألبق من أهل فسا ونابلس ثم الرّي بعد بغداد، ولا أحسن لسانا من أهل بغداد، ولا أوحش من لسان صيدا وهرة، ولا أصحّ من لسان خراسان، ولا أحسن عجميّة من أهل بلخ والشاش، ولا أعفظ من أهل البطائح، ولا أسلم صدورا من أهل هيطل، ولا أخير قوما من أهل غرج الشار^٢.

١ - المصدر السابق، ص ١٦ - ١٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٣٤.

يتحدث المقدسي عن جزيرة العرب، ويعدد أهم مناطقها فيقول:

وقد جعلناها أربع كُورٍ جلييلة، وأربع نواحٍ نفيسة، والكُورُ أولها الحجاز ثم اليمن ثم عُمان ثم هَجْر. والنواحي: الأحقاف، والأشجار، واليَمامة، وقُرح.....

وأما عُمان فقصبتهما صُحار ومدنها: نزوة، والسر، وذنك، وحفيت، ودبا، وسلوت، وجلفار، وسمد، ولسيا، ومنح^١.

ثم يأتي المقدسي ليصف بعض هذه المدن العمانية، فيقول:

صحار: هي قسبة عمان، ليس على بحر الصين اليوم بلدٌ أجلُّ منه، عامرٌ أهلٌ حسنٌ طيبٌ نزه، ذو يسار وتجار وفواكة وخيراتٍ أسرى من زَبِيد وصنعاء، أسواقٌ عجبية وبلدةٌ ظريفة، ممتدةٌ على البحر، دُورهم من الأجرِّ والساج شاهقةٌ نفيسة، والجامع على البحر له منارةٌ حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبارٌ عُذبيَّة وقناةٌ حلوة، وهم في سعة من كل شيء، دهليزُ الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن، قد غلب عليها الفرس، المصلى وسط النخيل. ومسجدُ صحار على نصف فرسخٍ. ثمَّ بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد بني أحسنَ بناء، وهواءُه أطيَّب هواءً من القسبة، ومحرابُ الجامع بلولٍ يدور تراه مرةً أصفر وكرةً أخضر وحيناً أحمر.

نزوة: في حد الجبال كبيرة، بنيانهم، طين، والجامع وسط السوق إذا غلب الوادي في الشتاء دخله، شُرْبهم من أنهار وآبار. السر: أصغر من نزوة، والجامع في السوق، شُرْبهم من أنهار وآبار قد التفت بها النخيل. ذنك: صغيرة في النخيل، أبداً بها سلطانٌ قوي لأنهم شراة عصاة. حفيت: كثيرة النخيل من نحو هَجْر، الجامع في الأسواق. سلوت: مدينة كبيرة على يسار نزوة. دبا وجلفار: وهما من نحو هَجْر قريبتان من البحر. وسمد منبر لنزوة. لسيا وملح وبرنم والقلعة وذنكان مدن أيضاً، والمسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية، ورأيتُه موضعاً حسناً كثير الفواكه. توءام: قد غلب عليها قوم من قريش فيهم بأسٌ وشدة. عُمان: كُورة جلييلة، تكون ثمانين فرسخاً في مثلها كلها نخيل وبساتينُ عامة، سُقياهم من آبارٍ قريبة يَنْزِعها البقر، أكثرها في الجبال، وأهل هذه المدن التي ذكرنا عربٌ شراة^٢.

١ - المصدر السابق، ص ٦٨ - ٧١.

٢ - المصدر السابق، ص ٩٢ - ٩٣.

ويرد ذكر عمان أيضا في فصل يتحدث فيه المقدسي عن شؤون جزيرة العرب ومذاهبها، ولغاتها:

هو إقليم شديد الحرّ الآ السروات فان هواءها معتدل. حدّثت أن رجلا بصنعاء طبخ قدرا من اللحم ثم ذهب إلى الحجّ فعاد وما تغيّرت، ولباسهم في الشتاء والصيف واحد، والليل بمكّة في الصيف طيب، كرب بتهامه، وينزل عليهم بعُمان في الليالي شبه الدبس، ويكون بالحرم حرّ عظيم وريح تقتل وذباب في غاية الكثرة، وهو قليل الثمار إلاّ السروات، وليس باليمن نخيل ولا مياه غزيرة، وسواحلها قشفة معدوم بها الماء إلاّ غلافقة، وإنّما سكنوا تلك المدن لأجل البحر، وليس في جميع الإقليم بحيرة ولا نهر تجري فيه السفن، قليل الفقهاء والمذكّرين والقراء، واليهود به أكثر من النصارى، ولا ذمة غيرهم، ولم أر به مجدوما، وحدّثنا أبو الفضل بن نهامة بشيراز قال حدّثنا أبو سعيد خلف بن الفضل قال حدّثنا أبو الحسن محمّد بن حمدان قال حدّثنا عمرو بن عليّ بن يحيى بن كثير قال حدّثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانيّ قال حدّثنا خطاب بن جعفر قال حدّثنا أبي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله "رحلة الشتاء والصيف" قال كانوا يشتون بمكّة ويصيفون بالطائف، وفي قوله "وآمنهم من خوف الجذام، وبه برص وسودان كثير وعاقمتهم سمر، والغالب عليهم الدقة والهزال. أكثر ثيابهم القطن منتعلين لا يقولون بالمماطر، ولا تليج لهم ولا جليد ولا فواكه في الشتاء ولا قديد إلاّ ما يجفّف من ذبائح منى، ومذاهبهم بمكّة وتهامة وصنعاء وقرح ستّة، وسواد صنعاء ونواحيها مع سواد عُمان شراة غالية، وبقية الحجاز وأهل الرأي بعُمان وهجر، وصعدة شيعة، وشيعة عمان وصعدة وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة إلاّ عُمان، والغالب على صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة، والجوامع بأيديهم، وبالمعافر مذهب ابن المنذر، وفي نواحي نجد اليمن مذهب سفيان، والأذان بتهامه ومكّة يرجع، وإذا تدبّرت العمل على مذهب مالك، ويكبر بزبيد في العيدين على قول ابن مسعود أحدثه القاضي أبو عبد الله الصعوانيّ وقت كوني، ثمّ والعمل بهجر على مذهب القرامطة، وبعمان داوذية لهم مجلس، أهل هذا الإقليم لغتهم العربيّة إلاّ بصحار فإنّ ندهم وكلامهم بالفارسيّة، وأكثر أهل عدن وجدّة فرس إلاّ أن اللغة عربيّة وبطرف الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم، وأهل عدن يقولون لرجليه رجلينه وليديه يدينه وقس عليه، ويجعلون الجيم كافا فيقولون لرجب ركب ولرجل ركل، وقد روي أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أتى بروثة عند الاستجمار فألقاها وقال هي ركس وقد تعنى الفقهاء هذا فيجوز ما قالوه

ويجوز أن يكون استعمل هذه اللغة وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة الآ أن أصح بها لغة هذيل ثم النجدين ثم بقية الحجاز إلا الأحقاف فإن لسانهم وحش، القراءات بمكة على حرف ابن كثير، وباليمن قراءة عاصم، ثم قراءة أبي عمرو مستعملة في جميع الإقليم، وسمعت بعض صدور القراء بمكة يقول ما رأينا ولا سمعنا أن أحدا أم خلف هذا المقام بغير قراءة ابن كثير إلا في هذا الزمان والتجارات في هذا الإقليم مفيدة لأن به فرضتى الدنيا، وسوق منى والبحر المتصل بالصين وجدة والجار خزانتى مصر، ووادي القرى مطرح الشام والعراق، واليمن معدن العصائب، والعقيق والأدم والرقيق فالى عُمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والسلج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والتارجيل والقند والإسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبور والفلفل وغير ذلك، وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجلود النمر وما لو استقصيناه طال الكتاب، وبتجارات الصين تضرب الأمثال، ثم قولهم جاءوك تجرا أو ملكا، ولما ركبت بحر اليمن اتفقت اجتماعي مع أبى علي الحافظ المروزي في الجلبة فلما تأكدت المعرفة بيننا قال لي قد شغلت والله قلبي قلت بماذا؟ قال أراك رجلا على طريق حسنة تحب الخير وأهله وترغب في جمع العلوم وقد قصدت بلادا قد غرت كثيرا من الناس وصدتهم عن طريق الورع والقناعة وأخشى إذا أنت دخلت عدن فسمعت أن رجلا ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة وآخر بكندر فرجع بمثله كافورا طلبت نفسك التكاثر، قلت أرجو أن يعصم الله، فلما دخلتها وسمعت أكثر مما قال غرتى والله ما غرت القوم، وعملت على الذهاب إلى ناحية الزنج وآتيت ما ينبغي أن يشتري وتقدمت فيه إلى الوكلاء فبرد الله عز اسمه ذلك على قلبي بموت شريك كنت عاقدته وكسرت نفسي بذكر الموت وما بعده.

واعلم هديت أن مع كل ربح مما ذكرنا خطرا، والأرباح أبدا مع الأخطار فلا ينبغي لعاقل أن يغتر بذلك، وليعلم أن الله تعالى يعطى عبده بركعتين إذا أخلصهما لله أكثر من الدنيا بحذافيرها. وما يصنع بنعمة الموت من ورائها وجمع أموال لا بد من تركها؟ ومن خصائص نواحي هذا الإقليم أديم زبيد ونيها الذي لا نظير له كأنه لازورد، وشروب عدن تفضل على القصب، ومسد المهجرة يسمى ليغا، وبرود سحولا والجريب، وأنطاع صعدة وركاءها، وسعيدي صنعاء وعقيقها، وقفاع عثر، وأقداح حلى، ومسان ينبع وحتاءها، وبان يثرب وصيحائيتها، وبردي

المروة ومقلها، وكندر مهرة وحيثانها، وورس عدن، ومغلق قرح، وسنا مكة، وصبر اسقوطرة، ومصين عُمان.

ومكايل هذا الإقليم الصاع والمدّ والمكوك فالمدّ ربع الصاع والصاع ثلث المكوك هذا بالحجاز، وهي مختلفة المستعمل منها يزن خمسة أرتال وثلثا، وسمعت الفقيه أبا عبد الله بدمشق يقول لما حجّ أبو يوسف ودخل المدينة رجع عن شيئين إلى مذهبهما أحدهما الأذان قبل الفجر والثاني تقدير الصاع، وأما الصاع الذي قدره عمر بمشهد الصحابة وكان يكفر به إيمانه فهو ثمانية أرتال إلا أن سعيد بن العاصي رده إلى خمسة وثلث. ألا ترى إلى قول الراجز:

وجاءنا مجوعا سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد

ولهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما جرايات الملاحين ويتعاملون بالكبير، وأرتالهم، بمكة هو المنّ المعروف في جميع بلاد الإسلام غير أنهم يسمّونه رطلا، ورطل يثرب إلى قرح مائتا درهم، ورطل اليمن بغدادي، ولعُمان المنّ، وبقية الإقليم بغدادي، ولهم البهار وهو ثلاثمائة رطل ونقودهم مختلفة؛ لأهل مكة المطوّقة وهي والعثرية ثلثا المثقال تؤخذ كدراهم اليمن عددا وتفضل العثرية حتى ربّما كان بينهما دُرّيهما، ودينار عدن قيمة سبعة دراهم وهو ثلثا البغويّ وزن ولا تعدّ، ودينار عُمان ثلاثون غير أنه يوزن، والدراهم المستعملة في الإقليم تسمّى بمكة المحمّدية، ولأهل مكة المزبقة أربعة وعشرون بمطوّق ضعف اختمى تبطل يوم السادس من ذي الحجة إلى آخر الموسم، ولأهل اليمن العلوية تختلف باختلاف البلدان حتى ربّما بطلت في بعضها قيمة أربعة، منها درهم وزنته حول الدانق، ولهم قروض ربّما غلت فصارت ثلاثة بدانق، وربّما صارت أربعة، ولأهل عُمان الطسوه..... بيوت الفارحين بالحجر عجيبة على أبوابها عقود وطروح ونقوش، الطاغية مدينة خربة خلف خيم أم معبد، بالسراوات قلاعٌ عجيبة، كمران جزيرة في البحر فيها مدينة ولهم ماء حلو تسمّى العقل بها حبوس ملك اليمن، وفي أخلاق أهل مكة جفاء ولا ظرف لأهل اليمن، أهل عُمان يطقفون ويخسرون ويفسقون، الزنا بعدن ظاهر، أهل الأحقاف نواصب غتم، والحجاز بلد فقير قحط.¹

١ - المصدر السابق، ص ٩٥-١٠٣.

الفهرست لابن النديم

يرد ذكر عمان في الفهرست حين يترجم ابن النديم للعلامة العماني ابن دريد:

قال أبو الحسن الدريدي وكان أحد غلمانه وخصيصًا به قال أبو بكر رحمه الله ولدت بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حشم بن حسن بن حمامي وهو منسوب إلى قرية من نواحي عمان يقال لها حماما بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة بن حشم بن حاضر بن حشم بن ظالم بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن أزد بن الغوث وأقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ثم صار إلى جزيرة بن عمارة فسكنها مدة ثم صار إلى فارس فقطنها ثم صار إلى بغداد نزلها وكان عالمًا باللغة وأشعار العرب قرأ على علماء البصريين وأخذ عنهم مثل أبي حاتم والرياشي والتوزي والزيادي وروى أبو بكر عن عمه الحسن بن محمد كتاب مسالمات الأشراف وتوفي ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح وله من الكتب كتاب الجمهرة في علم اللغة مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه بفارس وأملاه ببغداد من حفظه فلما اختلف الإملاء زاد ونقص ولما أملاه بفارس على غلامه تعلم من أول الكتاب والباقية التي عليها المعول هي النسخة الأخيرة وآخر ما صح من النسخ نسخة أبي الفتح عبد الله بن أحمد النحوي لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه كتاب السرج واللجلجام كتاب الاشتقاق كتاب المقتبس كتاب الوشاح كتاب الخيل الكبير كتاب الخيل الصغير كتاب الأنواء كتاب المجتبي كتاب المقتنى كتاب الملاحن كتاب رواة العرب كتاب ما سئل عنه لفظًا فأجاب عنه حفظًا جمعه علي بن إسماعيل بن حرب عنه كتاب اللغات كتاب السلاح كتاب غريب القرآن لم يتمه كتاب فعلت وافتعلت كتاب أدب الكاتب على مثال كتاب بن قتيبة ولم يجرده من المسودة فلم يخرج منه شيء يعول عليه كتاب صفة السحاب والغيث^١.

١ - ابن النديم. الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧)، ص ٨٥.

ويرد أيضا حين يروي ابن النديم أخبار أبي سعيد السيرافي؛

قال الشيخ أبو أحمد أمده الله أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان وأصله من فارس مولده بسيراف وفيها ابتدأ بطلب العلم وخرج عنها قبل العشرين ومضى إلى عُمان وتفقه بها ثم عاد إلى سيراف ومضى إلى العسكر فأقام بها مدة ولقي محمد بن عمر الصيمري المتكلم وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه وكان فقيهاً على مذاهب العلماء العراقيين وخلف القاضي أبا محمد بن معروف على قضاء الجانب الشرقي وكان أستاذه في النحو ثم الجانبيين ثم الجانب الشرقي وكان الكرخي الفقيه يقدمه ويفضله وعقد له حلقة يفتي فيها ومولده قبل التسعين وتوفي في رجب لليلتين خلتا منه سنة ثمان وستين وثلاثمائة وله من الكتب كتاب شرح سيبويه كتاب ألفات الوصف والقطع كتاب أخبار النحويين كتاب الوقف والابتداء كتاب صنعة الشعر والبلاغة كتاب شرح مقصورة بن دريد^١.

ويترجم ابن النديم أيضا لابن النطاح ذاكرا كتابا له عن عُمان؛

أبو عبد الله محمد بن صالح بن النطاح روى عن الحسن بن ميمون وهذا الرجل أول من ألف في الدولة وأخبارها كتاباً وحكى بن البطاح عن إبراهيم بن زاذان بن سنان البصري حكايات وكان بن النطاح أخبارياً ناسباً راوية للسنن وله من الكتب كتاب أفخاذ العرب كتاب البيوتات كتاب الرد على أبي عبيدة في كتاب الديباج كتاب أنساب أزد عُمان كتاب مقتل زيد بن علي عليهما السلام^٢.

ويرد أيضا حين يتحدث ابن النديم عن فقهاء الشراة؛

فقهاء الشراة: هؤلاء القوم كتبهم مستورة قل ما وقعت لأن العالم تشنأهم وتتبعهم بالمكارم ولهم مصنفون ومؤلفون في الفقه والكلام وهذا المذهب مشهور بمواضع كثيرة منها عُمان وسجستان وبلاد أذربيجان ونواحي السن والبوازيج وكرخ جدان وتل عكبراء وحزة وشهرزور فمن فقهاءهم المتقدمين:

جبير بن غالب، ويكنى أبا فراس وكان فقيهاً شاعراً خطيباً فصيحاً؛ فمن كتبه كتاب السنن والأحكام، كتاب أحكام القرآن، كتاب المختصر في الفقه، كتاب الجامع الكبير في الفقه، كتاب رسالته إلى مالك ابن أنس.

١ - المصدر السابق، ص ٨٧.

٢ - المصدر السابق، ص ١٣٧.

القرطوسي: وهو أبو الفضل من نواحي عكبراء وله كتب كثيرة منها كتاب الجامع الكبير في الفقه ويحتوي على عدة كتب على مثال كتب الفقهاء، كتاب الجامع الصغير وعليه يعول أصحابه، كتاب الفرائض، كتاب الرد على أبي حنيفة في الرأي، كتاب الرد على الشافعي في القياس.

أبو بكر البردعي: واسمه محمد بن عبد الله رأيته في سنة أربعين وثلاثمائة وكان بي أنسا يظهر مذهب الاعتزال، وكان خارجيا، وأحد فقهاءهم، وقال لي: إن له في الفقه عدة كتب وذكر بعضها وهو كتاب المرشد في الفقه، كتاب الرد على المخالفين في الفقه، كتاب تذكرة الغريب في الفقه، كتاب التبصر للمتعلمين، كتاب الاحتجاج على المخالفين، كتاب الجامع في أصول الفقه، كتاب الدعاء، كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن، كتاب الأذكار والتحكيم، كتاب السنة والجماعة، كتاب الإمامة، كتاب نقض كتاب بن الراوندي في الإمامة، كتاب تحريم المسكر، كتاب الرد على من قال بالمتعة، كتاب الناكثين، كتاب الأيمان والندور.

أبو القاسم الحديثي: رأيته وكان زاهدا ظاهرا خشوعا غير مظهر لمذهبه، وكان من أكابر الشراة وفقهاءهم، وله من الكتب كتاب الجامع في الفقه، كتاب أحكام الله عز وجل، كتاب الإمامة، كتاب الوعد والوعيد، كتاب التحريم والتحليل، كتاب التحكيم في الله جل اسمه^١.

١ - المصدر السابق، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي

في هذا الكتاب نجد خبراً بعنوان "يوسف بن وجيه صاحب عمان يذعن لحكم مستشاريه"،
يقول فيه التنوخي:

حدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد العسكري، قال: كان عندنا بعسكر مكرم شيخ أصبهاني مشهور يعرف بالكافوري، يتجر في الجواهر، وكان حسن البصيرة بها. فأخبرني أنه اشترى فصين، وباعهما مالهما على أنهما بجاديان، ولم يعرفهما، قال: فعرفتُهما أنا، وعلمت أنهما بلخش، وهو جنس يشبه الياقوت الأحمر، فاشتريتهما منه بثلاثمائة درهم، وجلوتهما بالبصرة، فخرج لهما من الماء أمر عظيم.

واتفق أن خرجت إلى عمان، وهما معي، فعرضتهما على يوسف ابن وجيه، الأمير، وادعيتُ أنهما ياقوت أحمر، فعرضتهما لكل جوهرى، فكانوا يصدقونني.

فابتاعهما مني، بعد خطوط طويلة ومراوضات، بخمسين ألف درهم، وقبضت الثمن. ثم شك فيهما، فأحضرني، وطالبني بالمال.

فقلت: إن كنت تريد أخذ المال باليد والقدرة، فأنت السلطان مالي بك قوة، وإن كنت تريد أخذه بحجة، فبيني وبينك أهل الصنعة.

فقال: ليس بعمان من أتق بعلمه.

فقلت له: فسرنديب قريبة منك، وهي المعدن فأنفذهما إلى هناك، فإن قيل إنهما ليسا بياقوت، رددتُ المال.

ووضعتُ في نفسي أن أتجر في المال، إلى أن ينكشف الأمر، فأربح فيه مالا، ثم أرد عليه أصل ماله.

قال: فضمنني المال على الشرط والمقام، وأنفذ الفصين.

فلما كان بعد سنة، أو قريباً منها، أحضرتني، وأخرج كتباً إليه من وكيله هناك، يذكر فيها أنه جمع أهل الصنعة بسرنديب كلهم، وعرض عليهم الفصين، فقالوا: هما ياقوت أحمر، إلا أنه فيه رخاوة، ولو كان أصلب من هذا، ما كان له قيمة، وأن هذا ياقوت ليس هو من هذا المعدن. فقرأت الكتب.

فقال: رد المال.

فقلت: ما يلزمني، ما بعثك على أنهما من معدن سرنديب، أو غيره من المعادن، ولا على أنهما صُلبان أو رخوان، وقد شهد أهل المعدن أنهما ياقوت، وقد نعتوهما بالرخاوة، وقالوا إنه لولا هذا العيب، ما كان لهما قيمة.

ولولا هذا العيب، ما بعثك بخمسين ألف دينار، وأنا تاجر، قد قصدت بلدك، فلا تظلمني.

فقال لمن بحضرتي، ما تقولون؟ فقالوا: نحن معه.

فأفرج عني!

وفي موضع آخر يروي القاضي التنوخي خبراً عن أحد التجار العمانيين بعنوان "سائل بالأبلة، وسائل بالصين". يقول فيه:

وحدثني، قال: حدثني القاضي أحمد بن سيار، قال: حدثني شيخ من التجار بعمان، قال: كنتُ بالأبلة، أريد الخروج إلى البحر، فرأيتُ سائلاً بباب الجامع، فصيح اللسان، مليح المسألة، فرققت له، وأعطيته دراهم صالحة.

وخطفتُ في الوقت إلى عمان، فأقمتُ بها شهوراً، ثم قضيتُ لي أن مضيتُ إلى الصين، فدخلتها سالماً، فإذا أنا يوماً أطوف، فإذا الرجل بعينه قائماً في السوق يتصدق.

فتأملته، فعرفته، فقلت له: ويحك، سائلاً بالأبلة، وسائلاً بالصين.

فقال: قد دخلت إلى هذا البلد، ثلاث دفعات، وهذه الرابعة، لطلب المعيشة، فلا أجدها إلا من الكدية، فأرجع إلى الأبلة، ثم أرجع إلى ها هنا.

قال: فعجبت من شدة حرمانه.^٢

١ - المحسن بن علي التنوخي. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالحي (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥)، ج٢، ص ١٦٣ - ١٦٥.

٢ - المصدر السابق، ج٣، ص٧٨.

ومما جاء في هذا الكتاب عن عمان خبر بعنوان "معز الدولة ينفذ وزيره المهلبى إلى عمان"، يقول فيه التنوخي:

قال المهلبى: لما عزم معز الدولة، على إنفاذي إلى عمان، طرقتني أمر عظيم، فبت ليلة، ما بت في عمري مثلها، لا في فقري، ولا في صغر حالي.
و ما زلت أطلب شيئاً أتسلى به عما دهمني، فلم أجد.

إلا أنني ذكرت، أنني حصلتُ أيام صباي بسيراف، لما خرجت إليها هارباً، فعرفت هناك قومًا، أولوني جميلًا، وحصلتُ لهم علي أياد، ففكرت، وقلت: لعلني إذا قصدت تلك البلدان، أجدهم، أو بعضهم، أو أعقابهم، فأكافئهم على تلك الأيادي.

فلما ذكرتُ هذا تسليت عن المصيبة بالخروج، وسهل علي، ووطنت نفسي عليه^١.

وفي موضع آخر من الكتاب يروي القاضي التنوخي خبراً بعنوان "شاعر يقتضي ثواب مديح". يقول فيه:

كتب إلي عمرو بن محمد بن الأشعث، شابٌ ورد من عُمان، مجتازاً بواسطة -ذكر أنه كان من الجند فيها، فزالت نعمته، وهرب حين ملك الديلم عُمان - أبياتاً في آخر رقعة له، اقتضاني فيها، ثواب مديح، كان أسلفنيه، وهي:

مات الرجاء بغيظه فلك البقا
ولربما أفضى النعيم إلى الشقا
فإن احترقُ فمن تلهب حادث
لأقل منه تلهباً أن يحرقا
إن كان عود الجود جف فإنه
لم يسق ماءً ندالك حتى أورقا
وأريد منك إذا حرمتُ مطالبني
تسعى معي فلعلني أن أرزقا^٢

١ - المصدر السابق، ج٧، ص١٦٤.

٢ - المصدر السابق، ج٨، ص٧٣.

وفي موضع آخر نقراً خبراً بعنوان "صاحب عمان يهدي فيلاً لمعز الدولة". يقول التتوخي:

قلت: أنا رأيتُ بالبصرة، في سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة، فيلاً، لطيفاً، حملة صاحب عمان، إلى معز الدولة، فاجتاز بالبصرة، وحُمِل إلى دارنا، فأدخل إلى صحنها، فأيناه.

وسمعتُ عددًا كبيرًا من أهل البصرة، يخبرون أن هذا الفيل اجتاز في سوق الجامع، فقرب منه صبي دون البالغ، فصاح فيه الفيالون ليتنحى عن طريق الفيل، فدهش الصبي، وأدركه الفيل، فلف خرطومه عليه، وشاله، فرفعه إلى الفيالين، فأخذوه منه، فصاح الصبي، وطار عقله، فما أنزلوه إلا بدراهم.

وأنهم اجتازوا، بعد ذلك بأيام، فأدركت الفيلَ ضجرة، فقبض على صبي، فشاله بخرطومه، ورقاه في الهواء، ثم استقبله بنابه، فأدخله في جسمه، فقتله!

ومما رواه التتوخي وفيه ذكر لعمان حديثه عن رحلة يوسف بن وجيه من عمان إلى البصرة:

وحدثني أبو الفضل، قال: كنتُ مقيمًا بسيراف، أتصرف، واجتاز بها يوسف بن وجيه، يريد البصرة، ومحاربة البريدي، وضامنُها - إذ ذاك - ابن مكتوم الشيرازي، وهو مدبرها حربًا وخراجًا من قبل الأمير علي بن بويه، فتلقاته، وخدمه خدمة ارتضاها، ونزل بظاهر البلد، فحمل إليه ابن مكتوم، كلَّ شيء من الألفاظ والهدايا.

قال: فقال له يومًا: والله، ما وردتُ هذا البلد، إلا وفي نفسي الاجترأ عليه، وتخليف جيش به، ثم الخروجُ إلى البصرة، ولقد كاتبني جميع وجوه البلد في ذلك، وأشاروا علي بهذا، ولكني قد استحييت منك أن أفعل، فإنك بدأتني بالخدمة، وأنا في أطراف عملي، وليس بكثير أن أهب لك هذا البلد.

قال: وقد كان بلغنا أن أهل البلد كاتبوه بذلك، ولم نتحقق هذا، ولما قرب، أشار أهل البلد، على ابن مكتوم، بالانصراف، وأن لا يحضر، وخوفوه أن يقبض عليه، وأرادوا بذلك أن يتم التدبير لهم، في تملك يوسف ابن وجيه البلد.

فلم يجسر ابن مكتوم على ذلك، وقال: لأن يقبض عليّ، وليس لي إليه ذنب يقتلني به،

أحِبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصَيَّرَ لِنَفْسِي ذَنْبًا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهٍ، فَيَقْتَلَنِي بِهِ، فَإِنَّهُ يَظُنُّ أَنِّي وَاطَّأْتُ عَلَى خُرُوجِ الْبَلَدِ مِنْ يَدِهِ لِأَكْسَرَ مَالَ الضَّمَانِ، وَيَقُولُ لِي: كَانَ يَجِبُ الصَّبْرُ، إِلَى أَنْ يَدْخُلَ، فَيَقْبِضَ عَلَيْكَ، أَوْ تَجِيئَتِي بَعْدَ وَاقَعَةٍ يُخَدِّشُ فِيهَا رِجْلًا، وَلَمْ يَبْرَحْ، وَأَخْلَدَ إِلَى خِدْمَتِهِ الْخِدْمَةَ الْعَظِيمَةَ، فَفَنَعَهُ ذَلِكَ، وَتَخَلَّصَ.

قال: فلما كشف له يوسف، ما كان في نفسه، دعا له، وشكره، وتذلل.

فقال له يوسف: وقد كنت عملت أن لا أشرب، إلى أن أفتح هذا البلد الذي أقصده، ولكن قد اشتقت إلى الشرب، شهوة لأن أشرب معك، لِمَا رَأَيْتُهُ مِنْ ظَرْفِكَ وَفَتَوَتِكَ، فَتَعَوَّدَ الْعِشْيَةَ إِلَى الشَّرَابِ، وَمَعَكَ مِنْ تَأْنَسُ بِهِ مِنْ أَصْحَابِكَ.

قال: فانصرف، واختار جماعةً من وجوه البلد، ووجوه المتصرفين، كنتُ واحدًا منهم.

وجاءنا رسولُ يوسفَ بعد الظهر، فركب، ونحن معه، حتى أوصلنا إلى حضرته، فأجلسنا في فَازَةٍ بَهْنَسِيٍّ لَمْ أَرْ قَبْلَهَا مِثْلَهَا حَسَنًا، فِي صَدْرِهَا سَدَّةٌ أَبْنُوسٌ مُضَيَّبَةٌ بِالذَّهَبِ، وَمَسَامِيرُهَا ذَهَبٌ، وَعَلَيْهَا دَسْتٌ دِيبَاجٌ فَآخِرٌ جَدًّا، وَبَيْنَ يَدَيْهَا بَسَاطٌ جَهْرَمِيٌّ فَوْقَهُ حَصِيرٌ وَاسِعٌ، كَبِيرٌ، عَظِيمٌ، طَبْرَانِيٌّ، وَمَخَادَةٌ.

وخرج يوسفُ، فجلس، وجلسنا معه، وأحضرت مائدةً فضةً بزرافين، نَسَعُ عَشْرِينَ نَفْسًا، فَجَلَسْنَا عَلَيْهَا، وَنَقَلَ عَلَيْنَا مِنَ الطَّعَامِ، مَا لَمْ أَرْ مِثْلَهُ حَسَنًا، فِي أَوَانِي كُلِّهَا صِينِيٍّ.

قال: وتأملت، فإذا خلف كل واحد منا، غلامٌ صغير، مليح، قائمٌ بشرابي ذهب، وكوز بلور فيه ماء، فأكلنا.

فلما تم أكلنا، نهض يوسف، فخرج من وراء الفَازَةِ، إِلَى مَوْضِعٍ، وَجَاءَنَا فَرَاشُونَ بَعْدَدْنَا، بِطَسَاسٍ وَأَبَارِيقٍ مِنْ فَضَّةٍ، وَمَجَامِعَ فَضَّةٍ، فَعَسَلْنَا أَيْدِينَا دَفْعَةً وَاحِدَةً.

ومضى أولئك الغلمان الأصاغر، وجاء غيرهم بعددنا، ومعهم المرايا المحلاة الثقيلة، والمضارب البلور، والمداخن المحلاة الحسنة، فتبخرنا دفعة واحدة.

وتركنا ساعة في موضعنا، ثم استدعينا، فأدخلنا إلى فَازَةِ الْأُطْفِ مِنْ تِلْكَ، دِيبَاجٌ، وَفِيهَا سَدَّةٌ صَنْدَلٌ مَحْلَاةٌ بِفَضَّةٍ، فِيهَا دَسْتٌ دِيبَاجٌ، وَحَصِيرٌ طَبْرِيَّةٌ، مِثْلُ تِلْكَ الْحَصْرِ، وَفِيهَا نَحْوُ ثَلَاثِينَ مَطَاوِلَةً، مَسْبَكَةٌ، ذَهَبٌ كُلُّهَا، عَلَيْهَا تَمَاثِيلُ الْعَنْبَرِ، عَلَى هَيَاةِ الْأَتْرَجِ وَالْبَطِيخِ، وَالِدَسْتَنُبُو، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قال: فأمر يوسف، بإخراج الأنبذة، في مِدَاقَات بلور، تسمى بالفارسية: جاشنكير، فأخرجت عدة أنبذة من العنب، مما يعمل في جبل عمان، لم نطق أنه يكون في تلك النواحي بحسنها وطيبها.

فاختار ابن مكتوم، نبيداً منها، فملئت الظروف منه، وقام على رأس كل واحد منا، غلام يسقيه، ويتفقد نقله، ويتفرد بخدمته، إلى أن شربنا أقداحاً.

ثم أجرى يوسف، حديث علي بن بويه، فقال لابن مكتوم، وقد خرج من حديث إلى حديث: أحب أن تخبرني عن أخي أبي الحسن علي بن بويه، أي شيء اعتقد في إمارته هذه؟ قال: إن له ألفي غلام أتراك، وأربعة آلاف بغل، وألفي جمل.

قال: وأخذ يكثر عليه من هذا.

فقال له: ويحك، هؤلاء عيال، وسبب خرج، لم أسأل عن هذا، إنما سألت أي شيء ادخر، مما يتنافس فيه الملوك.

قال: فقال له: وصل من الكنوز العتيقة، والأموال التي استخرجها إلى تسعين ألف ألف درهم.

قال: فقال: ولا هذا أردت، إنما أردت الذخائر والجواهر، وما يخف، وما يحمله الملوك معهم، محملاً لطيفاً، إذا حزبهم أمر.

قال: فقال ابن مكتوم: لا أعلم، إلا أنني سمعت، أن الجبل الذي كان للمقتدر، قد وصل إليه.

فقال: وما الجبل؟ قال: فص ياقوت أحمر، فيه خمسة مثاقيل، إلا أنني ابتعت له جوهرتين، بمئة وعشرين ألف درهم.

فقال: قد أنستُ بك، واقتضى أن أريك، ما صحبتني في هذه السفرة، من هذا الجنس، إن نشطت لذلك.

قال: فشكره، ودعا له، وقال: إي والله، أنشط لذلك، وأتشف به.

قال: فدعا بغلام، وقال: امض، فهات الربعة الفلانية.

قال: فجاءه بربعة كبيرة.

قال: وكانت بين يديه خرائط خراسانية، مطروحة في المجلس، فاستخرج من واحدة منهن،

مفتاح ذهب، وتأمل أولاً، ختم الربعة، ثم فتحها بالمفتاح، وأخرج إلينا قضيباً عليه خواتيم، نحو خمسمائة خاتم، يواقيت، وفيروزج، وعقيق، لم نر مثله، فأرانا إياه، وقال: ليس هذا بشيء، فدعوه. قال: فتركناه، ثم أخرج إلينا عقداً، فيه ثلاث وتسعون حبةً جوهر، كل واحد منها، على قدر بيض الحية والعصفور، فدهشنا من عظمها.

فقال: إن هذا العقد، في خزانة خالي أحمد بن هلال وخزانتني من بعده، منذ كذا وكذا سنة، والجوهر إلينا يصل أولاً، ثم يتفرق من عندنا إلى البلاد، ونحن مجتهدون، في أن نجد سبع حبات تشابه هذا، فيحصل في العقد مئة حبة، فما نقدر على ذلك، منذ كذا وكذا سنة.

قال: ثم أخرج إلينا فصاً من الماس، فلبسه في الحال، وأدناه من فص عقيق كان في يد ابن مكتوم، فجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد، حتى تكسر فص ابن مكتوم.

قال: ثم استخرج منديلاً لطيفاً، فحلّه، وأخرج قطعاً، ففرقه بيده، واستخرج منه شيئاً خطف أبصارنا، وأضاء المجلس له، حتى دهشنا، وسلمه إلى ابن مكتوم، وقال: تأمله.

قال: فتأملناه، فإذا هو ياقوت أحمر، على كُبر الكف، وقدها من الطول والعرض.

قال: فدهشنا.

فقال يوسف بن وجيه: أي هذا، يا ابن مكتوم، من الذي وصفته؟ قال: فانكسر ابن مكتوم. وما زلنا نقلب تلك الكف، ونشرب عليها ساعة.

قال: ثم أخرج إلينا من الربعة، حشائش، ذكر أنها سموم قاتلة في الحال، وحشائش، ذكر أنها تبرئ من تلك السموم في الحال.

قال: وأخرج أشياء، هائلة، طريفة، لم يعلق بحفظي منها، إلا ما ذكرته، لدهشتي بما رأيت. قال: فلما جاء المساء، جاءنا بشموع عنبر، فوضعت تتقد.

قال: وشربنا إلى نصف الليل، وانصرفنا.

وشخص يوسف إلى البصرة، وحرابه البريدي، فهزمه، وأفلت مركب، وأحرقت باقي مراكبه، فلم يحب الاجتياز بسيراف، فتوه في البحر، وسلك وسطه، يريد عمان.

قال: وبلغنا الخبر، وأنفذ ابن مكتوم، صاحبًا له، إلى عمان، يتوجع له، ويتعرف خبره، وكاتبه على يده.

قال: فدخل صاحبنا إلى عمان، قبله بأيام، ثم وردها يوسف، فلما وقف على الكتب تذكر عهد ابن مكتوم، وذكره بالجميل، ووهب لصاحبه خمسة آلاف درهم، وأنفذ إلى ابن مكتوم هدية قيمتها مائة ألف درهم تجتمع على طرائف البحار، وأنفذ إلى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضورًا دعوته مع ابن مكتوم، عدة أثواب من صنوف الثياب، وأفخرها، وأحسنها، وكنت ممن وصل إليه ذلك!

ومن عجيب ما رواه القاضي التنوخي في هذا الكتاب خبر بعنوان "كردك النقيب الديلمي يغتال مستأمنًا طمعًا في ماله"، يقول فيه:

ومنها: ما جرى في عصرنا، وأخبرت به، من أمر كردك النقيب: وذلك، إن معز الدولة، أنفذه إلى رجل بعمان، يقال له النوكاني، كان قد ملكها عقيب انقراض بني وجيه، ملوكها، فراسله في تسليمها إليه، وتهدهه بالجيش.

وكان الرجل تاجرًا موسرًا، إلا أن أهل البلد ملكوه، فملك.

فلما جاءته الرسالة، انحل، وأجاب إلى تسليم البلد.

وخلع على كردك وردّه.

فاضطرب أهل البلد عليه، وثاروا به، وقبضوا عليه، وخيروه موضعًا ينفي إليه، فاخترت البصرة. وجمع متاعه، وأمواله، وصيكاك ضياعه وعقاره، بعمان، والبصرة، وحسابه، وثبت ودائعه، وذخائره، وكل ما يملكه، قليل، وكثير، وعتيد.

قال: وجعله في مركب، وخطف يريد البصرة، وقد احتوى مركبه على مال كثير.

فلقيه كردك في الطريق يريده، وعنده أنه بعمان، بجواب الرسالة.

فلما رآه طرح إليه، فعزّفوه خبره، فوجده في نفر يسير، فطمع فيه، وبات معه في مركبه، ونقل إليه من غلمانة قطعة.

فلما كان الليل، قيده، وطرحة في البحر، واحتوى على جميع ما في المركب، ونقل، إلى مركبه، من الجواهر، والطيب، وفاخر المتاع، والجواري، وما أراد، وترك الباقي في المركب. وسار حتى أتى معز الدولة، فعرفه ما عمل، وسلم إليه عقود الضياع، وثبت الودائع، واستوهب منه من بقي من الجواري، وأشياء أرادها أيضًا من المتاع، فوهبها له. وطاح دم الرجل.

وقبض الأمير الضياع، وأمر ببيعها، فبيعت، وقد شاهدتُ بيعها.

وبلغني، أن المشتريين، كانوا يستلمون كتب الرجل بشرائها، فتسلم إليهم^١.

ومما رواه القاضي التنوخي وفيه ذكر لعمان خبر بعنوان "الخارجي وصلاة الجمعة"،

يقول فيه:

حدثني أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار، قال: رأيت بعمان شيخًا من الخوارج، قد دخل في يوم الجمعة، من ناحية بلد الشراة، إلى السوق بعمان، وكانت طريق الناس إلى الجامع، والناس يتعادون إلى حضور الجمعة، خوفًا من فوتها، والخارجي ماشٍ الهويناء في حاجته، لا يراعي أمر الجمعة، فإذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع، فالتقيا.

فقال الشيخ للخارجي، وهو لا يعرفه، وقدر أنه يريد الجامع: إلى أين تمضي يا شيخ؟ وقد صلى الناس وفاتت الصلاة؟ فقال الخارجي: يا أبله، إنما فاتت من أدركها.

يريد أن التجميع معهم، لا يسقط الفرض الذي هو الظهر، وهو إذا جمع معهم ترك الظهر، فتفوته الصلاة الواجبة، وهي الظهر، ويصلي ما لا يجزي عنه في مذهبه من تفكيرهم.

قال: ولم يفهم الشيخ ما سمعه.

وقلت أنا للخارجي: أظنك - أعزك الله - شاريًا؟ قال: فقال: نعم، والحمد لله.

قال: وهم يستحبون أن يقال لهم شراة، ويأبون أن يقال لهم: خوارج، ويذهبون إلى قوله

تعالى (وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ)^٢.

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

٢ - المصدر السابق، ج ٨، ص ٦٩.

ومن عجيب ما رواه القاضي التنوخي وفيه ذكر لعمان خبر عن ملك الهند يحاور الحكماء من رعيته، يقول فيه:

حدثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيار، قال: حدثني شيخ من أهل التيز ومكران، لقيته بعمان، ووجدتهم يذكرون ثقته، ومعرفته بأمر البحر، وحدثني القاضي، قال: حدثني هذا الشيخ: أن رجلاً بالهند من أهلها حدثه: أن خارجياً، خرج في بعض السنين، على ملك من ملوكهم، فأحسن التدبير، وكان الملك معجباً برأيه، مستبداً به فأنفذ إليه جيشاً، فكسره الخارجي، فزحف إليه بنفسه.

فقال له وزرأؤه: لا تفعل، فإن الخوارج تضعف بتكرير الجيوش عليها، والملك لا يجب أن يغرب بنفسه، بل يطاول الخارجي، فإنه لا مادة له يقاوم بها جيشاً بعد جيش، إذا توالى عليه جيوش الملك.

فلم يقبل، وخرج بنفسه، فواقعه، فقتله الخارجي، وملك داره ومملكته، فأحسن السيرة، وسلك سبيل الملوك.

فلما طال أمره، وعز ذكره، وقوي سلطانه، جمع حكماء الهند، من سائر أعماله، وأطراف بلدانه، وكتب إلى عماله أن يجتاز أهل كل بلد، مئة منهم، من عقلائهم وحكمائهم، فينفذوهم إليه، ففعلوا.

فلما حصلوا ببابه، أمرهم باختيار عشرة منهم، فاختروا، فأوصل العشرة، وأوصل من أهل دار المملكة عشرة، وقال لهم: يجب على العاقل، أن ينظر عيوب نفسه فيزييلها، فهل ترون في عيباً، أو في سلطاني نقصاً؟ فقالوا: لا، إلا شيئاً واحداً، إن أمنتنا قلناه. قال: أنتم آمنون.

قالوا: نرى كل شيء لك جديداً، يُعرضون أنه لا عرق له في الملك.

فقال: فما حال ملككم الذي كان قبلي؟ قالوا: كان ابن ملك.

قال: فأبوه؟ قالوا: ابن ملك.

قال: فأبوه؟ إلى أن عدد عشرة أو أكثر، وهم يقولون، ابن ملك، فانتهى إلى الأخير.

فقالوا: كان متغلبًا.

قال: فأنا ذلك الملك الأخير، وإن طالت أيامي، مع إحساني السيرة، بقي هذا المُلْك بعدي، في ولدي وولد ولدي، فصار لأولاد أولادهم من العرق في الملك، مثل ما كان لملككم الذي كان من قبلي.

فسجدوا له، وكذا عادتهم إذا استحسنا شيئًا، ولزمتهم حجة، وانصرفوا، فازداد بذلك الملك توطدًا له.

قلت أنا للقاضي: هذا شيء قد سبقت العرب إليه في كلمتين، استغني بهما عن هذا المثل الطويل العجمي.

فقال: ما هما؟ فقلت: روت العرب أن رجلين تفاخرا، فقال أحدهما لصاحبه: نسبي مني ابتداءً، ونسبك إليك انتهى!

ومما رواه القاضي التنوخي في كتابه أيضا خبر بعنوان "الصلت بن مالك الشاري يدعو الله أن يوقف المطر"، يقول فيه:

حدث أبو علي المحسن، قال: حدثني أبو القاسم الحسن بن علي بن إبراهيم بن خالد الشاهد العكبري، أمام الجامع فيها، قال: حدثني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، قال: كنت بعُمان مع الصلت بن مالك الشاري، وكانت الشراة تدعوه: أمير المؤمنين. وكانت السنة كثيرة الأمطار، ودامت على الناس، فكادت المنازل أن تتهدم، فاجتمع الناس، وصاروا إلى الصلت، وسألوه أن يدعو لهم.

فأجل بهم أن يركب من الغد إلى الصحراء، ويدعو.

فقال لي بكر لتخرج معي في غد، فبت مفكرًا، كيف يدعو.

فلما أصبحت، خرجت معه، فصلى بهم، وخطب، ودعا، فقال: اللهم إنك أنعمت فأوفيت، وسقيت فأرويت، فعلى القيعان ومنابت الشجر، حيث النفع لا الضرر.

فاستحسنْتُ ذلك منه.^٢

١ - المصدر السابق، ج١، ص ١١٠-١١١.

٢ - المصدر السابق، ج٤، ص ١٠٨.

ومما ورد في نشوار المحاضرة من ذكر لعمان أيضا حديث التنوخي عن الفضل بن الوزير المهلبي:

قال أبو علي: كنت في سنة ٣٥٢ ببغداد، فحضر أول يوم شهر رمضان فاصطحبنا أنا وأبو الفتح عبد الواحد بن أبي علي الحسين بن هارون، الكاتب في دار أبي الغنائم، الفضل بن الوزير أبي محمد المهلبي، لتنهئته بالشهر، عند توجه أبيه إلى عمان.

وبلغ أبو محمد إلى موضع من أنهار البصرة يعرف بعلياباذ، ففترت نيته عن الخروج إلى عمان. واستوحش معز الدولة منه، وفسد رأيه فيه.

واعتل المهلبي هناك، ثم أمره معز الدولة، بالرجوع من علياباذ، وأن لا يتجاوز، وقد اشتدت علته، والناس بين مرجف بأنه يقبض عليه إذا حصل بواسطة، أو عند دخوله إلى بغداد، وقوم يرجفون بوفاته!

ويرد ذكر عمان أيضا في باب عنوانه (أبو العباس ابن الفرات يهدد عاملا قد أظ بالمال). يقول التنوخي:

حدثني أبو الحسين، قال: حدثني أبي، وأبو منصور عبد الله بن جبير النصراني، قالوا: حضرنا مجلس ابن الفرات، وقد عملت مؤامرة لابن حبش العماني، وكان يتقلد الزاب ونهر سابس، في أيام وزارة عبيد الله بن سليمان.

فأخذ أبو العباس وأبو الحسن يناظرانه عليها، إلى أن أزم خمسة وعشرين ألف درهم، من أبواب صحيحة، وطولب بأدائها، وأخذ خطه بتصحيحها.

فصح خمسمائة وأربعين، طول المدة، وأظ بالمال، فقيد فلم ينفع، وضرب سبع مقارع، فلم يؤد.

وكان إذا خرج بإنسان من العمال، إلى هذا القدر من المكروه، فعندهم أنه النهاية. فأخرجه أبو العباس إلى حضرته، وطالبه بالمال، فأقام على أنه لا شيء معه، وأن ضيعته وقف. فقال له: ويلك، لا أعرف أجهل منك، إذا كان هذا صبرك على المكروه، وإسلامك لنفسك، وبذلك لها، فلم لم تأخذ أصل الارتفاع؟ فإننا ما كنا نعمل بك أكثر من هذا.

ولكن إن شئت، فأنا أدع عليك هذا المال، وأصرفك إلى منزلك، ولكن بعد أن كشف للوزير صبرك على المكاره، فلا تتصرف -والله- في أيامه أبداً، ويذهب خبرك. قال: فقلق من ذلك، وسأل أن يخفف عنه شيء من المال، ليؤدي الباقي. فما برحنا حتى تقرر أمره على بعض المال، وأداه، وانصرف!

تاريخ علماء الأندلس

لابن الفرضي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم ابن الفرضي لمحمد بن عيسى البيهقي:

مُحَمَّدُ بن عيسى البيهقي: أندلسي؛ يُكْتَبُ: أبا عبد الله.

دخل خُراسان، وأرض فارس تاجراً، حَدَّثَ عن محمد بن محبوب، لقيه بمدينة عُمان، وعن أبي علي الحسن بن علي الأصبهاني المؤدّب، لقيه بمدينة نَزْمَاشِير من بلد كَرْمان، وعن أبي أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن نُوح الطُوسي، وعن أبي جعفر محمد بن أحمد بن أبي عامر البُسْطَامِيّ لقيه بمدينة بسطام، وعن أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَامِ بن سعد، وأبي العباس محمد بن يوسف بن يعقوب الأَصَمِّ بمدينة نيسابور، وَعَبْدَ اللَّهِ بن عديّ الحَافِظ، وأبي بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي بجزّان، وأبي عمران موسى بن القاسم الأشيب بالمصيصة، وأبي الفضل جعفر بن مُحَمَّدَ بمدينة جَنْزَةَ^١.

١ - ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: عزت العطار الحسيني (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨)، ج٢، ص٥٧.

الإيناس بعلم الأنساب

للوزير المغربي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يعرف الوزير المغربي بسامة بن لؤي ونسله :

سامة بن لؤي بن غالب بن فُهر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر. وقد اختلف في أمره، وقيل : إنه وكعبًا كانا يُشْرَبان، فجرى بينهما لِحَاءٌ ففَقَأَ سامةُ عَيْنَ كعب، وخرج هاربا، فَأَتَى عُمَانَ.

وقال الكلبي، في كتاب "نواقل بني نزار": وقعت الحرب بين بني كنانة، فافترقوا فرقتين: بنو النَّضْر ابن كِنانة، وعليهم عامر بن لؤي، وبنو عبد مَناة بن كِنانة، وعليهم يَعْمُر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناة، وَيَعْمُر هذا هو الشُّدَّاح، وقد قيل: الشُّدَّاح، بفتح الشين، والأوَّل أثبت عند الكلبي.

وإنما سُمِّي "الشُّدَّاح" لشُدْحِهِ الدِّمَاءَ بتحملة لها. قال: ثم اصطلحوا فوضع عامر ابنه سعدًا عند يَعْمُر، وسعد هم الذين يقال لهم: بُنَانة، بحاضنة لهم، ووضع يَعْمُر ابنا له عند سامة ابن لؤي. فشرب سامة فسكِر، فمَرَّ بالغلام جَفْرٌ لسامة، فرماه الغلام فوقَّده، فضر به سامة بالسيف فقتله، وخرج هاربا من عامر أخيه، وقُتِل ابن عامر به، فاقتتل في ذلك الفتان، وكتب سامة بن لؤي إلى قومه:

رُبَّ كَأْسٍ شَرِبْتُهَا ثُمَّ أُخْرَى

لَمْ تَكُنْ مُرَّةً وَلَا مُهْرَاقَةً

وَحَرْوَسِ السُّرَى تَرَكَتُ رَذِيًّا

بَعْدَ جِدِّ وَجِدَّةٍ وَرِشَاقَةٍ

وَفَتَاةٍ سَبِيْتُ يَابْنَ لُؤْيٍ

ذَاتِ دَلِّ كَرِيمَةٍ بَرَّاقَةٍ

أَبْلَغَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولًا
 أَرَّتْ نَفْسِي إِلَيْهِمَا مُشْتَاقَةً
 إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارِي فِإْتِي
 غَالِبِيُّ خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ

وروي لنا عن ابن هاشم النَّحوي أنه قال: جاء رجل من ولد سامة إلى رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانتسب إلى سامة بن لُؤَيٍّ، فقال: "الشاعر"؟ فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، كأنك أردت قوله:

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتُ يَابْنَ لُؤَيٍّ
 حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَةً
 فقال: "أجل".

وقال بعضهم: إن سامة شَرِبَ مع أخيه كعب، فرأى كعبًا قد قَبِلَ امرأته، فأَنِفَ من ذلك، فهرب إلى عُمَانَ، فقال في ذلك المُسَيَّبِ ابنِ عَلَسِ الصُّبُعِيِّ:

وَقَد كَانَ سَامَةً فِي قَوْمِهِ
 لَهُ مَطْعَمٌ وَلَهُ مَشْرَبٌ
 فَسَامُوهُ خَسْفًا فَلَمْ يَزُضْهُ
 وَفِي الْأَرْضِ مِنْ خَسْفِهِمْ مَهْرَبٌ

واختُلف في إِعْقَابِ سَامَةِ، فكان هشام وغيره يروي عن علي بن أبي طالب، صلوات الله عليه: أَنَّ سَامَةَ لَا عَقِبَ لَهُ، ولذلك خبر سنذكره إن شاء الله. وقال آخرون: إِنَّهُ وُلِدَ لسَامَةَ ابن يقال له: الحارث. وأُمُّهُ هند بنت تَيْمِ الأَدْرَمِ ابنِ غَالِبِ. فماتت هند، فحمل الحارث معه إلى عُمَانَ.

وتزوَّج سَامَةَ نَاجِيَةَ بنتِ جَزْمِ بنِ رَبَّانٍ- وهو عِلاف بن حُلْوَانَ ابنِ عِمْرَانَ بنِ الحَافِ بنِ قُضَاعَةَ- بَعْمَانَ، أو سَيْفِ من أَسْيَافِ البَحْرِ، فولدت له غَالِبُ بنِ سَامَةَ. فهلك وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وحَلَفَ الحارث بن سامة على نَاجِيَةَ، نِكَاحَ مُقْتَمَتٍ، فَعَقِبَ سَامَةَ مِنْهُ.

وقوم يقولون: كان لناجية ولد من غير سامة، وكان سامة متبئياً له فنسب إليه، فالعقب لذلك الولد.

وأجمعوا جميعاً أن سامة بينما هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حية بمشفرها في حشيشة فنفضتها، فوقعت على ساق سامة، فنهشته في ساقه فقتلته، فقال الشاعر "وقيل أن سامة قال ذلك لما أحس بالموت":

عَيْنُ بَكِّي لِسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ
حَمَلْتُ حَنْفَهُ إِلَيْهِ النَّاقَةَ
عَيْنُ بَكِّي لِسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ
عَلِقْتُ مَا بِسَامَةَ الْعَلَّاقَةَ
رُمْتُ دَفْعَ الْحُثُوفِ يَابْنَ لُؤَيٍّ
مَا لِمَنْ رَامَ ذَلِكَ بِالْحَنْفِ طاقَهُ

وقد تُخلط هذه الأبيات بالأبيات التي تقدمتها.

وقيل: إن قوماً من ولد سامة جاءوا إلى علي، عليه السلام، فانتسبوا إلى سامة، فقال لهم: إن سامة لم يدع إلا بنت يُقال لها: عاجة، فإن كنتم من ولدها فأنا خالكم.

قال الهيثم: وبلغنا أن رجلاً من ولد سامة دخل على علي بن أبي طالب، عليه السلام، فقال: ممّن الرجل؟ فقال: من قريش، قال: إن قريشا قد فسأ وضرب، فمن أيهم أنت؟ قال: من بني سامة بن لؤي، فقال علي، عليه السلام: إن سامة لا يُؤلّد له، وكانت أمّة فوثب عليها عبد له أسود، فإن كنت ممن ينتمي إلى سامة، فأنت من ولد العبد، فأغضب ذلك الرجل، وخرج فأخبر قومه، فغاضهم، وكان في جملتهم الخريّيت بن راشد السّامي، فغاض ذلك الخريّيت حتى حمّله على مخالفة علي، عليه السلام.^١

١ - الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي. الإيناس في علم الأنساب، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٨٠)، ص ١٧٤ - ١٧٨.

الأزمنة والأمكنة

للمرزوقي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث المرزوقي عن أسواق العرب في الجاهلية:

ثم يرتحلون منها إلى المشقر بهجر، فيقوم لهم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشهر، يوافي بها أهل فارس يقطعون إليها تبعًا لعادتهم ثم يتقشعون عنها من مثلها إلى مثلها من قابل، وكانت عبد القيس وتميم جيرانها وكانوا ملوكها من بني تميم، من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوي وكانت ملوك فارس تستعملهم عليها كما يستعملون بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عُمان، وكانوا يصنعون فيها ما يريدون، ويسرون بسيرة الملوك بدومة في البيع، وكانوا يعشرونها أي يمكسونها، وكان جميع من يأتيها لا يقدر عليها إلا بخفارة من سائر الناس، وكانت أرضًا معجبة لا يراها أحد فيصبر عنها، وكانت لا يقدمها لطيمة إلا تخلف بها منهم ناس، فمن هناك صارت بهجر من كل حي من العرب وغيرهم، وكان بيعهم فيه الملامسة والهمهمة والإيماء يومئ بعضهم إلى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا، وإنما فعلوا ذلك كيلا يحلف أحدهما على كذب أن يزعم أنه بذل له صاحب السلعة.

ثم يرتحلون منها إلى صُحار أول يوم من رجب، في غير خفارة فيقدمونها لعشرين يومًا تمضي من رجب، فيوافيهم بها من لم يشهد ما قبلها من الأسواق، ومن شغل بحاجة ولم يكن له إرب فيما يباع في الأسواق التي قبلها، فينشرون من بزها وبياعاتها أو يبيعون بها خمسًا، فكان الجُلندي يعشرهم فيها وكان يبيعهم فيها بإلقاء الحجارة.

ثم يرتحلون منها إلى دُبا، وكانت إحدى فرص العرب يجتمع بها تجار الهند والسند والصين وأهل المشرق والمغرب فيقوم لها سوقها آخر يوم من رجب، فيشترون بها بيوع العرب والبحر، وبيعهم مساومة وكان الجُلندي يعشرهم فيها، وكان يصنع في ذلك فعل الملوك في غيرها.

ثم يسرون بجميع من فيها من تجار البحر والبر إلى الشحر شحر مهرة فيقوم سوقهم تحت

ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي عليه السلام ويبيعونهم بما ينفق بها من الأدم والبز وسائر المرافق ويشترون بها الكُنْدُر والمُرّ والصَّيْر والدَّخْن ولم يكن بها عشور، لأنها ليست بأرض مملكة وكان جميع من يختلف إليها من العرب بتجارة يتخفر ببني يثرب وهي تقلل من مهرة، وكانت سوقهم تقوم للنصف من شعبان وبيعهم بها بإلقاء الحجارة^١.

١- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي. الأمنة والأمكنة، تحقيق: خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث ابن حزم عن العتيك من الأزد:

ومن ولد العتيك أيضًا: بغام بن الحارث بن عبد الله بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد بن عمران، وهو أول من أغار على الفرس من جهة عمان؛ وعمرو بن الأشرف بن البخترى بن ذهل بن زيد بن كعب بن الأزد بن الحارث بن العتيك بن الأزد بن عمران، وابناه مسعود، وزيايد؛ قتل مسعود بالبصرة، وكان لقبه القمر، ففيه كانت حرب تميم والأزد؛ وله عقب بتبريز من أذربيجان؛ ومن ولده: تسنيم بن الحواري بن وائل بن همرو بن الأشرف، كان مع المنصور أيام خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالبصرة؛ ولتسنيم أخ يسمى عبد الله بن الحواري؛ وكان لتسنيم من الولد: زكرياء، والحسن، ويحيى، والأشرف بنو تسنيم. فولد الحسن بن تسنيم: سعيد بن الحسن؛ وولد زكريا بن تسنيم: يحيى بن زكرياء، وولد عبد الله بن الحواري: المسبح بن عبد الله؛ فولد المسبح: إسماعيل بن المسبح بن عبد الله!

ويرد ذكر عمان أيضًا حين يتحدث ابن حزم عن بني معولة بن شمس:

ومن بطون بني غالب بن عثمان أيضًا: بنو معولة بن شمس، أخي الحدار بن شمس، منهم: جيفر، وعباد، ابنا الجلندی بن كركر بن المستكبر بن مسعود بن الجراز بن عبد العزى بن معولة بن شمس، ملكا عُمان على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ كتب إليهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأسلما؛ وزيد الأعور بن جيفر بن الجلندی المذكور ارتد عن الإسلام؛ وللجلندی عقب، يملكون جزيرة واسعة بقرب عُمان إلى اليوم؛ ومحمد بن واسع الزاهد البصري، وهو من ولد زياد بن شمس، أخي معولة بن شمس المذكور.^٢

١ - ابن حزم الأندلسي. جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)، ج ١، ص ٣٧٠.

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم الخطيب البغدادي لعبد الله بن الحارث:

وكنا لما شرحنا خبر ورود عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ المدائن، تضمن القول بأن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحارث كان رسول الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ من المدائن إِلَى معاوية.

وَعَبْدُ اللَّهِ هَذَا، ولد على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفل في فيه ودعا له، وهو عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الحارثِ بْنِ نوفلِ بْنِ الحارثِ بْنِ عَبْدِ المطلبِ بْنِ هاشمِ بْنِ عَبْدِ مناف، ويكنى أبا مُحَمَّدٍ ويلقب بَبَّة، وأمه هند بنت أَبِي سفيانِ صخرِ بْنِ حربِ بْنِ أمية بْنِ عَبْدِ شمسِ بْنِ عَبْدِ مناف.

وقد صحب عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الحارثِ عُمَرَ بْنَ الخطاب، وروى عنه، وعن عثمانِ بْنِ عفانِ أَيْضاً، وكان من أفاضل المسلمين، تحول إِلَى البصرة فسكنها وبنى بها داراً.

ولما كان أيام مسعودِ بْنِ عمرو وخروج عبيد الله بْنِ زيادِ عَنِ البصرة، واختلف الناس بينهم، أجمعوا أمرهم فولوا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الحارثِ صلاتهم وفيئهم، وكتبوا بذلك إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزبير، وقالوا: إنا قد رضينا به، فأقره ابن الزبير على البصرة، فلم يزل عاملاً عليها سنة ثم عزله، وخرج عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الحارثِ إِلَى عُمان فمات بها!

ويرد أيضاً حين يترجم البغدادي للعلامة العماني محمد بن دريد:

محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي: بصري المولد ونشأ بعُمان وتنقل في جزائر البحر والبصرة وفارس وطلب الأدب وعلم النحو واللغة وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار وورد بغداد بعد أن أسن فأقام بها إلى آخر عمره. وحدث عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي وكان رأس أهل العلم والمقدم في حفظ

١ - الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢)، ج١، ص٥٨٠.

اللغة والأنساب وأشعار العرب وله شعر كثير. روى عنه أبو سعيد السيرافي وعمر بن محمد بن سيف وأبو بكر بن شاذن وأبو عبيد الله المرزباني وغيرهم.

أخبرنا علي بن أبي علي قال نبأنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن قال: قال لنا بن دريد أنا محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامي بن جرو بن واسع بن سلمة بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو بن مالك بن فهم قبيل بن غانم بن دوس قبيل بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد قبيل بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. قال بن دريد: وحمامي هذا أول من أسلم من آبائي وهو من السبعين راكبًا الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عُمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدوه: في هذا يقول قائلهم:

وفينا لعمرو يوم عمرو كأنه

طريد نفته مذحج والسكاسك

أخبرني محمد بن أبي علي الأصبهاني قال نبأنا الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغوي قال سمعت بن دريد يقول: مولدي بالبصرة سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

أخبرنا أحمد بن علي المحتسب قال أنبأنا إسماعيل بن سعيد المعدل قال أنشدنا أبو بكر بن دريد وقال هذا أول شيء قلته من الشعر:

ثوب الشباب عليّ اليوم بهجته

وسوف تنزعه عني يد الكبر

أنا بن عشرين ما زادت ولا نقصت

إن بن عشرين من شيب على خطر

سمعت أبا بكر محمد بن روق بن علي الأسدي يقول كان يقال إن أبا بكر بن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء.

حدثني علي بن المحسن التنوخي عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال حدثني

جماعة عن أبي بكر بن دريد أنه قال: كان أبو عثمان الأشنانداني معلّمي وكان عمي الحسين بن دريد يتولى تربيتي فإذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان يأكل معه فدخل عمي يوماً وأبو عثمان المعلم يرويني قصيدة الحارث بن حلزة التي أولها آذنتنا بينهما أسماء فقال لي عمي: إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ثم دعا بالمعلم ليأكل معه فدخل إليه فأكلا وتحادثا بعد الأكل ساعة فإلى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلزة بأسره فخرج المعلم فعرفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره علي فوجدني قد حفظته فدخل إلى عمي فأخبره فأعطاني ما كان وعدني به.

قال أبو الحسن: وكان أبو بكر واسع الحفظ جداً ما رأيت أحفظ منه كان يقرأ عليه داود بن العرب كلها أو أكثرها فيسبق إلى إتمامها ويحفظها وما رأيت قط قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له.

حدثني علي بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف يقول سألت أبا الحسن الدارقطني عن بن دريد فقال تكلموا فيه.

وقال حمزة: سمعت أبا بكر الأبهري المالكي يقول جلست إلى جنب بن دريد وهو يحدث ومعه جزء فيه ما قال الأصمعي فكان يقول في واحد حدثنا الرياشي وفي آخر حدثنا أبو حاتم وفي آخر حدثنا بن أخي الأصمعي عن الأصمعي يقول كما يجيء على قلبه.

كتب إلي أبو ذر الهروي سمعت بن شاهين يقول: كنا ندخل علي بن دريد ونستحي مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفي موضوع وقد كان جاوز التسعين سنة.

أخبرنا علي بن أبي علي قال سمعت أبا بكر بن شاذان يقول مات بن دريد سنة إحدى وعشرين.

قرأت على الحسن بن أبي بكر عن أحمد بن كامل القاضي قال مات أبو بكر بن دريد في يوم الأربعاء لثنتي عشرة ليلة بقين من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

حدثني محمد بن علي الصوري قال أنبأنا الحسن بن أحمد بن نصر القاضي قال أنبأنا أبو العلاء أحمد بن عبد العزيز قال كنت في جنازة أبي بكر بن دريد وفيها جحظة فأنشدنا لنفسه:

فقدت بابن دريد كل فائدة

لما غدا ثالث الأحجار والترب

وكنت أبكي لفقد الجود مجتهدًا

فصرت أبكي لفقد الجود والأدب

حدثني هبة الله بن الحسن الأديب قال قرأت بخط المحسن بن علي ان بن دريد لما توفي حملت جنازته إلى مقبرة الخيزران ليدفن بها وكان قد جاء في ذلك اليوم طش من مطر وإذا بجنازته أخرى مع نفر قد أقبلوا بها من من ناحية باب الطاق فنظروا وإذا هي جنازة أبي هاشم الجبائي. فقال الناس: مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي فدفنا جميعًا في الخيزرانية!

ويرد أيضًا حين يترجم الخطيب البغدادي للراجز العماني:

حرف الذال من آباء المحمدين محمد بن ذؤيب، أبو العباس النهشلي التميمي، المعروف بالعماني الراجز: قدم بغداد، ومدح هارون الرشيد، والفضل بن الربيع، وكان من أهل الجزيرة، فطراً إلى عُمان مرة ثم رجع إلى بلده فقيل له العماني، وغلب عليه. وعمر عمراً طويلاً. يذكر الأصمعي أنه مات وهو بن ثلاثين ومائة سنة. ويقال: إن أشعر الرجاز الرشيديين أربعة، العماني أولهم.

قرأت على الحسين بن علي الجوهري، عن أبي عبيد الله المرزباني قال: أخبرني محمد بن العباس، حدثنا محمد بن يزيد النحوي. قال: دخل محمد بن ذؤيب العماني علي الرشيد فأنشده أرجوزة- يصف فيها فرساً شبه أذنيه بقلم محرف- فقال:

كأن أذنيه إذا تشوفا

قادمة أو قلما محرفا

فقال له الرشيد: دع كأن، وقل: نخال. حتى يستوي الإعراب.^٢

ويرد أيضًا حين يترجم البغدادي لهارون بن محمد بن هارون الضبي:

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٩٤.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٨٠.

هارون بن مُحَمَّد بن هارون أَبُو جَعْفَر الصَّبِيّ والِد القَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الحُسَيْن بن هارون وهو من أهل عُمان، سكنَ بغداد، وحدث بِهَا عَنْ: صالح بن مُحَمَّد بن مهران الأبلِي، وغيره. روى عَنْهُ: ابنه القاضي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ.

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الكَرِيم بن مُحَمَّد بن أَحْمَد المحاملي، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِي بن عُمَر الدَّارِقُطِيّ، وذكر هارون بن مُحَمَّد بن هارون بن عَلِي بن مُوسَى بن عُمَرُو بن جَابِر بن يزيد بن جَابِر، والِد القَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الحُسَيْن بن هارون الصَّبِي، فقال: يُكْنَى أبا جَعْفَر، استولى عَلَى الفضائل، وساد عُمان فِي حَدَاثَةِ سنِهِ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا فَلَقِيَ العُلَمَاء بِمَكَّة والكوفة والبصرة ودخل إلى مدينة السلام سنة خمس وثلاث مائة فعلت منزلته عِنْد السلطان، وارتفع قدره، وانتشرت مكارمه وعطاياه، وانتابه الشعراء من كل موضع، وامتدحوه وأكثروا، وأجزَلْ صلاتهم، وأنفقَ أمواله فِي ير العلماء، والإفضال عليهم، وفي صلات الأشراف من الطالبين والعباسيين، وغيرهم، واقتناء الكتب المنسوبة، وكان مبرزًا فِي العلم بالغة والشعر والنحو ومعاني القرآن والكلام.

وكانت داره مجمعًا لأهل العلم فِي كل فن، إلى أن تُوفِّي فِي سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة. قلت: كَانَ أسلاف الصَّبِي مَلُوكَ عُمان فِي قديم الدهر، ويزيد بن جَابِر أدرك الإسلام فأسلم وحسَنَ إسلامه، وهو يزيد بن جَابِر بن عامر بن أسيد بن سالم بن تيم بن صبح بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد. وقيل: إن سالم بن تيم أول من دخل عُمان من بني ضبة فتملك بِهَا، ثُمَّ لم يزل ولده من بعده يرثون هناك السيادة والشرف، وأول من انتقل منهم هارون بن مُحَمَّد الصَّبِي!

المسالك والممالك للبيكري

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يصف البيكري بحر فارس؛

ويتشعب من هذا البحر خليج ثالث وهو بحر فارس، وطوله ألف وأربعمائة ميل وعرضه في الأصل خمسمائة ميل، وينتهي إلى بلاد الأبلّة والخشبات وعبادان من أرض البصرة. وخشبات البصرة سمي الموضع بذلك لأنها علامات من خشب منصوبة في البحر للمراكب إلى عُمان. وهذا أوّل حدّ فارس، وهذا الخليج مثلث الشكل تنتهي زاويته بلاد أبلّة، وعليه ممّا يلي الشّرق ساحل فارس وساحل سيراف وساحل كرمان وبلاد مكران، وهي أرض الخوارج، وهذه كلّها أرض نخل، ثمّ ساحل الهند وفيه مصبّ مهران وهو نهر السّند، ثمّ يتّصل إلى أرض الصّين ساحل واحد عامر.

ويقابل ما ذكرنا ممّا يلي الغرب جزائر قطر وشطّ بني جذيمة وبلاد عُمان، وهي تقابل بلاد كرمان، ثمّ أرض الشّحر والأحقاف وحضر موت.

وأهل الشحر ناس من قضاة ويدعى من سكن هذه البلاد من العرب المهرة، وهم يجعلون الشّين بدلا من الكاف، وعندهم أجود العنبر وهو المدور الأزرق التادر، ولهم نجب يركبونها على السّاحل، فإذا أحسّت بالعنبر بركت عليه، قد ريّضت لذلك واعتادته، وبهذا السّاحل يكون الكنذر ومنه يحمل. وأجود العنبر أيضا بجزائر الرّنج، وهو شيء يتكوّن في قعور البحار فيكون كأنواع الفطر والكمأة، ورّما بلغ منها شيئا الحوت المعروف بالأوال فيقتله فيطفو، وله ناس يرصدونه من الرّنج فيطرحون فيه الكلايب والحبال ويشقّون عن بطنه فيخرجون العنبر منها، ويعرف ذلك العنبر العطارون بالعراق وبالهند. وبساحل بحر الأندلس عنبر جيّد بموضع يقال له شنترين وشذونة.

وفي هذا الخليج جزائر كثيرة مثل جزيرة خارك، وفيها مغاص اللؤلؤ وهو المعروف بالخاركي، وجزيرة أوال فيها بنو معن وخلائق كثيرة من العرب، وفي هذا البحر الجبال المعروفة بكسير وعوير وثالث ليس فيه خير، وهي جبال سود ذاهبة في الهواء لا نبات لها ولا حيوان فيها،

يحيط بها موج من البحر متلاطم تجزع منه النفوس ولا بدّ للمراكب من الدخول في وسطها والاجتياز عليها فتخطيء وتصيب. وهي في طريق من قطع من عُمان إلى سيراف، وبين هذا الخليج وخليج القلزم المذكور من المسافة في البرّ ألف وخمسمائة ميل، وهذه المسافة داخلة في البحر، والبحر محيط بها من أكثر جهاتها.

وهذه البحار كلّها واحد: بحر الصّين والهند وفارس واليمن، وتختلف في ارتجاجها وتتضادّ، فأوّل ما تبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السّنبلّة إلى أن تصير إلى برج الحوت، وبحر الهند بالصّدّ، فهما شبيهان بطبيعة المدينتين اللّتين يهيجان في وقتها، فأما بحر فارس فأثّه يركب سائر السّنة.

وليس فيما ذكرنا من خلجان هذا البحر أنتن ريحا ولا أقلّ خيرا في بطنه وظهره من بحر القلزم، وهو على يمين بحر الهند، ولا أوحش منه ولا أكبر جبالا، والمراكب لا تسير فيه إلّا نهارا، فإذا جنّ اللّيل أُرست في مواضع معروفة كالمراحل. وهو حدّ بحر الهند والسّند الذي في قعره اللؤلؤ والعنبر، وفي جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضّة، ومن معادنه الأبنوس والخيزران والعود وأشجار الكافور والقرنفل والصّندل وأنواع الطّيب.

ومغاص اللؤلؤ في بلاد خارك وقطر وعُمان وسرنديب وغيرها من هذه البحار خاصّة، وغيره من البحار لا لؤلؤ فيه. والغاصّة لا يتناولون شيئا من اللّحمان إلّا السّمك، ولا بدّ من شقّ أصول آذانهم لخروج النفس لأنهم يحملون على أنوفهم الذّبل، وهو ظهور السّلاحف، ويجعلون في آذانهم قطنا فيه دهن يعصرون من ذلك الدهن في قعر البحر فيضيء ضياء نيرا، ويطلون سوقهم وأيديهم بالسّواد خوفا من بلع دوابّ البحر لهم، فتتنفر من السّواد، ويتصايحون صياح الكلاب في قعر البحر فينفرها أيضا، ورّما خرق الصوت البحر فيسمع، والغوص إنّما يكون من أوّل نيسان إلى آخر أيلول^١.

ويرد أيضا حين يصف البكري بلاد الزنج:

والزنج أطيب الأمم أفواها لرطوبة أفواههم وكثرة الريق فيها، ومن دخل بلاد الزنج فلا بد له أن يجرب. ومن أرضهم يحمل الذبل من ظهور سلاحفهم، وفي بلادهم تكون الزرافة وهي من

١- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري. المسالك والممالك، تحقيق: سعد غراب (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢)، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٢.

الدواب التي تألف وتتودد إليها، ومنها تحمل وتهدي إلى الملوك وعندهم جلود النمر الحمر، وهي لباسهم، وبلادهم أكثر بلاد الله فيلة إلا أنها وحشية لا تنقاد، ولا يستعملونها، وهم يقتلونهم بشجر يطرحونه في مشاربها يسكرها فتقع ولا مفاصل لها، فيخرجون إليها بأعظم ما يكون من الحراب فيقتلونهم لأخذ أنيابها، فمن أرضهم تجهز أنياب الفيلة إلى الآفاق، وأكثر ما يتجهز به إلى عُمان وإلى سائر البلدان وأكثر ما يستعمل العاج بأرض الصين لأنهم يتخذون من الأعمدة فيها يدخلون على ملوكهم ولا يدخل عليهم أحد من جيشهم وقوادهم بحديد ويستعملونه أيضاً في دخن بيوت أصنامهم وأبخرة هياكلهم، وأهل الصين لا يتخذون الفيلة في الحروب كاتخاذ الهند، ويتطيرون بذلك لخبر كان لهم في قديم الزمان في بعض حروبهم ويستعمل من أنيابهم كثير البلاد بلاد الهند - الشطرنج والترد!

ويرد أيضا حين يصف البكري مدن اليمن، ومنها مأرب:

ثم تمرّ حتى تنتهي إلى مأرب، وفيه معدن الملح الذي أقطعه النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبيض بن جمّال المأربي، فجعله أبيض صدقة للمساكين وعوضه النبي - صلى الله عليه وسلم - حائطا يعرف بالجدران على باب مأرب، لا يخلو من ثمرة صيفا ولا شتاء وربيعا وخريفا لأنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا له بالبركة.

وهي مدينة لسبأ وبها عرش بلقيس، وكان العرش مبنيا على أساطين من حجارة وعلاء كلّ أسطوانة منها فوق الأرض عشرين ذراعا، فاحتمل العرش وبقيت الأساطين على حالها. ويقال إنّ تحت الأرض من تلك الأساطين مثل ما فوقها، وغلظ كلّ أسطوانة منها لا يحضنه أربعة نفر، وفيها سوق ومسجد والمنزل بها. ثم يخرج منها ويقطع عرض الوادي فيدخل جنة اليمن التي ذكرها الله عزّ وجلّ ليس فيها من الأشجار إلا الإثل والأراك، وتبذر فيها الدرة. ثم إلى سويقة يقال لها نمرة يباع فيها الملح والدرة، ثم في صحار ورمال إلى ماء يقال له سنجار، وهو وادي النخل. ثم تسير في رمال ومواضع مخوفة يقطع فيها بنو الحارث بن كعب حتى تنتهي إلى مدينة شنوة، وهي أوّل مدائن حضر موت يباع فيها حمل تمر بدرهم. ثم تسير في قرى متصلة حتى تأتي الجريمة، وهي أكثر مدائن حضر موت خيرا وفيها بساتين ومياههم سبخ، ثم تسير ثلاث مراحل في رمال يسكنها قوم من مهرة، وإليهم تنسب الإبل المهرية، حتى تصل إلى مدينة يقال

لها الأشفاء، وهي من مدائن الشجر حدّ عمان، وهي على ساحل البحر. ثمّ إلى موضع يقال له رسوب، وهو جبل الأحقاف، وهو متّصل بأرض الأحقاف، وهو بلد واسع غلبت عليه الرمال بسوافي الرياح فعفا أثره، وهو الذي ذكره الله عزّ وجلّ. والبحر يضرب بسفح هذا الجبل ويركب منه في البحر إلى جزيرتين ينزلهما قوم من مهرة بأغنامهم طولها وعرضها اثنا عشر فرسخا، الواحدة سقطيرة والأخرى المضيرة، فيها مغاصّ اللؤلؤ ومياه عذبة. ثمّ يركب منها البحر إلى سوق على ساحل البحر يقال له طيرى، ثمّ يركب منها البحر إلى مسقط، وهو مجتمع المراكب التي تخرج من صحار، وصحار سوق عُمان^١.

ويرد أيضا حين يصف البكري الطريق من عمان إلى اليمن؛

من عمان إلى مسقط على الساحل، ثمّ منه إلى سقطرى، وبه الصبر السقطري الذي لا يعدل به والحضض. ثمّ من هذه الجزيرة إلى موضع يقال له معتب به مغاصّ اللؤلؤ والغواصون عليه أجزاء لليهود والنصارى، أجرة الغواص من قيراط إلى نصف درهم، يغوصون من بكرة إلى نصف النهار، ثمّ يأخذون في شقّ الصدف إلى آخر ذلك النهار، وعملهم في الأصداف إنّما هو على طعامهم من السويق والتمر والسمن وغير ذلك. وإذا أراد الغواص أن يغوص عمد إلى آلة ذات شعبتين قد اتخذت من القرون دقيقة جدّا تعمّ المنخرين فتمنع الماء منهما ويشدّ في إحدى رجليه صخرة منقورة فيها مقدار عشرين منّا ويشدّ معها وعاء قد اتخذ من شماريخ النخل يسمّى الرجيس يحمل فيه ما وصل إليه من الصدف، فإذا ملأه حرّك الحبل فيجذبونه. وحدث أبو الحسن البخاري أنّ رجلا عمانيا قدم مكّة بلؤلؤتين لم ير مثلهما، فباعهما في سوق ابن يزيد بألفي دينار ذهباً من رجل سمرقندي وخرج من مكّة من يومه ذلك. فلما كان بعد عدّة أيام أقبل من عند صاحب عمان رجل يطلب الذي باع اللؤلؤتين ويذكر أنّهما سرقتا من قصره، فطلب المشتري فعلم أثره وخفي خبره، ووصل بهما إلى مدينة دمشق، فأهدى إحداها إلى صاحبها - وصاحبها المديوني - فأعطاه بها عشرة آلاف دينار، ثمّ سار إلى سمرقند فأهدى الثانية إلى صاحبها، فكافأه بخمسة عشر ألف دينار، فهتان اللؤلؤتان من مغاوص عمان وما والاها من المواضع^٢.

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

ويورد البكري في كتابه هذا بابا يصف به عمان:

وهي ثمانون فرسخا بما والاها البحر منها سهول ورمال، وما تباعد عنه حزون وجبال، ولها عدّة مدن منها مدينة عمان على ساحل البحر حصينة، ومن الجانب الآخر جبل فيه مياه سائحة قد أُجريت إلى المدينة، وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه، وطعامهم الحنطة والشّعير والأرزّ والجاورس.

وكان الذي أجرى الماء من الجبل إلى المدينة رجل مجوسي يقال له أبو الفرج كان له من المال الصامت ثمانمائة كيلجة دنانير ذهباً، كلّ كيلجة فيها تسعة ومائة منّ. ومنها مدينة صحار، وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر مقدارها فرسخ في فرسخ ومياهاها من الآبار. ومدينة ترون، وهي أعظم منها، وهي في الجبل. ومدينة ضخم، وهي أيضا في الجبل، ماؤها من العيون بها نخل كثير وقصب السكر، وبها أشجار يقال لها طلوق تشبه شجر المقل، تقطع منها عروق ثمّ توضع في الماء فيسيل منها شراب يسكر من ساعته. وعاقمتهم أصحاب شعور جمّة.

ومن عمان يتجر. وبها قتل عيسى بن جعفر الهاشمي. وخراج عمل عمان على المقاطعة ثمانون ألف دينار. وفي الأمثال: من تعدّر عليه الرزق فعليه بعمان.

وقد أهدى صاحبُ عُمانَ إلى الكعبة، بَعْدَ العشرين وأربعمائة، محارِبَ منبت، زنةُ المِحرابِ أزيدُ من القنطار، وقتاديلُ منبت في نهاية الإحكام، وسُجِرَتْ المحارِبُ في جوف الكعبة ممّا يقابل بابها، وذلك إثر أخذ أمير مكة أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسن بن جعفر الكعبة من المحارِب وغيرها!

ويرد أيضا حين يصف البكري الطرق من البحرين ومكة إلى عمان:

فأما الطريق من البحرين إلى عُمان فقد كان في البرّ، ثمّ ركبهُ الرمل، فالطريق بينهما اليوم في البحر بين جبلين يسميان كسير وعوير، وهو موضع كثيرا ما تعطّب فيه السفن، حتّى تنتهي إلى موضع من البحر يسمّى دردور، ثمّ إلى موضع يقال له حرثان من ساحل عُمان.

الطريق من مكة إلى عُمان: يخرج من مكة نحو من عشرين يوما في طريق معتدل الهواء بري ذي رمل وحصى ينبط فيه كلّ المياه بأدنى شيء وبالبحر عليه باليد، ومراحل الناس في المنازل التي بها الغنم والبقر حتّى يفضي إلى مدينة نجران، وهي من بلاد همدان. ثمّ تسير في

بلاد همدان بين قرى ومدائن وعمائر حتى تفضي إلى قرى صنعاء، وهذا الطريق أبعد الطرق إلا أنها أعدلها هواء وأقلها وبا.

وطريق آخر يعرف بطريق تهامة، وهو رساتيق متصلة ومخاليف غير منفصلة، وهو أحتر هواء من الأول وأكثر وباء. تخرج من مكة فتسير أربعة فراسخ في أرض ذات حصى، وعن يمين الساحل جبال متصلة حتى تأتي منزلا ذات نخل وبساتين، ويحيط بهذه المنزلة جبل أسود كالحلقة، ثم ترتحل فترقى ذلك الجبل وتفضي إلى أرض ذات حصاء وغور وبحر، ثم تفضي إلى أرض شجرها الأراك وكلاؤها الأدخر وماؤها في خفائر قريبة المتناول وبها المنزل. ثم تسير في قرية مثل الأولى حصاء وجبال وأودية نحو ثلاثة فراسخ إلى يلملم، وهي قريبة من قرى مكة، وهي منهل أهل اليمن ماؤها آبار عذبة وعيون. ومن أحب أخذ منها في برية رملية شجرها الأراك وكلاؤها الأدخر وفيها سوائم المال وورعته.

ويفضي الثالث إلى مدينة السرين، وهي مدينة عظيمة فيها أسواق ومسجد جامع على ساحل البحر، وسورها في البحر وأكثر بنائها من الخشب والحشيش، فلا يستعمل فيها وقود بل يسخن الماء خارجا منها ويغتسل به داخلها، وسقيها ومشاربها من ماء السماء. وهي من عمل مكة، وفيها مزارع وأكثر زروعهم الدرّة والسَّمسَم والميرة تجلب إليها من غرّ وجردة، وغرّ منها على مسيرة عشرة أيام بسير الزاكب، وجردة من ثغور الحبشة وهي منهم على مسيرة خمسة عشر يوما.

فمن أراد منها صنعاء على البحر ركبته إلى جردة، وهي من تهامة، ومن أراد أن يركب البرية إلى صنعاء فإنه يسير من السرين في قرى لبني كنانة نحو ستة فراسخ، وفي تلك الناحية مدينة جلي، وهي مدينة كانت من عمل أبي المغيرة الذي حارب الحاج أيام الموسم واقتلع الذهب من باب البيت. وقد كانت هذه المدينة فيما سلف من عمل مكة وأقام فيها سنة اثنتي عشرة وأربعمائة رجل من بني جذام وخالف صاحب اليمن ودعا إلى نفسه، فحشد إليه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني صاحب مكة قبائل العرب، فحاربه وأخذها وجلب الجذامي مع نفسه وتملك جلي، ثم ردها إلى صاحب صنعاء.

وهي مدينة ضخمة رملية بناؤها من الخشب والحشيش ذات قرى ومساكن ودساكر، وماؤهم من الآبار والأمطار!

معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يصف البكري جزيرة العرب:

قال الخيل: سميت جزيرة العرب جزيرة، لان بحر فارس وبحر الحيش والفرات ودجلة أحاطت بها ن وهي أرض العرب ومعدنها. وقال أبو إسحاق الحربي: أخبرني عبد الله بن شبيب، عن الزبير، قال: حدثني محمد بن فضالة: إنما سميت جزيرة لإحاطة البحر بها والأنهار من أطرافها وأطرافها. وذلك أن الفرات اقبل من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرين، ثم انحط عن الجزيرة، وهي ما بين الفرات ودجلة، وعن سواد العراق، حتى دفع في، البحر من ناحية البصرة والابلة، وامتد إلى عبادان، وأخذ البحر من ذلك الموضع مغربا، مطيفا ببلاد العرب، منعطفا عليها، فأتى منها على سفوان وكازمة، ونفذ إلى القطيف وهجر وأسياف عمان والشحر، وسال منه عنق إلى حضرموت... وطول السراة ما بين ذات عرق إلى حد نجران اليمن، وبيت المقدس في غربي طولها، وعرضها ما بين البحر إلى الشرف. فصار ما خلف هذا الجبل في غربيه إلى أسياف البحر، من بلاد الأشعريين وعك وكنانة، إلى ذات عرق والجخفة وما والاها وصاقبها وغار من أرضها: الغور غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله، وغور الشام لا يدخل في ذلك. وصار ما دون ذلك في شرقية من الصحارى إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها: نجدا، ونجد تجمع ذلك كله. واعراض نجد هي بيشة، وترج، وتباله، والمراوغة، ورنيه. وصار الجبل نفسه "وهو" سراته، وهو الحجاز وما احتجز به في شرقية من الجبال، وانحاز إلى ناحية فيد، والجبلين إلى المدينة، ومن بلاد مذبح تثليث وما دونها إلى ناحية فيد، فذلك كله حجاز. وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها: العروض، وفيها نجد وغور، لقربها من البحر، وانخفاض مواضع منها، ومسائل اودية فيها، والعروض يجمع ذلك كله. وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء، وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان وما بينها: اليمن، وفيها التهائم والنجود واليمن يجمع ذلك كله... وأما نجد، فما بين جرش إلى سواد الكوفة، وآخر حدوده مما يلي المغرب الحجازان: حجاز الأسود وحجاز المدينة، والحجاز الأسود سراة

شنوءة. ومن قبل المشرق بحر فارس، ما بين عمان إلى بطيحة البصرة، ومن قبل يمين القبلة الشامي: الحزن حزن الكوفة، ومن العذيب إلى الثعلبية إلى قلة بني يربوع بن مالك، عن يسار طريق المصعد إلى مكة، ومن يسار القبلة اليمنى ما بين عمل اليمن إلى بطيحة البصرة. ونجد كلها من عمل اليمامة!

ويرد ذكر عمان حين يتحدث البكري عن ناجية بن جرم:

وسارت ناجية بن جرم، وراسب بن الخزرج بن جدة بن جرم، وقدامة بن جرم، وملكان بن جرم، متوجهين إلى عمان، فمروا باليمامة، فاقامت طائفة منهم بها، ومضت جماعتهم حتى قدموا عمان، فجاوروا الازد بها، وأقاموا معهم، وصاروا من أتلاذ عمان، الذين فيها، وفيه يقول المتلمس:

إن علافا ومن بالطود من حزن

لما رأوا أنه دين خلا بيس

ردوا إليهم جمال الحي فاحتملوا

والضيم ينكره القوم المكاييس

ويقال أن سامة بن لؤي بن غالب القرشي، خرج من الحرم، فنزل عمان، وبها تزوج امرأته الجرمية، التي منها ولده، وهي ناجية بنت جرم، فيما ذكر الكلبي، وجرم يقولون: ناجية بن جرم تزوج هند بنت سامة ابن لؤي. وقال غير الكلبي: هي ناجية بنت الخزرج بن جدة بن جرم. فصاروا بنو سامة بن لؤي بعمان حيا حريدا شديدا، ولهم منعة وثروة، يقال لهم بنو ناجية، وفي ذلك يقول المسيب بن علس الضبعي:

وقد كان أسامة في قومة

له مأكله مشرب

فساموه خسفا فلم يرضه

وفي الأرض عن خسفهم مذهب

١ - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ)، ج ١، ص ٧-١٣.

فقال لسامة إحدى النسا
 ء مالك يا سام لا تركبُ
 أكل البلاد بها حارس
 مطل وضرغامة أغلبُ
 فقال بلى إنني راكب
 وإنني لقومي مستعتبُ
 فشد أمونا بأنساعها
 بنخلة إذ دونها كبكبُ
 فجنبها الهضب تردى به
 كما شجى القارب الأحقبُ
 فلما أتى بلدا سره
 به مرتع وبه معزبُ
 وحصن حصين لأبنائهم
 وريف لغيرهم مخصبُ
 تذكر لما ثوى قومه
 ومن دونهم بلد غربُ
 فكرت به حرج ضامر
 فأبت به صلبها أهدب
 فقال ألا فابشروا واطعنوا
 فصارت علاف ولم يعقبوا
 ولم ينه رحلتهم في السما
 ء نحس الخراتين والعقربُ

فبلغه دلج دائب
وسير إذا صدح الجندبُ
فحين النهار يرى شمسه
وحيثا يلوح لها كوكبُ

وهي طويلة.

ولحق بهم فيما يقال، والله اعلم، بنو فدى بن سعد بن الحارث بن أسامة ابن لؤي، فانتسبوا إليهم. وكان فدى ابن سعد قتل ابن أخ له، يقال له حمرة بن عمرو بن سعد، ثم لحق باليحمد بن حمى بن عثمان بن نصر بن زهران من الأزد. وقال عدي بن وقاع العقوي- وهو من العقاة من الأزد، واسم العقوي: منقذ بن عمرو بن مالك بن فهم، وإنما سمي العقوي لأنه قتل أخاه جرموزا، فقيل عنه، فسمي لقتله إياه العقوي - فقال في شأن جرم ونزولهم عُمان، ووقعة كانت هنالك بينهم:

ناج ابن جرم فما أسباب جيرتكم
بني قدامة إن مولاهم فسدا
دليتموهم بأمراس لمهلكة
جرد تبين في مهواتها جردا
أخرجتموهم من الاجرام فاجتمعوا
يبغون خيرا فلاقوا نجعة حشدا
إلى عَمَاتٍ فداستهم كتائبنا
يوم الرئال فكانوا مثل من حصدا.

وانحازت كلب من منازلها التي كانوا بها، من حضن وما والاه، إلى ناحية الربدة وما خالفها، إلى جبل طمية، وفي ذلك يقول زهير بن جناب الكلبي وهو يوصي بنيه، ويذكر منزلة طمية:

أبني إن أهلك
فإني قد بنيت لكم بنية

وتركتكم أرباب سادات زنادكم وريه
ولكل ما نال الفتى

قد نلته إلا التحية

ولقد شهدت النار للسلاف توقد في الطميه

يعني يوم خزار حين أوقدوا.^١

ويرد أيضا حين يتحدث البكري عن تفرق قبيلتي بجيلة وختعم:

وقال ابن شبة: نزلت نكرة الشفار والظهران، إلى الرمل وما بين هجر إلى قطر وبينونة، وإنما سميت بينونة لأنها وسط بين البحرين وعمان، فصارت بينهما.

ونزلت عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وداعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، والعمور - وهم بنو الدليل بن عمرو، ومحارب بن عمرو، وعجل بن عمرو ابن وداعة بن لكيز بن أفصى، ومعهم عميرة بن أسد بن ربيعة حلفاء لهم - الجوف والعيون والأحساء، حذاء طرف الدهناء، وخالطوا أهل هجر في دارهم. ودخلت قبائل من عبد القيس فيهم - وهم بنو زاكية بن وابله بن دهن بن وداعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وعمرو بن وداعة بن لكيز، والعوقة، وعوف بن الدليل، وعائش بن الدليل بن عمرو بن وداعة، وعمرو بن نكرة بن لكيز بن أفصى - جوف عُمان، فصاروا شركاء للأزد بها في بلادهم، وهم الأتلاد: أتلاد عُمان، ومعهم من الأتلاد من كان بها من بلقين وجرم ونهد وناجية، ومن لحق بهم من بني عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وبني مالك بن سعد، وعوف بن سعد زيد بن مناة بن تميم.^٢

ويرد أيضا حين يعرف البكري الأحقاف:

الأحقاف التي كانت منازل عاد، اختلف فيها، فقيل: هو جبل بالشام، عن الضحاك. وقال مجاهد: الأحقاف منازل عاد، رمال مستطيلة بشحر عُمان، ويقال للرمل إذا عظم واستدار: حقف، وقيل إذا أشرف وأعوج، قال الهمداني: الأحقاف بحضرموت.^٣

١ - المصدر السابق، ج، ١، ص ٤٦ - ٤٩.

٢ - المصدر السابق، ج، ١، ص ٨١ - ٨٢.

٣ - المصدر السابق، ج، ١، ص ١١٩.

ويرد أيضا حين يصف البكري موضعا اسمه "بينونة":

وَبَيْنُونَةٌ عَلَى لَفْظِهِ، بِزِيَادَةِ هَاءِ التَّأْنِيثِ: مَوْضِعٌ فِي شَقِّ سَعْدِ، بَيْنَ عُمَانَ وَيَبْرِينَ، قَالَ الْمَرَارُ الْفُقَعْسِيُّ:

وما خفت بين الحي حتى رأيتهم

بينونة السفلى وهن نوازعُ

إنما قال بينونة السفلى، لأنهما بينونتان: بينونة القصوى، وبينونة الدنيا، قال الراعي:

عُمَيْرِيَّةٌ حَلَّتْ بِرَمْلِ كَهِيلَةٍ

فبينونة تلفى لها الدهر مربعا

عُمَيْرَةٌ: حَيٌّ مِنَ الْأَبْنَاءِ. وَكَهِيلَةٌ: وَمِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ هُنَاكَ. قَالَ الْجَعْدِيُّ:

عَلَيْهِنَّ مِنْ وَحْشٍ بَيْنُونَةٍ

نِعَاجٌ مَطَافِيلٌ فِي رَبْرِبٍ!

من المواضع العمانية التي عرفها البكري تُوَام:

تُوَامٌ اخْتَلَفَ فِي اللَّفْظِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، فَقِيلَ تُوَامٌ، بِضَمِّ أَوَّلِهِ، وَهَمْزِ ثَانِيهِ، عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ. كَذَلِكَ حَكَاهُ الْأَخْفَشُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ. وَقِيلَ: هُوَ تَوْءَمٌ. بِفَتْحِ أَوَّلِهِ، وَإِسْكَانِ ثَانِيهِ، بَعْدَهُ هَمْزَةٌ مَفْتُوحَةٌ. وَاخْتَلَفَ أَيْضًا فِي الْمَسْمُومِ بِهِ: فَقَالَ الْأَخْفَشُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ: هُوَ مَوْضِعٌ بِالْبَحْرَيْنِ، وَهُوَ مَغَاصُ اللَّوْلُؤِ.

وقال ابن قتيبة: تُوَامٌ: قِصْبَةُ عُمَانَ.

وقيل: إن ما يلي عمان من البحر يسمّى تُوَامًا، وما يلي منها البر يسمّى صُحَارًا. قالوا وبتُوَامٍ مَغَاصُ اللَّوْلُؤِ؛ وَقَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ:

كَالتُوَامِيَّةِ إِنْ بَاشَرْتَهَا

قَرَّتْ الْعَيْنَ وَطَابَ الْمَضْطَجَعُ

قال من يأبى إلا فتح التاء في اسم الموضع: غير البناء للوزن، لما كان معنى تَوَام وتوعم واحداً. قال ابن قتيبة: والى تَوَام تنسب الدرّة التوّامية: الدرّة بعينها. فأما التومة فهي مثل الدرّة من الفضة. قال: وقد تكون الدرّة بعينها أيضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الكوثر: "ترابه المسك ورضراضه التوم".^١

ويرد ذكر عمان أيضا حين يعرف البكري موضعاً اسمه "جوف الحميلة":

جوف الحميلة، بالحاء المهملة مفتوحة: موضع في الطريق من مكة إلى عُمان. وفي هذا الموضع هوت ناقة سامة بن لؤي إلى عجرفة، فانتشلها وفيها أفعى، فرمته على ساقه، فنهشته فمات، قالت الأزدية ترثيه:

عين بكّي لسامه بن لؤيّ
علقت ساق سامة العلاقة.^٢

ومن المواضع العمانية التي عرفها البكري "الحجور":

الحجور بفتح أوله، وبالراء المهملة، على بناء فعول: موضع في ديار بني سعد من تميم، وقد ذكرته وأنشدت الشاهد عليه في رسم الدبل. وقال الفرزدق:

لو كنت تدري ما برمل مقيد
فقرى عُمانَ إلى ذوات حجور
لعلمت أن قبائلا وقنابلا
من آل سعد لم تدن لأمير.^٣

ويرد ذكر عمان أيضا حين يعرف البكري موضع "الخط":

الخط بفتح أوله، وتشديد ثانيه: ساحل ما بين عُمان إلى البصرة، ومن كاظمة إلى الشحر، قال سلامة بن جندل:

١ - المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٣.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص ٤٠٦.

٣ - المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢٧.

حتى تركنا وما تشني ظعائننا

يأخذن بين سواد الخَطِّ فاللُوبِ

واللوب: الحرار، حرار قيس؛ وإذا كانت من حرار قيس إلى ساحل البحر، فهي نجد كلها. وقيل الخط: قرية على ساحل البحرين، وهي لعبد القيس، فيها الرماح الجياد، قال عمرو بن شاس:

بأيديهم سمر شداد متونها

من الخط أو هندية أحدثت صقلاً

قال الخليل: فإذا نسبت الرماح إليها، قلت: رماح خطية، وإذا جعلت النسبة اسماً لازماً ولم تذكر الرماح، قلت: خطية، بكسر الخاء، كما قالوا ثياب قبطية، فإذا جعلوه اسماً واحداً قالوا: قبطية، بضم القاف، فغيروا اللفظ، وامرأة قبطية، بالكسر لا غير. قال أحمد بن محمد الهروي: إنما قيل الخط لقرى عُمان، لأن ذلك السيف كالخط على جانب البحرين خط؛ ولا ينبت بالخط القنا، ولكنه مرسى سفن القنا، كما قيل مسك دارين، وليس بدارين مسك، ولكنه مرفأً سفن الهند^١.

من المواضع العمانية التي عرفها البكري موضع اسمه "رُضَاع":

رُضَاع بضم أوله، وبالعين المهملة: موضع على ساحل بحر عمان، وأهله بنو رثام، بطن من مهرة بن حيدان بن عمرو بن إلحاف نب قضاة^٢.

ومن المواضع العمانية الأخرى التي عرفها البكري ريسوت في جنوب عمان:

رَيْسُوت بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده سين مهملة وواو وتاء معجمة بأثنين من فوقها: جزيرة المنتصف ما بين عمان وعدن. ذكر ذلك الهمداني^٣.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يعرف البكري قَطْر:

قَطْر بفتح أوله، بعده راء مهملة: موضع بين البحرين وعُمان تنسب إليه الإبل الجياد، قال جرير

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٣.

٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٤.

٣ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٨٨.

لدى قَطْرِيَّاتٍ إِذَا مَا تَغَوَّلَتْ
 بنا اليَدُ غَاوِلِنَ الحِزْوَمَ القِيَايَا
 وَقَطَّرَ هَذِهِ أَكْثَرَ بِلَادِ البَحْرَيْنِ حُمْرًا. وقال عبدة بن الطبيب:
 تَذَكَّرَ سَادَاتِنَا أَهْلَهُمْ
 وخافوا عُمَانَ وخافوا قَطْرَ
 وخافوا الرِّوَاطِيَّ إِذْ عَرَّضَتْ
 مَلَأَحْسَ أَوْلَادِهِنَ البَقْرَ
 يقولها في غزوة بني سعد عُمان. وقال المثقب:
 كُلُّ يَوْمٍ كَانَ عُنَّا جَلَلًا
 غير يوم الحنو في جنبي قَطْرَ
 صَرَبَتْ دَوْسَرُ فِينَا صَرَبَةً
 أَثَبَّتْ أوتادَ مُلْكُ فاستَقْرَ!

من المواضع العمانية التي عرفها البكري جبلا كسير وعوير:

كُسير وعُوير بضم أوله، وفتح ثانيه، على لفظ التصغير. وهما جبلان في البحر، بحذاء عُمان، فإذا مرت بهما سفينة لم تكد تسلم من الكسر أو الغرق.

وأما المثل الذي أورد أبو عبيد وغيره، وهو قولهم: "عوير وكسير، وكل غير خير" فإن الأخباريين زعموا أن أصله لأمامة بنت نشبة بن مرة، كانت عند خالد بن رواحة من غطفان، وكان أعور، فنشزت عليه أيضًا، وقالت: "عوير وكسير، وكل غير خير"، فأرسلتها مثلاً^٢.

١ - المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٢ - ١٨٣.

٢ - المصدر السابق، ج٤، ص ١١٢٨.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يفسر البكري كلمة "مزون" وهي الاسم الفارسي لعمان:

مَزُونُ بفتح أوله، وضم ثانيه: مدينة عُمان. قال الخليل: كانت الفرس تسمى عُمان مزون.
وقيل: مزون: قرية من قرى عمان يسكنها يهود. قال الفرزدق:

وإن تغلق الأبواب دوني وتحجب

فمالي من أمِّ بغافٍ ولا أبُ

ولكن أهل القريتين عشيرتي

وليسوا بوادٍ من عُمان مصوّبُ

قوله بغاف: كناية عن عمان أيضًا "عرفت" بذلك، لكثرة ما تنبت من الغاف، وهو شجر له
شوك يشبه الينبوت، وقال الكميت:

فأما الأزد أزد أبي سعيد

فأكره أن أسميها المَزونا

وقال أيضًا:

كما ضرب الأحماس للسدس قبلها

أخو الزون يرجو دولة أن يدالها

قالوا: يعني المهلب بن أبي صفرة أبا المهالبة. والزون: قرية لليهود نسبوا إليها!

الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يعرف الزمخشري بعض المواضع
العمانية:

- بينونة: موضع بين عُمان والبحرين بستين فرسخًا سمي بالمصدر.

البد: موضع بناحية عُمان.

بدبد: موضع بناحية عُمان^١.

- تُؤام: قصبه عُمان، ومنه قيل للدره تؤامية^٢.

- دبا ودَمَا: في أرض عُمان^٣.

- صُحار: من أرض عُمان^٤.

- المُزون: اسم عُمان^٥.

١ - جار الله الزمخشري. الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض (القاهرة: دار الفضيلة، ١٩٩٩)، ص ٥٩.

٢ - المصدر السابق، ص ٧١.

٣ - المصدر السابق، ص ١٢٧.

٤ - المصدر السابق، ص ٢٠١.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٩٧.

نزهة المشتاق في ارتياد الآفاق

للإدريسي

يرد اسم عمان عند الإدريسي في أكثر من موضع، منها حين يصف شرق أفريقيا:

وتتصل بأرض الزنج قرى كثيرة كل قرية منها على خور وجميع بلاد الزنج بضائعهم الحديد وجلود النمر الزنجية وهي جلود إلى الحمرة رطبة جدًا وليس عندهم دواب وإنما يتصرفون بأنفسهم وينقلون أمتعتهم على رؤوسهم وعلى ظهورهم إلى مدينتي منبسة وملندة فيبيعون هناك ويشترون وليس للزنج مراكب يسافرون فيها وإنما تدخل المراكب من عمان وغيرها إلى جزائر الزنج فيبيعون بها متاعهم ويشترون متاع الزنج وأهل جزائر الرانج يسافرون إلى الزنج في زوارق ومراكب صغار فيجلبون منها أمتعتها لأنهم يفهم بعضهم كلام بعض وللعرب في قلوب الزنج رعب عظيم ومهابة فلذلك متى عاينوا رجلًا من العرب تاجرًا أو مسافرًا سجدوا له وعظموا شأنه وقالوا بكلامهم هنيئًا لكم يا أهل بلاد التمر وإن المسافرين في بلادهم يسرقون أبناء الزنج بالتمر يخدعونهم به فينقلونهم من مكان إلى آخر فيقبضون عليهم ويخرجونهم من بلادهم إلى البلاد التي يكونون بها وأهل بلاد الزنج كثيرو العدد قليلو العدد وصاحب جزيرة كيش من بحر عمان يغزو بمراكبه بلاد الزنج فيسبي منها خلقًا كثيرًا^١.

ويرد اسم عمان في أيضًا في نزهة المشتاق حين يصف الإدريسي جزيرة سرنديب،

والمعروفة اليوم باسم سيرلانكا:

وبين هذه الجزيرة والبر المتصل بالهند مجاز صغير ومن جزيرة سرنديب إلى جزيرة بلبق الساحلية يوم، ويحاذي هذه الجزيرة من أرض الهند أغباب وهي أجوان تقع فيها أنهار وتسمى أغباب سرنديب وتدخلها المراكب السيارة وتمر فيها الشهر والشهرين بين غياض ورياض وهواء معتدل. والشاة فيها بنصف درهم وما يكفي جماعة من الشراب العسلي المطبوخ بحب القاقلة الرطبة بنصف درهم. ولعب أهل سرنديب الشطرنج والنرد والقمار بأنواعه ولأهل سرنديب نظر في زراعة النارجيل في تلك الجزائر الصغار التي على طرقها. ويقومون بحفظه ويبيحونه للصادر

١ - محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دون تحقيق (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٩)، ج١،

والوارد ابتغاء الأجر وطلب المثوبة وأهل عمان ومرباط ربما قصدوا إلى هذه الجزائر التي فيها النارجيل فيقطعون من خشب النارجيل ما أحبوه ويصنعون من ليفه حبلاً يُحرزون به ذلك الخشب وينشئون منه مراكب ويصنعون منه صواريخها ويفتلون من خوصه حبلاً ثم يوسقون تلك المراكب بخشب النارجيل ويمضون به إلى بلادهم فيبيعونه هناك ويتصرفون به.^١

ويصف الإدريسي مرباط في جنوب عمان:

وبمدينة سبا طوائف من أهل اليمن وأهل عمان وبها كان السد المذكور في أخبار العرب وقبل تفرقتها عنه ومن شرمة المقدم ذكرها على الساحل إلى مدينة مرباط ستة أيام في البحر وبينهما غب القمر ومعنى الغب الجون وفي قعر هذا الجون بلد يقال له خلفات وعلى رأس الجون المذكور جبل كبير مستدير على هيئة القمر أبيض اللون ولذلك سمي بجبل القمر لتقويسه وبياضه وجبال مدينة مرباط تنبت شجر اللبان ومنها يتجهز به إلى جميع المشارق والمغرب وأهل مرباط هذه قوم أخلاط من اليمن وسائر قبائل العرب ومنها إلى قرية حاسك على البحر أربعة أيام في البر ومجريان في البحر ويقابل حاسك في البحر جزيرتان جزيرة خرتان وجزيرة مرتان وقد تقدم ذكرهما وعلى حاسك جبل يسمى لوس وهو جبل كبير مطل على البحر وأرض قوم عاد تقابله في جهة الشمال ومن حاسك إلى قبر هود أيضاً مقدار ميلين وحاسك مدينة صغيرة كالقرية متحضرة وبها مصيد للحوت كبير وهي على جون يسمى جون الحشيش وهو جون مقعر كالكيس إذا وقعت به المراكب لم تكد تتخلص لأن الخروج منه يصعب إلا أن يكون بريح مستعملة وقليلاً ما يخرج منه من سقط فيه.^٢

ويصف أيضاً جزيرة تسمى جزيرة القرود:

ومن جزيرة القرود في جهة الشمال جزيرة يقال لها القطربة وهي جزيرة عامرة يسكنها قوم نصارى لكن زيهم عربي وهم يتكلمون بالعربية ويدعون أنهم عرب وهم أهل غدر ونكاية يقطعون بالمراكب المارة والآتية فيما بين البحرين والبصرة إلى قرب عمان وهم أحبث عدو يلقي في البحر وفي هذه الجزيرة مغائص للؤلؤ كان أهل اليمن يقصدون إليها ويغوصون بها لكن أهل الجزيرة أكلوا متاع الغواصين والتجار القاصدين إليهم حتى قطعوا الناس عن السفر إليهم.^٣

١ - المصدر السابق، ج١، ص٧٤ - ٧٥.

٢ - المصدر السابق، ج١، ص٥٦.

٣ - المصدر السابق، ج١، ص٦٤ - ٦٥.

خصص الإدريسي صفحات قليلة لوصف عمان وبعض مناطقها، ولكنه وصف سماع، كما يبدو، لا وصف عيان . يقول:

وتتصل بأرض حضرموت من جهه شريقيها أرض الشحر وبها قبائل مهرة وهم عرب صُرح والإبل المنتجة عند هؤلاء العرب لا يُعدل بها شيء في سرعة جريها ومن غريب ما ينسب إليها أنها تفهم الكلام وتعلم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه ولها أسماء إذا دعيت بها جاءت وأجابت من غير تأخير ولا توان في ذلك. وقصبة أرض مهرة تسمى الشحر ولسان أهل مهرة مستعجم جداً لا يكاد يُفهم وهو اللسان الحميري القديم وأكثر هذه الأرض قفر لا يعمرها إلا رواحل مهرة وجل مكاسبهم الإبل والمغز وجملة دوابهم التي في بلادهم تعلف السمك المعروف بالوزق يصاد في ذلك البحر من بلاد عمان وهو حوت صغير جداً يصاد ويشمس وتعلف به الدواب والإبل. وأهل مهرة لا يعرفون الحنطة ولا خبزها وإنما أكلهم السموك والتمور، وشربهم الألبان وقليل الماء، قد اعتادوه وألفوه فلا يعولون على غيره من الأغذية ومتى دخل أحدهم البلاد المجاورة لهم وأكل شيئاً من الحنطة وجد لذلك ألماً وربما مرض لذلك، ويقال إن طول بلاد مهرة تسع مئة ميل وعرضها في جميع طولها من خمسة وعشرين ميلاً إلى خمسة عشر ميلاً إلى ما دون ذلك وهذه الأرض كلها رمل سيال والرياح لاعبة به تنقله من مكان إلى مكان ومن آخر بلاد الشحر إلى عدن ثلاث مئة ميل.

ويتصل بأرض مهرة بلاد عمان وهي مجاورة لها في جهة الشمال وبلاد عمان مستقلة بذاتها عامرة بأهلها وهي كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك ومن بلاد عمان مدينتا صور وقلهات وهما على ضفة البحر الفارسي وهما مدينتان صغيرتان لكنهما عامرتان وشربهما من الآبار ويصاد بهاتين المدينتين اللؤلؤ قليلاً وبين صور وقلهات مرحلة كبيرة في البر وفي البحر دون ذلك.

ومن صور إلى رأس المحجمة خمسة أيام في البر وفي البحر مجريان ورأس المحجمة هو جبل عال على ضفة البحر يمر في شرقي غب الحشيش ويندفن في الماء فلا يعلم حيث يصل وربما تكسرت المراكب عليه وفي رأس المحجمة مغايص لؤلؤ.

ومن قلّهات على الساحل إلى مدينة صحار مئتا ميل وبقرّب منها على الساحل قرية دما وهي قرية يكون في الشتاء عامرها قليلاً ومعايشها كاسدة وتصرّف أهلها قليل وأما في الصيف فإنها تكون كالمدينة العامرة لأن بها مغاصّ اللؤلؤ الجيد جداً وهي مشهورة بجيد اللؤلؤ المستخرج بها.

ومن مسقط إلى صحار وهما مدينتا عمان أربع مئة وخمسون ميلاً لا ساكن بها ومدينة صحار على ضفة البحر الفارسي وهي أقدم مدن عمان وأكثرها أموالاً قديماً وحديثاً ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم وإليها يجلب جميع بضائع اليمن ويُتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة ومتاجرهم مربحة وبها نخل كثير ومن الفواكه الموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار العجيبة الطيبة وكان في القديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين فانقطع ذلك وسبب انقطاع السفر من مدينة عمان أن في وسط بحر فارس مما يقابل مسقط جزيرة تسمى جزيرة كيش وهي جزيرة مربعة طولها اثنا عشرة ميلاً في عرض اثني عشرة ميلاً وفيها مدينة كيش فوليتها عامل من اليمن فحصنها وأحسن إلى أهلها وعمرها وأنشأ بها أسطولاً فغزا به بلاد اليمن الساحلية فأضر بالمسافرين والتجار ولم يترك لأحد مالا وأضعف البلاد وانقطع بذلك السفر من عمان وعاد إلى عدن.

وصاحب جزيرة كيش يغزو بهذا الأسطول مدينة الرانج ويصل إلى بلاد القامرون وأهل الهند يخافونه ويهابون شره ويواسونه بالمراكب المسماة المشعيات وقد ذكرناها في بلاد الهند وحكيها عنم أخبرنا بها أن هذه المشعيات يكون طول المركب منها طول الغراب الكامل من عود واحد يجذف فيه مئتا رجل وأخبر مخبر في وقت هذا التأليف أن عند صاحب مدينة كيش من هذه المراكب المسماة بالمشعيات خمسون مركباً كل واحد منها من قطعة واحدة وعنده من سائر المراكب الملققة جملة عديدة وهو الآن على هذه الحال يغزو ويسبي وعنده أموال كثيرة وليس لأحد به طاقة وبمدينة كيش زروع وأغنام وأبقار وكروم وفيها مغايص اللؤلؤ الجيد ومن صحار إلى هذه الجزيرة مجريان ويحاذي هذه الجزيرة من بلاد اليمن مسقط وبينهما مجرى ومن ساحل كرمان التيز وشط.

ويقابل صحار في البرية على مسير يومين بلدان متصلان بينهما واد يسمى وادي الفلج واسم أحد البلدين سعال والآخر العقر وهما مدينتان صغيرتان عامرتان بهما نخل كثير ومزارع وحدائق نخل وتمر وهما متقاربتان في القدر وشر بهما من نهر الفلج وتسمى الأرض التي هما فيها نزوة ويتصل بهاتين المدينتين على قدر نصف يوم مدينة منح وهي مدينة صغيرة في أسفل جبل يسمى جبل شرم بها نخيل وعيون ماء وهي على ضفة نهر الفلج ومن منح إلى سر عمان غرباً مرحلتان وهي في أسفل جبل شرم حيث مُنبعث نهر الفلج وهو نهر كبير عليه قرى وعمارات متصلة إلى أن يصب في البحر بمقربة قرية جلفار.

والغالب على أهل بلاد عمان الشراة وأكثر الشراة في وقتنا هذا منحشرون عامرون بلدة تسمى بثرون في غربي بلاد عمان ولهم هناك قرى وعمارات وهم متحصنون بجبل لهم وبثرون في أسفله.

وفيما يقال إن حدود بلاد عمان تكون تسع مئة ميل وهي بالجملة بلاد حارة ويذكر بأن جبل شرم ينزل بأعلاه ثلج قليل وبين نجد وبلاد عمان برارٍ متصلة وفي بلاد عمان حية تسمى العربد وإليها ينسب السكان المعربد وهي حية تنفخ ولا تؤذى وهي كثيرة التقافز ويحكى أنها متى أخذت ووضعت في آنية زجاج وتوثق من رأسها ووضعت في وعاء وأخرجت عن بلاد عمان ثم تفقدت الآنية لم توجد الحية فيها بوجه وهذا مثبت في هذه الحية والإخبار بها شائع وفي بلاد عمان أيضًا دويبة صغيرة تسمى القراد إذا ظفرت بجارحة من الإنسان عضته فلا تزال عضتها تربو وتتزايد إلى أن تقيح وتتدود ولا يزال ذلك الدود يسعى في جوف الإنسان حتى يموت وبجبال عمان قردة كثيرة تضر بأهلها إضرارًا كليًا وربما اجتمع منها العدد الكثير حتى لا يطاق دفاعها إلا بالخروج إليها بالقسي والسهام والسلاح العام وحينئذ يقدر على دفاعها.

ومن مدينة صحار إلى بلاد البحرين نحو من عشرين مرحلة وطريق عمان في البرية إلى مكة أو غيرها صعبة جدًا لكثرة القفار وقلة السكان وإنما يسافرون في المراكب على البحر إلى مدينة عدن ومن عدن يسافرون إن شأؤوا برًا أو بحرًا وكذلك من صحار التي من أرض عمان إلى البحرين في جهة الشمال طرق متعذرة السلوك لتنازع العرب بها ومحاربتهم وغارات بعضهم على بعض فليس لمسافر معهم أمان في نفسه ولا في شيء من ماله.

ويتصل بأرض عمان من جهة الغرب ومع الشمال أرض اليمامة وهي بلاد الزرقاء اليمامة وكانت هذه الزرقاء اليمامة في عهد الجاهلية ولها أخبار مشهورة مذكورة في الكتب وتولى قتلها وسببها وأخذ أموالها وال من قبل عمر بن الخطاب وبلادها محدقة بواد يسمى افنان وعلى هذا الوادي عماراتهم وقراهم ومدينتهم المعروفة تسمى الحضرمة وهي مدينة عامرة بها مزارع ونخيل وتمر كثير وتمرها أكثر من سائر التمر ببلاد الحجاز!

الأنساب للسمعاني

من المواضع التي ورد فيها ذكر عمان حديث السمعاني عن سامة بن لؤي . يقول :

أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر الشحامي قراءة عليه بنيسابور، حدثنا أبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن بن محمد البحيري، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع، حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن الدباس بمكة، حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن إسحاق الكاتب، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني محمد بن فليح عن أبيه عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة قال: جاء عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ونحن عنده بالعقيق، فسأله عن سامة بن لؤي فقال سعيد: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله! سامة منا أم نحن منه؟ فقال: "بل هو منا، ألم تسمعوا قول شاعر الناقة"، قال ابن إسحاق: فظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد بقوله "قول شاعر الناقة:"

أبلغا عامراً وسعداً رسولا

أن نفسي إليكما مشتاقة

إن تكن في عُمانَ داري فإني

ماجد ما خرجت من غير فاقه

رُب كأسٍ هرقْتُ بآبن لؤي

حذر الموت لم تكن مُهراقه

لا أرى مثل سامة بن لؤي

يوم حلوا به قتيلاً الناقه

١ - عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني. الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢)، ج ١، ص ١٠ - ١١.

وفي موضع آخر من كتاب الأنساب يرد اسم عمان حين يترجم السمعاني نسب الجوفي . يقول :

الجوفي: بفتح الجيم وسكون الواو وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى درب الجوف، وهي محلة بالبصرة قاله عمرو بن علي الفلاس، وقال البخاري: الجوف موضع بناحية عُمان، والمشهور بالنسبة إلى هذا الدرب حَيان الأعرج الجوفي حدث عن أبي الشعثاء جابر بن زيد، روى عنه منصور بن زاذان. أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليماني الجوفي من علماء التابعين، صاحبُ ابن عباس، روى شيبه بن هشام أن أميرًا كان على البصرة يقال له قطن فقال يا معشر العرفاء يخبركم هذا الجوفي يعني جابر بن زيد - أن طلاق السكران ليس بشيء^١.

وفي موضع آخر يترجم السمعاني لمن تسمى بالحوفي، فيقول:

الحوفي: بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى حوف، وطني أنها قرية بمصر حتى قرأت في تاريخ البخاري: الحوفي ناحية عمان. والمشهور بالانتساب إليه هو قُسيم بن أحمد بن مُطير الحوفي المقرئ.

ونجد السمعاني أيضا يصف من تسمى بالخازكي، فيورد اسم عمان قائلا:

الخازكي: بفتح الخاء المنقوطة والراء المهملة بعد الألف، هذه النسبة إلى جزيرة في البحر قريبة من عمان وهي بليدة بها يقال لها خازك هكذا سمعت محمد بن قحطان الأرموي ببخارا ومحمد بن السهميني بسمرقند يقولان قال أبو عبيد القاسم بن سلام: خازك ورأس هر موضعان من ساحل فارس يُرابط فيهما.

ومما ذكره السمعاني في كتابه وفيه ذكر لعمان حديثه عن تسمى بالدمائي، فيقول:

الدمائي: بفتح الدال المهملة والميم بعدهما الألف وفي آخرها الياء آخر الحروف، هذه النسبة إلى دما وطني أنها قرية من قرى عُمان منها أبو شداد الدمائي، رجل من أهل دما قال: جاءنا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطعة أديم: "من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان". روى أبو سلمة المنقري عن عبد العزيز بن زياد الحبطي، حدثنا أبو شداد. قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول ذلك^٢.

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٤١٦.

٢ - المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٧٣.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يفسر السمعاني نسب الشَّخْرِي؛

الشَّخْرِي: بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى شَخْرِ عُمَانَ، والعنبر الشَّخْرِي يضرب به المثل في الجودة، منها محمد بن حرمي بن معاذ الشَّخْرِي اليماني، من أهل اليمن، ورد العراق وسمع بها وبخراسان، سمع بنيسابور أبا عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي، وبمَزُو أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الله الدهان وجماعة سواهما، ما رأيته ورأيت اسمه على أجزاء الحديث، وخرج لشيخنا الفراوي الأربعين حديثا عن أربعين شيئا^١.

ويورد السمعاني أيضا اسم عمان في بيت استشهد به للشاعر امرئ القيس. يقول:

الشَّمَجِي: بفتح الشين المعجمة، والميم، وفي آخرها الجيم. هذه النسبة إلى شَمَج وهو بطن من جرم قال الدارقطني: وأما شَمَج بالجيم فهو من بني شَمَج بن جَزْم، قال امرؤ القيس:

أَبْعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ بْنِ عَمْرٍو
لَهُ مُلْكُ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَانَ
مُجَاوِزَةً بَنِي شَمَجِ بْنِ جَرْمِ
هَوَانَا مَا أُتِيحَ مِنَ الْهَوَانِ^٢

ويورد السمعاني اسم عمان حين يترجم لمن تسمى باسم العماني، قائلا:

العُماني: بضم العين المهملة، وتخفيف الميم، وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى «عُمَانَ» وهي من بلاد البحر أسفل البصرة، والمنتسب إليها: الحسن بن هادية العُماني، روى عن ابن عمر، روى عنه الزبير بن خريت في فضل الحج. وأبو هارون غطريف العُماني، يروي عن أبي الشعثاء جابر بن زيد، عن ابن عباس. روى عنه الحمك بن أبان العدني. وأبو بكر قریش بن حيان العجلي العُماني، قال أبو حاتم بن حيان: هو من بكر بن وائل، أصله من عُمَانَ، سكن البصرة، يروي عن ثابت البناني، وبكر بن وائل بن داود روى عنه شعبة بن الحجاج، والبصريون، الذي روى عنه عثمان بن عمر بن فارس عن العلاء بن عبد الرحمن. وداود بن

١ - المصدر السابق، ج٨، ص٦٨.

٢ - المصدر السابق، ج٨، ص١٤٦.

عفان العُماني يروي عن أنس بن مالك. روى عنه عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي. ومحمد بن صالح بن سهل العُماني، حدث عن محمد بن إسحاق الفاكهاني المكي، روى عنه أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي. ويعقوب بن غيلان العُماني، حدث عن سعيد بن عروة الربعي البصري. روى عنه أبو القاسم الطبراني، وعبد الباقي بن قانع. وعلي بن محمد العُماني، حدث عن أحمد بن سعيد الدارمي. روى عنه أبو الحسن بن الجندي. وعمر بن داود العُماني، حدث عن عباس الدوري، وأبي بكر بن أبي خيثمة، وثعلب. روى عنه أبو عبد الله المرزباني. وعمر بن عنبسة العُماني، يروي عن أبي بكر محمد بن الطلب. روى عنه منصور بن جعفر. وأبو عبد الله محمد بن عيسى العُماني النحوي، كان ببغداد، روى عن أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج "كتاب فعلتُ وأفعلتُ" روى عنه علي بن محمد بن الحسن الحربي. وأبو العباس النهشلي هو محمد بن ذؤيب التميمي المعروف بالعُماني الراجز، قدم بغداد ومدح هارون الرشيد والفضل بن الربيع، وكان من أهل الجزيرة، فطراً إلى عُمان، ثم رجع إلى بلاده فقيل له "العُماني" وغلب عليه، وعُمرَ عمرًا طويلاً، فذكر الأصبغي أنه مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة، ويقال: إنَّ أشعر الرجاز الرشديين أربعة: العُماني أولهم. ودخل على الرشيد فأنشده أرجوزة يصف فيها فرسه شبه أذنيه بقلم محرّف فقال:

كأن أذنيه إذا تَشَوَّفَا

قادمةً أو قلمًا مُحَرَّفًا

فقال له الرشيد: دع كأن، وقل: نخال، حتى يستوي الإعراب.

والحسين العُماني، من أهل نيسابور، شيخ ثقة صالح، يروي عن أحمد بن علي بن خلف الشيرازي، وأبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد الواحدي، سمعت منه في النوبة الثانية بنيسابور، توفي في حدود سنة خمس وأربعين وخمسمائة.

ومن القدماء: جيفر بن الجلندی العُماني، كان رئيس أهل عُمان هو وأخوه عبد، أسلما على يد عمرو بن العاص حيث بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يريا النبي صلى الله عليه وسلم هو ولا أخوه، وكان إسلامهما بعد خيبر¹.

١ - المصدر السابق، ج٩، ص٣٦٤ - ٣٦٦.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يترجم السمعاني لمن تسمى بالقرتائي:

القرتائي: بفتح القاف والراء والتاء المشددة ثالث الحروف وفي آخرها الياء آخر الحروف. هذه النسبة إلى قرتا، وطني أنها من قرى البحرين أو عُمان، منها أبو عبد الله محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن أيوب النهديري، ويعرف بالقرتائي، سكن الصليق، قدم بغداد في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وأملى في جامعة المدينة مجلسا، حدث فيه عن أحمد بن عبّيد الله القاسم النهرويري، والحسن بن أحمد بن أبي زيد، وأبي شجاع محمد بن فارس، البصريين، وغيرهم من أهل البصرة. ذكره أبو بكر الخطيب الحافظ في التاريخ، فقال: كتبت عن أصحابنا، ولم أسمع منه شيئا، ولا رأيته!

خلاصة السير الجامعة لنشوان الحميري

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث نشوان الحميري عن وصية عريب بن زهير لبنيه:

فقال لهم: "يا بني، إني وجدت الشرف والسؤدد والعز والنجدة والطاعة والملك: تدور على ستة أشياء. يا بني إني وجدت السؤدد لا يزايل الكرم، ولا سؤدد لمن لا كرم له. وإني وجدت العز في العدد حيثما كان، ولا عز لمن لا عدد له، ولا عدد لمن لا عشيرة له، وإني وجدت النجدة في الأيادي ولا نجدة لمن لا أيادي له، وإني وجدت الطاعة مع العدل، ولا طاعة لمن لا عدل له. وإني وجدت الملك في اصطناع الرجال، ولا ملك لمن لا يصطنع الرجال ليكونوا له حصنا. يا بني احفظوا وصيتي، ولا تعصوا أحاكم قطناً فإنه خليفتي بعد الله تعالى، وولي الملك بعدي دون كل أحد، وثم أنشأ يقول:

مضت لأسلافنا فيما مضى سيرٌ
وسلسلوا لهم ملكاً فما وهنوا
وسست بعدهم الملك الذي ملكوا
وأنت سائس هذا الأمر يا قطرُ
أعدت سيرتهم يوماً وأنت لها
لا تعد عن سيرتي ما أورك الفنُ
بالأصل تمرع لا بالفرع مونقةً
وكيف يمرع لو لا أصله العُصُ
ذر التغافل عن نيل تجود به
إن التغافل عي والهدى فطرُ

ومن هذا قالت العرب: السخاء فطنة، واللؤم تغفل.

ولمّا عريب رثاه الأزد فقال:

أمسى عُرَيْبُ عن المَلِكِ اللقّاحِ وعن

رعية الملك تحت الأرض مرموسا

وكان فيما مضى الملك اللقّاح به

مستوسق العز في الآفاق مأنوسا

لولا أبو وائل خير الورى قَطْنُ

لأصبح الملك ميادا ومنكوسا

به استقامت لنا الدنيا وأسعد من

بالأمس بعد عريب كان منحوسا

وولي الملك قَطْنُ بن عريب، بعد أبيه عريب بن زهير، وسار في الناس سيرة أسلافه، وآزره الأزد صدرا من ولايته، ثم نصب معه ابنه مازن بن الأزد فندب أخاه نصير بن الأزد وجرده إلى الشَّخْرِ وَعُمَانَ في الرجال والعدد، وأمره أن يتوطن تلك البلاد، وكتب له:

من مازن مهرق فيه الألوک إلى

من حل في الشَّخْرِ من عُجْمٍ ومن عَرَبِ

أن اسمعوا وادفعوا الخرج الوفاء إلى

نصر ودينوا ولا تعصوه في سبِ

يوما وإلا فلوموا فيه أنفسكم

إذا مُنِيتم لنا بالجَحْفَلِ اللَّجِبِ

فسار نصر باب الأزد حمير وصل الشحر، فسمع له من بمشارك... إلى عُمان، ودفعوا إليه الخرج، فمن عقر نصب بن الأزد بتلك النهوج الجلندی بن المسکبر بن مسعود، وكان ملکا

في بقايا مملكة ابن عمارة الأزدي، من فراهيد، وهو يحوي ما بين عُمان وسيراف. و.... قطن
أظهر العدل، وأظهر النعمة في أهل بيته، وأشعر.... الأمن والعدل، وقمع السفية وأمن السبيل
وأحسن إلى الغريب، وواصل ملوك الأعاجم، فاعتقدوا خلته، وجعله كل واحد منهم معقلا
وراء ظهره، وقهر القوم!

١- نشوان بن سعيد الحميري. خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي (بيروت: دار العودة، ١٩٧٨)، ص ٣٧-٣٩.

عجالة المبتدي وفضالة المنتهي للحازمي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم الحازمي لقبيلة الحمامي:

”الحمامي“ بفتح الحاء وتخفيف الميم منسوب إلى بني حَمَامَة من أزد عُمان، وهم نَفَرٌ يسير منهم الأشتر الحمامي. ذكره الآمدي.^١

ويرد أيضا حين يترجم الحازمي لقبيلة الخطامي:

”الخطامي“ منسوب إلى خِطامة فَخَذ من طَيِّء؛ منهم بن الغضوبة، ويقال: العَصُوب الخِطامي الطَّائِي العُماني، وهو جَدُّ أحمد وعلي ابني حرب الطَّائِي، وله خبر عجيب يُخْرَج في أعلام النبوة من أخبار الكُهَّان، وفي خبره قال: قلت يا رسول الله إني امرؤٌ من خِطامة طيِّء، وإني مولع بالطَّرب وشُرب الخمر، فادع الله يُذهب ذلك عني ”قال“ فدعا لي. فأذهب الله عني ما كنت أجد في حديث طويل.^٢

ويرد أيضا حين يترجم الحازمي لقبيلة المراغي:

”المراغي“ ينسب إلى مَرَاغَة، بطن من الأزد، منهم أبو أيُّوب يحيى بن مالك المَرَاغِي العتكي الأزدي، كذا يقول أكثر أصحاب الحديث، وقال بعضهم: مَرَاغَة موضع من ناحية عُمان.^٣

١ - أبو بكر محمد بن موسى الحازمي. عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٣)، ص ٥١.

٢ - المصدر السابق، ص ٥٥.

٣ - المصدر السابق، ص ١١٤.

الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة للحازمي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يعرف الحازمي بعض الأمكنة العمانية، ومنها:

بَابُ إِرْمَ، وَأَزَمَ، وَأَدَمَ وَأُدَمَ

أما الأوَّلُ بعد الهمزة المكسورة راءً: فهو البلد المذكور في القرآن، كان يسكنه قوم عادٍ، وقد تقادم عهده فيما يُخبر عنه، وقيل: هو دمشق وقيل: إرم هو ابنُ سامِ بنِ نوح، أبو عادٍ، فُنسبَ البلدُ إليه.

وأيضًا مَوْضِعٌ من ناحية الشام في ديارِ جُذام أخبرنا أبو جعفر أحمدُ بنُ مُحَمَّد بن عبد العزيز في كتابه أنبأنا الحسنُ بنُ عَبْدِ الرحمنِ بنِ الحَسَن أنبأنا أبو الحسن بن فراس أنبأنا مُحَمَّد بن إبراهيم الدبيلي أنبأنا أبو يونس المدني أنبأنا عتيقُ بن يعقوب، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جدّه عن عمرو بن حزم قال: وكتب النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لبني جعال ابن ربيعة بن زيد الجذاميين: (أَنَّ لَهُمَ إِرَمَ، لَا يَحُلُّهَا أَحَدٌ عَلَيْهِمْ يَغْلِبُهُمْ عَلَيْهَا، وَلَا يُحَاقُّهُمْ فَمَنْ حَاقَّهُمْ فَلَا حَقَّ لَهُ، وَحَقَّهُمْ حَقٌّ) وكتب خالدُ بنُ سعيد.

وأما الثَّانِي- بعد الهمزة المفتوحة زايً مفتوحةً: ناحية من نواحي سيراف، ذات مياه عذبة وهواءٍ طيبٍ يُنسبُ إليها بحرُ بنِ يحيى بن بحرِ الأزمي يُحدث عن عبد الكريم بن روح البصري وغيره.

ومنزلاً أيضًا بين سوق الأهواز ورام هُرمز.

وأما الثَّالِثُ- بِفَتْحِ الهمزة والدادال المُهملة-: مَوْضِعٌ قريبٌ من ذي قارٍ وإليه انتهى من تبع فلّ الأعاجم يوم ذي قار، وهناك قتل الهامز.

وأيضًا: ناحيةٌ قُربَ هجرٍ، وناحيةٌ من نواحي عُمان الشماليّة. وأما الرَّابِعُ- بِضَمِّ الهمزة والدادال-: من قُرى الطائف!

١ - أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ)، ص ٦٢ - ٦٣.

بَابُ يَبُونَةَ، وَيَبُونَةَ

أما الأَوَّلُ :- بعد الباء ياءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ، ثُمَّ نُونٌ مَضْمُومَةٌ وبعد الواو نُونٌ أُخْرَى :-
أَرْضٌ مُتَاخِمَةٌ لِأَرْضِ الشَّحْرِ، وَهِيَ فَوْقَ عُمَانَ وَلَهَا ذِكْرٌ فِي الْأَخْبَارِ، وَفِي الشَّعْرِ.

وأما الثَّانِي :- أوله ياءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ، ثُمَّ نُونٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ، وبعد الواو
تاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ :- مَنْزِلٌ كَانَ يَسْلُكُهُ حَاجٌ وَاسِطٌ قَدِيمًا إِذَا قَصَدُوا مَكَّةَ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ زُبَالَةَ نَحْوُ
مِنْ أَرْبَعِينَ مِيلاً^١.

بَابُ جُبٍّ وَحْتٍ وَحْتٍ

أما الأَوَّلُ :- بعد الجيم المَضْمُومَةَ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ :- مَاءٌ فِي دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ يُقَالُ لَهُ الْجُبُّ.
وَجُبٌّ عَمِيرَةٌ بِمِصْرَ، يُنْسَبُ إِلَى عَمِيرَةَ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ جَزْرِ التَّحِيْبِيِّ.
وأما الثَّانِي :- أوله حاءٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ تاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ :- مَحَلَةٌ مِنْ مَحَالِ الْبَصْرَةِ خَارِجَةٌ عَنْ
سُورِهَا، سُمِّيَتْ بِقَبِيلِ مِنَ الْيَمَنِ نَزَلُوهَا.

وأما الثَّالِثُ :- أوله خاءٌ مَعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ، ثُمَّ تاءٌ أَيْضًا :- مَوْضِعٌ نَاحِيَةِ عُمَانَ^٢.

بَابُ جُلْجُلٍ وَحَلْجَلٍ

أما الأَوَّلُ :- بِجِيمَيْنِ مَضْمُومَتَيْنِ :- دَارَةٌ جُلْجُلٌ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ مِنَ الْحَمَى،
وَقَالَ غَيْرُهُمَا : فِي دِيَارِ الضَّبَابِ، ذَكَرَهَا امْرُؤُ الْقَيْسِ وَغَيْرِهِ.

وأما الثَّانِي :- بِحَاءَيْنِ مَهْمَلَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ :- جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ عُمَانَ. وَفِي شَعْرِ الْأَخْطَلِ
مُصَغَّرٌ - قَالَ :

قَبْحُ الْإِلَهِ مِنَ الْيَهُودِ عِصَابَةٌ

بِالْجَزْعِ بَيْنَ حَلْجَلٍ وَصَحَارٍ^٣.

١ - المصدر السابق، ص ١٤٨.

٢ - المصدر السابق، ص ١٩١ - ١٩٢.

٣ - المصدر السابق، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

بَابُ جَوْ وَجُوٍّ

أما الأوَّلُ :- بالجيم :- جو الخضارم باليمامة، بلدٌ قديمٌ عادي، ولهذا ذكر كثير في أيام العرب وأشعارهم.

وجو الجواذة: في ديارِ طيءٍ لبني تُعلٍ.

ومَوْضِعٌ آخرٌ ناحية عُمَان يُقَالُ: سامة بن لُؤي هناك هلك.

وأما الثَّاني :- أوله خاء معجمة -: وادٍ في ديارِ بني أسد، يُفْرغ ماؤُهُ في ذي العشيرة^١.

بَابُ حَجُونٍ، وَحَجُورٍ

أما الأوَّلُ :- بعد الحاءِ المَفْتُوحَةِ جيم مَضْمُومَةٌ وآخره نون :- جبل بأعلا مَكَّة، عنده مدافن أهلها، وقال السكري: الحجون مكانٌ من البيت على ميل ونصف، عليه سقيفة آل زياد بن عبد الله الحارثي، وكان عاملاً على مَكَّة، وفي شعر أبي ذؤيب:

بِأَيَّةِ مَوْقَفَتْ وَالرِّكَا

بُ بَيْنَ الْجُحُوبِ وَبَيْنَ السَّرْرِ

وأما الثَّاني :- آخره راء -: مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ يُنْسَبُ إِلَى الْقَبِيلَةِ، وَيُنْسَبُ إِلَى الْمَوْضِعِ بَعْضُ التَّابِعِينَ.

وأيضاً بلد من وراء عُمَان، لبني سعد بن زيد مناة بن تميم^٢.

بَابُ خَرْقَانَ، وَجُرَّافَارٍ

أما الأوَّلُ :- بعد الحاءِ المَفْتُوحَةِ زاءٌ مُشَدَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ قاف وآخره نون :- من بلاد خُرَاسَانَ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْحَسَنِ الْخُرْقَانِي، كَانَ أَحَدَ الْعُبَادِ الْمَذْكُورِينَ، يُؤَثَّرُ عَنْهُ كِرَامَاتٌ وَعَجَائِبٌ، وَأَيْضًا نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي هَمْدَانَ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَرْوِينَ، وَدِه خَرْقَانَ مِنْ مَدَنِ أَذْرَبَيْجَانَ.

وأما الثَّاني :- أوله جيم مَضْمُومَةٌ وبعد الراءِ المُشَدَّدَةِ فاءٌ وآخره راء -: مَدِينَةٌ بَحْرِيَّةٌ قُرْبَ عُمَانَ^٣.

١ - المصدر السابق، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

٣ - المصدر السابق، ص ٤٠٤.

بَابُ دَبَا، وَدَبَّا، وَدَنَا

أما الأَوَّلُ - بفتح الدال وتخفيف الباء المُوحَّدة -: مدينة قديمة من مدن عُمان، لها ذكر كثير في أيام العرب، وأشعارهم، وكانت القصبة قبل صُحارٍ.

وأما الثَّانِي - بِضَمِّ الدال والباء المُشدَّدة -: من نواحي البُصْرَة، فيها أنهارٌ وقُرى، ونرها الأكبر الذي يأخذ من دجلة حفرة الرشيد.

وأما الثَّالِثُ -: بعد الدال المَفْتُوحَة نُونٌ مُخَفَّفة -: مَوْضِعٌ بالبادية، وقيل: في دِيَارِ تميم، بين البُصْرَة واليمامة.

قال:

فَأَمَوَاهُ الدَّنَا فَعَوِيرِضَاتٍ

دَوَارِسُ بَعْدَ أَحْيَاءٍ حِلَالٍ^١.

بَابُ دَمَا وَدَمَّا

أما الأَوَّلُ -: بفتح الدال وتخفيف الميم -: قَرْيَة من قرى عُمان، وقيل: مدينة تُذكر مع دبا، منها أَبُو شداد، كتب إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، روى عنه عبد العزيز بن زياد الحبطي.

وأما الثَّانِي -: بِضَمِّ الدال وتَشْدِيدِ الميم مُمالَة -: مَوْضِعٌ تحت بَعْدَادِ أسفل من كلوذا، وناحية أخرى تحت جرجرايا.^٢

بَابُ دَوَانَ، وَدَوَانَ، وَرَذَانَ

أما الأَوَّلُ -: بفتح الدال وتَشْدِيدِ الواو وآخره نون -: ناحية من أرض فارس، يوصف بجودة الحجر.

وأما الثَّانِي -: بِضَمِّ الدال وتخفيف الواو -: بلدٌ من ناحية عُمان، على ساحل البحر.

وأما الثَّالِثُ -: - أوله راءٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ ذال مُعْجَمَة مُخَفَّفة -: مَوْضِعٌ من ناحية نيسابُور، يُنسَبُ إِلَيْهِ أَبُو جعفر مُحَمَّد بن أحمد بن أبي عون الرذاني النسوي، سمع بنيسابُور حُميد بن زنجويه،

١ - المصدر السابق، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

٢ - المصدر السابق، ص ٤٣٤.

واقرائه، وبالعراق إبراهيم بن سعيد الجوهري. وأحمد بن إبراهيم الدورقي، روى عنه يحيى بن منصور القاضي وجماعة سواف توفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة^١.

بَابُ شَجَرٍ، وَشَجَرٍ، وَسَجَزٍ

أما الأول: - بعد الشين المكسورة حاء مُهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ -: صَقَّعَ بَيْنَ عُمَانَ وَعَدَنَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ بعض الرواة.

وأما الثاني: - بَفْتَحِ الشين والجيم -: عَضِيَا شَجَرٍ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْأَهْوَازِ وَمَرَجِ الْقَلْعَةِ، وَهَنَّاكَ أَمْرُ النعمان بن مقرن مجاشع بن مسعود أن يُقِيمَ بِهِ فِي غَزْوَةِ نَهَاوَنْدَ.

وأما الثالث: - أوله سين مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا جِيمٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ زَايٍ -: اسْمٌ لِسَجِسْتَانَ وَيُقَالُ فِي النِّسْبَةِ إِلَيْهَا السَّجِزِيُّ وَهَمَّ خَلَقٌ كَثِيرٌ فِي الْأُمَّةِ وَرَوَاةُ الْحَدِيثِ^٢.

بَابُ عُمَانَ، وَعَمَّانَ

أما الأول: - بِضَمِّ الْعَيْنِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ -: اسْمُ كَوْرَةٍ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: عَرَبِيَّةٌ، يُقَالُ أَعْمَنُ، وَعَمَنَ إِذَا أَتَى عُمَانَ، وَقَالَ رُوْبَةُ:

نَوَى شَأْمَ بَانَ أَوْ مُعَمَّنِ

وقال ابن الأعرابي: العمن المُقيمون في مكان، يُقَالُ رَجُلٌ عَامِنٌ، وَعَمُونَ وَمَنَّهُ اشْتَقَّ عُمَانَ، وَيُصْرَفُ وَلَا يُصْرَفُ، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهَا فِي غَيْرِ حَدِيثٍ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهَا، يُنْسَبُ إِلَيْهَا دَاوُدُ بْنُ عَفَّانَ الْعُمَانِيُّ، رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَنَفَرٍ سِوَاهُ.

وأما الثاني: - بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ -: عَمَّانُ الْبَلْقَاءُ مِنْ أَكْنَفِ دِمَشْقَ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَأَمَّا عَمَّانُ بِنَاحِيَةِ الشَّامِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْلَانٌ مِنْ عَمَّ يَعْمُ لَا يَنْصَرَفُ مَعْرِفَةً وَيَنْصَرَفُ نَكْرَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْلاً مِنْ عَمَنَ فَيَنْصَرَفُ فِي الْحَالَتَيْنِ إِذَا عَنِيَ بِهِ الْبَلَدُ، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي حَدِيثِ الْحَوْضِ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ بْنُ مَسْرُورَ بْنِ مُحَمَّدِ الزَّهْرِيِّ الْعَمَّانِيُّ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الطَّرُوسِيِّ وَنَفَرٍ سِوَاهُ^٣.

١ - المصدر السابق، ص ٤٣٦.

٢ - المصدر السابق، ص ٥٧٥ - ٥٧٦.

٣ - المصدر السابق، ص ٦٨٩.

بَابُ مَأْرِبٍ، وَمَأْرِثٍ، وَمَأْرِدٍ

أما الأَوَّلُ:- بالباء المُوحَّدة:- مدينة باليَمَن كان بها دار بلقيس.

وأما الثَّانِي:- بالثاء المثلثة:- ناحية من جبال عُمان.

وأما الثَّالِثُ:- بالدال:- حصن عجيب الصنعة، قالت الزباء: تمرد مارِدٌ وعز الأبلق!^١

بَابُ الْمَزُونِ وَالْمَرُوتِ

أما الأَوَّلُ:- بعد الميم زاي مُحَقَّفَةٌ وآخره نون:- قال المبرد: مَزُون اسم من أسماء عُمان، قال الكميت:-

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَرْدُ أَبِي سَعِيدٍ
فَأَكَرَهُ أَثُ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَا

وقال جرير:

وَأَطْفَأَتْ نَيْرَانَ الْمَزُونِ وَأَهْلَهَا وَقَدْ حَاوَلُوهَا فِثْنَةً أَنْ تُسَعَّرَا

وأما الثَّانِي:- بعد الميم راء مُشَدَّدة وآخره تاء فوقها نُقْطَتَانِ -: من دِيَارِ مَلُوكِ غَسَانَ بِالشَّامِ.^٢

بَابُ وَبَارٍ، وَفَانٍ

ما بعد الواو باء وآخره راء يضم ويكسر:- مدينة بأقصى اليَمَن خالية من الأنيس، زعموا أن الجن غلب عليها بين اليَمَن ورمل يبرين محلة عاد، وقيل: هو رمل إرم ذات العماد، وقيل: بين عُمان ويبرين.

وأما الثَّانِي:- بنونين:- مَوْضِعٌ من دِيَارِ الْأَزْدِ.^٣

١ - المصدر السابق، ص ٨٢١ - ٨٢٢.

٢ - المصدر السابق، ص ٨٤٣.

٣ - المصدر السابق، ص ٩٠٩.

بَابُ وَجٍ، وَوَجِّ

أما الأَوَّلُ: بالجيم -: اسم جامع لحصون الطائف، وقيل: لواحد.

وأما الثَّانِي: - بالحاء -: ناحية من عُمان^١.

بَابُ يَنْوُفٍ، وَتَنْوُفٍ

أما الأَوَّلُ: بالياء- جبلٌ ضخْمٌ منيعٌ لكِلاب.

وأما الثَّانِي: بالتاء- من أرض عُمان^٢.

١ - المصدر السابق، ص ٩١٠ - ٩١١.

٢ - المصدر السابق، ص ٩٣٤ - ٩٣٥.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

لابن الجوزي

مما رواه ابن الجوزي وفيه ذكر لعمان قوله:

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو طالب ابن عمر بن إبراهيم الفقيه، أخبرنا محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن زنجي الكاتب، قال: حدثني أبي، أخبرنا عسيل بن ذكوان، قال: قال الأصمعي:

أحسن الدنيا ثلاثة أنهار، نهر الأيلة، وغوطة دمشق، وسمرقند، وحشوش الدنيا ثلاثة:

عُمان، وأردبيل، وهيت!

وفي موضع آخر من المنتظم يروي ابن الجوزي خبرا عن البحار فيقول:

قال ابن عباس الزرقى: البحار أربعة: البحر الكبير الذي ليس في العالم أكبر منه هو يأخذ من المغرب إلى القلزم، وهو مر مالح لا يستمد من غيره، وهو يمر من القلزم على وادي القرى، ثم يمر إلى جدة ثم يبلغ عدن ثم الشحر ثم إلى بربرت ثم إلى عُمان، فيمر بالديل، وفيه جزائر لا يحصى، وفيه أربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ، وعرضه مثل ذلك. ويخرج من هذا البحر خليج من ناحية القبلة حتى بلغ أيلة البصرة.^١

ويتحدث ابن الجوزي عن طوائف العماليق مؤكدا أن طائفة منهم كانت في عمان. يقول:

وكانت العماليق في بلدان شتى، وكان منهم بالمشرق إلى عُمان، وبالبحرين طائفة، وكان بالشام ومصر ومكة والمدينة والحجاز ونجد منهم طائفة. والطائفة التي كانت منهم بالشام يقال لهم "الكنعانيون" وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها، وهم الجبابرة المعروفون.^٢

١ - عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)، ج١، ص١٣٥.

٢ - المصدر السابق، ج١، ص١٥٤.

٣ - المصدر السابق، ج١، ص٢٥١.

ومما جاء في كتاب المنتظم وفيه ذكر لعمان حديث ابن الجوزي عن بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى أهل عمان يدعوهم إلى الإسلام . يقول :

وفي هذه السنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعث عمرو بن العاص بعد رجوعه من الحج لأيام بقين من ذي الحجة إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان يدعوهما إلى الإسلام . وكتب معه كتابا إليهما وختم الكتاب، قال عمرو : فلما قدمت عُمان عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقا، فقلت : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إليك وإلى أخيك، فقال [أخي] المقدم بالسر والملك : وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك، فمكثت أياما ببابه، ثم إنه دعاني فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مختوما ففرض خاتمه وقراه حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقراه، إلا أنني رأيت أخاه أرق منه فقال : دعني يومي هذا وارجع إلي غدًا، فلما كان الغد رجعت إليه، فقال : إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي، قلت : فإني خارج غدًا، فلما أيقن بمخرجي أصبح فأرسل إلي فدخلت عليه، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا، وصدقا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلّم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونًا على من خالفني، فأخذت الصدقة من أغنيائهم، فرددتها في فقرائهم، ولم أزل مقيما بينهم حتى بلغنا وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم . وذكر الواقدي أن هذا كان في سنة ثمان^١.

ومما رواه ابن الجوزي حديثه عن ردة أهل عمان ومهرة :

قال علماء السير : نبغ بعُمان لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسمى في الجاهلية الجُلنْدِي، فادعى ما ادعاه من تنبأ، وغلب على عمان مرتدًا، وارتد أهل عمان، فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن إلى عمان وعرفجة البارقي إلى مهرة وأمرهما أن يبدءا بعمان، وكان أبو بكر قد بعث عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة، واستعجل قبل أن يلحقه المدد، فقاتل وأصيب جماعة من المسلمين، فكت إليه أبو بكر يعنفه على سرعته، ويقول : لا أزيّتك، ولا أسمع بك إلا بعد بلاء، والحق بعمان حتى تقاتل أهل عمان وتعين حذيفة وعرفجة، فإذا فرغتم فامض إلى مهرة، ثم ليكن وجهك منها إلى اليمن، فأوطيء ما بين عمان واليمن ممن ارتد، وليُبلغني بلاؤك . فلما اجتمعوا جمع لقيط فاقتلوا، فرأى المسلمون في أنفسهم خللاً فإذا مواد قد أقبلت إليهم من عبد القيس وغيرهم، فوهن الله الشرك، وقتل من المشركين في المعركة عشرة آلاف فأتحنوا

١ - المصدر السابق، ج٤، ص ٩ - ١٠.

فيهم وسبوا الذراري وقسموا ذلك على المسلمين وبعثوا بالخمسة إلى أبي بكر رضي الله عنه مع عرفجة.

ولما فرغ عكرمة وعرفجة وحذيفة من ردة عمان خرج عكرمة في جنده نحو مهرة، واستنصر من حول عمان وأهل عمان، وسار حتى أتى مهرة والتقوا، فكشف الله جنود المرتدين، وقتل رئيسهم، وركبهم المسلمون، فقتلوا ما شاءوا، فخمسة عكرمة الفياء، فبعث بالأخماس إلى أبي بكر، وقسم الأربعة أخماس على المسلمين^١.

ومما رواه ابن الجوزي أيضا وفيه ذكر لعمان حديثه عن المهلب بن أبي صفرة ومعركته مع مسلمة بن عبد الملك . يقول:

فلما اجتمع يزيد بن المهلب ومسلمة أقاما ثمانية أيام حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشر ليلة مضت في صفر عبأ مسلمة جنود الشام، ثم ازدلف بهم نحو يزيد، وبعث مسلمة فأحرق الجسر فانهم أصحاب يزيد وتسلبوا وهو يزدلف، فكلما مر بخيل كشفها، فجاءه أبو روبة فقال له: هل لك أن تنصرف إلى واسط فإنها حصن فتنزلها ويأتيك مدد البصرة وأهل عمان والبحرين في السفن، وتضرب خندقاً، فقال: قبح الله رأيك، إني تقول هذا؟ إن الموت أيسر علي من ذلك، وبرز فقتل وقتل أخوه محمد فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك، فلما بلغ خبر الهزيمة، إلى واسط أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا عنده، فضرب أعناقهم؛ منهم عدي بن أرطاة^٢.

ويقول ابن الجوزي في أحداث سنة أربع وثلاثين ومائة:

فمن الحوادث فيها إن بسام بن إبراهيم - وكان من فرسان أهل خراسان خالف وخلع من عسكر أبي العباس مع جماعة بايعوه على ذلك مستبشرين بخروجهم، فأقاموا بالمدائن، فبعث إليهم أبو العباس خازم بن خزيمه، فانهم بسام وأصحابه، وقتل أكثرهم، واستبيح عسكره.

وفيها: شخص خازم إلى عمان، فأوقع من فيها من الخوارج وغلب على ما قرب منها من البلدان، وقتل شيبان الخارجي، وكان أهل عمان ظفروا به، ثم نصب لهم الجلندي وأصحابه، وهم الإباضية، فاقتتلوا فقتل الجلندي فيمن قتل، وبلغ عدد القتلى عشرة آلاف^٣.

١ - المصدر السابق، ج٤، ص ٨٥ - ٨٦.

٢ - المصدر السابق، ج٧، ص ٨٠.

٣ - المصدر السابق، ج٧، ص ٣٢٤.

مما ورد في المنتظم وفيه ذكر لعمان سرد ابن الجوزي لأحداث سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة . يقول :

وفيها: ولّى الرشيدُ عبدَ الله بنَ مالك طَبَرِستانَ، والرَّيَّ، والرُّويانَ، ودُنْبأونُد، وقُومسَ، وهَمَدانَ. وولى عيسى بنَ جعفر بن سليمان عُمَانَ، فقطع البحرَ فافتتح حصنين، وعاد الرشيدُ إلى بغداد، فدخلها لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وقال: والله إنني لأطوي مدينةً ما وُضعتُ مدينةً بشرق ولا غرب، وما رأيتُ مدينةً أيمَنَ منها ولا أيسَرَ، وإنها لوطني ووطنُ آبائي، ودارُ مملكة بني العباس ما بقوا، وما رأى أحدٌ من آبائي سوءًا ولا نكبةً ولا شرًّا منها، ولنعم الدارُ هي، ولكني أريد المُنَاحَ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى، ولولا ذلك ما فارقْتُ بغدادَ ما حييت، ولا خرجت عنها أبدًا^١.

ويرد ذكر عمان أيضا عند ابن الجوزي حين يؤرخ لسنة أربع وخمسين ومائتين . يقول :

فمن الحوادث فيها :

بغا الشرايبي كان قد طغى وخالف أمر المعتز، واستبد بالأموال والأمر، فركب المعتز ليلاً وقد تشاغل بغا بتزويجه صالح بن يوسف ابنته، فوثب بغا على مال السلطان ومال أمه، فأوقر منه عشرين بغلاً فوقعوا به فقتلوه، وجاءوا برأسه إلى المعتز، فنصبه بسامراء، وأعطى الذي جاء برأسه عشرة آلاف دينار، ثم حدر برأسه إلى مدينة السلام، وأمر بإحراق جسده وحبس جماعة من ولده، ونفى خمسة من صغارهم إلى عُمان والبحرين^٢.

وفي موضع آخر من المنتظم يذكر ابن الجوزي أنه في سنة إحدى وثلثمائة :

وصلت هدايا صاحب عُمان (ويقصد به أحمد بن هلال) إلى السلطان، وفيها بغبة بيضاء، وغزال أسود. وفي سنة خمس وثلثمائة: يقول: ورد على السلطان هدايا جلييلة من أحمد بن هلال صاحب عُمان، وفيها أنواع الطيب، ورماح، وطرائفُ من طرائف البحر، وطائرُ أسود يتكلم بالفارسية والهندية أفصح من البغاء، وطبائٍ سود^٣.

١ - المصدر السابق، ج ٩، ص ١٦٢ - ١٦٣.

٢ - المصدر السابق، ج ١٢، ص ٧٣.

٣ - المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٤١، ١٧٦.

ويرد اسم عمان أيضا في المنتظم حين يترجم ابن الجوزي لهارون بن محمد الضبي مؤكداً بأن أسرته كانت من ملوك عمان . يقول :

هارون بن محمد بن هارون بن علي بن عيسى بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد ابن جابر بن عامر بن أسيد بن تيم بن صبح بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة، أبو جعفر والد القاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون. وكان أسلافه ملوك عمان في قديم الزمان، وكان أول من دخل عمان من ملوك بني ضبة فتملك بها، ثم لم تزل ولده من بعده يرثون هناك السيادة والشرف، ويزيد بن جابر أدرکه الإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وأول من انتقل منهم من عمان: هارون بن محمد، فسكن بغداد، وحدث بها، روى عنه ابنه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا عبد الكريم ابن محمد الحاملي قال: أخبرنا علي بن عمر الدارقطني وذكر هارون بن محمد فقال: استولى على الفضائل، وساد بعُمان في حدائة سنة، ثم خرج منها فلقني العلماء بمكة والكوفة والبصرة، ودخل مدينة السلام سنة خمس وثلاثمائة فغلث منزلته عند السلطان وارتفع قدره وانتشرت مكارمه وعطاياه وانفق أمواله وانتابه الشعراء من كل موضع، وامتدحوه فأكثرُوا، وأجزل صلاتهم، وأنفق أمواله في بر العلماء والإفضال عليهم، وفي صلات الأشراف من الطالبين والعباسيين وغيرهم، واقتناء الكتب المنسوبة، وكان مُبَرِّزاً في العلم واللغة، والشعر، والنحو، ومعاني القرآن، والكلام، وكانت داره مجمعاً لأهل العلم في كل فن إلى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة^١.

ويذكر ابن الجوزي أحداث سنة أربعين وثلاثمائة:

فمن الحوادث فيها أنه ورد الخبر بمسير صاحب عمان إلى الأبله يريد البصرة وورود أبي يعقوب الهجري لمعاونة صاحب عمان على فتح البصرة، فانهزم صاحب عمان من البصرة، واستؤثر جماعة من أصحابه، وأخذ منه خمسة مراكب، ودخل في ربيع الآخر أبو محمد المهلبى إلى بغداد ومعه المراكب والأسارى^٢.

١ - المصدر السابق، ج١٤، ص ٦٢ - ٦٣.

٢ - المصدر السابق، ج١٤، ص ٨٤.

معجم البلدان لياقوت الحموي

**مما جاء في معجم البلدان وفيه ذكر لعمان وصف ياقوت للأقاليم السبعة
واشتاقها والاختلاف في کیفیتها . يقول في وصف الإقليمين الأول والثاني :**

أوله حيث يكون الظل نصف النهار، إذا استوى الليل والنهار قدما واحدة ونصفا وعشرا
وسدس عشر قدم، وآخره حيث يكون ظل الاستواء فيه نصف النهار قدمين وثلاثة أخماس
قدم، فهو من المشرق يبتدىء من أقصى بلاد الصين ويمر على ما يلي الجنوب من الصين وفيه
جزيرة سرنديب وعلى سواحل البحر في جنوب بلاد السند ثم يقطع البحر إلى جزيرة العرب
وأرض اليمن ويقطع بحر القلزم إلى بلاد الحبشة ويقطع نيل مصر وينتهي إلى بحر المغرب
فوقع وسطه قريبا من أرض صنعاء وحضرموت ووقع طرفه الذي يلي الجنوب قريبا من أرض
عدن ووقع طرفه الذي يلي الشمال بتهامة قريبا من مكة ووقع فيه من المدن المعمورة مدينة
ملك الصين وجنوب السند وجزيرة الكرك و جنوب الهند ومن اليمن صنعاء وعدن وحضرموت
ونجران وجرش وجيشان وصعدة وسبأ وظفار ومهرة وعمان..... ويبتدىء في المشرق فيمر على
بلاد الصين وبلاد الهند وعلى شماليها جبال قامرون وكنوج والسند ويمر بملتقى البحر الأخضر
وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة والبحرين ثم يقطع بحر القلزم ونيل
مصر إلى أرض المغرب وفيه من المدن مدن بلاد الصين والهند ومن السند المنصورة وبلاد
التتر والدليل ويقطع البحر إلى أرض العرب إلى عمان فيقع في وسطه مدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم يثرب!

مما جاء في معجم البلدان وفيه ذكر لعمان وصف ياقوت الحموي للأحفاف:

الأحفاف: جمع حقف من الرمل والعرب تسمي الرمل المعوج حقافاً وأحقافاً واحقوفاً
الهلال والرمل إذا اعوج فهذا هو الظاهر في لغتهم وقد تعسف غيرهم، والأحفاف المذكور في
الكتاب العزيز واد بين عُمان وأرض مهرة عن ابن عباس. قال ابن إسحاق: الأحفاف رمل فيما

١ - ياقوت بن عبد الله الحموي. معجم البلدان، دون تحقيق (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥)، ج١، ص ٢٨ - ٢٩.

بين عمان إلى حضرموت، وقال قتادة: الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن وهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى، وقال الضحاك الأحقاف جبل بالشام، وفي كتاب العين الأحقاف جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء تلتهب يوم القيامة فيحشر الناس عليه من كل أفق وهذا وصف جبل قاف، والصحيح ما روينا عن ابن عباس وابن إسحاق وقاتادة أنها رمال بأرض اليمن كانت عاد تنزلها. ويشهد بصحة ذلك ما رواه أبو المنذر هشام بن محمد عن أبي يحيى السجستاني عن مرة بن عمر الأيلي عن الأصبع بن نباتة قال إنا لجلوس عند علي بن أبي طالب ذات يوم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ أقبل رجل من حضرموت لم أر قط رجلاً أنكر منه فاستشرفه الناس وراعهم منظره وأقبل مسرعاً جادا حتى وقف علينا وسلم وجثا وكلم أدنى القوم منه مجلساً وقال من عميدكم فأشاروا إلى علي رضي الله عنه وقالوا هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعالم الناس والمأخوذ عنه فقام وقال:

اسمع كلامي هداك الله من هادٍ
وافرج بعلمك عن ذي غلة صادٍ
جاء التنائف من وادي سُكاكٍ إلى
ذات الأماحل في بطحاء أجياد
تلفه الدمنة البوغاء معتمدا
إلى السداد وتعليم بإرشاد
سمعتُ بالدين دين الحق جاء به
محمد وهو قزم الحاضر الباد
فجئتُ منتقلاً من دين باغية
ومن عبادة أوثان وأندادٍ
ومن ذبائح أعياد مضللة
نسيكها غائب ذو لوثة عاد
فادلل على القصد واجل الريب عن خلدي
بشرة ذات إيضاح وإرشاد

والمم بفضل هداك الله عن شعثي

وأهدني إنك المشهور في النادي

إن الهداية للإسلام نائبة

عن العمى والتقى من خير أزواد

وليس يُفرج ريب الكفر عن خلدٍ

أفضله الجهل إلا حية الواد

قال فأعجب علياً رضي الله عنه والجلساء شعره وقال له علي الله درك من رجل ما أرصن شعرك ممن أنت قال من حضرموت فسر به علي وشرح له الإسلام فأسلم على يديه ثم أتى به إلى أبي بكر رضي الله عنه فأسمعه الشعر فأعجبه ثم إن علياً رضي الله عنه سأله ذات يوم ونحن مجتمعون للحديث أعالم أنت بحضرموت قال إذا جهلتها لم أعرف غيرها قال له علي رضي الله عنه أتعرف الأحقاف قال الرجل كأنك تسأل عن قبر هود عليه السلام قال علي رضي الله عنه لك ما أخطأت قال نعم خرجت أنا في عنقوان شيبتي في أغيلمة من الحي ونحن نريد أن نأتي قبره لبعده صيته فينا وكثرة من يذكره منا فسرنا في بلاد الأحقاف أياماً ومعنا رجل قد عرف الموضع فانتبهنا إلى كثيب أحمر فيه كهوف كثيرة فمضى بنا الرجل إلى كهف منها فدخلناه فأمعنا فيه طويلاً فانتبهنا إلى حجرين قد أطبق أحدهما دون الآخر وفيه خلل يدخل منه الرجل النحيف متجانفاً فدخلته فرأيت رجلاً على سرير شديد الأدمة طويل الوجه كث اللحية وقد يبس على سريره فإذا مسست شيئاً من بدنه أصبته صليباً لم يتغير ورأيت عند رأسه كتاباً بالعربية "أنا هود النبي الذي أسفت على عاد بكفرها وما كان لأمر الله من مرد" فقال لنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كذلك سمعته من أبي القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم!

ومن المدن العمانية التي ذكرها ياقوت في معجمه آدم:

أدم: بفتح أوله وثانيه بلفظ الأدم من الجلود وهو جمع أديم. وأديم كل شيء ظاهر جلده مثل أفيق وأفق ويجمع على أدمة مثل رغيف وأرغفة. أدم: موضع قريب من ذي قار وإليه انتهى من تبع قل الأعاجم يوم ذي قار وهناك قتل الهامرز. وأدم أيضاً ناحية قرب هجر من أرض البحرين.

وأدم أيضًا من نواحي عُمان الشمالية تليها شمليل وهي ناحية أخرى من عمان قرية من البحر. وأدم أيضًا بقرب العمق قال نصر وأظنه جبلًا، وأدم أيضًا أول منزل من واسط للحاج القاصد إلى مكة وهو من العيون إن لم يكن الأول. وأدم من قرى اليمن ثم من أعمال صنعاء^١.

ويرد ذكر عمان حين يعرف الحموي جبلا اسمه "أسيوت":

أشيوْتُ: بالفتح ثم السكون، وياء مضمومة، وواو ساكنة، وتاء مثناة: جبل قرب حضرموت مطّل على مدينة مرباط ينبت الدادي الذي يصلح به النبيذ، وفيه يكون شجر اللبان، ومنه يحمل إلى جميع الدنيا ولا يكون في غيره قط، بينه وبين عمان، على ما قيل، ثلاثمائة فرسخ^٢.

يرد اسم عمان أيضا في معجم البلدان حين يصف ياقوت بحر فارس قائلا:

هو شُعبة من بحر الهند الأعظم واسمه بالفارسية كما ذكره حمزة زراه كامسير. وحده من التيز من نواحي مكران على سواحل بحر فارس إلى عبادان وهو فوه دجلة التي تصب فيه، وأول سواحله من جهة البصرة وعبادان أنك تنحدر في دجلة من البصرة إلى بليدة تسمى المحرزة في طرف جزيرة عبادان تتفرق دجلة عنده فرقتين إحداهما تأخذ ذات اليمين فتصب في هذا البحر عند سواحل أرض البحرين وفيه تسافر المراكب إلى البحرين وير العرب وتمتد سواحله نحو الجنوب إلى قَطْر وعُمان والشحر ومرباط إلى حضرموت إلى عدن وتأخذ الفرقة الأخرى ذات الشمال وتصب في البحر من جهة بر فارس وتصير عبادان لانصباب هاتين الشعبتين في البحر جزيرة بينهما. وعلى سواحل بحر فارس من جهة عبادان من مشهورات المدن مهروبان، قال حمزة: وههنا يسمى هذا البحر بالفارسية زراه أفرنك قال: وهو خليج منخلج من بحر فارس متوجهاً من جهة الجنوب صعداً إلى جهة الشمال حتى يجاوز جانب الأبله فيمتزج بماء البطيحة، آخر كلامه، ثم يمر من مهروبان نحو الجنوب إلى جتابة بلدة القرامطة ومقابلها في وسط البحر جزيرة خارك ثم يمر في سواحل فارس بسينيز وبوشهر ونجيرم وسيراف ثم بجزيرة اللار إلى قلعة هزو ومقابلها في البحر جزيرة قيس بن عميرة تظهر من بر فارس وهي في أيامنا هذه أعمر موضع في بحر فارس وبها مقام سلطان البحر والملك المستولي على تلك النواحي ثم هرموز في بر فارس ومقابلها في اللجة جزيرة عظيمة تعرف بجزيرة الجاسك ثم تيز مكران

١ - المصدر السابق، ج، ١، ص ١٢٦.

٢ - المصدر السابق، ج، ١، ص ١٩٣.

على الساحل فبحرُ فارس وبحرُ البحرين وعمان واحدٌ. على ساحله الشرقي بلادُ الفرس وعلى ساحله الغربي بلاد العرب وطوله من الشمال إلى الجنوب^١.

ويرد اسم عمان أيضا في معجم البلدان حين يصف ياقوت البحرين:

هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر ولم يُسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم إلا أن الزمخشري قد حكى أنه بلفظ التثنية فيقولون هذه البحران وانتهينا إلى البحرين ولم يبلغني من جهة أخرى، وقال صاحب الزيغ: البحرينُ في الإقليم الثاني وطولها أربع وسبعون درجة وعشرون دقيقة من المغرب وعرضها أربع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وقال قوم: هي من الإقليم الثالث وعرضها أربع وثلاثون درجة، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان قيل هي قصبَةُ هَجْر وقيل هَجْرُ قصبَة البحرين وقد عدها قوم من اليمن وجعلها آخرون قصبَةً برأسها، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة وربما عد بعضهم اليمامة من أعمالها والصحيح أن اليمامة عمَل برأسه في وسط الطريق بين مكة والبحرين روى ابن عباس: البحرين من أعمال العراق وحدّه من عُمانَ ناحية جرفار واليمامة على جبالها وربما ضُمَّت اليمامة إلى المدينة وربما أفردت هذا كان في أيام بني أمية فلما ولي بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً قاله ابن الفقيه، وقال أبو عُبيدة: بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام وبين هَجْر مدينة البحرين والبصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل وبينها وبين عمان مسيرة شهر^٢.

ومما جاء في معجم البلدان وفيه ذكر لعمان وصف ياقوت لمكان يسمى بينونة:

بَيْنُونَةُ: بزيادة الهاء، موضع سُمي بالمصدر من قولهم بان، يَبِينُ بينونة إذا بَعُدَ وهو موضع بين عُمان والبحرين وبينه وبين البحرين ستون فرسخا قاله أبو على الفسوي النحوي، وأنشد في الشيرازيات:

يا ريح بَيْنُونَة لا تُدْمِينَا

جئت بأرواح المصفرينا

١ - المصدر السابق، ج، ١، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

٢ - المصدر السابق، ج، ١، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

يقال ذَمَتْهُ الرِّيحُ تَذْمِيهِ قَتَلْتَهُ وَأَصْلُهُ أَذْهَبَتْ ذَمَاهُ وَهُوَ بَقِيَّةُ الرُّوحِ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ بَيْنُونَةُ آخِرُ حُدُودِ الْيَمَنِ مِنْ جِهَةِ عُمَانَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: بَيْنُونَةُ أَرْضٌ فَوْقَ عُمَانَ تَتَّصِلُ بِالشَّحْرِ، وَقَالَ الرَّاعِي فِي رِوَايَةِ ثَعْلَبٍ:

عُمَيْرِيَّةٌ حَلَّتْ بِرَمْلِ كُهَيْلَةٍ

فَبَيْنُونَةٍ يَلْقَى لَهَا الدَّهْرُ مَرْبَعًا

وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِ هُمَا بَيْنُونَتَانِ بَيْنُونَةُ الدُّنْيَا وَبَيْنُونَةُ الْقُصُوفِ فِي شَقِّ بَنِي سَعْدٍ، وَأَمَّا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَيْنُونِيُّ الْبَصْرِيُّ قَالَ أَبُو سَعْدٍ أَظْنَهُ مَنْسُوبًا إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيَةِ الْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهَا بَيْنُونٌ حَدَثَ بِبَغْدَادٍ عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ. قُلْتُ أَنَا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَنْسُوبًا إِلَى بَيْنُونٍ أَوْ بَيْنُونَةَ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُمَا، سَكَنَ الْبَصْرَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ويرد اسم عمان في معجم البلدان أيضا حين يصف ياقوت مدينة تُوَامِ العمانية:

تُوَامٌ: بِالضَّمِّ ثُمَّ فَتَحَ الْهَمْزَةَ بوزن غَلامٍ. اسم قِصْبَةِ عُمَانَ مِمَّا يَلِي السَّاحِلَ وَصَحَارَ قِصْبَتِهَا مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ يَنْسَبُ إِلَيْهَا الدَّرُّ. قَالَ سَوَيْدٌ:

لَا أَلْقِيهَا وَقَلْبِي عِنْدَهَا

غَيْرِ إِمَامٍ إِذَا الطَّرْفُ هَجَعَ

كَالتُّوَامِيَةِ إِنْ بَاشَرْتَهَا

قَرَّتِ الْعَيْنُ وَطَابَ الْمَضْطَجَعُ

وَبِهَا قَرْيٌ كَثِيرَةٌ. وَقَالَ نَصْرٌ: تُوَامٌ قَرْيَةٌ بِعُمَانَ بِهَا مَنْبَرٌ لِبَنِي سَامَةَ. وَتُوَامٌ مَوْضِعٌ بِالْإِمَامَةِ يُشْتَرَكُ بِهِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَالْأَزْدِ وَبَنُو حَنِيفَةَ. وَتُوَامٌ مَوْضِعٌ بِالْبَحْرَيْنِ كَذَا فِي كِتَابِ نَصْرِ وَمَا أَظُنُّ الَّذِي بِالْبَحْرَيْنِ إِلَّا هُوَ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَيْهِ اللَّوْلُؤُ لِأَنَّ عُمَانَ لَا لَوْلُؤُ بِهَا.^٢

ومن المواضع العمانية الأخرى التي وصفها ياقوت أيضا جلفار، لكنه يسميها جُرفار:

جُرفَارٌ: بِالضَّمِّ ثُمَّ التَّشْدِيدِ وَفَاءً وَأَلْفٍ وَرَاءً. مَدِينَةٌ مَخْصُوبَةٌ بِنَاحِيَةِ عُمَانَ وَكَثُرَ مَا سَمِعْتُهُمْ يَسْمُونَهَا جُلفَارَ بِاللَّامِ.^٣

١ - المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص ٥٤.

٣ - المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٨.

ومما جاء في معجم البلدان وفيه ذكر لعمان وصف ياقوت لجزيرة العرب :

جزيرة العرب: قد اختلف في تحديدها، وأحسن ما قيل فيها ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب مسنداً إلى ابن عباس قال اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة أقسام. قال وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصار منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرين ثم انحط على أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى وقع في البحر في ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبّادان وأخذ البحر في ذلك الموضع مُعَرِّبًا مُطِيفًا ببلاد العرب منعطفًا عليها فأتى منها على سفوان وكازمة إلى القطيف وهجر وأسياف البحرين وقطر وعمان والشحر ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبين وعدن وانعطف مُعَرِّبًا مُنصَبًا إلى دهلك واستطال ذلك العنق قطعن في تهائم اليمن إلى بلاد فَرْسان وحكم والأشعريين وَعَكْ ومضى إلى جُدّة ساحل مكة والجار ساحل المدينة ثم ساحل الطور وخليج أَيْلَة وساحل راية حتى بلغ قَلْزُم مصر وخالط بلادها وأقبل النيل في غربي هذا العنق من أعلا بلاد السودان مستطيلًا معارضًا للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان وسواحلها وأتى صورَ ساحل الأردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم نفذ إلى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطًا على أطراف قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق. قال فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارها وأخبارها تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن وذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قُعرَة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازًا لأنه حجز بين الغور وهو تهامة وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وَعَكْ وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عِزْق والجحفة وماصاقبها وغار من أرضها العُورُ غورُ تهامة وتهامة تجمع ذلك كله وصار ما دون ذلك الجبل في شرقيه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجدًا ونجد تجمع ذلك كله وصار الجبل نفسه وهو سراته وهو الحجاز وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فَيْد والجبلين إلى المدينة ومن ببلاد مذحج تثليث وما دونها إلى ناحية فَيْد حجازًا والعرب تسميه نجمًا وجلسًا والجلسُ ما ارتفع من الأرض وكذلك النجد والحجازَ يجمع ذلك كله وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما العُرُوض وفيها نجد

وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسائل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعُمان وما يلي ذلك اليمن وفيها تهامة ونجد واليمن تجمع ذلك كله فمكة من تهامة والمدينة والطائف من نجد والعالية، وقال ابن الأعرابي الجزيرة ما كان فوق تيه وإنما سميت جزيرة لأنها تقطع الفرات ودجلة ثم تقطع في البر وقرأت في نوادر ابن الأعرابي. قال الهيثم بن عدي: جزيرة العرب من العذيب إلى حضرموت ثم قال أحسن ما قال، وقال الأصمعي جزيرة العرب إلى عدن أبين في الطول والعرض من الأبله إلى جدة، وأنشد الأسود بن يعفر وكان قد كف بصره:

ومن البلية لا أبا لك أنني

صُربت علي الأرض بالأسداد

لا أهتدي فيها لموضع تلعة

بين العذيب إلى جبال مُراد

قال: فهذا طول جزيرة العرب على ما ذكر، وقال بعض المعمرين:

لم يبقَ يا خدلة من لداتي

أبو بنين لا ولا بنات

من مسقط الشحر إلى الفرات

إلا يُعدُّ اليوم في الأموات

هل مشترَّ أبيعه حياتي؟! هل

فالشحر بين عمان وعدن. قال الأصمعي: جزيرة العرب أربعة أقسام اليمن ونجد والحجاز والغور وهي تهامة فمن جزيرة العرب الحجاز وما جمعه وتهامة واليمن وسبأ والأحقاف واليمامة والشحر وهجر وعمان والطائف ونجران والحجر وديار ثمود والبئر المعطلة والقصر المشيد وإرم ذات العماد وأصحاب الأخدود وديار كندة وجبال طيبٍ وما بين ذلك^١.

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٧-١٣٨.

من المواضع العمانية التي ذكرها ياقوت في معجمه رأس الجُمحة التي تقع على النهاية الجنوبية الغربية لخليج عمان:

الجُمحة: بالضم ثم السكون وحاء مهملة، سن خارج في البحر بأقصى عُمان بينها وبين عدن يسميه البحريون رأس الجُمحة له عندهم ذكر كثير فإنه مما يستدل به راكبُ البحر إلى الهند والآتي منه!

ويرد ذكر عمان حين يصف ياقوت موضعاً اسمه "جوف الحميلة":

جوف الحميلة: موضع بأرض عمان فيه أهوت ناقة لسامة بن لؤي إلى عرفجة فانتشلتها وفيها حية فنفختها فرمت بها على ساق سامة فنهشته فمات، وكان مَرَّ برجل من الأزدي فأضافه فأحبته امرأته، فأخذ سامة يوماً عوداً فاستاك به وألقاه، فأخذته زوجة الأزدي فمصته فضربها زوجها فألقى سمّاً في لبن ليقته، فلما تناول القدر ليشرب غمزته أن لا يفعل فأراقه، فقالت امرأة الأزدي تذكر القصة وترثيه:

عين بكّي لسامة بن لؤي

حملت حتفه إليه الناقة

لا أرى مثل سامة بن لؤي

علقت ساق سامة العلاقه

ربّ كأس هرقتها ابن لؤي

حذر الموت لم تكن مهراقه

وقيل: اسم الموضع الذي هلك به سامة بن لؤي جو^٢.

و من الموضع العمانية التي وصفها ياقوت أيضاً "حتي":

حتي: مقصور بلفظ حتي من الحروف من خط ابن مختار من خط الوزير المغربي أنه،

اسم موضع. قال نصر حتي من جبال عُمان.^٣

١ - المصدر السابق، ج٢، ص١٦١.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص١٨٨.

٣ - المصدر السابق، ج٢، ص٢١٧.

ومن المواضع العمانية التي وصفها ياقوت أيضا "حَجُور":

حَجُور: بالفتح، يجوز أن يكون فعولا بمعنى فاعل من الحجر، كأنه مكثرت في هذا المكان الحجر أي المنع، مثل شكور بمعنى شاكر، وناقاة حلوب بمعنى كثيرة الحلب. حجور: موضع في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم وراء عمان، قال الفرزدق:

لو كنت تدري ما برملم مقيّد

بقرى عمان، إلى ذوات حجور

ورواه بعضهم بضم أوله وزعم أنه مكان يقال له حجر فجمعه بما حوله. وحجور أيضا: موضع باليمن سمي بحجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن جشم بن حاشد ابن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان، وأخبرني الثقة أن باليمن قرب زبيد موضعا يقال له حجوري اليمن، وقد نسب هكذا يزيد بن سعيد أبو عثمان الهمداني الحجوري، روى عنه الوليد بن مسلم!

ومن جبال عمان التي ذكرها ياقوت في معجمه أيضا جبل حلحل:

حلحل: بفتح الحاءين وسكون اللام. جبل من جبال عُمان وهو في شعر الأخطل مصغر.
قال:

قَبَحَ الإلهُ من اليهود عصابةً

بالجزع بين حلحل وصحار^٢

ويرد اسم عمان أيضا في معجم البلدان حين يصف ياقوت جزيرة خارك:

خارِكُ: بعد الألف راء وأخره كاف، جزيرة في وسط البحر الفارسي وهي جبل عال في وسط البحر إذا خرجت المراكب من عبادان تريد عُمان وطابت بها الرياح وصلت إليها في يوم وليلة وهي من أعمال فارس يقابلها في البر جَنَابَة ومهزوبان تنظر هذه من هذه للجدد النظر. فأما جبال البر فإنها ظاهرة جدا، وقد جثَّها غير مرة ووجدت أيضًا قبرا يُزار وينذر له يزعم أهل الجزيرة أنه قبر محمد بن الحنفية رضي الله عنه والتواريخ تأبى ذلك. قال أبو عبيدة وكان أبو صفرة والد المهلب فارسيا من أهل خارك فقطع إلى عمان وكان يقال له: بسخره فعرب فقيل

١ - المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٥.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٠.

أبو صفرة وكان بها حائكًا ثم قدم البصرة فكان بها سائسًا لعثمان بن أبي العاصي الثقفي فلما هاجرت الأزدي إلى البصرة كان معهم في الحروب فوجدوه نبلًا في الحروب فاستلطوه وكان ممن استلظت العرب كذلك كثير. فقال كعب الأشقري يذكرهم:

أنتم شناسٌ ومرداذان محتقر
وبسخراء قبورٍ حشوها القلْفُ
لم يركبوا الخيل إلا بعدما كبروا
فهم ثقال على أكتافها عُنْفُ

وقال الفرزدق:

وكائن لابن صفرة من نسيب
ترى بلبانهِ أثرَ الزيار
بخازك لم يُقد فرسًا ولكن
يقود السفن بالمرسِ المغار
صراييون ينضح في لحاهم
نفئ الماء من خشب وقار
ولو ردَّ ابنُ صفرة حيث صمَّث
عليه الغاف أرضُ أبي صفار!

ويرد اسم عمان أيضًا في معجم البلدان حين يصف ياقوت مكانا يسمى الخط:

الخط: بفتح أوله وتشديد الطاء في كتاب العين. الخط أرض. تنسب إليها الرماح الخطية فإذا جعلت النسبة اسمًا لازمًا قلت خطية ولم تذكر الرماح وهو خط عمان، وقال أبو منصور وذلك السيف كله يسمى الخط ومن قرى الخط القطيف والعُفير وقطر. قلت أنا وجميع هذا في سيف البحرين وعمان وهي مواضع كانت تجلب إليها الرماح القنًا من الهند فتقوم فيه وتباع

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٧.

على العرب، وينسب إليها عيسى بن فاتك الخطي أحد بني تميم الله بن ثعلبة كان من الخوارج الذين كانوا مع أبي بلال مرداس بن أدية، وهو القائل:

أألفا مُسلم فيما زعتم
ويهزمهم بأسك أربعونا؟

ويرد اسم عمان أيضا عند ياقوت حين يفسر كلمة خور:

خور: بفتح أوله وتسكين ثانيه وآخره راءً مهملة وهو عند عرب السواحل كالخليج يند من البحر. قال حمزة وأصله هور فغرب فقيل خور ثم جمع على الأخوار مثل ثوب وأثواب وقد أضيف إلى عدة مواضع. منها: خور سيف وهو موضع دون سيراف إلى البصرة وهي مدينة فيها سويق يتزود منه مسافر البحر فهذا علم لهذا الموضع، وكل ما على ساحل البحر من ذلك فهو خور إلا أنها ليست بأعلام كخور جتابة وخور نابند وغيرهما. ومما لم أشاهده: خور الدبيل من ناحية السند والدبيل من ناحية ساحل بحر الهند ووجه إليه عثمان بن أبي العاص أخاه الحكم ففتحها، وخور فوفل موضع في بلاد الهند يجلب منه القنا السباط والسيوف الهندية الفائقة في الجودة وليس في الهند أجود من سيوف هذا الخور وفيه عقار يسمى الفوفل والموضع إليه ينسب. وخور فكان بليد على ساحل عمان يحول بينه وبين البحر الأعظم جبل وبه نخل وعيون عذبة.^١

ومن الأماكن العمانية التي وصفها ياقوت في معجمه أيضا، بلدة دبا:

دبا: بفتح أوله والقصر والدبا الجراد قبل أن يطير. قال الأصمعي: سوق من أسواق العرب بعمان وهي غير دما ودما أيضا من أسواق العرب كلاهما عن الأصمعي وعمان مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها وكانت قديما قسبة عمان ولعل هذه السوق المذكورة فتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١١ وأميرهم حذيفة بن محسن فقتل وسبى قال الواقدي: قدم وفد الأزدي من دبا مقرين بالإسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فبعث عليهم مصدقا منهم يقال له حذيفة بن محسن البارقي ثم الأزدي من أهل دبا، فكان يأخذ صدقات أغنيائهم ويردها إلى فقرائهم، وبعث إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، بفرائض لم يجد لها موضعا، فلما مات رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ارتدوا فدعاهم

١ - المصدر السابق، ج٢، ص٣٧٨.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٠.

إلى النزوع فأبوا وأسمعوه شتما لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، فكتب حذيفة بذلك إلى أبي بكر، رضي الله عنه، فكتب أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، استعمله على صدقات عامر، فلما مات النبي، صلى الله عليه وسلم، انحاز عكرمة إلى تبالة أن سر فيمن قبلك من المسلمين، وكان رئيس أهل الردة لقيط بن مالك الأزدي، فجهز لقيط إليهم جيشا فالتقوا فهزمهم الله وقتل منهم نحو مائة حتى دخلوا مدينة دبا فتحصنوا بها وحاصروهم المسلمون شهرا أو نحوه ولم يكونوا استعدادا للحصار، فأرسلوا إلى حذيفة يسألونه الصلح، فقال: لا أصلح إلا على حكمي، فاضطروا إلى النزول على حكمه، فقال:

اخرجوا من مدينتكم عزلا لا سلاح معكم، فدخل المسلمون حصنهم، فقال: إني قد حكمت فيكم أن أقتل أشرافكم وأسبي ذراريكم، فقتل من أشرافهم مائة رجل وسبى ذراريهم وقدم بسبيهم المدينة فاختلف المسلمون فيهم، وكان فيهم أبو صفرة أبو المهلب غلام لم يبلغ، فأراد أبو بكر، رضي الله عنه، قتل من بقي من المقاتلة، فقال عمر، رضي الله عنه:

يا خليفة رسول الله هم مسلمون إنما شحوا بأموالهم والقوم يقولون ما رجعنا عن الإسلام، فلم يزالوا موقوفين حتى توفي أبو بكر فأطلقهم عمر، رضي الله عنه، فرجع بعضهم إلى بلاده وخرج أبو المهلب حتى نزل البصرة وأقام عكرمة بدبا عاملا لأبي بكر، رضي الله عنه!

ومن المواضع العمانية الأخرى التي وصفها ياقوت أيضا موضع اسمه الدردور:

دُرْدُورُ: موضع في سواحل بحر عُمان مَضِيق بين جبلين يسلكه الصغار من السفن.^١

ويصف ياقوت موضعا عمانيا اسمه دَعُوْتُ:

دَعُوْتُ: بلد بنواحي الشحر من أرض عمان، والله أعلم بالصواب.^٢

ومن المدن العمانية الأخرى التي ذكرها ياقوت في معجمه أيضا دما وهي الاسم القديم

لولاية السيب:

دَمًا: بفتح أوله وتخفيف ثانيه. بلدة من نواحي عمان وقيل مدينة تذكر مع دبا كانت من أسواق العرب المشهورة. منها أبو شداد. قال: جاءنا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطعة من أديم إلى عُمان روى عنه عبد العزيز بن زياد الخبطي.^٤

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٥ - ٤٣٦.

٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٠.

٣ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٧.

٤ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦١.

ومن المواضع العمانية التي وصفها ياقوت في معجمه ريسوت في جنوب عمان:

رَيْسُوتُ: قال ابن الحائك: وفي منتصف الساحل ما بين عُمان وَعَدَن ريسوت وهو موئل كالقلعة بل قلعة مبنية بنيانا على جبل والبحر محيط بها إلا من جانب واحد فمن أراد عمان فطريقه عليها فإن أراد أن يدخل دخل وإن أراد جاز الطريق ولم يلو عليها وبين الطريق التي يُفَرِّقُ إليها وبين الطريق المسلوک إلى ظفار نحو ميل وبها سكن من الأزد!

من المناطق التي وصفها ياقوت في معجمه وفيها ذكر لعُمان منطقة الشحر:

الشحر: بكسر أوله وسكون ثانيه قال الشحرة الشط الضيق والشحرُ الشط وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. قال الأصمعي: هو بين عَدَنَ وَعُمان قد نسب إليه بعض الرواة وإليه ينسب العنبر الشحري لأنه يوجد في سواحله وهناك عدة مُدُن يتناولها هذا الاسم. وذكر بعض العرب قال قدمْتُ الشحرَ فنزلت على رجل من مهرة له رياسة وخطر فأقامت عنده أيامًا فذكرت عنده النسناس فقال: إنا لنصدّه ونأكله وهو دابة له يد واحدة ورجل واحدة وكذلك جميع ما فيه من الأعضاء فقلت له أنا والله أحب أن أراه فقال لِعُمانه صيدوا لنا شيئًا منه فلما كان من الغد إذ هم قد جاؤوا بشيء له وجه كوجه الإنسان إلا أنه نصف الوجه وله يد واحدة في صدره وكذلك رجل واحدة فلما نظر إليّ قال أنا بالله وبك فقلت للعُمان خلوا عنه فقالوا يا هذا لا تغتر منه بكلامه فهو أكلنا فلم أزل بهم حتى أطلقوه فمر مسرعًا كالريح فلما حضر غداء الرجل الذي كنتُ عنده قال لِعُمانه أما كنتُ قد تقدمت إليكم أن تصيدوا لنا شيئًا فقالوا قد فعلنا ولكن ضيفك قد خلى عنه فضحك وقال خدعك والله ثم أمرهم بالغدوّ إلى الصيد فقلتُ وأنا معهم فقال افعل ثم غدونا بالكلاب فصرنا إلى غيضة عظيمة وذلك في آخر الليل فإذا واحد يقول يا أبا مجمر إن الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقنيص قد حضر فعليك بالوَزْر فقال له الآخر كلني ولا تراعي قال فأرسلوا الكلاب عليهم فرأيت أبا مجمر وقد اعتوّزه كلبان وهو يقول:

الويل لي مما به دهاني

دهري من الهموم والأحزان

قفا قليلاً أيها الكلبان

واستمعاً قولِي وصدقاني

إنكما حين تحارباني
ألفيتماني خضلاً عناني
لو بي شبابي ما ملكتماني
حتى تموتا أو تخلياني

قال فالتقيا عليه وأخذه فلما حضر غداء الرجل أتوا بأبي مجمر بعد الطعام مشوياً. وقد ذكرت من خبر النسناس شيئاً آخر في وبار على ما وجدته في كتب العقلاء وهو مما شرطنا أنه خارج عن العادة وأنا بريء من العهدة. وينسب إلى الشحر جماعة منهم محمد بن خوي بن معاذ الشحري سمع بالعراق وخراسان من أبي عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفُراوي وغيره!

ومن المواضع العمانية الأخرى التي وصفها ياقوت في معجمه أيضاً مكان اسمه شغف:

شَغَفٌ: بالتحريك قال أبو بكر قال ابن الأنباري شَغَافُ القلبِ وشَغْفُهُ غلافه، وقال قيس بن الخطيم:

إني لأهواك غير ذي كذب
قد شف متي الأحشاء والشغف

قال الليث شغف: موضع بعمان يُنبت الغاف العظام هو شجرة من شجر الشوكة، وأنشد:

حتى أناخ بذات الغاف من شغف

وفي البلاد لهم وَسْعٌ ومُضْطَرَبٌ.^٢

ويرد اسم عمان أيضاً في معجم ياقوت، حين يصف جزيرة سقطرى:

وقال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني: ومما يجاور سواحل اليمن من الجزائر جزيرة سُقَطْرَى وإليها ينسب الصبر السقطري وهي جزيرة بربر مما يقع بين عدن وبلد الزنج فإذا خرج الخارج من عدن إلى بلد الزنج أخذ كأنه يريد عُمان وجزيرة سقطرى تماشيه عن

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥٢.

يمينه حتى ينقطع ثم التوى بها من ناحية بحر الزنج وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخًا وفيها من جميع قبائل مهرة وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى، ويذكرون أن قومًا من بلد الروم طرحهم بها كسرى ثم نزلت بهم قبائل من مهرة فساكنوهم وتنصر معهم بعضهم وبها نخل كثير ويسقط بها العنبر وبها دمُ الأخوين وهو الأيدع والصبر الكثير. قال: وأما أهل عدن فإنهم يقولون: لم يدخلها من الروم أحد ولكن كان لأهلها الرهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة وظهرت فيها دعوة الإسلام ثم كثر بها الشراة فعَدُوا على من بها من المسلمين وقتلوهم غير عشرة أناسية وبها مسجد بموضع يقال له السوق^١.

مما ورد في معجم البلدان وفيه ذكر لعُمان وصف ياقوت لمكان يسمى سماهيج وآخر

يسمى سمائم:

وسماهيج اسم جزيرة في وسط البحر بين عُمان والبحرين. قال أبو دؤاد:

إِبْلِى الإِبْلِ لا يُحَوِّزُهَا الرَّا

عَوْبَ مَجِّ النَّدى عَلَيَّهَا المُدَامُ

وَتَدَلَّتْ بِهَا المَغَارِضُ فَوْقَ ال

أَرْضِ مَا إِن تُقْلَهُبَّ العِظَامُ

سَمِئَتْ فَاسْتَحَشَّ أَكْرُعُهَا لا الن

نَيْ نَيْ وَلا السَّنَامُ سَنَامُ

فَإِذَا أَقْبَلْتَ تَقُولُ إِكَامُ

مُشْرِفَاتٌ فَوْقَ الإِكَامِ إِكَامُ

وَإِذَا أَعْرَضْتَ تَقُولُ فُصُورُ

مِن سَمَاهِيجِ فَوْقَهَا آكَامُ

سَمَائِمٌ: بفتح أوله كأنه جمع سموم بلدة قرب صحار لعلها من أعمال عُمان.^٢

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٢٧.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤٦.

من المدن العمانية التي وصفها ياقوت في معجمه صحار:

صَحَارُ: بالضم وأخره راء يجوز أن يكون من الصُّحرة بالضم وهو جوبة تنجاب وسط الحرة والجمع صحر فأشبعت الفتحة فصارت ألفاً أو من الصحرة وهو لون الأصحر وهو كالشقرة. قال ابن الكلبي لما تفرقت قضاة من تهامة للحرب التي جرت بينهم بسبب يذكر أن عَنزة وهو أحد القارظين اللذين يُضرب بهما المثل فيقال حتى يرجع القارظان لأنه خرج يجتني القَرظ فقتل ولم يعرف له خبر وله قصة قال فكان أول من طلع منهم إلى أرض نجد فأصحر في صحاريتها جهينة وسعد هُذيم ابني زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاة بن مالك فمر بهم راكب كما يقال فقال لهم من أنتم فقالوا بنو الصَّحراء فقالت العرب هؤلاء صحار اسم مشتق من الصحراء، فقال زُهَير بن جَناب في ذلك وهو يعني بني سعد بن زيد:

فما إبلي بمُقترٍ عليها

ولا حلمي الأصيلُ بمستعارِ

سَمَّنعها فوارسُ من بَلِيٍّ

وتمنعها الفوارسُ من صحارِ

وتمنعها بنو القَيْنِ بن جَسرِ

إذا أوقدْتُ للحدثان ناري

وتمنعها بنو نهد وجَزْمِ

إذا طال التجاؤلُ في المغارِ

بكل مُناجِدِ جلدِ قُؤاهِ

وأهيب عاكفون على الدوارِ

يريد أهيب بن كلب بن وبرة فهذا يدل على أن صحار من قضاة. وقال بشر بن سوادة التغلبي، إذ نعى بني عدي بن أسامة بن مالك التغلبيين إلى بني سعد بن زيد:

ألا تغني كنانة عن أخيها

زُهَيْرٍ فِي الْمَلَمَاتِ الْكِبَارِ

فِيئِرُّ جَمْعُنَا وَبَنُو عَدِي

فِيُعَلِّمُ أَيْنَا مَوْلَى صَحَارِ

وقال العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه في الحرب التي كانت بين بني سليم وزُبيد وهو يعني بني نهد وضم إليهم جرم بن ريان:

فَدَعَهَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَاهَا مَقَادُنَا

لَأَعْدَائِنَا نُزْجِي التَّنْقَالَ الْكَوَانِسَا

بِجَمْعِ يَزِيدِ ابْنِي صَحَارِ كِلَيْهِمَا

وَأَلْ زَبِيدِ مَخْطُئًا أَوْ مَلَامَسَا

وَصَحَارُ قَصْبَةُ عُمان مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ وَتَوَامُ قَصْبَتِهَا مِمَّا يَلِي السَّاحِلَ. وَصَحَارُ مَدِينَةٌ طَيِّبَةُ الْهَوَاءِ وَالْخَيْرَاتِ وَالْفَوَاكِهِ مَبْنِيَةٌ بِالْأَجْرِ وَالسَّاجِ كَبِيرَةٌ لَيْسَ فِي تِلْكَ النُّوَاحِي مِثْلَهَا وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِصُحَارِ بْنِ إِرْمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَخُو رَبَابٍ وَطَسْمٌ وَجَدِيسٌ قَالَ اللَّغْوِيُّونَ: إِنَّهَا تَلِي الْجَبَلَ. وَقَالَ الْبِشَارِيُّ: صَحَارُ قَصْبَةُ عُمان لَيْسَ عَلَى بَحْرِ الصَّيْنِ بَلَدٌ أَجْلٌ مِنْهُ عَامِرٌ أَهْلٌ حَسَنٌ طَيِّبٌ نَزَهُ ذُو يَسَارٍ وَتِجَارٍ وَفَوَاكِهِ أَجْلٌ مِنْ زَبِيدٍ وَصَنْعَاءٍ وَأَسْوَاقٍ عَجِيبَةٍ وَبَلَدَةٍ ظَرِيفَةٍ مَمْتَدَةٍ عَلَى الْبَحْرِ دَوْرَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَالسَّاجِ شَاهِقَةٌ نَفِيسَةٌ وَالْجَامِعُ عَلَى السَّاحِلِ لَهُ مَنَارَةٌ حَسَنَةٌ طَوِيلَةٌ فِي آخِرِ الْأَسْوَاقِ وَلَهُمْ أَبَارٌ عَذْبَةٌ وَقَنَاةٌ حَلْوَةٌ وَهُمْ فِي سَعَةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ دَهْلِيزُ الصَّيْنِ وَخَزَانَةُ الشَّرْقِ وَالْعِرَاقِ وَمَعُونَةُ الْيَمَنِ وَالْمَصْلَى وَسَطُ النَّخِيلِ وَمَسْجِدُ صَحَارِ عَلَى نِصْفِ فَرْسَخٍ وَثَمَّةٌ بَرَكْتَ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِحْرَابُ الْجَامِعِ بِكَوْكَبٍ يَدُورُ فَتَارَةٌ تَرَاهُ أَصْفَرَ وَتَارَةٌ أَحْمَرَ وَأُخْرَى أَخْضَرَ هَكَذَا قَالَ وَلَا أَدْرِي كَيْفَ كَانَ بَرُوكُ النَّاقَةِ. وَفَتْحَهَا الْمَسْلُومُونَ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَنَةِ ١٢ صِلْحًا. وَإِلَيْهَا يَنْسَبُ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ زَوْزَانَ الصَّحَارِيُّ الْعُمَانِيُّ الشَّاعِرُ، وَكَانَ قَدْ نُكِبَ فَخَرَجَ إِلَى بَغْدَادٍ فَقَالَ يَتَشَوَّقُ بِلَدَّتِهِ صُحَارَ:

لحي الله دهرًا شرَدْتَنِي صرُوفُهُ
عن الأهل حتى صرْتُ مغتربًا فَرُودًا
ألا أيها الركب اليمانون بلغوا
تحية نائي الدار لِقَيْتِمُ رُشْدًا
إذا ما حللتُم في صُحارَ فألمموا
بمسجد بشار وجوزوا به قصدا
إلى سوق أصحابِ الطعام فإنه
يقابلكم بابانٍ لم يوثقا شَدًا
ولم يُزورا من دون صاحب حاجة
ولا مرتجٍ فضلًا ولا أملٍ رِفدا
فعوجوا إلى داري هناك فسلموا
على والدي زوزانٍ وقَيتِمُ جهْدًا
وقولوا له إن الليالي أوهنت
تصاريفها رُفْدِي وقد كان مشتدًا
وغببتُ عني كلَّ ما قد عهدتُه
سوى الخلقِ المَرضِي والمذهبِ الأهدا
وليس يضُرُّ السيفَ إخالقُ غمِده
إذا لم يُقلِّ الدهرُ من نَصلِه حدًّا!

ويذكر ياقوت موضعا عمانيا اسمه "صَمِير"؛

صَمِير: بفتح أوله، وكسر ثانيه: بلد بالشَّحر من أعمال عُمان قرب دَعُوث^١.

ومما ذكره ياقوت في معجمه تفسيره لكلمة عُمان:

عُمان: بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون. اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند وعُمان في الإقليم الأول طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هَجْر تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ غريب وهم لا يخفون ذلك وأهل البحرين بالقرب منهم بضد منهم كلهم روافض سبائيون لا يكتمونهم ولا يتحاشون وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً. قال الأزهري يقال أعمنَ وعمنَ إذا أتى عُمان، وقال زُوبة:

نَوَى شَامَ بَانَ أَوْ مُعَمَّنَ

ويقال أعمنَ يُعمنَ إن أتى عمان. قال الممزق واسمه شاس بن نهار:

أَحَقًّا أُبَيَّتِ اللَّغْبَ أَنْ ابْنَ فَرْتَنَا

عَلَى غَيْرِ إِجْرَامِ بَرِيقِي مُشْرِقِي

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلِ

وإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أَمَزَّقْ

أَكَلَفْتَنِي أَدَوَاءَ قَوْمِ تَرَكْتُهُمْ

وإِلَّا تَدَارِكُنِي مِنَ الْبَحْرِ أَعْرِقْ

فَإِنْ يُثْهِمُوا أَنْجِدْ خِلَافًا عَلَيْهِمْ

وَإِنْ يُعْمِنُوا مُسْتَحْقِبِي الْحَرْبِ أَعْرِقْ

فَلَا أَنَا مَوْلَاهُمْ وَلَا فِي صَحِيفَةٍ

كَفَلْتُ عَلَيْهِمْ، وَالْكَفَالَةُ تَعْتَقِي

١ - المصدر السابق، ج٣، ص٤٦٤.

وقال ابن الأعرابي العُمُنُ المقيمون في مكان يقال رجل عامن وعمُون ومنه اشتق عُمان وقيل أعمَنَ دام على المقام بعمان. وقصبة عمان صُحار، وعمان تُصرف ولا تُصرف فمن جعله بلدًا صرفه في حالتي المعرفة والنكرة ومن جعله بلدة ألقه بطلحة، وقال الزجاجي سميث عمان بعمان بن إبراهيم الخليل، وقال ابن الكلبي سميث بعمان بن سبأ بن يفتان بن إبراهيم خليل الرحمن لأنه بنى مدينة عمان، وفي كتاب ابن أبي شيبة ما يدل على أنها المرادة في حديث الحوض لقوله ما بين بُصرى وصنعاء وما بين مكة وأيلة ومن مقامي هذا إلى عمان وفي مسلم من المدينة إلى عُمان وفيه ما بين أيلة وصنعاء اليمن ومثله في البخاري وفي مسلم وعرضه من مقامي هذا إلى عُمان، وروى الحسن بن عادية قال: لقيتُ ابنَ عمر فقال من أي بلد أنت قلت من عمان قال أفلا أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: بلى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إني لأعلم أرضاً من أرض العرب يقال لها عمان على شاطئ البحر الحجة منها أفضل أو خير من حجتين من غيرها" وعن الحسن: "يأتين من كل فجٍ عميق"، قال: عُمان. وعنه عليه الصلاة والسلام: "ومن تعذر عليه الرزق فعليه بعُمان"، وقال القتال الكلابي:

حلفتُ بحج من عُمان تحللوها

ببئرين بالبطحاء ملقى رحالها

يسوقون أنضاء بهن عشية

وصهباء مشقوقاً عليها جلالها

بها ظعنة من ناسك متعبد

يمور على متن الحنيف بلالها

لئن جعفر فاءت علينا صدورها

بخير ولم يُردد علينا خيالها

فشئتُ وشاء الله ذلك لأعني؛

إلى الله مأوى خلفه ومصالها

وينسب إلى عمان داود بن عفان العُماني، روى عن أنس بن مالك ونفر سواه، وأبزون بن مهبز العُماني الشاعر. وأبو هارون غطريف العُماني روى عن أبي الشعثاء عن ابن عباس روى عنه الحكم بن أبان العدني، وأبو بكر قريش بن حيان العجلي أصله من عمان وسكن البصرة، يروي عن ثابت البناني روى عنه شُعبة والبصريون^١.

ومن الأقاليم العمانية التي وصفها ياقوت في معجمه أيضا ظفار في جنوب عمان:

ظَفَار: في الإقليم الأول وطولها ثمانٌ وسبعون درجة وعرضها خمسَ عشرةَ درجة بفتح أوله والبناء على الكسر بمنزلة قَطَامٍ وحذارٍ وقد أعربه قوم وهو بمعنى إظْفَرٍ أو معدول عن ظافر. وهي مدينة في موضعين إحداهما قرب صنعاء وهي التي ينسب إليها الجزعُ الظفاريُّ وبها كان مسكن ملوك حمير وفيها قيل من دخل ظفار حمز. قال الأصمعي: دخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير وهو على سطح له مشرفٍ فقال له الملك ثب فوثب فتكسر فقال الملك ليس عندنا عربيت مَنْ دخل ظَفَارَ حمز. قوله: ثب أي اقعِدْ بلُغَة حمير وقوله عربيت يريد العربية فوقف على الهاء بالثاء وهي لغة حمير أيضًا في الوقف. ووُجد على أركان سور ظفار مكتوبًا: لمن مُلِكَ ظفار. لِحَمِيرِ الأخيَار. لمن ملك ظفار. للحبشة الأشرار. لمن ملك ظفار لفارس الأخبار. لمن ملك ظفار. لِحَمِيرِ سَيُّحَار. أي يرجع إلى اليمن. وقد قال بعضهم إن ظفار هي صنعاء نفسها ولعل هذا كان قديمًا. فأما ظفار المشهورة اليوم فليست إلا مدينة على ساحل بحر الهند بينها وبين مِزْبَاطِ خمسة فراسخ وهي من أعمال الشَّحْر وقرية من صُحَار بينها وبين مِزْبَاطِ. وحدث رجل من أهل مِزْبَاطِ أن مِزْبَاطِ فيها المَرَسَى وظفار لا مرسى بها وقال لي إن اللبَّانَ لا يوجد في الدنيا إلا في جبال ظفار وهو غلة لسلطانها وإنه شجر ينبت في تلك المواضع مسيرة ثلاثة أيام في مثلها وعنده بادية كبيرة نازلة ويجتنيه أهل تلك البادية وذلك أنهم يجيئون إلى شجرته ويجرحونها بالسكين فيسيل اللبان منه على الأرض ويجمعونه ويحملونه إلى ظفار فيأخذ السلطان قسطه ويُعطيهم قسطهم ولا يقدرّون يحملونه إلى غير ظفار أبدا وإن بلغه عن أحد منهم أنه يحمله إلى غير بلده أهلكه^٢.

١ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ١٥٠ - ١٥١.

٢ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٦٠.

ومن المواضع العمانية الأخرى التي وصفها ياقوت أيضا الغاف:

غاف: آخره فاء، قال أبو زيد الغاف شجرة من العضاء الواحدة غافة وهي شجرة نحو القرظ شاكة حجازية تنبت في القفّاف، وقال صاحب العين الغاف ينبوت عظام كالشجر يكون بعمان الواحدة غافة، وهو اسم موضع بعمان سمي به لكثرتة فيه. قال عبيدالله بن الحر:

جعلتُ قصورَ الأزدي ما بين منبج

إلى الغاف من وادي عمان تُصوّبُ

بلادًا نَفَثَ عنها العدو سيوفنا

وصفرة عنها نازح الدار أجنبُ

يريد بصفرة أبا المهلب بن أبي صفرة، وقال مالك بن الربيع:

من الرمل رمل الحوش أو غافٍ راسبٍ

وعهدي برمل الحوش وهو بعيد

وقال الفرزدق وكان المهلب حجه:

فإن تُغلقِ الأبوابَ دوني وتحتجبُ

فما لي من أمّ بغاف ولا أبٍ

ولكن أهل القريتين عشيرتي

وليسوا بوادٍ من عمان مُصوّبٍ

ولما رأيتُ الأزدي تهفو لحاهمُ

حوالي مزونبي لئيم المُركبِ

مقلّدة بعد القلوس أعنة

عجبتُ ومن يسمع بذلك يعجب!

ويرد ذكر عمان أيضا حين يصف يا قوت قَطْر:

قَطْرُ: بالتحريك، وآخره راء، وروي عن ابن سيرين أنه كان يكره القطر، وهو أن يزن جَلَّة من تمر أو عدلا من المتاع أو الحبّ ويأخذ ما بقي من المتاع على حساب ذلك ولا يزن، وقال أبو معاذ: القطر البيع نفسه، قال أبو عبيد: القطر نوع من البرود، وأنشد:

كسالك الحنظليّ كساء صوف

وقطريّا فأنت به تفيد

وقال البكراوي: البرود القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة، وقال خالد بن جنبنة: هي حلل تعمل في مكان لا أدري أين هو، وهي جياذ وقد رأيتها وهي حمر تأتي من قبل البحرين، قال أبو منصور: في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها، وقالوا قطريّ فكسروا القاف وخففوا كما قالوا دهريّ، وقال جرير:

لدى قطريّات إذا ما تغوّلت بها البيد غاولن الحزوم الفيافيا كذا روى الأزهري أراد بالقطريات نجائب نسبها إلى قطر لأنه كان بها سوق لها في قديم الدهر، وقال الراعي فجعل النعام قطريّة:

الأوب أوب نعائم قطريّة

والآل آل نحائص حقب

نسب النعام إلى قطر لاتصالها بالبرّ ورمال يبرين، والنعام تبيض فيها فتصاد وتحمل إلى قطر، وأول بيت جرير:

وكائن ترى في الحيّ من ذي صداقة

وغيران يدعو ويله من حذاريا

إذا ذكرت هند أتيج لي الهوى

على ما ترى من هجرتي واجتنابيا

خليليّ لولا أن تظنّا بي الهوى

لقلت سمعنا من سكيّنة داعيا

قفا واسمعا صوت المنادي فإنه
قريب، وما دانيت بالودّ دانيا
ألا طرقت أسماء، لا حين مطرق
أحمّ عمانيا وأشعث ماضيا
لدى قطريّات إذا ما تعوّلت
بها اليد غاولن الحزوم الفيافيا
كذا رواه السكري من خط ابن أخي الشافعي، ومما يصحح أنها بين عُمان والبحرين قول
عبدّة بن الطيب:

تذكّر ساداتنا أهلکم
وخافوا عُمانَ وخافوا قطر
وخافوا الرّواطي إذا عرضت
ملاحس أولادهت البقر

والرواطي: ناس من عبد القيس لصوص^١.

من المدن العمانية التي وصفها ياقوت في معجمه قلهاة:

قلهاة: بالفتح ثم السكون، وآخره تاء لعله جمع قلهاة، وهو بشر يكون في الجسد، وقيل
وسخ وهو مثل القره: وهي مدينة بعُمان على ساحل البحر إليها تُرفأ أكثر سُفن الهند، وهي
الآن فرضة تلك البلاد وأمثلة أعمال عُمان عامرة أهلة، وليست بالقديمة في العمارة، ولا أظنها
تمصّرت إلا بعد الخمسمائة، وهي لصاحب هرمز، وأهلها كلهم إباضية إلى هذه الغاية يتظاهرون
بذلك ولا يخفونه^٢.

ومن المواضع العمانية التي عرفها ياقوت جبل قهوان:

قَهْوَان: بفتح القاف، وسكون الهاء، وآخره نون، قال أبو حنيفة في كتاب النبات: المقل
الذي يتداوى به هو صمغ كالكندر أحمر طيب الرائحة، أخبرني بعض الأعراب أنه لا يعلمه

١ - المصدر السابق، ج٤، ص٣٧٣.

٢ - المصدر السابق، ج٤، ص٣٩٣.

نبت شجرة إلا بجبل من جبال عمان يدعى قهوان مطل على البحر وشجره مثل شجر اللبان، قال: وهو ذو شوك، قال: مثل التنكس الذي عندكم والمقل صمغه^١.

ويرد اسم عمان أيضا حين يصف ياقوت جزيرة قيس:

وقيس جزيرة، وهي كَيْش في بحر عُمان دُورها أربعة فراسخ، وهي مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة، وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان وله ثلثا دخل البحرين، وهي مرفأً مراكب الهند وبّر فارس وجبالها تظهر منها للناظر، ويزعمون أن بينهما أربعة فراسخ رأيتها مرارًا وشربهم من آبار فيها ولخووص الناس صهاريج كثيرة لمياه المطر وفيها أسواق وخيرات ولملكها هيبَةٌ وقدر عند ملوك الهند لكثرة مراكبه ودوانيجه، وهو فارسي شكله ولبسه مثل الديلم وعنده الخيول العراب الكثيرة والنعمة الظاهرة، وفيها مغاص على اللؤلؤ وفي جزائر كثيرة حولها وكلها ملكُ صاحب كيش، ورأيت فيها جماعة من أهل الأدب والفقه والفضل وكان بها رجل صنف كتابًا جليلاً فيما اتفق لفظه وافترق معناه. ضخم رأيته بخطه في مجلدين ضخمين ولا أعرف اسمه الآن^٢.

ومن المواضع العمانية الأخرى التي عرفها ياقوت في معجمه، جبلان يطلق عليهما كُسَيْرٌ وَعُويرٌ:

كُسَيْرٌ وَعُويرٌ: تصغير كسر وعور، وهما جبلان عظيمان مشرفان على أقصى بحر عُمان صعبة المسالك، وعرة المقصد صعبة المنجى فلذلك سميت بهذا الاسم يقولون: كُسَيْرٌ وَعُويرٌ وثالث ليس فيه خَيْر^٣.

ومن المواضع العمانية الأخرى التي عرفها ياقوت موضوع يسميه كلبه، ولعله كلباء:

كَلْبَةٌ: بالفتح ثم السكون وباءٍ موحدة بلفظ اسم أنثى الكلب. إرْمُ الكلبة ذكر في إرم، وكلبة موضع من نواحي عُمان على ساحل البحر^٤.

١ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٤١٩.

٢ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٤٢٢.

٣ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٤٦١.

٤ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٤٧٦.

ويصف ياقوت أيضا بلدة كَمَزَار من محافظة مسندم:

كَمَزَار: بالضم ثم السكون وزاي ثم بعد الألف راء، بليدة من نواحي عمان على ساحل بحره في واد بين جبلين شربهم من أعين عذبة جارية^١.

ويصف ياقوت أيضا جزيرة في بحر عمان، اسمها لافت:

لاِفَت: جزيرة في بحر عُمان بينها وبين هَجَرَ، وهي جزيرة بني كاوان أيضًا التي افتتحها عثمان بن أبي العاصي الثقفي في أيام عمر بن الخطاب ومنها سار إلى فارس فافتتح بلادها ولعثمان بن أبي العاصي بهذه الجزيرة مسجد معروف وكانت هذه الجزيرة من أعمر جزائر البحر بها قرى وعيون وعمائر فأما في زماننا هذا فإني سافرتُ في ذلك البحر وركبته عدة نوب فلم أسمع لها ذكرًا^٢.

من المواضع العمانية الأخرى التي وصفها ياقوت أيضا بلدة مَرَبَاط:

مَرَبَاط: بالكسر ثم السكون وباءٍ موحدة وآخره طاء مهملة: فرضة مدينة ظَفَار بينها وبين ظفار على ما حدثني رجل من أهلها مقدار خمسة فراسخ ولما لم تكن ظَفَار مرسى ترسي فيه المراكب وكان لِمَرَبَاط مرسى جيد كثر ذكره على أفواه التجار وهي مدينة مفردة بين حضرموت وُعُمان على ساحل البحر لها سلطان برأسه ليس لأحد عليه طاعة وقرب مدينته جبل نحو ثلاثة أيام في مثلها فيها ينبت شجر اللبان وهو صمغ يخرج منه ويُلقط ويُحمل إلى سائر الدنيا وهو غَلَّة الملك يشارك فيه لاقطيه كما ذكرناه في ظفار وأهلها عرب وزبيهم زي العرب القديم^٣.

ويفسر ياقوت أيضا كلمة "مزون" وهو الاسم الفارسي لعمان:

المُزُونُ: جمع مازن، وهو الذاهب في الأرض، يقال: مزن في الأرض إذا ذهب فيها، يقال: هذا يوم مزن إذا كان يوم فرار من العدو، والمزون: البعد، ويجوز أن يروى بفتح الميم إذا نظر إلى الموضع لا إلى الفعل: وهو من أسماء عُمان، ولذلك قال الكميت:

١ - المصدر السابق، ج٤، ص٤٧٩.

٢ - المصدر السابق، ج٥، ص٧.

٣ - المصدر السابق، ج٥، ص٩٧.

فأما الأزْدُ أزد أبي سعيد

فأكره أن أسميها المزونا

أبو سعيد: هو المهلب بن أبي صفرة، يقول:

أكره أن أنسبه إلى المزون وهي أرض عمان، يقول: هم من مضر، وقال أبو عبيدة: أراد بالمزون الملاحين وكان أردشير بن بابك جعل الأزْد ملاحين بشحر عمان قبل الإسلام بستمائة سنة، وقال جرير:

وأطفأت نيران المزون وأهلها

وقد حاولوها فتنة أن تسعرا!

ومن المدن العمانية التي وصفها ياقوت أيضا العاصمة العمانية حاليا وهي مسقط:

مسقط: بالفتح وسكون السين وفتح القاف مسقط الرمل في: طريق البصرة بينها وبين النجاج وهو واد يأتي من وراء طريق الكوفة من قبل السماوة ثم يقطع طريق الكوفة إلى طريق البصرة حتى يصب في البحر في بلاد بني سعد من يبرين. ومسقط أيضا مدينة من نواحي عُمان في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر: ومسقط أيضا رستاق بساحل بحر الخزر دون باب الأبواب جيله مسلمون لهم قوة وشوكة بين باب الأبواب واللكز كان أول من أحدثه كسرى أنوشروان بن قباد لما بنى باب الأبواب.^١

ومن المواضع العمانية التي عرفها ياقوت جزيرة مصيرة:

مصيرة: بالفتح ثم الكسر، كأنه فعيلة من المصرو وهو الحدّ بين الشيتين: جزيرة عظيمة في بحر عُمان فيها عدة قرى.^٢

ويرد ذكر عمان حين يتحدث ياقوت عن علي ابن أحمد الميورقي نسبة إلى جزيرة

مَيُورَقَة في الأندلس:

علي ابن أحمد بن عبد العزيز بن طير أبو الحسن الأنصاري الميورقي، قدم دمشق وسمع بها وحكى عن أبي محمد غانم بن الوليد المخزومي وأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد

١ - المصدر السابق، ج٥، ص١٢٢.

٢ - المصدر السابق، ج٥، ص١٢٧.

٣ - المصدر السابق، ج٥، ص١٤٤.

بن عبد البرّ التميمي وأبي الحسن علي بن عبد الغني القيرواني وغيرهم، روى عنه عبد العزيز الكناني وهو من شيوخه وأبو بكر الخطيب وهبة الله ابن عبد الوارث الشيرازي وعمر بن عبد الكريم الدهستاني وأبو محمد بن الأكفاني وقال: إنه ثقة وكان عالماً باللغة وسافر من دمشق في آخر سنة ٤٦٣ إلى بغداد وأقام بها، ومات بها سنة ٤٧٧، قال الحافظ:

حدثني أبو غالب الماوردي قال: قدم علينا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري البصرة في سنة ٤٦٩ فسمع من أبي علي التستري "كتاب السنن" وأقام عنده نحو من سنتين وحضر يوماً عند أبي القاسم إبراهيم بن محمد المناذلي وكان ذا معرفة بالنحو والقراءة وقرأ عليه جزءاً من الحديث وجلس بين يديه وكان عليه ثياب خَلقة، فلما فرغ من قراءة الجزء أجلسه إلى جنبه، فلما مضى قلتُ له في إجلاسه إلى جنبه، فقال: قد قرأ الجزء من أوله إلى آخره وما لحن فيه وهذا يدل على فضل كثير، ثم قال: إن أبا الحسن خرج من عندنا إلى عُمانَ ولقيته بمكة في سنة ٧٣ أخبرني أنه ركب من عُمان إلى بلاد الزنج وكان معه من العلوم أشياء فما نفق عندهم إلا النحو، وقال: لو أردت أن أكسب منهم ألوفاً لأمكن ذلك وقد حصل لي منهم نحو من ألف دينار وتأسفوا على خروجي من عندهم، ثم إنه عاد إلى البصرة على أن يقيم بها فلما وصل إلى باب البصرة وقع عن الجمل فمات من وقته، وذلك في سنة ٤٧٤، كذا قال أولاً مات ببغداد وههنا بالبصرة، ومن شعر الميورقي قوله:

وسائلةً لتعلم كيف حالي

فقلت لها: بحالٍ لا تُسرُّ

وقعتُ إلى زمان ليس فيه

إذا فتّشت عن أهليه حُرُّ!

ومن المدن العمانية التي وصفها ياقوت في معجمه أيضاً نزوى في المنطقة الداخلية، ولكنها يسميها نزوة:

نزوة: بالفتح ثم السكون وفتح الواو والنزو الوثب والمرّة الواحدة نزوة، جبل بعمان وليس بالساحل عنده عدة قرى كبار يسمى مجموعها بهذا الاسم فيها قوم من العرب كالمعتكفين عليها

وهم إباضية. يُعمل فيها صنف من الثياب منمقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل في شيء من بلاد العرب مثلها ومآزر من ذلك الصنف يبالغ في أثمانها رأيت منها واستحسنتها^١.

وفي موضع آخر من معجم البلدان يرد ذكر عمان حين يصف ياقوت اليمن:

اليَمَنُ: بالتحريك. قال الشرقي إنما سميت اليمن لتيامُنهم إليها. قال ابن عباس تفرقت العرب فمن تَيَامَنَ منهم سُميت اليمن ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهي أيمُنُ الأرض فسميت بذلك. قلت قولهم تَيَامَنَ الناس فسموا اليمنَ فيه نظر لأن الكعبة مرتفعة فلا يمين لها ولا يسار فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين وكذلك الجهات الأربع إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فإنه أجلُّها فإذا يصح والله أعلم. وقال الأصمعي اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عَدَنَ إلى الشَّحَرِ حتى يجتاز عمان فينقطع من بَيْنُونَةَ وبينونة بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن. وقيل حدُّ اليمن من وراءِ تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشَّحَرِ وعمانَ إلى عَدَنَ أَيْبَنَ وما يلي ذلك من التهامم والنجود واليمن تجمع ذلك كله^٢.

١ - المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨١.

٢ - المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٤٧.

الكامل في التاريخ

لابن الأثير الجزري

جاء ذكر عمان في مواضع عديدة من كتاب الكامل في التاريخ . منها ذكر ابن الأثير لملك كسرى بلاد الروم، يقول :

كَانَ بَيْنَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ وَبَيْنَ غَطِيَانُوسَ مَلِكِ الرُّومِ هُدْنَةٌ، فَوَقَعَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، كَانَ مَلِكُهُ غَطِيَانُوسَ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ جَبَلَةَ، وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ لُحْمٍ كَانَ مَلِكُهُ كِسْرَى عَلَى عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ إِلَى الطَّائِفِ وَسَائِرِ الْحِجَازِ يُقَالُ لَهُ الْمُنْدِرُ بْنُ التُّعْمَانِ، فَثَنَّهُ، فَأَغَارَ خَالِدٌ عَلَى ابْنِ التُّعْمَانِ، فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَعَنِمَ أَمْوَالُهُ ; فَكَتَبَ كِسْرَى إِلَى غَطِيَانُوسَ يُذَكِّرُهُ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَهْدِ وَالصُّلْحِ وَيُعَلِّمُهُ مَا لَقِيَ الْمُنْدِرُ مِنْ خَالِدٍ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْمُرَ خَالِدًا بِرَدِّ مَا عَنِمَ إِلَى الْمُنْدِرِ، وَيُدْفَعَ لَهُ دِيَّةً مَنْ قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيُنْصِفَهُ مِنْ خَالِدٍ، وَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ يَنْقُضِ الصُّلْحَ. وَوَالَى الْكُتُبَ إِلَى غَطِيَانُوسَ فِي إِنْصَافِ الْمُنْدِرِ، فَلَمْ يَخْفَلْ بِهِ. فَاسْتَعَدَّ كِسْرَى وَعَزَا بِأَلَادِ غَطِيَانُوسَ فِي بَضْعَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفًا، وَكَانَ طَرِيقُهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ، فَأَخَذَ مَدِينَةَ دَارَا وَمَدِينَةَ الرُّهَاءِ، وَعَبَّرَ إِلَى الشَّامِ فَمَلَكَ مَنبِجَ وَحَلَبَ وَأَنْطَاكِيَّةَ، وَكَانَتْ أَفْضَلُ مَدَائِنِ الشَّامِ وَقَامِيَّةَ وَحِمَصَ وَمُدُنًا كَثِيرَةً مُتَاخِمَةً لِهَذِهِ الْمَدَائِنِ عَنُودٌ، وَاحْتَوَى كُلَّ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعُرُوضِ، وَسَبَى أَهْلَ مَدِينَةِ أَنْطَاكِيَّةَ وَنَقَلَهُمْ إِلَى أَرْضِ السَّوَادِ، وَأَمَرَ فَبَنَيْتَ لَهُمْ مَدِينَةً إِلَى جَانِبِ مَدِينَةِ طَيْسَفُونَ عَلَى بِنَاءِ مَدِينَةِ أَنْطَاكِيَّةَ وَأَسْكَنَهُمْ إِيَّاهَا، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى الرُّومِيَّةَ، وَكَوَّرَ لَهَا حَمْسَةَ طَسَايِجَ: طَسُوجُ التَّهْرَوَانَ الْأَعْلَى، وَطَسُوجُ التَّهْرَوَانَ الْأَوْسَطِ، وَطَسُوجُ التَّهْرَوَانَ الْأَسْفَلِ، وَطَسُوجُ بَادَرَايَا، وَطَسُوجُ بَاكْسَايَا، وَأَجْرَى عَلَى السَّبِيِّ الَّذِينَ نَقَلَهُمْ إِلَيْهَا مِنْ أَنْطَاكِيَّةِ الْأَرْزَاقِ، وَوَلَّى الْقِيَامَ بِأَمْرِهِمْ رَجُلًا مِنْ نَصَارَى الْأَهْوَازِ لِيَسْتَأْنِسُوا بِهِ لِمُؤَافَقَتِهِ عَلَى الدِّينِ.

وَأَمَّا سَائِرُ مُدُنِ الشَّامِ وَمُضَرَ فَإِنَّ غَطِيَانُوسَ ابْتَاعَهَا مِنْ كِسْرَى بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ حَمَلَهَا إِلَيْهِ، وَضَمِنَ لَهُ فِدْيَةً يَحْمِلُهَا إِلَيْهِ كُلَّ سَنَةٍ عَلَى أَنْ لَا يَغْرَوْ بِأَلَادِهِ، فَكَانُوا يَحْمِلُونَهَا كُلَّ عَامٍ.

وَسَارَ أَنْوَشِرَوَانُ مِنَ الرُّومِ إِلَى الْخَزَرِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَعَنِمَ وَأَخَذَ مِنْهُمْ بَنَاتٍ رَعِيَّتِيهَ، ثُمَّ قَصَدَ الْيَمْنَ

فَقَتَلَ فِيهَا وَعَنَمَ، وَعَادَ إِلَى الْمَدَائِنِ وَقَدْ مَلَكَ مَا دُونَ هَقْلَةَ وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَعَمَانَ. وَمَلَكَ التُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْدِرِ عَلَى الْحَيْرَةِ وَأَكْرَمَهُ، وَسَارَ نَحْوَ الْهَيَاطِلَةِ لِيَأْخُذَ بِتَارِ جَدِّهِ فَيُرْوِزَ، وَكَانَ أُنُوشِرَوَانَ قَدْ صَاهَرَ حَقَاقَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَدَخَلَ كِسْرَى بِلَادَهُمْ فَقَتَلَ مَلِكَهُمْ، وَاسْتَأْصَلَ أَهْلَ بَيْتِهِ، وَتَجَاوَزَ بَلْخَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَأَنْزَلَ جُنُودَهُ فَرِغَانَةَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدَائِنِ، وَغَزَا الْبُرْجَانَ ثُمَّ رَجَعَ وَأَرْسَلَ جُنْدَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَتَلُوا الْحَبَشَةَ وَمَلَكَوا الْبِلَادَ.

وَكَانَ مُلْكُهُ ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً!

ومنها حديث ابن الأثير عن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي وهجرته إلى عمان بعد حرب داحس والغبراء . يقول :

وَرَحَلْتُ عَبْسِي وَقَدْ مَلَّتِ الْحَرْبُ وَقَلَّتِ الرِّجَالُ وَالْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي، فَقَالَ لَهُمْ قَيْسٌ: مَا تَرَوْنَ؟ قَالُوا: نَرْجِعُ إِلَى أَحْوَالِنَا مِنْ ذُبْيَانَ فَالْمَوْتُ مَعَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْبَقَاءِ مَعَ غَيْرِهِمْ. فَسَارُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيِّ، وَقِيلَ: عَلَى هَرِمِ بْنِ سَنَانَ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ لَيْلًا، وَكَانَ عِنْدَ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ. فَلَمَّا عَادَ وَرَأَاهُمْ رَحَّبَ بِهِمْ وَقَالَ: مَنْ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: إِخْوَانُكَ بَنُو عَبْسٍ، وَذَكَرُوا حَاجَتَهُمْ. فَقَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةٌ أُعْلِمُ حِصْنَ بْنَ حُدَيْفَةَ. فَعَادَ إِلَيْهِ وَقَالَ: طَرُفْتُ فِي حَاجَةٍ، قَالَ: أَعْطَيْتُهَا. قَالَ: بَنُو عَبْسٍ وَجَدْتُ وَفُودَهُمْ فِي مَنْزِلِي. قَالَ حِصْنٌ: صَالِحُوا قَوْمَكُمْ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدِي وَلَا أَتْدِي، قَدْ قَتَلَ آبَائِي وَعُمُومَتِي عَشْرِينَ مِنْ عَبْسٍ، فَعَادَ إِلَى عَبْسٍ وَأَخْبَرَهُمْ بِقَوْلِ حِصْنٍ وَأَخَذَهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ قَيْسٌ وَالرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ: نَحْنُ رُكْبَانُ الْمَوْتِ. قَالَ: بَلْ رُكْبَانُ السَّلْمِ، إِنْ تَكُونُوا اخْتَلَلْتُمْ إِلَى قَوْمِكُمْ فَقَدْ اخْتَلَّ قَوْمُكُمْ إِلَيْكُمْ. ثُمَّ خَرَجَ مَعَهُمْ حَتَّى أَتَوْا سِنَانًا فَقَالَ لَهُ: فَمَ بِأَمْرِ عَشِيرَتِكَ وَأُصْلِحَ بَيْنَهُمْ فَأَتَى سَأَعَيْنَكَ. فَفَعَلَ ذَلِكَ وَتَمَّ الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ وَعَادَتْ عَبْسِي.

وَقِيلَ: إِنَّ قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ لَمْ يَسِرْ مَعَ عَبْسٍ إِلَى ذُبْيَانَ وَقَالَ: لَا تَرَانِي غَطَفَانِيَّةً أَبَدًا وَقَدْ قَتَلْتُ أَحَاها أَوْ زَوْجَهَا أَوْ وَلَدَهَا أَوْ ابْنَ عَمَّهَا، وَلَكِنِّي سَأْتُوبُ إِلَى رَبِّي، فَتَنَصَّرَ وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عُمَانَ فَتَرَهَّبَ بِهَا زَمَانًا، فَلَقِيَهُ حَوْجُ بْنُ مَالِكِ الْعَبْدِيُّ فَعَرَفَهُ فَقَتَلَهُ، وَقَالَ لَا رَحِمَنِي اللَّهُ إِنْ رَحِمْتُكَ.^٢

١ - عز الدين ابن الأثير الجزري. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧)، ج ١، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢١ - ٥٢٢.

ومما جاء فيه ذكر عمان في كتاب الكامل حديث ابن الأثير عن عودة عمرو بن العاص من عمان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ أَرْسَلَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرٍ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ حَجَّةِ الْوُدَاعِ. فَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَمْرُو بَعْمَانَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَوَجَدَ الْمُنْدَرِ بْنَ سَاوَى فِي الْمَوْتِ. ثُمَّ خَرَجَ عَنْهُ إِلَى بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ فَنَزَلَ بِقُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، وَقُرَّةُ يُقَدِّمُ رَجُلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى، وَمَعَهُ عَسْكَرٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَدَبَحَ لَهُ وَأَكْرَمَ مَنَاقِبَهُ. فَلَمَّا أَرَادَ الرَّحْلَةَ خَلَا بِهِ قُرَّةُ وَقَالَ: يَا هَذَا، إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَطِيبُ لَكُمْ نَفْسًا بِالْإِتَاوَةِ، فَإِنْ أَعْفَيْتُمُوهَا مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِهَا فَسَتَسْمَعُ لَكُمْ وَتُطِيعُ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَا تَجْتَمِعُ عَلَيْكُمْ.

فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَكْفَزْتَ يَا قُرَّةُ؟ أَتَخَوَّفْنَا بِالْعَرَبِ؟ فَوَاللَّهِ لَأُوطِنَنَّ عَلَيْكَ الْخَيْلَ فِي حَفْشِ أَمِّكَ. وَالْحَفْشُ: بَيْتٌ تَنْفَرُ فِيهِ النَّفْسَاءُ.

وَقَدِمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَطَافُوا بِهِ يَسْأَلُونَهُ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْعَسَاكِرَ مَعْسُكِرَةٌ مِنْ دَبَا إِلَى الْمَدِينَةِ. فَتَفَرَّقُوا وَتَحَلَّقُوا حِلَقًا، وَأَقْبَلَ عَمْرُو يُرِيدُ التَّسْلِيمَ عَلَى عَمْرُو، فَمَرَّ عَلَى حِلْقَةٍ فِيهَا عَلِيٌّ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَعْدٌ. فَلَمَّا دَنَا عَمْرُو مِنْهُمْ سَكَنُوا، فَقَالَ: فِيهِمْ أَنْتُمْ؟ فَلَمْ يُجِيبُوهُ. فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا أَخَوْفْنَا عَلَى قُرَيْشٍ مِنَ الْعَرَبِ! قَالُوا: صَدَقْتَ. قَالَ: فَلَا تَخَافُوهُمْ، أَنَا وَاللَّهِ مِنْكُمْ عَلَى الْعَرَبِ أَحْوَفُ مِنِّي مِنَ الْعَرَبِ عَلَيْكُمْ، وَاللَّهِ لَوْ تَدْخُلُونَ مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، جُحْرًا لَدَخَلْتُهُ الْعَرَبُ فِي آتَارِكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ.

وَمَضَى عَمْرُو، فَلَمَّا قَدِمَ بِقُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أُسَيْرًا، اسْتَشْهَدَ بِعَمْرُو عَلَى إِسْلَامِهِ، فَأَحْضَرَ أَبُو بَكْرٍ عَمْرًا فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ قُرَّةَ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى ذِكْرِ الزَّكَاةِ فَقَالَ قُرَّةُ: مَهْلًا يَا عَمْرُو! فَقَالَ: كَلَّا، وَاللَّهِ لِأُخْبِرَنَّهُ بِجَمِيعِهِ.

فَعَفَا عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ وَقَبِلَ إِسْلَامَهُ!

ويرد ذكر عمان في الكامل ضمن حديث ابن الأثير عن حروب الردة :

قَدْ اخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ حَزْبِ الْمُسْلِمِينَ هَؤُلَاءِ الْمُزْتَدِينَ، فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ فَتْحُ الْيَمَامَةِ وَالْيَمَنِ وَالْبَحْرَيْنِ وَبَعَثَ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ. وَقَالَ أَبُو مَعْشَرَ، وَيَزِيدُ بْنُ عِيَاضِ

بِنِ جُعْدَبَةَ، وَأَبُو عُيَيْدَةَ بِنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: إِنَّ فُتُوخَ الرِّدَّةِ كُلَّهَا لِخَالِدٍ وَغَيْرِهِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، إِلَّا أَمْرَ رِبِيعَةَ بِنِ بُجَيْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَقِصَّتُهُ: أَنَّهُ بَلَغَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنَّ رِبِيعَةَ بِالْمُصَيِّخِ وَالْحَصِيدِ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمُزْتَدِينَ، فَقَاتَلَهُ وَغَنِمَ وَسَبَى وَأَصَابَ ابْنَةَ لِرِبِيعَةَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَصَارَتْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَأَمَّا عُمَانُ فَإِنَّهُ نَبَعَ بِهَا دُو النَّجَاقِ لَقِيَطُ بْنُ مَالِكِ الْأَزْدِيِّ، وَكَانَ يُسَامِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُلُنْدَى، وَادَّعَى بِمِثْلِ مَا ادَّعَى مَنْ تَبَّأَ، وَغَلَبَ عَلَى عُمَانَ مُزْتَدًا، وَالتَّجَأَ جَيْفَرُ وَعِيَادٌ إِلَى الْجِبَالِ، وَبَعَثَ جَيْفَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يُخْبِرُهُ وَيَسْتَمِدُّهُ عَلَيْهِ، وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ حُدَيْفَةَ بْنَ مَحْصَنِ الْعُلْفَانِيَّ مِنْ حَمِيرَ، وَعَزْفَجَةَ الْبَارِقِيَّ مِنَ الْأَزْدِ؛ حُدَيْفَةَ إِلَى عُمَانَ، وَعَزْفَجَةَ إِلَى مَهْرَةَ، وَكُلُّ مِنْهُمَا أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِهِ فِي وَجْهِهِ، فَإِذَا قَرَّبَا مِنْ عُمَانَ يُكَاتِبَانِ جَيْفَرًا. فَسَارَ إِلَى عُمَانَ، وَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَكَانَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَامَةِ، فَأُصِيبَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَلْحَقَ بِحُدَيْفَةَ وَعَزْفَجَةَ بِمَنْ مَعَهُ يُسَاعِدُهُمَا عَلَى أَهْلِ عُمَانَ وَمَهْرَةَ، فَإِذَا فَرَعُوا مِنْهُمْ سَارَ إِلَى الْيَمَنِ. فَلَحِقَهُمَا عِكْرِمَةُ قَبْلَ عُمَانَ، فَلَمَّا وَصَلُوا رَجَامًا، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ عُمَانَ، كَاتَبُوا جَيْفَرًا وَعِيَادًا، وَجَمَعَ لَقِيَطُ جُمُوعَهُ وَعَسْكَرَ بِدَبَا، وَخَرَجَ جَيْفَرُ وَعِيَادٌ وَعَسْكَرَا بِصَحَارٍ، وَأَرْسَلَا إِلَى حُدَيْفَةَ وَعِكْرِمَةَ وَعَزْفَجَةَ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِمَا، وَكَاتَبُوا رُؤَسَاءَ مَنْ لَقِيَطُ وَارْفَضُوا عَنْهُ، ثُمَّ التَّقَوْا عَلَى دَبَا، فَأَقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَاسْتَعْلَى لَقِيَطُ، وَرَأَى الْمُسْلِمُونَ الْخَلَلَ، وَرَأَى الْمُشْرِكُونَ الظَّفَرَ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ جَاءَتِ الْمُسْلِمِينَ مَوَادُّهُمْ الْعُظْمَى مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ، وَعَلَيْهِمُ الْخَرِيْتُ بْنُ رَاشِدٍ، وَمِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَعَلَيْهِمْ سَيْحَانُ بْنُ وَضْحَانَ، وَغَيْرِهِمْ، فَقَوَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ، فَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ الْأَذْبَانَ، فَقَتِلَ مِنْهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَرَكِبُوهُمْ حَتَّى اتَّخُنُوا فِيهِمْ، وَسَبُّوا الدَّرَارِيَّ وَقَسَمُوا الْأَمْوَالَ، وَبَعَثُوا بِالْخُمْسِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ عَزْفَجَةَ، وَأَقَامَ حُدَيْفَةُ بِعُمَانَ يُسَكِّنُ النَّاسَ.

وَأَمَّا مَهْرَةُ فَإِنَّ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ سَارَ إِلَيْهِمْ لَمَّا فَرَعَ مِنْ عُمَانَ وَمَعَهُ مَنْ اسْتَنْصَرَ مِنْ نَاجِيَةَ وَعَبْدِ الْقَيْسِ وَرَاسِبٍ وَسَعْدٍ، فَأَقْتَحَمَ عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ، فَوَافَقَ بِهَا جَمْعَيْنِ مِنْ مَهْرَةَ؛ أَحَدُهُمَا مَعَ سِخْرِيَّتِ، رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَالثَّانِي مَعَ الْمُصَبِّحِ، أَحَدُ بَنِي مُحَارِبٍ، وَمُعْظَمُ النَّاسِ مَعَهُ، وَكَانَا مُخْتَلِفَيْنِ. فَكَاتَبَ عِكْرِمَةَ سِخْرِيَّتًا، فَأَجَابَهُ وَأَسْلَمَ، وَكَاتَبَ الْمُصَبِّحَ يَدْعُوهُ فَلَمْ يُجِبْ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَنْهَزَمَ الْمُزْتَدُونَ وَقَتِلَ رِئِيسُهُمْ، وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوا مَنْ شَاءُوا مِنْهُمْ، وَأَصَابُوا مَا شَاءُوا مِنَ الْعَنَائِمِ، وَبَعَثَ الْأَخْمَاسَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ سِخْرِيَّتِ، وَازْدَادَ عِكْرِمَةَ وَجُنْدَهُ قُوَّةً بِالظَّهْرِ وَالْمَتَاعِ، وَأَقَامَ عِكْرِمَةُ حَتَّى اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى الدِّيِّ يُحِبُّ، وَبَايَعُوا عَلَى الْإِسْلَامِ.

(دَبَا بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمُخَفَّفَةِ، وَفَتْحِ الدَّالِّ الْمُهْمَلَةِ. وَالْجَرِيثُ بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَكْسُورَةِ، ثُمَّ يَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تَحْتِهَا، وَآخِرُهُ تَاءٌ. وَسِيحَانُ بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ، وَبِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِ، وَبِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، وَآخِرُهُ نُونٌ)!

ومما جاء في الكامل عن عمان أيضا حديث ابن الأثير عن نجدة بن عامر الحنفي وغزوه لعمان . يقول :

وَبَعَثَ نَجْدَةُ أَيضًا بَعْدَ هَزِيمَةِ ابْنِ عُمَيْرٍ جَيْشًا إِلَى عُمَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ عَطِيَّةَ بْنِ الْأَسْوَدِ الْحَنْفِيِّ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا عَبَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَإِنَاهُ سَعِيدٌ وَسَلِيمَانُ يُعَشِّرَانِ السُّفْنَ وَبُجْبِيَانَ الْبِلَادِ، فَلَمَّا أَنَّهُمْ عَطِيَّةٌ قَاتَلُوهُ فَقُتِلَ عَبَادٌ وَاسْتَوْلَى عَطِيَّةٌ عَلَى الْبِلَادِ فَأَقَامَ بِهَا أَشْهُرًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَاسْتَحْلَفَ رَجُلًا يُكْنَى أَبُو الْقَاسِمِ، فَقَتَلَهُ سَعِيدٌ وَسَلِيمَانُ ابْنَا عَبَادٍ وَأَهْلَ عُمَانَ.

ثُمَّ خَالَفَ عَطِيَّةَ نَجْدَةَ، عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَعَادَ إِلَى عُمَانَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا فَرَكِبَ فِي الْبَحْرِ وَأَتَى كَزَمَانَ وَضَرَبَ بِهَا دَرَاهِمَ سَمَاهَا الْعَطْوِيَّةَ وَأَقَامَ بِكَزَمَانَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ جَيْشًا، فَهَرَبَ إِلَى سِحِسْتَانَ ثُمَّ إِلَى السِّنْدِ، فَلَقِيَهُ خَيْلُ الْمُهَلَّبِ بِقَنْدَابِيلَ فَقَتَلَهُ، وَقِيلَ: قَتَلَهُ الْخَوَارِجُ.

ثُمَّ بَعَثَ نَجْدَةُ إِلَى الْبُؤَادِيِّ بَعْدَ هَزِيمَةِ ابْنِ عُمَيْرٍ أَيضًا مِنْ يَأْخُذُ مِنْ أَهْلِهَا الصَّدَقَةَ، فَقَاتَلَ أَصْحَابُهُ بَنِي تَمِيمٍ بِكَاطِمَةَ، وَأَعَانَ أَهْلَ طُوَيْلِعَ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَتَلُوا مِنَ الْخَوَارِجِ رَجُلًا، فَأَرْسَلَ نَجْدَةُ إِلَى أَهْلِ طُوَيْلِعَ مِنْ أَغَارَ عَلَيْهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ رَجُلًا وَسَبَى. ثُمَّ إِنَّهُ دَعَاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَجَابُوهُ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ، ثُمَّ سَارَ نَجْدَةُ إِلَى صَنْعَاءَ فِي حُفِّ مِنَ الْجَيْشِ، فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا وَظَنُوا أَنَّ وِرَاءَهُ جَيْشًا كَثِيرًا، فَلَمَّا لَمْ يَرَوْا مَدَدًا يَأْتِيهِ نَدَمُوا عَلَى بَيْعَتِهِ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنْ شِئْتُمْ أَقْلُكُمْ بَيْعَتَكُمْ وَجَعَلْتُكُمْ فِي حِلِّ مِنْهَا وَقَاتَلْتُكُمْ. فَقَالُوا: لَا نَسْتَقِيلُ بَيْعَتَنَا. فَبَعَثَ إِلَى مُخَالِفِيهَا مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ، وَبَعَثَ نَجْدَةُ أَبُو فُدَيْكٍ إِلَى حَضْرَمَوْتَ فَجَبَى صَدَقَاتِ أَهْلِهَا..... ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ نَجْدَةَ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ لِأَسْبَابِ نَقْمِهَا مِنْهُ، فَمِنْهَا: أَنَّ أَبَا سِنَانٍ حَيٌّ بَنٌ وَإِلِ أَسَارَ عَلَى نَجْدَةَ يَقْتُلُ مِنْ أَجَابِهِ تَقِيَّةً، فَشْتَمَهُ نَجْدَةُ، فَهَمَّ بِالْفَتْكِ بِهِ فَقَالَ لَهُ نَجْدَةُ: كَلَّفَ اللَّهُ أَحَدًا عِلْمَ الْغَيْبِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَحْكُمَ بِالظَّاهِرِ. فَرَجَعَ أَبُو سِنَانٍ إِلَى نَجْدَةَ.

وَمِنْهَا: أَنَّ عَطِيَّةَ بْنَ الْأَسْوَدِ خَالَفَ عَلَى نَجْدَةَ، وَسَبَبَهُ أَنَّ نَجْدَةَ سَيَّرَ سَرِيَّةَ بَحْرًا وَسَرِيَّةَ بَرًّا، فَأَعْطَى سَرِيَّةَ الْبَحْرِ أَكْثَرَ مِنْ سَرِيَّةِ الْبَرِّ، فَتَارَعَهُ عَطِيَّةٌ حَتَّى أَغْضَبَهُ، فَشْتَمَهُ نَجْدَةُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ

وَأَلَبَ النَّاسَ عَلَيْهِ. وَكَلِمَ نَجْدَةَ فِي رَجُلٍ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي عَسْكَرِهِ فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ شَدِيدُ التِّكَايَةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَقَدْ اسْتَنْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بِالْمُشْرِكِينَ. وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى نَجْدَةَ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَيُؤَلِّمُهُ الْيَمَامَةَ وَيُهْدِرُ لَهُ مَا أَصَابَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالِدِمَاءِ، فَطَعَنَ عَلَيْهِ عَطِيَّةٌ وَقَالَ: مَا كَاتَبُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى عَلِمَ مِنْهُ دِهَانًا فِي الدِّينِ، وَفَارَقَهُ إِلَى عُمَانَ^١.

ومما جاء فيه ذكر عمان أيضا في الكامل أبيات يرويها ابن الأثير لسُرَاقَةَ بْنِ مَرْدَاسِ الْبَارِقِيِّ يَرِثِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ، قَرِينِ الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَالَّذِي قَتَلَ بِالْكُوفَةِ:

تَوَى سَيِّدُ الْأَزْدِيِّينَ أَزْدُ شَنْوَةَ
وَأَزْدُ عُمَانَ زَهْنُ رَمْسٍ بِكَازِرِ
وَصَارِبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مَيْتَةٍ
بِأَبْيَضَ صَافٍ كَالْعَقِيقَةِ بَاتِرِ
وَصُرَعَ عِنْدَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
كِرَامُ الْمَسَاعِي مِنْ كِرَامِ الْمَعَاشِرِ^٢

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث ابن الأثير عن غلبة عبد الله بن معاوية على فارس وقتله سنة تسع وعشرين ومائة:

وَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ هُبَيْرَةَ عَلَى الْعِرَاقِ أَرْسَلَ نَبَاتَةَ بِنَ حَنْظَلَةَ الْكَلَابِيِّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَبَلَغَ سُلَيْمَانَ بْنَ حَبِيبٍ أَنَّ ابْنَ هُبَيْرَةَ اسْتَعْمَلَ نَبَاتَةَ عَلَى الْأَهْوَازِ فَسَرَّحَ دَاوُدُ بْنُ حَاتِمٍ، فَأَقَامَ بِكَرْخِ دِينَارٍ يَمْنَعُ نَبَاتَةَ مِنَ الْأَهْوَازِ، فَقَاتَلَهُ فَقُتِلَ دَاوُدُ وَهَرَبَ سُلَيْمَانُ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى سَابُورَ، وَفِيهَا الْأَكْرَادُ قَدْ غَلَبُوا عَلَيْهَا، فَقَاتَلَهُمْ سُلَيْمَانُ وَطَرَدَهُمْ عَنْ سَابُورَ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ مُعَاوِيَةَ بِالْبَيْعَةِ.

ثُمَّ إِنَّ مُحَارِبَ بْنَ مُوسَى الْيَشْكُرِيِّ نَافَرَ ابْنَ مُعَاوِيَةَ وَفَارَقَهُ، وَجَمَعَ جَمْعًا فَأَتَى سَابُورَ فَقَاتَلَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ، فَأَنْهَزَمَ مُحَارِبٌ وَأَتَى كَرْمَانَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فَصَارَ مَعَهُ، ثُمَّ نَافَرَهُ فَقَاتَلَهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرِينَ ابْنًا لَهُ، وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٣ - ٢٨٥.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣٣.

بِإِصْطِخْرٍ حَتَّى أَتَاهُ ابْنُ صُبَارَةَ مَعَ دَاوُدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ، وَسَيِّرَ ابْنَ هُبَيْرَةَ أَيْضًا مَعَهُ ابْنَ زَائِدَةَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، فَقَاتَلَهُمْ مَعَهُ عِنْدَ مَرْوِ الشَّاذَانَ، وَمَعَهُ يَقُولُ:

لَيْسَ أَمِيرُ الْقَوْمِ بِالْخَبِّ الْخَدِغِ

فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ

وَأَنْهَزَمَ ابْنُ مَعَاوِيَةَ فَكَفَّ مَعَهُ عَنْهُمْ، وَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ رَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي لَهَبٍ، وَكَانَ يَقُولُ: يُقْتَلُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بِمَرْوِ الشَّاذَانَ، وَأَسْرُوا أَسْرَى كَثِيرَةً، فَقَتَلَ ابْنُ صُبَارَةَ مِنْهُمْ عِدَّةً كَثِيرَةً، وَهَرَبَ مَنْصُورُ بْنُ جُمُهورٍ إِلَى السَّنْدِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ إِلَى عُمَانَ، وَعَمَرُو بْنُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى مِصْرَ، وَبَعَثَ بِبَقِيَّةِ الْأَسْرَى إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ فَأَطْلَقَهُمْ، وَمَضَى ابْنُ مَعَاوِيَةَ إِلَى حُرَّاسَانَ. فَسَارَ مَعَهُ ابْنُ زَائِدَةَ يَطْلُبُ مَنْصُورَ بْنَ جُمُهورٍ فَلَمْ يَدْرِكْهُ، فَرَجَعَ!

**ومما جاء فيه ذكر عمان في كتاب الكامل، حديث ابن الأثير عن غزوة خازم بن خزيمة
لعمان سنة أربع وثلاثين ومائة. يقول:**

فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَلَعَ بَسَامُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَسَامٍ، وَكَانَ مِنْ فُوسَانَ أَهْلِ حُرَّاسَانَ، وَسَارَ مِنْ عَسْكَرِ السَّفَاحِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ عَلَى رَأْيِهِ سِرًّا إِلَى الْمَدَائِنِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ السَّفَاحُ خَازِمَ بْنَ خُرَيْمَةَ، فَاقْتَتَلُوا، فَأَنْهَزَمَ بَسَامٌ وَأَصْحَابُهُ، وَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ، وَقُتِلَ كُلُّ مَنْ لَحِقَهُ مِنْهُمْ مَنًّا.

ثُمَّ انْصَرَفَ فَمَرَّ بِذَاتِ الْمَطَامِيرِ، وَبِهَا أَخْوَالُ السَّفَاحِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُدَانَ، وَهُمْ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا، وَمِنْ غَيْرِهِمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَمِنْ مَوَالِيهِمْ سَبْعَةَ عَشَرَ، فَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا جَازَهُمْ شَتَمُوهُ.

وَكَانَ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ لِمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ مِنْ حَالِ الْمُغِيرَةَ بْنِ الْفَزَعِ وَأَنَّهُ لَجَأَ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَسَامٍ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْمُغِيرَةَ، فَقَالُوا: مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُجْتَازًا لَا نَعْرِفُهُ فَأَقَامَ فِي قَرْيَتِنَا لَيْلَةً ثُمَّ خَرَجَ عَنَّا. فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَأْتِيكُمْ عَدُوُّهُ وَيَأْمَنُ فِي قَرْيَتِكُمْ! فَهَلَّا اجْتَمَعْتُمْ فَأَخَذْتُمُوهُ! فَأَغْلَطُوا لَهُ فِي الْجَوَابِ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَضَرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ جَمِيعًا، وَهَدَمَ دُورَهُمْ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَمَانِيَّةَ فَاجْتَمَعُوا، وَدَخَلَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ مَعَهُمْ عَلَى السَّفَاحِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ حَازِمًا اجْتَرَأَ عَلَيْكَ وَاسْتَحَفَّ بِحَقِّكَ، وَقَتَلَ أَحْوَالَكَ الَّذِينَ قَطَعُوا الْبِلَادَ وَأَتَوْكَ مُعْتَرِينَ بِكَ طَالِبِينَ مَعْرُوفَكَ حَتَّى صَارُوا فِي جَوَارِكَ، قَتَلَهُمْ حَازِمٌ وَهَدَمَ دُورَهُمْ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ بِلَا حَدَثٍ أَخَذْتُوهُ.

فَهُمْ بِقَتْلِ حَازِمٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ، وَأَبَا الْجَهْمِ بْنِ عَطِيَّةَ، فَدَخَلَا عَلَى السَّفَاحِ وَقَالَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلَعْنَا مَا كَانَ مِنْ هَوْلَاءِ، وَأَنْتَ هَمَمْتَ بِقَتْلِ حَازِمٍ، وَإِنَّا نَعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ لَهُ طَاعَةً وَسَابِقَةً، وَهُوَ يُحْتَمَلُ لَهُ مَا صَنَعَ، فَإِنَّ شِيعَتَكُمْ مِنْ أَهْلِ حُرَّاسَانَ قَدْ آتَرَوْكُمْ عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْأَوْلَادِ وَقَتَلُوا مَنْ خَالَفَكُمْ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ تَعَمَّدَ إِسَاءَةَ مُسِيئِهِمْ.

فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ مُجْمَعًا عَلَى قَتْلِهِ فَلَا تَتَوَلَّ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ وَابْعَثْهُ لِأَمْرٍ إِنْ قُتِلَ فِيهِ كُنْتَ قَدْ بَلَعْتَ الَّذِي تُرِيدُ، وَإِنْ ظَفِرَ كَانَ ظَفْرُهُ لَكَ.

وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَوْجِيهِهِ إِلَى مَنْ بَعْمَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَإِلَى الْخَوَارِجِ الَّذِينَ بِجَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ مَعَ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْيَشْكُرِيِّ، فَأَمَرَ السَّفَاحُ بِتَوْجِيهِهِ مَعَ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ، وَكَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، وَهُوَ عَلَى الْبَصْرَةِ، بِحَمَلِهِمْ إِلَى جَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ وَعُمَانَ، فَسَارَ حَازِمٌ.

فَلَمَّا سَارَ حَازِمٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي الْجُنْدِ الَّذِينَ مَعَهُ، وَكَانَ قَدْ انْتَخَبَ مِنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَمَوَالِيهِ وَمِنْ أَهْلِ مَرْوِ الرُّوْدِ مَنْ يَتَّقِي بِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْبَصْرَةَ حَمَلَهُمْ سُلَيْمَانُ فِي السُّفُنِ، وَأَنْصَمَ إِلَيْهِ بِالْبَصْرَةِ أَيْضًا عِدَّةٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَسَارُوا فِي الْبَحْرِ حَتَّى أُرْسُوا بِجَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ.

فَوَجَّهَ حَازِمٌ فَضْلَةَ بْنَ نُعَيْمِ التَّهَشَلِيِّ فِي خَمْسِمِائَةِ إِلَى شَيْبَانَ، فَالْتَقَوْا فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَزَكَبَ شَيْبَانُ وَأَصْحَابُهُ السُّفْنَ وَسَارُوا إِلَى عُمَانَ، وَهُمْ صُفْرِيَّةٌ. فَلَمَّا صَارُوا إِلَى عُمَانَ قَاتَلَهُمُ الْجَلَنْدِيُّ وَأَصْحَابُهُ، وَهُمْ إِبَاضِيَّةٌ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ، فَقُتِلَ شَيْبَانُ وَمَنْ مَعَهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ سَنَةَ تِسْعِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً قَتَلَ شَيْبَانَ عَلَى هَذَا السِّيَاقِ.

ثُمَّ سَارَ حَازِمٌ فِي الْبَحْرِ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى أُرْسُوا إِلَى سَاحِلِ عُمَانَ، فَخَرَجُوا إِلَى الصَّخْرَاءِ، فَلَقِيَهُمُ الْجَلَنْدِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَثُرَ الْقَتْلُ يَوْمَئِذٍ فِي أَصْحَابِ حَازِمٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ أَحَدٌ لَهُ مِنْ أُمَّهِ فِي تِسْعِينَ رَجُلًا، ثُمَّ اقْتَتَلُوا مِنَ الْغَدِ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْخَوَارِجِ تِسْعِمِائَةً وَأُخْرِقَ مِنْهُمْ نَحْوُ مِنْ تِسْعِينَ رَجُلًا.

ثُمَّ التَّفَوُّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مِنْ مَقْدِمِ خَازِمٍ عَلَى رَأْيِ أَشَارَ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِ خَازِمٍ، أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ أَصْحَابَهُ فَيَجْعَلُوا عَلَى أَطْرَافِ أَسْنِيَّتِهِمُ الْمُشَاقَّةَ، وَيَزُوُّوْهَا بِالتَّنْفِطِ وَيُشْعَلُوا فِيهَا التَّيْرَانَ ثُمَّ يَمْشُوا بِهَا حَتَّى يُضْرِمُوهَا فِي بُيُوتِ أَصْحَابِ الْجُلُنْدِيِّ، وَكَانَتْ مِنْ حَشَبٍ.

فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ وَأَضْرِمَتْ بُيُوتُهُمْ بِالتَّيْرَانِ اشْتَعَلُوا بِهَا وَيَمَنُ فِيهَا مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ خَازِمٌ وَأَصْحَابُهُ، فَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّيْفَ فَقَتَلُوهُمْ، وَقَتَلُوا الْجُلُنْدِيَّ فِيمَنْ قُتِلَ، وَبَلَغَ عَدَّةُ الْقَتْلَى عَشْرَةَ آلَافٍ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَأَرْسَلَهَا سُلَيْمَانُ إِلَى السَّفَاحِ، وَأَقَامَ خَازِمٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَشْهُرًا حَتَّى اسْتَقْدَمَهُ السَّفَاحُ فَقَدِمَ.

ومما ذكره ابن الأثير أيضا وفيه ذكر لعمان أحداث سنة ثمان وأربعين ومائة. يقول متحدثنا عن خروج حسان بن مجالد:

ثُمَّ دَخَلْتُ سَنَةَ ثَمَانَ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ.

وَفِيهَا خَرَجَ حَسَّانُ بْنُ مُجَالِدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَجْدَعِ الْهُمْدَانِيُّ. وَمَالِكٌ هَذَا هُوَ أَحْوُ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ. وَكَانَ خُرُوجُهُ بِنَوَاحِي الْمُؤَصِّلِ بِقَرْيَةٍ تَسْمَى بِأَفْخَارِي قَرِيبٍ مِنَ الْمُؤَصِّلِ عَلَى دِجْلَةٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَسْكَرُ الْمُؤَصِّلِ، وَعَلَيْهَا الصَّقْرُ بْنُ نَجْدَةَ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَهَا بَعْدَ حَزْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَالتَّفَوُّوا وَاقْتَتَلُوا وَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْمُؤَصِّلِ إِلَى الْجِسْرِ.

وَأَحْرَقَ الْخَوَارِجُ أَصْحَابَ حَسَّانِ السُّوقِ هُنَاكَ وَنَهَبُوهُ.

ثُمَّ إِنَّ حَسَّانًا سَارَ إِلَى الرَّقَّةِ وَمِنْهَا إِلَى الْبَحْرِ وَدَخَلَ إِلَى بَلَدِ السِّنْدِ، وَكَانَتْ الْخَوَارِجُ مِنْ أَهْلِ عَمَانَ يَدْخُلُونَهُمْ وَيَدْعُونَهُمْ، فَاسْتَأْذَنَهُمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَعَادَ إِلَى الْمُؤَصِّلِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الصَّقْرُ أَيْضًا، وَالْحَسَنُ بْنُ صَالِحِ بْنِ حَسَّانِ الْهُمْدَانِيِّ، وَبِلَالُ الْقَيْسِيُّ، فَالتَّفَوُّوا فَانْهَزَمَ الصَّقْرُ، وَأَسْرَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ وَبِلَالٌ، فَقَتَلَ حَسَّانٌ بِلَالًا، وَاسْتَبَقَى الْحَسَنُ لِأَنَّهُ مِنْ هَمْدَانَ، فَفَارَقَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لِهَذَا.

وَكَانَ حَسَّانٌ قَدْ أَخَذَ رَأْيَ الْخَوَارِجِ عَنْ خَالِهِ حَفْصِ بْنِ أَشِيمٍ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْخَوَارِجِ وَفُقَهَائِهِمْ.^٢

١ - المصدر السابق، ج ٥، ص ٤١ - ٤٣.

٢ - المصدر السابق، ج ٥، ص ١٥٥.

ويرد ذكر عمان أيضا في الكامل حين يسرد ابن الأثير أحداث سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة:

وَفِيهَا أَمَرَ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ قَبْلَ قَبْضِهِ، وَكَاتَبَهُ الْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ بِلَعْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَإِبنِهِ يَزِيدَ عَلَى الْمَنَابِرِ بِبَغْدَادَ، فَاضْطَرَّ بَتِ الْعَامَّةُ، فَأَرَادَ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى الْبَرْبَهَارِيِّ رَئِيسِ الْحَنَابِلَةِ، وَكَانَ يُثِيرُ الْفِتْنَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ فَهَرَبَ، فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ، وَحَبَسُوا وَجَعَلُوا فِي زَوْزِقٍ، وَأَخَذُوا إِلَى عُمَانَ^١.

ويقول ابن الأثير في أحداث سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة واصفا مسير يوسف بن وجيه صاحب عمان إلى البصرة:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، سَارَ يُوسُفُ بْنُ وَجِيهِ صَاحِبُ عُمَانَ فِي مَرَائِبٍ كَثِيرَةٍ يُرِيدُ الْبَصْرَةَ، وَحَارَبَ الْبَرْيَدِيَّ (فَمَلَكَ الْأُبَلَةَ)، وَقَوِيَ قُوَّةً عَظِيمَةً، وَقَارَبَ أَنْ يَمْلِكَ الْبَصْرَةَ، فَأَشْرَفَ الْبَرْيَدِيُّ وَإِخْوَتُهُ عَلَى الْهَلَاكِ.

وَكَانَ لَهُ مَلَّاحٌ يُعْرَفُ بِالرَّنَادِيِّ، فَضَمَّنَ لِلْبَرْيَدِيِّ هَزِيمَةَ يُوسُفَ، فَوَعَدَهُ الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ، وَأَخَذَ الْمَلَّاحُ زَوْرَقَيْنِ فَمَلَّاهُمَا سَعْفًا يَابِسًا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ، وَأَخَذَرَهُمَا فِي اللَّيْلِ حَتَّى قَارَبَ الْأُبَلَةَ.

وَكَانَتْ مَرَائِبُ ابْنِ وَجِيهِ تُشَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ (فِي اللَّيْلِ)، فَتَصِيرُ كَالْجِسْرِ، فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَشْعَلَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ النَّارَ فِي السَّعْفِ الَّذِي فِي الزَّوْرَقَيْنِ، وَأَرْسَلَهُمَا مَعَ الْجُزْرِ وَالنَّارِ فِيهِمَا، فَأَقْبَلَا أَسْرَعَ مِنَ الرِّيحِ، فَوَقَعَا فِي تِلْكَ السُّفْنِ وَالْمَرَائِبِ، فَاشْتَعَلَتْ وَاحْتَرَقَتْ قُلُوسُهَا، وَاحْتَرَقَ مَنْ فِيهَا، وَنَهَبَ النَّاسُ مِنْهَا مَالًا عَظِيمًا، وَمَضَى يُوسُفُ بْنُ وَجِيهِ هَارِبًا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، (وَأَحْسَنَ الْبَرْيَدِيُّ إِلَى ذَلِكَ الْمَلَّاحِ)، وَفِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ هَرَبَ ابْنُ شَيْرَزَادَ (مَنْ الْبَرْيَدِيُّ) وَأَصْعَدَ إِلَى تُوْرُونَ^٢.

ومما رواه ابن الأثير أيضا وفيه ذكره لعمان حديثه عن حصار البصرة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يُوسُفُ بْنُ وَجِيهِ صَاحِبُ عُمَانَ فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ إِلَى الْبَصْرَةَ (فَحَصَرَهَا).

١ - المصدر السابق، ج٧، ص١٢.

٢ - المصدر السابق، ج٧، ص١١٨.

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ لَمَّا سَلَكَ البَّرِّيَّةَ إِلَى البَصْرَةِ، وَأَرْسَلَ القَرَامِطَةَ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَأَجَابَهُمْ بِمَا ذَكَرْنَا، عَلِمَ يُوْسُفُ بْنُ وَجِيهِ اسْتِيحَاشَهُمْ مِنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ يُطْمِعُهُمْ فِي البَصْرَةِ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُمْدُوهُ مِنْ نَاحِيَةِ البَرِّ، فَأَمْدُوهُ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَسَارَ يُوْسُفُ فِي البَحْرِ، فَبَلَغَ الحَبْرَ إِلَى الوَزِيرِ المُهَلَّبِيِّ وَقَدْ فَرَعَ مِنَ الأَهْوَازِ وَالنَّظْرِ فِيهَا، فَسَارَ مُجِدًّا فِي العَسَاكِرِ إِلَى البَصْرَةِ، فَدَخَلَهَا قَبْلَ وُصُولِ يُوْسُفَ إِلَيْهَا، وَشَحَنَهَا بِالرِّجَالِ، وَأَمَدَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِالعَسَاكِرِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَتَحَارَبَ هُوَ وَابْنُ وَجِيهِ أَيَّامًا، ثُمَّ انْهَزَمَ ابْنُ وَجِيهِ، وَظَفَرَ المُهَلَّبِيُّ بِمَرَآكِبِهِ وَمَا مَعَهُ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ^١.

ويذكر ابن الأثير عمان ضمن أحداث سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ المُهَلَّبِيُّ وَزِيرُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فِي جُمَادَى الآخِرَةِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى عُمَانَ لِيُفْتَحَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ البَحْرَ اعْتَلَّ، وَاشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ، فَأَعِيدَ إِلَى بَغْدَادَ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ فِي شَعْبَانَ، وَحَمِلَ تَابُوتَهُ إِلَى بَغْدَادَ فَدُفِنَ بِهَا، وَقَبِضَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَمْوَالَهُ وَذَخَائِرَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ، وَأَخَذَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَحَوَاشِيَهُ، حَتَّى مَلَاحَهُ، وَمَنْ خَدَمَهُ يَوْمًا وَاحِدًا، فَقَبِضَ عَلَيْهِمْ وَحَبَسَهُمْ، فَاسْتَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ وَاسْتَقْبَحُوهُ.

وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ كَرِيمًا فَاضِلًا ذَا عَقْلِ وَمُرُورَةٍ، فَمَاتَ بِمَوْتِهِ الكَرَمِ.

وَنَظَرَ فِي الأُمُورِ بَعْدَهُ أَبُو الفَضْلِ العَبَّاسُ بْنُ الحُسَيْنِ الشَّيْرَازِيُّ، وَأَبُو الفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ العَبَّاسِ بْنِ فَسَّانِجَسَ مِنْ غَيْرِ تَسْمِيَةٍ لِأَحَدِهِمَا بِوِزَارَةٍ^٢.

ومما رواه ابن الأثير في الكامل وفيه ذكر لعمان حديثه عن الوقائع التي حدثت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة للهجرة . يقول:

وَفِيهَا سَيَّرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا إِلَى عُمَانَ، فَلَقُوا أَمِيرَهَا، وَهُوَ نَافِعُ مَوْلَى يُوْسُفَ بْنِ وَجِيهِ، وَكَانَ يُوْسُفُ قَدْ هَلَكَ، وَمَلَكَ نَافِعُ البَلَدَ بَعْدَهُ، وَكَانَ أَسْوَدَ، فَدَخَلَ نَافِعٌ فِي طَاعَةِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وَخَطَبَ لَهُ، وَضَرَبَ لَهُ اسْمَهُ عَلَى الدِّيَارِ وَالدَّرْهِمِ، فَلَمَّا عَادَ العَسْكَرُ عَنْهُ وَتَبَّ بِهِ أَهْلُ عُمَانَ

١ - المصدر السابق، ج٧، ص١٩٨.

٢ - المصدر السابق، ج٧، ص٢٤٤.

فَأَخْرَجُوهُ عَنْهُمْ، وَأَدْخَلُوا الْقَرَامِطَةَ الْهَجْرِيَّيْنِ إِلَيْهِمْ، وَتَسَلَّمُوا الْبَلَدَ، فَكَانُوا يُقِيمُونَ فِيهِ نَهَارًا وَيَخْرُجُونَ لَيْلًا إِلَى مُعْسَكَرِهِمْ، وَكَتَبُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ بِهَجْرٍ يُعَرِّفُونَهُمُ الْخَبْرَ لِيَأْمُرُوهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ.

فِي هَذِهِ السَّنَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَرَ انْخَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ.

وَفِيهَا نَزَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ التُّرُكِ عَلَى بِلَادِ الْخَزَرِ، فَأَنْتَصَرَ الْخَزَرُ بِأَهْلِ خُوَارِزْمَ فَلَمْ يُنْجِدُوهُمْ وَقَالُوا: أَنْتُمْ كُفَّارٌ، فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ نَصَرْنَاكُمْ، فَأَسْلَمُوا إِلَّا مَلِكَهُمْ، فَتَصَرَّهُمْ أَهْلُ خُوَارِزْمَ وَأَزَالُوا التُّرُكَ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَسْلَمَ مَلِكُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَفِيهَا، رَابِعَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، تَقَلَّدَ الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى وَالِدَ الرِّضِيِّ وَالْمُرْتَضَى يَقَابَةَ الْعَلَوِيِّيْنَ، (وَإِمَارَةَ الْحَاجِّ)، وَكُتِبَ لَهُ مَنْشُورٌ مِنْ دِيْوَانَ الْخَلِيفَةِ.

وَفِيهَا أُنْفَذَ الْقَرَامِطَةُ سَرِيَّةً إِلَى عُمَانَ، وَالشُّرَاةُ فِي جِبَالِهَا (كَثِيرٌ فَاجْتَمَعُوا)، فَأَوْقَعُوا بِالْقَرَامِطَةِ فَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ، وَعَادَ الْبَاقُونَ!

ومما رواه ابن الأثير في الكامل وفيه ذكر لعمان تسجيله لأحداث سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للهجرة تحت عنوان، "ذِكْرُ مَا تَجَدَّدَ بِعُمَانَ وَاسْتِيْلَاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ". يقول:

قَدْ ذَكَرْنَا فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ خَبَرَ عُمَانَ وَدُخُولَ الْقَرَامِطَةِ إِلَيْهَا، وَهَرَبَ نَافِعَ عَنْهَا، فَلَمَّا هَرَبَ نَافِعٌ، وَاسْتَوْلَى الْقَرَامِطَةُ عَلَى الْبَلَدِ، كَانَ مَعَهُمْ كَاتِبٌ يَعْرِفُ بَعْلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ يَنْظُرُ فِي أَمْرِ الْبَلَدِ، وَكَانَ بِعُمَانَ قَاضِيًا لَهُ عَشِيرَةٌ وَجَاهٌ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَأَهْلُ الْبَلَدِ أَنْ يَنْصَبُوا فِي الْإِمْرَةِ رَجُلًا يَعْرِفُ بِأَبْنِ طُغَانَ، وَكَانَ مِنْ صِغَارِ الْقَوَادِ بِعُمَانَ، وَأَذْنَاهُمْ مَرْتَبَةٌ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ (فِي الْإِمْرَةِ) خَافَ مِمَّنْ فَوْقَهُ مِنَ الْقَوَادِ، فَقبَضَ عَلَى ثَمَانِينَ قَائِدًا، فَقَتَلَ بَعْضَهُمْ، وَعَرَّقَ بَعْضَهُمْ.

وَقَدِمَ الْبَلَدَ ابْنَا أُخْتِ لِرَجُلٍ مِمَّنْ قَدْ عَرَقَهُمْ، فَأَقَامَا مَدَّةً، ثُمَّ إِنَّهُمَا دَخَلَا عَلَى طُغَانَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ السَّلَامِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ قَتَلَاهُ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُ النَّاسِ عَلَى تَأْمِيرِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَرْوَانَ، وَهُوَ مِنْ أَقَارِبِ الْقَاضِي، فَوَلِيَ الْإِمَارَةَ بَعْدَ امْتِنَاعِ مِنْهُ، وَاسْتَكْتَبَ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْهَجْرِيَّيْنِ، فَأَمَرَ عَبْدَ الْوَهَّابِ كَاتِبَهُ عَلِيًّا أَنْ يُعْطِيَ الْجُنْدَ أَرْزَاقَهُمْ صَلَةً، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الرَّجْحِ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافِ رَجُلٍ، (وَلَهُمْ بَأْسٌ وَشِدَّةٌ)، قَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: إِنَّ الْأَمِيرَ عَبْدَ الْوَهَّابِ أَمَرَنِي أَنْ أُعْطِيَ الْبَيْضَ مِنَ الْجُنْدِ كَذَا وَكَذَا، (وَأَمَرَ لَكُمْ بِنِصْفِ) ذَلِكَ،

فَاضْطَرُّوا وَامْتَنَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تُبَايَعُونِي فَأَعْطِيَكُمْ مِثْلَ سَائِرِ الْأَجْنَادِ؟ فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَبَايَعُوهُ، وَأَعْطَاهُمْ مِثْلَ الْبَيْضِ مِنَ الْجُبْدِ، فَأَمْتَنَعَ الْبَيْضُ مِنْ ذَلِكَ، وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ حَزْبٌ، فَظَهَرَ الرِّجْحُ عَلَيْهِمْ، فَسَكَنُوا، وَاتَّفَقُوا مَعَ الرِّجْحِ وَأَخْرَجُوا عَبْدَ الْوَهَّابِ مِنَ الْبَلَدِ، فَاسْتَقَرَّ فِي الْإِمَارَةِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ.

ثُمَّ إِنَّ مُعَزَّ الدَّوْلَةَ سَارَ إِلَى وَاسِطَ لِحَزْبِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ، وَإِلِزْسَالِ جَيْشٍ إِلَى عُمَانَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَاسِطَ قَدِمَ عَلَيْهِ نَافِعُ الْأَسْوَدُ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ عُمَانَ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَقَامَ لِلْفَرَاغِ مِنْ أَمْرِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ، عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَانْحَدَرَ مِنْ وَاسِطَ إِلَى الْأُبْلَةِ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَأَقَامَ بِهَا يُجَهِّزُ الْجَيْشَ وَالْمَرَكَبَ لِيَسِيرُوا إِلَى عُمَانَ، فَفَرَعَ مِنْهُ، وَسَارُوا مُنْتَصِفِ شَوَالٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ أَبَا الْفَرَجِ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ فَسَانَجَسٍ، وَكَانُوا فِي مِائَةِ قِطْعَةٍ، فَلَمَّا كَانُوا بِسِيرَافٍ انْضَمَّ إِلَيْهِمُ الْجَيْشُ الَّذِي جَهَّزَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةَ مِنْ فَارِسَ نَجْدَةَ لِعَمِّهِ مُعَزَّ الدَّوْلَةَ، فَاجْتَمَعُوا وَسَارُوا إِلَى عُمَانَ، وَدَخَلَهَا تَاسِعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَخَطَبَ لِمُعَزَّ الدَّوْلَةَ فِيهَا، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَأَحْرَقَتْ مَرَائِكِبَهُمْ، وَهِيَ تِسْعَةٌ وَثَمَانُونَ مَرْكَبًا!

ويذكر ابن الأثير في أحداث سنة ست وخمسين وثلاثمائة سوء سيرة بختيار وفساد حاله:

لَمَّا حَضَرَتْ مُعَزَّ الدَّوْلَةَ الْوُفَاةَ وَصَى وَلَدَهُ بِخَيْتَارِ بَطَاعَةِ عَمِّهِ رُكْنِ الدَّوْلَةَ، وَاسْتَشَارَتْهُ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ، وَبَطَاعَةَ عَضُدِ الدَّوْلَةَ ابْنِ عَمِّهِ، لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا، وَأَقْوَمُ بِالسِّيَاسَةِ، وَوَصَّاهُ بِتَقْرِيرِ كَاتِبِيهِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَأَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ، (لِكِفَايَتِهِمَا وَأَمَانَتِهِمَا، وَوَصَّاهُ بِالذَّيْلِمِ وَالْأَثْرَاكِ) وَبِالْحَاجِبِ سُبُكْتِكِينَ، فَخَالَفَ هَذِهِ الْوَصَايَا جَمِيعَهَا، وَاشْتَعَلَ بِاللَّهُوِ وَاللَّعِبِ، وَعَشْرَةَ النَّسَاءِ، وَالْمَسَاحِرِ، وَالْمُعْتِنِينَ، وَشَرَعَ فِي إِيْحَاشِ كَاتِبِيهِ وَسُبُكْتِكِينَ، فَاسْتَوْحَشُوا، وَانْقَطَعَ سُبُكْتِكِينَ عَنْهُ فَلَمْ يَخْضُرْ دَارَهُ.

وَنَفَى كِبَارَ الذَّيْلِمِ عَنْ مَمْلَكَتِهِ شَرَّهَا إِلَى إِقْطَاعَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِ الْمُتَّصِلِينَ بِهِمْ، فَاتَّفَقَ أَصَاغِرُهُمْ عَلَيْهِ، وَطَلَبُوا الرِّيَادَاتِ، وَاضْطَرَّ إِلَى مَرْضَاتِهِمْ، وَاقْتَدَى بِهِمُ الْأَثْرَاكُ فَعَمِلُوا مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَتِمَّ لَهُ عَلَى سُبُكْتِكِينَ مَا يُرِيدُ لِإِخْتِيَابِهِ، وَاتَّفَقَ الْأَثْرَاكُ مَعَهُ، وَخَرَجَ الذَّيْلِمُ إِلَى الصَّخْرَاءِ، وَطَلَبُوا بِخَيْتَارِ بِإِعَادَةِ مَنْ أَسْقَطَ مِنْهُمْ، فَاحْتِاجَ أَنْ يُجَيِّبَهُمْ لِتَغْيِيرِ سُبُكْتِكِينَ عَلَيْهِ، وَفَعَلَ الْأَثْرَاكُ أَيْضًا مِثْلَ فِعْلِهِمْ.

وَاتَّصَلَ خَبْرُ مَوْتِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِكَاتِبِهِ أَبِي الفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ العَبَّاسِ، وَهُوَ مُتَوَلِّي أَمْرِ عُمَانَ، فَسَلَّمَهَا إِلَى نُوَابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَسَارَ نَحْوَ بَعْدَادَ.

وَكَانَ سَبَبُ تَسْلِيمِهَا إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَنَّ بَحْتِيَارَ لَمَّا مَلَكَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ تَفَرَّدَ أَبُو الفَضْلِ بِالنَّظَرِ فِي الأُمُورِ، فَخَافَ أَبُو الفَرَجِ أَنْ يَسْتَمِرَّ انْفِرَادُهُ عَنْهُ، فَسَلَّمَ عُمَانَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ لئَلَّا يُؤْمَرَ بِالمَقَامِ فِيهَا لِحِفْظِهَا وَإِصْلَاحِهَا، وَسَارَ إِلَى بَعْدَادَ، فَلَمْ يَتِمَّكُنْ مِنَ الَّذِي أَرَادَ، وَتَفَرَّدَ أَبُو الفَضْلِ بِالْوِزَارَةِ.

ويستأنف ابن الأثير روايته لتاريخ عمان ويذكر ملك عضد الدولة لجبال عمان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوَلَى الوَزِيرُ أَبُو القَاسِمِ المُطَهَّرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَزِيرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى جِبَالِ عُمَانَ، وَمَنْ بِهَا مِنَ الشَّرَاةِ، فِي ربيعِ الأَوَّلِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ لَمَّا تُوْفِيَ، وَبِعُمَانَ أَبُو الفَرَجِ بْنُ العَبَّاسِ، نَائِبُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَارْتَقَاهَا، فَتَوَلَّى أَمْرَهَا عُمَرُ بْنُ نَهْبَانَ الطَّائِي، وَأَقَامَ الدَّعْوَةَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ إِنَّ الزَّنَجَ غَلَبَتْ عَلَى البَلَدِ، وَمَعَهُمْ طَوَائِفُ مِنَ الجُنْدِ، وَقَتَلُوا ابْنَ نَهْبَانَ، وَأَمَرُوا عَلَيْهِمْ إِنْسَانًا يُعْرَفُ بِابْنِ حَلَاجٍ، فَسَيَّرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ جَيْشًا مِنْ كَرْمَانَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ أَبَا حَزْبٍ طُعَانَ، فَسَارُوا فِي البَحْرِ إِلَى عُمَانَ، فَخَرَجَ أَبُو حَزْبٍ مِنَ المَرْكَبِ إِلَى البَرِّ وَسَارَتْ المَرْكَبُ فِي البَحْرِ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ، فَتَوَافَوْا عَلَى صَحَارِ قَصَبَةِ عُمَانَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الجُنْدُ وَالزَّنَجُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، فَظَفِرَ أَبُو حَزْبٍ، وَاسْتَوَلَى عَلَى صَحَارِ، وَأَنْهَزَ أَهْلُهَا، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ [وثلثمائة].

ثُمَّ إِنَّ الزَّنَجَ اجْتَمَعُوا إِلَى بَرِيمٍ، وَهُوَ رُسْتَاقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحَارِ مَرَحَلَتَانِ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ أَبُو حَزْبٍ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقَعَةً أَتَتْ عَلَيْهِمُ قِتَالًا وَأَسْرًا، فَاطْمَأَنَّتِ البِلَادُ.

ثُمَّ إِنَّ جِبَالَ عُمَانَ اجْتَمَعَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الشَّرَاةِ، وَجَعَلُوا لَهُمْ أَمِيرًا اسْمُهُ وَرْدُ بْنُ زِيَادٍ، وَجَعَلُوا لَهُمْ خَلِيفَةً اسْمُهُ حَفْصُ بْنُ رَاشِدٍ، فَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ، فَسَيَّرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ المُطَهَّرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ فِي البَحْرِ أَيْضًا، فَبَلَغَ إِلَى نَوَاحِي حَرْفَانَ مِنْ أَعْمَالِ عُمَانَ، فَأَوْقَعَ بِأَهْلِهَا، وَأَتَّخَنَ فِيهِمْ، وَأَسَرَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى دَمَا وَهِيَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مِنْ صَحَارِ، فَقَاتَلَ مَنْ بِهَا، وَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقَعَةً عَظِيمَةً فِيهَا وَأَسَرَ كَثِيرًا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ، وَأَنْهَزَ أَمِيرَهُمْ وَرْدًا، وَإِمَامَهُمْ حَفْصًا، وَاتَّبَعَهُمُ المُطَهَّرُ إِلَى نَزْوَى وَهِيَ قَصَبَةُ

تلك الجبال، فأنهزموا منه، فسير إليهم العساكر، فأوقعوا بهم وقعة أثت على باقيهم، وقُتل وزد، وأنهزم حفص إلى اليمن، فصار معلماً، وسار المطهر إلى مكان يُعرف بالشرف به جمع كثير من العرب، نحو عشرة آلاف، فأوقع بهم، واستقامت البلاد، ودانت بالطاعة، ولم يبق فيها مخالفاً! وفي أحداث سنة أربع وستين وثلاثمائة يتحدث ابن الأثير عن اضطراب كرمان على عضد الدولة وعودها له:

في هذه السنة خالف أهل كرمان على عضد الدولة.

وسبب ذلك أن رجلاً من الجرومية، وهي البلاد، يقال له طاهر بن الصمّة، ضمن من عضد الدولة ضمانات، فاجتمع عليه أموال كثيرة، فطمع فيها، وكان عضد الدولة قد سار إلى العراق، وسير وزيره المطهر بن عبد الله إلى عمان ليستولي عليها، فخلت كرمان من العساكر، فجمع طاهر الرجال الجرومية وغيرهم، فاجتمع له خلق كثير.

واتفق أن بعض الأتراك السامانية، اسمه يوزنمر، كان قد استوحش من أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور، صاحب جيش خراسان للسامانية، فكاتبه طاهر، وأطمعه في أعمال كرمان، فسار إليه، واتفقا، وكان يوزنمر هو الأمير، فاتفق أن الرجال الجرومية شغبوا على يوزنمر، فظن أن طاهراً وضعهم، فاختلفاً واقتتلا، فظفر يوزنمر بطاهر وأسرهُ، وظفر بأصحابه.

وبلغ الخبر إلى الحسين بن أبي علي بن إلياس، وهو بخراسان، فطمع في البلاد، فجمع جمعاً وسار إليها، فاجتمع عليه بها جموع كثيرة. ثم إن المطهر بن عبد الله استولى على عمان وجبالها، وأوقع بالشرارة فيها وعاد، فوصله كتاب عضد الدولة من بغداد يأمره بالمسير إلى كرمان، فسار إليها مجداً، وأوقع في طريقه بأهل العيث والفساد، وقتلهم وصلبهم، (ومثل بهم، ووصل إلى يوزنمر على حين غفلة منه، فاقتتلوا بنواحي مدينة بَمَ، فأنهزم يوزنمر ودخل المدينة وحصره المطهر في حصن في وسط المدينة، فطلب الأمان فأمنه، فخرج إليه ومعهُ طاهر فأمر المطهر بطاهر فشهر، ثم ضرب عنقه.

وأما يوزنمر فإنه رفعه إلى القلاع، فكان آخر العهد، وسار المطهر إلى الحسين بن إلياس، فرأى كثرة من معه، فخاف جانبيهم، ولم يجد من اللقاء بدءاً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأنهزم الحسين

عَلَى بَابِ جِزْرِفَتْ، وَانْهَزَمَ عَسْكَرُهُ فَمَنْعَهُمْ سُورُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْهَرَبِ، فَكَثُرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ، وَأُخِذَ الْحُسَيْنُ أَسِيرًا، وَأُخْضِرَ عِنْدَ الْمُطَهَّرِ، فَلَمْ يُعْرِفْ لَهُ بَعْدُ حَبْرًا، وَصَلَحَتْ كَرَمَانُ لِعَضْدِ الدَّوْلَةِ.^١

وفي أحداث سنة أربع وسبعين وثلاثمائة يقول ابن الأثير:

وَفِيهَا خُطِبَ لِصَمَّامِ الدَّوْلَةِ بَعْمَانَ، وَكَانَتْ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ، وَنَائِبُهُ بِهَا أَسْتَاذُ هُرْمَزٍ، فَصَارَ مَعَ صَمَّامِ الدَّوْلَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَبْرُ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ جَيْشًا، فَأَنْهَزَمَ أَسْتَاذُ هُرْمَزٍ وَأُخِذَ أَسِيرًا، وَعَادَتْ عَمَانُ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ، وَحَسِبَ أَسْتَاذُ هُرْمَزٍ فِي بَعْضِ الْقِلَاعِ وَطَوْلِبَ بِمَالٍ كَثِيرًا.^٢

وفي أحداث سنة تسعين وثلاثمائة، يقول ابن الأثير:

قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَهُ إِلَى قِتَالِ ابْنِ بَخْتِيَارٍ، (وَقَتْلَهُ ابْنَ بَخْتِيَارٍ)، فَلَمَّا عَادَ أَكْرَمَهُ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَلَقِيَهُ بِنَفْسِهِ، فَاسْتَعْفَى الْمُوَفَّقُ مِنَ الْخِدْمَةِ، فَلَمْ يُعْفِهِ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ، فَأَلْحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَأَشَارَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ مُكْرَمٍ عَلَى الْمُوَفَّقِ بِتَرْكِ ذَلِكَ، فَلَمْ يَقْبَلْ، فَحَبِضَ عَلَيْهِ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ، وَكَتَبَ إِلَى وَزِيرِهِ سَائِبُورٍ بِبَعْدَادَ بِالْقَبْضِ عَلَى أَنْسَابِ الْمُوَفَّقِ، فَعَرَفَهُمْ ذَلِكَ سِرًّا، فَاحْتَالُوا لِنُفُوسِهِمْ وَهَرَبُوا، وَاسْتَعْمَلَ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ مُكْرَمٍ عَلَى عَمَانَ، ثُمَّ إِنَّ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ قَتَلَ الْمُوَفَّقَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.^٣

وفي أحداث سنة إحدى وأربعمائة يقول ابن الأثير:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا خَطَبَ قِرْوَاشُ بْنُ الْمُقَلَّدِ أَمِيرُ بَنِي عُقَيْلٍ لِلْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ (الْعَلَوِيِّ، صَاحِبِ مَضَرَ)، بِأَعْمَالِهِ كُلِّهَا، وَهِيَ: الْمُؤَصِّلُ، وَالْأَنْبَارُ، وَالْمَدَائِنُ، وَالْكُوفَةُ وَعَيْرُهَا، وَكَانَ ابْتِدَاءُ الْخُطْبَةِ بِالْمُؤَصِّلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَلَتْ بِنُورِهِ غَمْرَاتِ الْغَضَبِ. وَانْهَدَّتْ بِقُدْرَتِهِ أَرْكَانُ النَّصْبِ. وَاطَّلَعَ بِنُورِهِ شَمْسُ الْحَقِّ مِنَ الْغَرْبِ.

فَأَرْسَلَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، الْقَاضِي أبا بَكْرٍ بْنَ الْبُقَالَانِيِّ إِلَى بِهَاءِ الدَّوْلَةِ يُعْرِفُهُ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْعَلَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ انْتَقَلُوا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى بَعْدَادَ، فَأَكْرَمَ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ الْقَاضِي أبا بَكْرٍ، وَكَتَبَ إِلَى عَمِيدِ الْجِيُوشِ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى حَزْبِ قِرْوَاشٍ، وَأَطْلَقَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ يُنْفِقُهَا فِي

١ - المصدر السابق، ج٧، ص٣٣٢ - ٣٣٣.

٢ - المصدر السابق، ج٧، ص٤٠٦.

٣ - المصدر السابق، ج٧، ص٥١٧.

العسكر، وخالع على القاضي أبي بكر، وولاه قضاء عمان والسواحل. وسار عميد الجيوش إلى حرب قرواش فأرسل يعتذر، وقطع خطبة العلويين وأعاد خطبة القادر بالله^١.

وفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، يقول ابن الأثير:

فيها توفي أبو القاسم علي بن الحسين بن مكرم صاحب عمان، وكان جواداً، ممدحاً، وقام ابنه مقامه^٢.

وفي أحداث سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، يقول ابن الأثير:

في هذه السنة سير الملك أبو كاليبج عساكره مع العادل أبي منصور بن مافنة إلى البصرة، فملكها في صفر، وكانت بيد الظهير أبي القاسم، وقد ذكرنا أنه وليها بعد بختيار، وأنه عصى على أبي كاليبج مرة، وصار في طاعة جلال الدولة، ثم فارق طاعته وعاد إلى طاعة الملك أبي كاليبج، وكان يترك محافته ومعارضته فيما يفعله، ويضمن الظهير أن يحمل إلى أبي كاليبج كل سنة سبعين ألف دينار، وكثرت أمواله ودامت أيامه وثبت قدمه وطار اسمه.

واتفق أنه تعرض إلى أملاك أبي الحسن بن أبي القاسم بن مكرم، صاحب عمان، وأمواله، وكاتب أبو الحسن الملك أبا كاليبج، وبذل له زيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة كل سنة، وجرى الحديث في قصد البصرة، فصادف قلباً موعراً من الظهير، فحصلت الإجابة، وجهر الملك العساكر مع العادل أبي منصور فسار إليها وحصرها.

وسارت العساكر من عمان أيضاً في البحر وحصرت البصرة ومليكت، وأخذ الظهير وقبض عليه، وأخذ جميع ماله، وقدر عليه مائة ألف وعشرة آلاف دينار يحملها في أحد عشر يوماً، بعد تسعين ألف دينار أخذت منه قبلها، ووصل الملك أبو كاليبج إلى البصرة، فأقام بها ثم عاد إلى الأهواز، وجعل ولده عز الملوك فيها، ومعه الوزير أبو الفرج بن فسانجس، ولما سار أبو كاليبج عن البصرة أخذ معه الظهير إلى الأهواز^٣.

ويستأنف ابن الأثير حديثه حول ما جرى بعمان بعد موت أبي القاسم بن مكرم:

لما توفي أبو القاسم بن مكرم خلف أربعة بنين: أبو الجيش، والمهدب، وأبو محمّد، وآخر صغير، فولي بعده ابنه أبو الجيش، وأقر علي بن هطال المنوجاني، صاحب جيش أبيه، على

١ - المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٧٢.

٢ - المصدر السابق، ج ٧، ص ٧٨٢.

٣ - المصدر السابق، ج ٧، ص ٧٩٣ - ٧٩٤.

قَاعِدَتِهِ، وَأَكْرَمَهُ وَبَالَغَ فِي اخْتِرَامِهِ، فَكَانَ إِذَا جَاءَ إِلَيْهِ قَامَ لَهُ، فَأَنْكَرَ هَذِهِ الْحَالَ عَلَيْهِ أَخُوهُ الْمُهَذَّبُ، فَطَعَنَ عَلَى ابْنِ هَطَّالٍ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَأَضْمَرَ لَهُ سُوءًا، وَاسْتَأْذَنَ أَبَا الْجَيْشِ فِي أَنْ يَخْضِرَ أَخَاهُ الْمُهَذَّبَ لِدَعْوَةِ عَمَلِهَا لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَلَمَّا حَضَرَ الْمُهَذَّبُ عِنْدَهُ خَدَمَهُ وَبَالَغَ فِي خِدْمَتِهِ، فَلَمَّا أَكَلَ وَشَرِبَ وَانْتَشَى وَعَمِلَ السُّكْرُ فِيهِ قَالَ لَهُ ابْنُ هَطَّالٍ: إِنَّ أَخَاكَ أَبَا الْجَيْشِ فِيهِ ضَعْفٌ وَعَجْزٌ عَنِ الْأَمْرِ، وَالرَّأْيُ أَنَّنَا نَقُومُ مَعَكَ، وَتَصِيرُ أَنْتَ الْأَمِيرَ، وَخَدَعَهُ، فَمَالَ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَخَذَ ابْنُ هَطَّالٍ خَطَّهُ بِمَا فَوَّضَ إِلَيْهِ، وَبِمَا يُعْطِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ إِذَا عَمِلَ مَعَهُ هَذَا الْأَمْرَ. فَلَمَّا كَانَ الْعُدُ حَضَرَ ابْنُ هَطَّالٍ عِنْدَ أَبِي الْجَيْشِ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَخَاكَ كَانَ قَدْ أَفْسَدَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَيْكَ تَحَدَّثَ مَعِي، وَاسْتَمَأْنَيْ فَلَمْ أُؤَافِقْهُ، فَلِهَذَا كَانَ يَذْمُنِي، وَيَقْعُ فِيَّ، وَهَذَا خَطُّهُ بِمَا اسْتَقَرَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ. فَلَمَّا رَأَى خَطَّ أَخِيهِ بِأَمْرِهِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَاعْتَقَلَهُ، ثُمَّ وَصَّعَ عَلَيْهِ مِنْ خَنْقِهِ وَأَلْقَى جُثَّتَهُ إِلَى مُنْخَفِضٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ سَقَطَ فَمَاتَ.

ثُمَّ تُوَفِّي أَبُو الْجَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْسِيرٍ، وَأَرَادَ ابْنُ هَطَّالٍ أَنْ يَأْخُذَ أَخَاهُ أَبَا مُحَمَّدٍ فَيُؤَلِّيَهُ عُمَانَ ثُمَّ يَقْتُلَهُ، فَلَمْ تُخْرِجْهُ إِلَيْهِ وَالِدَتُهُ، وَقَالَتْ لَهُ: أَنْتَ تَتَوَلَّى الْأُمُورَ، هَذَا صَغِيرٌ لَا يَصْلُحُ لَهَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَأَسَاءَ السِّيْرَةَ، وَصَادَرَ الثُّجَارَ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ. وَبَلَغَ مَا كَانَ مِنْهُ مَعَ بَنِي مُكْرَمٍ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيَجَارَ، وَالْعَادِلِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ مَافِنَةَ، فَأَعْظَمَا الْأَمْرَ وَاسْتَكْبَرَاهُ، وَشَدَّ الْعَادِلُ فِي الْأَمْرِ، وَكَاتَبَ نَائِبًا كَانَ لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُكْرَمٍ بِجَبَالِ عُمَانَ يَقَالُ لَهُ الْمُزْتَضَى، وَأَمْرُهُ بِقَبْضِ ابْنِ هَطَّالٍ، وَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ مِنَ الْبَصْرَةِ لِتَسِيرِ إِلَى مُسَاعَدَةِ الْمُزْتَضَى، فَجَمَعَ الْمُزْتَضَى الْخَلْقَ، وَتَسَارَعُوا إِلَيْهِ، وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ ابْنِ هَطَّالٍ، وَضَعُفَ أَمْرُهُ، وَاسْتَوْلَى الْمُزْتَضَى عَلَى أَكْثَرِ الْبِلَادِ، ثُمَّ وَصَّعُوا خَادِمًا كَانَ لِابْنِ مُكْرَمٍ، وَقَدِ التَّحَقَّقَ بِابْنِ هَطَّالٍ عَلَى قَتْلِهِ، وَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ فَرَأَسَ كَانَ لَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ الْعَادِلُ بِقَتْلِهِ سَيَّرَ إِلَى عُمَانَ مَنْ أَخْرَجَ أَبَا مُحَمَّدٍ بَنَ مُكْرَمٍ، وَرَتَّبَهُ فِي الْإِمَارَةِ، وَكَانَ قَدْ اسْتَقَرَّ أَنَّ الْأَمْرَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ!

ومما رواه ابن الأثير عن عمان أيضا ذكره لأحداث سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة. يقول:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيَجَارٍ مِنْ فَارِسٍ عَشْكَرًا فِي الْبَحْرِ إِلَى عُمَانَ، وَكَانَ قَدْ عَصَى مِنْ بَهَا، فَوَصَلَ الْعَشْكَرُ إِلَى صَحَارِ مَدِينَةِ عُمَانَ فَمَلَكُوهَا، وَاسْتَعَادُوا الْخَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ، وَاسْتَقَرَّتْ الْأُمُورُ بِهَا، وَعَادَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى فَارِسٍ^١.

ويستأنف ابن الأثير حديثه عن تاريخ عمان في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة للهجرة:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى الْخَوَارِجُ الْمُقِيمُونَ بِجِبَالِ عُمَانَ عَلَى مَدِينَةِ تَلْكَ الْوَلَايَةِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهَا الْأَمِيرَ أَبَا الْمُظْفَرَ ابْنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيَجَارٍ كَانَ مُقِيمًا بِهَا، وَمَعَهُ خَادِمٌ لَهُ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى (الْأُمُورِ، وَحَكَمَ عَلَى) الْبِلَادِ، وَأَسَاءَ السِّيَرَةَ فِي أَهْلِهَا، فَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، فَتَفَرُّوا مِنْهُ وَأَبْعَضُوهُ. وَأَقَامَ ابْنُ رَاشِدٍ مُدَّةً يَجْمَعُ وَيَحْتَشِدُ، ثُمَّ سَارَ ثَانِيًا، وَقَاتَلَهُ الدَّيْلَمُ، فَأَعَانَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ لِسُوءِ سِيَرَةِ الدَّيْلَمِ فِيهِمْ، فَأَنْهَزَمَ الدَّيْلَمُ، وَمَلَكَ ابْنُ رَاشِدٍ الْبَلَدَ، وَقَتَلَ الْخَادِمَ وَكَثِيرًا مِنَ الدَّيْلَمِ، وَقَبِضَ عَلَى الْأَمِيرِ أَبِي الْمُظْفَرَ وَسَيَّرَهُ إِلَى جِبَالِهِ مُسْتَظْهِرًا عَلَيْهِ، وَسَجَنَ مَعَهُ كُلَّ مَنْ خَطَّ بِقَلَمٍ مِنَ الدَّيْلَمِ، وَأَصْحَابِ الْأَعْمَالِ، وَأَخْرَبَ دَارَ الْإِمَارَةِ وَقَالَ: هَذِهِ أَحَقُّ دَارٍ بِالْخِرَابِ! وَأُظْهِرَ الْعَدْلَ، وَأَسْقَطَ الْمَكُوسَ، وَاقْتَصَرَ عَلَى رَفْعِ عُسْرِ مَا يَرِدُ إِلَيْهِمْ، وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ، وَتَلَقَّبَ بِالرَّاشِدِ بِاللَّهِ، وَلَيْسَ الصُّوفَ، وَبَنَى مَوْضِعًا عَلَى شَكْلِ مَجْدٍ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ تَحَرَّكَ أَيْضًا أَيَّامَ أَبِي الْقَاسِمِ (بْنِ مُكْرَمٍ)، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ مَنْ مَنَعَهُ وَحَصَرَهُ وَأَزَالَ طَمَعَهُ.

وَعَرَفَ إِنْسَانٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ رَاشِدٍ الْحَالَ، فَجَمَعَ مِنْ عِنْدِهِ مِنْهُمْ، فَقَصَدَ الْمَدِينَةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَبُو الْمُظْفَرَ فِي عَسَاكِرِهِ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا، فَأَنْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ، وَعَادُوا إِلَى مَوْضِعِهِمْ^٢.

وفي أحداث سنة إحدى عشرة وستمائة، يقول ابن الأثير:

هَذِهِ الْحَادِثَةُ لَا أَعْلَمُ الْحَقِيقَةَ أَيَّ سَنَةٍ كَانَتْ، إِنَّمَا هِيَ إِمَّا هَذِهِ السَّنَةُ، أَوْ قَبْلَهَا بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ، لِأَنَّ الَّذِي أَخْبَرَ بِهَا كَانَ مِنْ أَجْنَادِ الْمُوصِلِ، وَسَافَرَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ وَأَقَامَ بِهَا عِدَّةَ سِنِينَ، وَسَارَ مَعَ الْأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ، الَّذِي فَتَحَ كَرْمَانَ، ثُمَّ عَادَ فَأَخْبَرَنِي بِهَا عَلَى شَكِّ مِنْ وَقْتِهَا،

١ - المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٠.

٢ - المصدر السابق، ج ٨، ص ٨٥ - ٨٦.

وَقَدْ حَضَرَهَا فَقَالَ: خُوَارِزْمُ شَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ تُكَّشَ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ أُمَرَاءِ أَبِيهِ أَمِيرِ اسْمُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَلَقَبُهُ تَاجُ الدِّينِ.

وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ جَمَالًا يَكْرِي الْجَمَالَ فِي الْأَسْفَارِ، ثُمَّ جَاءَتْهُ السَّعَادَةُ، فَاتَّصَلَ بِخُوَارِزْمِ شَاهٍ، وَصَارَ سِيرَوَانَ جَمَالِهِ، فَرَأَى مِنْهُ جَلْدًا وَأَمَانَةً، فَقَدَّمَهُ إِلَى أَنْ صَارَ مِنْ أَعْيَانِ أُمَرَاءِ عَسْكَرِهِ، فَوَلَّاهُ مَدِينَةَ زُورَنَ، وَكَانَ عَاقِلًا ذَا رَأْيٍ، وَحَزْمٍ، وَشَجَاعَةٍ، فَتَقَدَّمَ عِنْدَ خُوَارِزْمِ شَاهٍ تَقَدُّمًا كَثِيرًا، فَوَثِقَ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ أُمَرَاءِ دَوْلَتِهِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِيُخَوَّارِزْمِ شَاهٍ: إِنَّ بِلَادَ كَرْمَانَ مُجَاوِرَةٌ لِيَلَدِي، فَلَوْ أَضَافَ السُّلْطَانُ إِلَيَّ عَسْكَرًا لِمَلَكْتُهَا فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ. فَسَيَّرَ مَعَهُ عَسْكَرًا كَثِيرًا فَمَضَى إِلَى كَرْمَانَ، وَصَاحِبُهَا اسْمُهُ حَزْبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ الَّذِي كَانَ صَاحِبُ سِجِسْتَانَ أَيَّامَ السُّلْطَانِ سَنْجَرٍ، فَقَاتَلَهُ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ قُوَّةٌ، وَضَعُفٌ، فَمَلَكَ أَبُو بَكْرٍ بِلَادَهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى نَوَاحِي مَكْرَانَ فَمَلَكَهَا كُلَّهَا، إِلَى السَّنْدِ، مِنْ حُدُودِ كَابُلَ، وَسَارَ إِلَى هُزْمَزَ، مَدِينَةً عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ مَكْرَانَ، فَأَطَاعَهُ صَاحِبُهَا، وَاسْمُهُ مَلْنَكٌ، وَخَطَبَ بِهَا لِيُخَوَّارِزْمِ شَاهٍ، وَحَمَلَ عَنْهَا مَالًا، وَخَطَبَ لَهُ بِقُلُهَاتٍ، وَبَعْضِ عُمَانَ، لِأَنَّ أَصْحَابَهَا كَانُوا يُطِيعُونَ صَاحِبَ هُزْمَزَ. وَسَبَبُ طَاعَتِهِمْ لَهُ، مَعَ بُعْدِ الشُّقَّةِ، وَالْبَحْرِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمْ، أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ لِيَأْمَنَ أَصْحَابُ الْمَرَاجِبِ الَّتِي تَسِيرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَهُ، فَإِنَّ هُزْمَزَ مَرْسَى عَظِيمٌ، وَمَجْمَعٌ لِلتُّجَّارِ مِنْ أَقَاصِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالْيَمَنِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَكَانَ بَيْنَ صَاحِبِ هُزْمَزَ وَبَيْنَ صَاحِبِ كَيْشِ حُزُوبٍ وَمُغَاوَرَاتٍ، وَكُلُّ مِنْهُمَا يَنْهَى أَصْحَابَ الْمَرَاجِبِ أَنْ تُرْسِيَ بِبَلَدِ خُصْمِهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ إِلَى الْآنِ.

وَكَانَ خُوَارِزْمِ شَاهٍ يَصِيفُ بِنَوَاحِي سَمَرْقَنْدَ؛ لِأَجْلِ التَّتَرِّ أَصْحَابِ كَشْلِي خَانُ، لِئَلَّا يَقْصِدَ بِلَادَهُ، وَكَانَ سَرِيعَ السَّيْرِ، إِذَا قَصَدَ جِهَةً سَبَقَ خَبْرَهُ إِلَيْهَا.

شرح نهج البلاغة

لابن أبي حديد

مما جاء في شرح نهج البلاغة وفيه ذكر لعمان حديث ابن أبي حديد عن مقتل عمرو بن يثري في موقعة الجمل:

إن عمراً لما قتل من قتل، وأراد أن يخرج لطلب البراز، قال للأزد: يا معشر الأزد، إنكم قوم لكم حياءٌ وبأس، وإنني قد وترتُ القوم، وهم قاتلي، وهذه أمكم نصرها دين، وخذلائها عقوق، ولستُ أخشى أن أقتل حتى أصرع، فإن صرعتُ فاستنقدوني. فقالت له الأزد: ما في هذا الجمع أحد نخافه عليك إلا الأشر، قال: فياه أخاف، قال أبو مخنف: فقيضه الله له، وقد أعلمنا جميعاً، فارتجز الأشر:

إني إذا ما الحرب أبدت نابها

وأغلقت يوم الوغى أبوابها

ومزقت من حنق أثوابها

كنا قدامها ولا أذنبها

ليس العدو دوننا أصحابها

من هابها اليوم فلن أهابها

لا طعنها أخشى ولا ضرابها

ثم حمل عليه فطعنه فصرعه، وحامت عنه الأزد فاستنقدوه، فوثب وهو وقيدٌ ثقيل، فلم يستطع أن يدفع عن نفسه، واستعرضه عبد الرحمن بن طود البكري، فطعنه فصرعه ثانية، ووثب عليه رجل من سدوس، فأخذه مسحوباً برجله حتى أتى به علياً عليه السلام، فناشده الله وقال: يا أمير المؤمنين، اعف عني، فإن العرب لم تزل قائلةً عنك: إنك لم تجهز على جريح قط.

فأطلقه، وقال: اذهب حيث شئت، فجاء إلى أصحابه وهو لما به، حضره الموت، فقالوا له: دمك عند أي الناس؟ فقال: أما الأشتري فلقيني وأنا كالمهر الأرن، فعلا حُدّه حدي، ولقيت رجلاً يبتغي له عشرة أمثالي، وأما البكري فلقيني، وأنا لما بي، وكان يبتغي لي عشرة أمثاله، وتولى أسري أضعف القوم، وصاحبي الأشتري.

قال أبو مخنف: فلما انكشفت الحرب، شكرت ابنة عمرو بن يثربي الأزدي، وعابت قومها، فقالت:

يا ضبُّ إنلِّك قد فُجِعْتِ بفارسٍ
 حامي الحقيقة قاتلِ الأقرانِ
 عمرو بن يثربي الذي فُجِعْث به
 كلُّ القبائل من بني عدنان
 لم يحمه وسط العجاجة قومه
 وحنّت عليه الأزدي، أزد عُمان
 فلهم عليّ بذلك حادث نعمةٍ
 ولحِبِّهم أحببتُ كل يمان
 لو كان يدفع عن منية هالكٍ
 طولُ الأكفِ بذابل المران
 أو معشر وصلوا الخطا بسيوفهم
 وسط العجاجة والحتوفُ دوان
 ما نيل عمرو والحوادث جمّة
 حتى يُنالِ النجمُ والقمران
 لو غير الاشتر ناله لندبتُه
 وبكيُّته ما دام هضب أبان

لكنه من لا يُعاب بقتله

أسد الأسود وفارس الفرسان^١.

ومما ورد فيه ذكر عمان حديث ابن أبي حديد عن إرسال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية في الشام بكتاب ينبؤه فيه بأنه لا يرضى به أميراً، وأن العامة لا ترضى به خليفة. يقول:

فانطلق جرير حتى أتى الشام، ونزل معاوية، فلما دخل عليه حمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد يا معاوية، فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين، وأهل مصرين، وأهل الحجاز، وأهل اليمن، وأهل مصر، وأهل العرُوض - والعرُوض عُمان - وأهل البحرين واليمامة؛ فلم يبق إلا هذه الحصون التي أنت فيها، لو سال عليها سيل من أوديته غرقها، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل. ودفع إليه كتاب علي عليه السلام^٢.

ومما رواه ابن أبي حديد وفيه ذكر لعمان، حديثه عن جدال صار في مقام علي كرم الله وجهه يوم الجمل بين شُبث بن ربعي التميمي ومخنف بن سليم الأزدي. يقول:

وروى أبو الكنود أن شُبث بن ربعي قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، ابعث إلى هذا الحي من تميم، فادعهم إلى طاعتك، ولزوم بيعتك، ولا تسلط عليهم أزد عمان البعداء البغضاء؛ فإن واحداً من قومك خير لك من عشرة من غيرهم.

فقال له مخنف بن سليم الأزدي: إن البعيد البغيض، من عصى الله وخالف أمير المؤمنين، وهم قومك، وإن الحبيب القريب من أطاع الله ونصر أمير المؤمنين، وهم قومي، واحدهم خير لأمر المؤمنين من عشرة من قومك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مه! تناهوا أيها الناس، وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباغي والتهاذي، ولتجتمع كلمتكم، والزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الإخلاص التي هي قوام الدين، وحجة الله على الكافرين؛ واذكروا إذا كنتم قليلاً مشركين متباغضين متفرقين، فألف بينكم بالإسلام فكثرتهم، واجتمعتهم وتحاببتهم. فلا تفرقوا بعد إذ اجتمعتم، ولا تتباغضوا بعد

١ - عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد إبراهيم (بغداد: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧)، ج ١، ص ١٦٥ - ١٦٦.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٥١.

إذ تحاببتهم؛ وإذا رأيتم الناس بينهم النائرة وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل؛ فاقصدوا لهمهم ووجوههم بالسيف حتى يفزعوا إلى الله، وإلى كتابه وسنة نبيه، فأما تلك الحمية من خطرات الشياطين فانتهوا عنها، لا أبا لكم تفلحوا وتنجحوا!

ويذكر ابن أبي حديد عمان أيضا في حرب المهلب ابن أبي صفرة للخوارج:

ومضى المهلب في عشرة فأشرف على عسكر الخوارج، فلم ير منهم أحداً يتحرك، فقال له الحريش: ارتحل عن هذا المنزل، فارتحل، فعبّر دجياً وصار إلى عاقول لا يؤتى إلا من جهة واحدة، فأقام به، وأقام الناس ثلاثاً مستريحين، وفي يوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات:

ألا طرقتُ من آل مية طارقه

على أنها معشوقة الدل عاشقه

تراءت وأرض السوس بيني وبينها

ورستاق سولاف حمته الأزرقه

إذا نحن شئنا صادفتنا عصابة

حرورية فيها من الموت بارقه

أجازت علينا العسكرين كليهما

فباتت لنا دون اللحاف معانقه

فأقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل، والخوارج بسلي وسليبي فنزل قريباً منهم، فقال ابن الماحوز لأصحابه: ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتوهم بالأمس، وكسرت حدهم! فقال له واقد مولى أبي صفرة: يا أمير المؤمنين إنما تفرق عنهم أهل الضعف والجبين، وبقي أهل النجدة والقوة، فإن أصبتهم لم يكن ظفراً هيناً، لأنني أراهم لا يصابون حتى يصيبوا، وإن غلبوا ذهب الدين. فقال أصحابه: نافق واقد، فقال ابن الماحوز: لا تعجلوا على أخيكم، فإنه إنما قال هذا نظراً لكم.

ثم وجه الزبير بن علي إلى عسكر المهلب لينظر ما حالهم، فأتاهم في مائتين فحزهم ورجع. وأمر المهلب أصحابه بالتحارس، حتى إذا أصبح ركب إليهم في تعبئة، فالتقوا بسلي وسلبي، فتصافوا، فخرج من الخوارج مائة فارس، فركزوا رماحهم بين الصفين، واتكأوا عليها، وأخرج إليهم المهلب أعدادهم، ففعلوا مثل ما فعلوا، لا يراعون إلا الصلاة، حتى إذا أمسوا رجع كل قوم إلى معسكرهم، ففعلوا هكذا ثلاثة أيام.

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث، فحمل عليهم هؤلاء الفرسان، فجالوا ساعة، ثم إن رجلاً من الخوارج حمل على رجل قطعنه، فحمل عليه المهلب قطعنه، فحمل الخوارج بأجمعهم، كما صنعوا يوم سولاف فضعضعوا الناس، وفقد المهلب وثبت المغيرة في جمع أكثرهم أهل عُمان!

ومما رواه ابن أبي حديد وفيه ذكر لعمان مراسلة كانت بين الحجاج والمهلب ابن

أبي صفرة:

ثم كتب الحجاج إلى المهلب يستحثه: أما بعد، فإنه قد بلغني أنك قد أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي. وعباد بن الحصين الحبطي، واخترتك وأنا من أهل عمان، ثم رجل من الأزد، فآلهم يوم كذا في مكان كذا، وإلا أشرعت إليك صدر الرمح، فشاور بنيه، فقالوا: أيها الأمير، لا تغلظ عليه في الجواب.

فكتب إليه: ورد إلي كتابك، تزعم أنني أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، ومن عجز عن جباية الخراج، فهو عن قتال العدو أعجز. وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم وعباد بن الحصين، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك لفضلهما وغنائهما وبطشهما. وزعمت أنك اخترتني وأنا رجل من الأزد، وعمري إن شراً من الأزد لقبيلة تنازعتها ثلاث قبائل، لم تستقر في واحدة منهن. وزعمت أنني إن لم آلقهم يوم كذا في مكان كذا أشرعت إلي صدر الرمح، لو فعلت لقلبت لك ظهر المجن. والسلام.^٢

١ - المصدر السابق، ج٤، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

٢ - المصدر السابق، ج٤، ص ٣٣٩.

ومما رواه ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة وفيه ذكر لعمان حديث عن حرب المهلب بن أبي صفرة للخوارج، وكان في جيشه أزد عمان؛

قال: ومطرت السماء مطراً شديداً وهم بسابور، وبين المهلب وبين الشراة عقبة، فقال المهلب: من يكفيننا أمر هذه العقبة الليلة؟ فلم يبق أحد، فلبس المهلب سلاحه، وقام إلى العقبة واتبعه ابنه المغيرة، فقال رجل من أصحابه: دعانا الأمير إلى ضبط العقبة، والحظ في ذلك لنا، فلم نطعه، ولبس سلاحه واتبعه جماعة من العسكر، فصاروا إليه، فإذا المهلب والمغيرة ولا ثالث لهما، فقالوا: انصرف أيها الأمير، فنحن نكفيك إن شاء الله، فلما أصبحوا إذا هم بالشراة على العقبة، فخرج إليهم غلام من أهل عمان على فرس، فجعل يحمل وفرسه تزلق، ويلقاه مدرك في جماعة معه، حتى ردوهم عن العقبة. فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس، إذ الشراة قد أكبوا، فقال المهلب: سبحان الله! أفي مثل هذا اليوم! يا مغيرة اكفينهم؛ فخرج إليهم المغيرة، وأمامه سعد بن نجد القردوسي وكان سعد مقدماً في شجاعته، وكان الحجاج إذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبتة قال له: لو كنت سعد بن نجد القردوسي ما عدا! فخرج أمام المغيرة، ومع المغيرة جماعة من فرسان المهلب، فالتقوا، وأمام الخوارج غلام جامع السلاح، مديد القامة، كرية الوجه، شديد الحملة، صحيح الفروسية، فأقبل يحمل على الناس، ويرتجز فيقول:

نحن صَبَحْنَاكم غداة التَّحْرِ

بالخيل أمثال الوشيح تجري

فخرج إليه سعد بن نجد القردوسي، من الأزد، فتجاولا ساعة ثم طعنه سعد فقتله.^١

ومما رواه ابن أبي حديد وفيه ذكر لعمان حديثه عن وصية أبي بكر الصديق رضي الله

عنه لعكرمة بن أبي جهل وهو يوجهه إلى عمان؛

وأوصى أبو بكر أيضاً عكرمة بن أبي جهل حين وجهه إلى عمان فقال: سر على اسم الله، ولا تنزلن على مستأمن، وقدم النذير بين يديك، ومهما قلت: إني فاعل فافعله، ولا تجعلن قولك لغواً في عقوبة ولا عفو، فلا تُرجى إذا أمنت، ولا تُخاف إذا خوُفت. وانظر متى تقول ومتى تفعل، وما تقول وما تفعل، ولا تتوعدن في معصية بأكثر من عقوبتها، فإنك إن فعلت أئمت، وإن تركت كذبت، واتق الله، وإذا لقيت فاصبر.^٢

١ - المصدر السابق، ج٤، ص٣٤٢.

٢ - المصدر السابق، ج٥، ص٦١.

ومما ورد فيه ذكر عمان حديث ابن أبي حديد عن سبي بني أمية لنساء الخوارج أثناء حربهم لهم . يقول منتقدا إياهم :

وقال الحسن البصري: واعجبًا من أخيفش أعيمش! (و يقصد الحجاج بن يوسف الثقفي) جاءنا ففتنا عن ديننا، وصعد على منبرنا، فيخطب والناس يلتفتون إلى الشمس فيقول: ما بالكم تلتفتون إلى الشمس! إنا والله ما نصلي للشمس!، إنما نصلي لرب الشمس! أفلا تقولون: يا عدو الله، إن لله حقًا بالليل لا يقبله بالنهار، وحقًا بالنهار لا يقبله بالليل، ثم يقول الحسن: وكيف يقولون ذلك وعلى رأس كل واحد منهم علع قائم بالسيف! قال: وكانوا يسبون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم، لما قُتِل قريب وزحاف الخارجي، سبي زياد ذراريهما، فأعطى شقيق بن ثور السدوسي إحدى بناتهما، وأعطى عباد بن حصين الأخرى. وسبيت بنتٌ لعبيدة بن هلال اليشكري، وبنتٌ لقطري بن الفُجاءة المازني، فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك، واسمها أم سلمة، فوطئها بملك اليمين على رأيهم، فولدت له المؤمل، ومحمدًا، وإبراهيم، وأحمد، وحصينًا، بني عباس بن الوليد بن عبد الملك. وسُبي واصل بن عمرو القنا واسترق، وسُبي سعيد الصغير الحروري واسترق، وأمُّ يزيد بن عُمر بن هبيرة، وكانت من سبي عُمان الذين سباهم مُجاعة، وكانت بنو أمية تبيع الرجل في الدَّين يلزمه وترى أنه يصير بذلك رقيقًا!

وفي موضع آخر يروي ابن أبي حديد عن وفود العمانيين من هرمز إلى بغداد في عهد المستنصر بالله:

وكنت كاتبًا بديوان الخلافة، والوزير حينئذ نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد رحمه الله، فوصل إلى حضرة الديوان في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة محمد بن محمد أمير البحرين على البر، ثم وصل بعده الهرمزي صاحب هرمز في دجلة بالمراكب البحرية - وهرمز هذه فُرْضة في البحر نحو عُمان - وامتلأت بغداد من عرب محمد بن محمد وأصحاب الهرمزي - وكانت تلك الأيام أيامًا غزاءً زاهرة لما أفاض المستنصر على الناس من عطاياه، والوفود تزدهم من أقطار الأرض على أبواب ديوانه - فكتبت يوم دخول الهرمزي إلى الوزير أبياتًا سنحت على البديهة، وأنا متشاغل بما كنت فيه من مهام الخدمة، وكان رحمه الله لا يزال يذكرها وينشدها ويستحسنها:

يا أحمد بن محمد أنت الذي
 علقت يدها بأنفس الأعلام
 ما أملت بغدادُ قبلك أن ترى
 أبداً ملوك البحر في الأسواق
 ولهاوا عليها غيرةً وتنافسوا
 شغفاً بها كتنافس العشاق
 وغدت صلاتك في رقاب سراتهم
 ونداك كالأطواق في الأعناق
 بسديد رأيك أضحيت جمحاتهم
 وتآلفوا من بعد طول شقاق
 لله همة ماجد لم تعلق
 بسحيل آراء ولا أحداق
 جلب السلاهب من أراك وبعدها
 جلب المراكب من جزيرة واق
 هذا العدا هو العدا فعدي عن
 قول ابن حجر في لأى وعناق
 وأظنه والظن علم أنه
 سيجئنا بممالك الأفاق
 إما أسير صنيعة في جیده
 بالجود غل أو أسير وثاق
 لا زال في ظل الخليفة ماله
 فان وسؤدده المعظم باق^١.

١ - المصدر السابق، ج١٦، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

ومما رواه ابن أبي حديد، وفيه ذكر لعمان، حديثه عن امتناع بعض قبائل العرب عن دفع الزكاة في عهد أبي بكر:

وروى أبو جعفر قال: لما قدمت العرب المدينة على أبي بكر فكلموه في إسقاط الزكاة، نزلوا على وجوه الناس بالمدينة فلم يبق أحد إلا وأنزل عليه ناسًا منهم، إلا العباس بن عبد المطلب، ثم اجتمع إلى أبي بكر المسلمون، فخوفوه بأس العرب واجتماعها. قال ضرار بن الأزور: فما رأيت أحدًا، ليس رسول الله، أملاً بحرب شعواء من أبي بكر فجعلنا نخوفه ونروعه، وكأنما إنما نخبره بما له لا ما عليه، واجتمعت كلمة المسلمين على إجابة العرب إلى ما طلبت، وأبى أبو بكر أن يفعل إلا ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يأخذ إلا ما كان يأخذ، ثم أجلهم يومًا وليلة، ثم أمرهم بالانصراف، وطاروا إلى عشائرتهم. وروى أبو جعفر، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص إلى عمان قبل موته، فمات وهو بعمان، فأقبل قافلًا إلى المدينة، فوجد العرب قد منعت الزكاة، فنزل في بني عامر على قرة بن هبيبة، وقره يقدم رجلًا ويؤخر أخرى، وعلى ذلك بنو عامر كلهم إلا الخواص. ثم قدم المدينة، فأطافت به قريش، فأخبرهم أن العساكر معسكرة حولهم، فتفرق المسلمون، وتحلقوا حلقًا، وأقبل عمر بن الخطاب، فمر بحلقة وهم يتحدثون فيما سمعوا من عمرو، وفي تلك الحلقة علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد، فلما دنا عمر منهم سكتوا، فقال: في أي شيء أنتم، فلم يخبروه، فقال: ما أعلمني بالذي خلوتم عليه، فغضب طلحة وقال: الله يا بن الخطاب، إنك لتعلم الغيب، فقال: لا يعلم الغيب إلا الله، ولكن أظن قلتم: ما أخوفنا على قريش من العرب وأخفقهم ألا يقرؤا بهذا الأمر. قالوا: صدقت، فقال: فلا تخافوا هذه المنزلة، أنا والله منكم على العرب أخوف مني عليكم من العرب.

قال أبو جعفر: وحدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: نزل عمرو بن العاص بمنصرفه من عمان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقره ابن هبيبة بن سلمة بن يسير، وحوله عساكر من أفنائهم، فذبح له، وأكرم منزلته، فلما أراد الرحلة خلا به وقال: يا هذا، إن العرب لا تطيب لكم أنفسًا بالإتاوة، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع وتطيع، وإن أبيتم فإنها تجتمع عليكم، فقال عمرو: أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بها؟ موعدنا حفش أمك، أما والله لأوطئنه عليك الخيل، وقدم على أبي بكر والمسلمين فأخبرهم!

آثار البلاد وأخبار العباد لأبي عبد الله القزويني

نجد في كتاب القزويني هذا وصفا لعُمان، يقول فيه:

كُوْرَةٌ على ساحل بحر اليمن في شرقي هجر، تشتمل على مدن كثيرة، سميت بعُمان بن بغان بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، والبحر الذي يليه منسوب إليه يقال بحر عُمان. روى ابن عمر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إني لأعلم أرضًا من أرض العرب يقال لها عُمان على شاطئ البحر، الحجة منها أفضل أو خير من حجتين من غيرها. وعن الحسن البصري هو المراد من قوله تعالى: "يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ"، يعني من عُمان، وعن النبي، صلى الله عليه وسلم: من تعذر عليه الرزق فعليه بعُمان. وأما حرها فمما يضرب به المثل.

بها اجتماع الخوارج الإباضية في زماننا هذا، وليس بها من غير هذا المذهب إلا غريب، وهم أتباع عبد الله بن إباض الذي ظهر في زمن مروان ابن محمد، آخر بني أمية، وقد قتل وكفي شره.

وحكى ابن الأثير في تاريخه: إنه في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة خرج بعُمان طائر من البحر أكبر من فيل، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عال ولسان فصيح: قد قرب! قد قرب! قد قرب! ثم غاص في البحر، فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ولم ير بعد ذلك.^١

ويذكر القزويني أيضا موضعا في عمان اسمه القعاع، يصفه على النحو الآتي:

بَرِّيَّةٌ بين عُمانَ وحضرموتَ، من العجائبِ أنّ التاجرَ يَمُرُّ بها إلى عُمانَ بسلعته ليبيعها، فيسمع في تلك البرِّيَّة: فلان بن فلان معه سلعةٌ تساوي كذا دينارا أو درهما! فيدخل عُمانَ لم يَزِدْ على ذلك شيء أصلا، والله الموفق.^٢

١ - زكريا بن محمد بن محمود القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد. دون تحقيق (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨)، ص ٥٦ - ٥٧.

٢ - المصدر السابق، ص ٥٨.

وقد ورد ذكر عمان في كتاب القزويني حين عرّف بلاد الشجر من جنوب عمان؛

ناحية بين عدن وعمان على ساحل البحر. ينسب إليها العنبر الشّحري لأنه يوجد في سواحلها. وبها غياض كثيرة يوجد بها النسناس.

حكى بعض العرب قال: قدمت الشّحر فنزلت عند بعض رؤسائها وسألت عن النسناس فقال: إنا لنصيده ونأكله، وهو دابة كنصف بدن الإنسان له يد واحدة ورجل واحدة، وكذلك جميع الأعضاء، فقلت: أنا أحب أن أراه، فقال لغلمانه: صيدوا لنا شيئاً منه. فلما كان من الغد جاءوا بشيء له وجه كوجه الإنسان إلا أنه نصف الوجه، وله يد واحدة في صدره، وكذلك رجل واحدة، فلما نظر إلي قال: أنا بالله وبك. فقلت لهم: خلوا عنه. فقالوا: لا تغتر بكلامه فإنه مأكلنا، فلم أزل بهم حتى أطلقوه فمر مسرعاً كالريح.

فلما جاء الرجل الذي كنت عنده قال لغلمانه: أما قلت لكم صيدوا لنا شيئاً؟ فقالوا: فعلنا لكن ضيفك خلى عنه. فضحك وقال: خدعك والله! ثم أمرهم بالغدو إلى الصيد، فغدوا بالكلاب وكنت معهم فصرنا إلى غيضة في آخر الليل، فإذا واحد يقول: يا أبا مجمر إن الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقيض قد حضر فعليك بالوزر. فقال الآخر: كلي ولا تراعي، فأرسلوا الكلاب عليهم، فرأيت أبا مجمر وقد اعتوره كلبان وهو يقول:

الويل لي ممّابه دهاني

دهري من الهموم والأحزان

قفا قليلاً أيّها الكلبان

واسمعا قولِي وصدّقاني

إنكما حين تحاربانِي

ألفيتماني خضلاً عناني

لوبي شبابي ما ملكتماني

حتى تموتا أو تركتماني

فالتقياه وأخذاه، فلما حضر الرجل على عادته أتوا بأبي مجمر مشويًا وذكر خبر النسناس في وبار أبسط من هذا!

ويرد اسم عمان أيضا في هذا الكتاب حين يصف القزويني جزيرة تسمى الجساسة:

في بحر القلزم، قالوا: ان الدجال محبوس في هذه الجزيرة. والجساسة دابة تجس الأخبار وتأتي بها الدجال. روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس أنها قالت: خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقت الظهيرة وخطبنا وقال: إني لا أجمعكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن بحديث حدثنيه تميم الداري، فمنعني سروره القائلة. حدثني أن نفراً من قومه أقبلوا في البحر فأصابتهم ريح عاصف ألجأتهم إلى جزيرة، فإذا هم بدابة قالوا لها: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة! قالوا: أخبرينا الخبر. قالت: إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير، فإن فيه رجلاً بالأسواق إليكم. قال: أتيناها فقال: أنى تبعتم؟ فأخبرناه فقال: ما فعلت بحيرة طبرية؟ قلنا: تدفق بين أجوافها. قال: ما فعلت نخل عمان؟ قلنا: يجتنيها أهلها! قال: ما فعلت عين زغر؟ قلنا: يشرب منها أهلها. فقال: لو يبست أنفذت من وثاقي فوطئت بقدمي كل منهل إلا مكة والمدينة!

كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي

**يرد ذكر عمان في هذا الكتاب ضمن فصل خصصه ابن سعيد للمعمور من الأرض خلف
خط الاستواء إلى الجنوب:**

الجزء الخامس: أول ما يلقاك منه في غربيه نجران، وهي في آخر جبال اليمن قاعدة لولاتها حيث الطول خمس وسبعون درجة والعرض سبع عشرة درجة، وبالقرب منها مدينة يقال لها جرش ينسب إليها خلق كثير. وفي نجران أصحاب الأخدود المذكورون في القرآن العظيم. وفي شرقيها حيث الطول ست وسبعون درجة ونصف والعرض سبع عشرة درجة مدينة مأرب المشهورة في زمان التبابعة، وهي آخر جبال حضرموت. وبها كان السد المذكور في القرآن. وفي شرقي ذلك، القفار التي بين حضرموت واليمامة وعمان لا يقدر أحد على سلوكها للرمال السائلة والعطش. وتقع صحار وهي مدينة عمان في القديم، حيث الطول إحدى وثمانون درجة والعرض تسع عشرة درجة وست وخمسون دقيقة وبينها وبين الرمال السائلة جبل نزوى، وهو مستطيل من الجنوب إلى الشمال يسكنه الخوارج ومدينتهم فيه واسمها نزوى، وهي حيث الطول ثمان وسبعون درجة ونصف والعرض تسع عشرة درجة ونصف. وبين قلهاة قاعدة عمان المتقدمة الذكر في آخر عرض الإقليم الأول، وبين صحار المسقط، وهو محرس على جون عظيم من بحر فارس حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمسون دقيقة والعرض ثمان عشرة درجة وستون دقيقة، وبينه وبين صحار في البحر الدردور، حيث الجبال الثلاث التي يقال لها كسير وعوير وثالث ليس له فيه خير. والماء يدور هناك فإذا وقع عليه المركب كسره على تلك الجبال. وهي على فم بحر فارس من بحر الهند. وهذا الفم عريض يكون وسعه من صحار إلى ساحل الهند نحو مائتين وثمانين ميلاً. وتقع هجر قاعدة بلاد البحرين في القديم على ساحل هذا البحر في جون أعظم من جون المسقط حيث الطول ثمان وسبعون درجة وأربعون دقيقة

والعرض اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وبثمرها يضرب المثل في الكثرة. وقد خربها القرامطة وعمروا مدينة الإحساء، وفيما بينها وبين اليمامة مجالات بني عامر لم يبق معهم لأحد من العرب عز في بلاد اليمامة والبحرين. ومنهم الآن ملوك الصقعين، ولا يستغرق بحر فارس من بقية هذا الجزء إلا مقدار أرض المند، وهم إخوة السند والهند وشأنهم قطع الطرق وسفك الدماء. وبلادهم هذه بين بحر الهند وخليج السند الداخل من بحر فارس في الجزء السادس. وقدر فتحة الأرض بين البحرين من الجنوب إلى الشمال مائة وستون ميلاً، ولها مدينة اسمها المند على جون خليج السند، حيث الطول خمس وثلاثون درجة ونصف والعرض عشرون درجة وثلاثون دقيقة.

الجزء السادس: في ساحل البحر الهندي منه جزائر الديباجات. وقد تقدمت الكبرى منها وأشهرها على ساحل هذا الجزء من فرض الهند التي يقصدها التجار من عدن وغيرها مدينة القصي وهي منزح للمراكب يسهل عليها الحط فيها والإقلاع منها، وهي محسوبة في بلاد الجزرات وإليها ينسب اللك القصي وهو كثير في بلاد الجزرات، وهو صمغ شجر هنالك. وأهلها كفار ويعبدون الأوثان الأبداد ويسكن معهم مسلمون. وموضوعها حيث الطول مائة وسبع درجات والعرض سبع عشرة درجة وعشر دقائق. ويقع في هذا الجزء من مدن السند المذكورة في الكتب قنديل التي يتسوق بها المند. وهي بين آخر خليج السند وبحر الهند في البرية حيث الطول ثلاث وتسعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض على سمت صحار تسع عشرة درجة وست وخمسون دقيقة. وفي شرفها جبال الخيزران. وفي أودية هذه الجبال يكون الساج الذي يحمل إلى فارس والعراق في البحر والقنا الهندية التي تحمل إلى الأقطار. وفي شرفها مصب أنهار المولتان وهي كرسى ملك من ممالك السند على النهر الغربي منها، حيث الطول مائة درجة وأربع درجات والعرض مع خط الإقليم الثالث. ويقع في دخلة من البر في خليج السند مدينة الديبل المشهورة التي يجلب منها المتاع الديبل، وهي أكبر فرض السند المشهورة وأشهرها. وموضوعها حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة والعرض أربع وعشرون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة¹.

١ - علي بن موسى بن سعيد المغربي. الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي (بيروت: منشورات المكتب التجاري، ١٩٧٠)، ص ١١٧ - ١١٩.

المختصر في أخبار البشر

لأبي الفداء

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث أبو الفداء عن أمة عاد:

وهم من ولد عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، وكانت عاد في نهاية من عظم الأجساد والتجبر، ونزل عاد لما تبلبلت الألسن في حضرموت وأرسل الله إلى بني عاد هودًا نبيًا، حسبما تقدم ذكره في الفصل الأول، فلم يستجيبوا له، وكانوا أهل قوة وبطش وكان لهم في الأرض آثار عظيمة، حتى قال لهم هود "أتبنون بكل ربيع آية تعبتون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. وإذا بطشتم بطشتم جبارين" "الشعراء: ٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠" وبلاد عاد يقال لها الأحقاف، وهي بلاد متصلة باليمن، وبلاد عُمان، وصار الملك في بني عاد، وأول من ملك منهم شداد بن عاد، ثم ملك بعده من بنيه جماعة، وقد كثر الاختلاف في ذكرهم، وجميع ما ذكر من ذلك مضطرب غير قريب للصحة فأضربنا عنه^١.

ويرد أيضا حين يذكر أبو الفداء قبائل الأزد:

ومن الأزد أيضًا بنو الجلندی ملوك عُمان، والجلندی لقب لكل من ملك منهم عُمان، وكان ملك عُمان في أيام الإسلام قد انتهى إلى جيفر وعبد ابني الجلندی وأسلموا مع أهل عمان على يد عمرو بن العاص. انتهى الكلام في الأزد^٢.

ويخصص أبو الفداء في كتابه هذا بابا عنوانه "أخبار عمان"، يروي فيه بعضا من تاريخ

بني مكرم:

لما توفي أبو القاسم بن مكرم صاحب عُمان، ولي بعده ابنه أبو الجيش، وقد صاحب جيش أبيه علي بن هطال، وكان أبو الجيش يحترم ابن هطال، ويقوم له إذا حضر، وكان لأبي

١ - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي. المختصر في أخبار البشر، دون تحقيق (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، د.ت)، ج١، ص٩٧-٩٨.

٢ - المصدر السابق، ج١، ص١٠٢.

الجيش أخ يقال له المهذب، ينكر على أخيه أبي ابن الجيش قيامه لابن هطال، وإكرامه، فعمل ابن هطال دعوة للمهذب، فلما عمل السكر في المهذب، حدثه ابن هطال وقال له: إن قمت معك وملكتك وأخرجت أخاك أبا الجيش، ما تعطيني؟ فبذل المهذب له الإقطاعات الجليلة، والمبالغة في الإكرام، فطلب ابن هطال خطه بذلك، فكتبه المهذب، وأصبح ابن هطال، فاجتمع بأبي الجيش وعرفه أن أخاه المهذب يسعى في أخذ الملك منه، وقال: قد رغبتني وكتب خطه لي، وأخرج الخط، فأمر أبو الجيش بالقبض على أخيه المهذب، ثم قتله، وبعد ذلك بقليل مات أبو الجيش وله أخ صغير يقال له أبو محمد، فطلبه ابن هطال من أمه ليجعله في الملك، فلم تسلمه إليه. وقالت: ولدي غير ما يصلح، أفتصل أنت بالملك، فاستولى ابن هطال على عُمان، وأساء السيرة، وبلغ ذلك الملك أبا كاليبجار، فأعظمه وأرسل جيشاً إلى عُمان، وخرجت الناس عن طاعة علي بن هطال، فقتله خادم له وفراش واستقر الأمر لأبي محمد بن أبي القاسم بن مكرم في هذه السنة.

وفي هذه السنة توفي شبيب بن وثاب النميري صاحب الرقة، وسروج، وحران، وفيها توفي أبو نصر موسكان، كاتب إنشاء مسعود، وولده محمود بن سبكتكين، وكان من الكتاب المفلقين ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة. في هذه السنة توطد ملك طغريل بك وأخيه داود ابني ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق، وكان جداهم دقاق رجلاً شهماً من مقدمي الأتراك، وولد له سلجوق، فانتشأ وظهرت عليه إمارات النجابة، فقدمه يبغو ملك الترك إذ ذاك، وقوي أمره وصار له جماعة كثيرة، فتغير يبغو عليه، فخاف سلجوق منه فسار بجماعته وبكل من يطيعه من دار الكفر إلى دار الإسلام، وذلك لما قدره الله تعالى من سعاده وسعادة ولده، وأقام بنواحي جند، وهي بليدة وراء بخارى - بجيم مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة - وصار يغزو الترك الكفار، وكان لسلجوق من الأولاد: أرسلان، وميكائيل، وموسى. وتوفي سلجوق بجند وعمره مائة وسبع سنين، وبقي أولاده على ما كان عليه أبوهم من غزو كفار الترك، فقتل ميكائيل في الغزاة شهيداً، وخلف من الأولاد يبغو، وطغريل بك، وجغروبك داود، ثم ارتحلوا ونزلوا على فرسخين من بخارى، فأساء أمير بخارى جوارهم، فالتجأوا إلى بغراخان ملك تركستان، واستقر الأمر بين طغريل بك وأخيه داود أن لا يجتمعا عند بغراخان، بل إذا حضر أحدهما أقام الآخر في البيوت، خوفاً من الغدر بهما، واجتهد بغراخان على اجتماعهما عنده فلم يفعل، فقبض على طغريل بك، وأرسل عسكرياً إلى أخيه

داود، فاقتتلوا فانهزم عسكر بغراخان، وكثر القتل فيهم، وقصد داود موضع أخيه طغريل بك وخلصه من الأسر، ثم عادا إلى جند وأقاما بها حتى انقضت الدولة السامانية، وملك أيلك خان بخارا، فعظم عنده محل أرسلان بن سلجوق، ثم سار أيلك خان عنها وبقي ببخارى علي تكين، ومعه أرسلان بن سلجوق، حتى عبر محمود بن سبكتكين نهر جيحون وقصد بخارى، فهرب علي تكين من بخارى، وأما أرسلان وجماعته فإنهم دخلوا المفازة والرمل، واجتمعوا عن السلطان محمود، فكتب السلطان محمود أرسلان واستماله ورغبه، فقدم أرسلان بن سلجوق عليه فقبضه السلطان محمود في الحال، وكب خركاواته، وأشار أرسلان الجاذب على محمود أن يغرق السلجوقية، جماعة أرسلان المذكور في نهر جيحون، فأبى، فأشار بقطع إبهاماتهم بحيث لا يقدر على رمي الشباب، فلم يقبل محمود ذلك، وأمر بهم فعبرا نهر جيحون وفرقهم في نواحي خراسان إلى أصفهان، ووضع عليهم الخراج، فجارت العمال عليهم، وامتدت الأيدي إلى أموالهم، وأولادهم، فانفصل منهم جماعة عن خراسان إلى أصفهان: وجرى بينهم وبين علاء الدولة بن كاكويه حرب، ثم ساروا إلى أذربيجان، وهؤلاء: كانوا جماعة أرسلان بن سلجوق، وبقي اسمهم هناك الترك العربية، وبذلك سمي كل جماعتهم، وسار طغريل بك وأخواه داود ويغو من خراسان إلى بخارى، فسار علي تكين بعسكره وأوقع بهم، وقتل عدة كثيرة من جماعتهم فألجأتهم الضرورة إلى العود إلى خراسان، فعبرا نهر جيحون، وخيموا بظاهر خوارزم، سنة ست وعشرين وأربعمائة، واتفقوا مع خوارزمشاه هرون بن الطيطاش وعاهدهم ثم غدر بهم خوارزمشاه وكبسهم، فأكثر خوارزم إلى جهة مرو، فأرسل إليهم مسعود أب السلطان محمود جيشاً فهزمهم، وجرى بين عسكر مسعود منازعة على الغنيمة، وأدت إلى قتال بينهم، وأشار داود بالعود إلى جهة العسكر، فعادوا فوجدوا الاختلاف والقتال بينهم، فأوقع السلجوقية بعسكر مسعود وهزمهم، وأكثروا القتل فيهم واستردوا ما كان أخذوه منهم، وتمكنت هيبتهم من قلوب عسكر مسعود، فكتبهم السلطان مسعود واستمالهم، فأرسلوا إليه يظهرن الطاعة ويسألونه أن يطلق عمه أرسلان بن سلجوق، الذي قبضه السلطان محمود، فأحضر مسعود أرسلان المذكور إلى عنده ببلخ، فطلبهم ليحضروا فامتنعوا، فأعاده إلى محبسه، وعادت الحرب بينهم، وهزموا عسكر مسعود مرة بعد أخرى، وقوي أمرهم واستولوا على غالب خراسان، وفرقوا النواب في النواحي، وخطب لطغريل بك في نيسابور، وسار داود إلى هراة، وهرب عساكر مسعود وتقدموا من خراسان إلى غزنة، وأعلموا مسعود بتفاقم الحال، فسار مسعود بجميع عساكره وقيوله

من غزنة اليهم إلى خراسان، وبقي كل ماتبع السلجوقية إلى مكان، ساروا عنه إلى غيره، وطال البيكار على عسكر مسعود، وقلت الأقوات عليهم، وآخر ذلك أن السلجوقية ساروا إلى البرية، فتبعهم مسعود بتلك العساكر العظيمة مرحلتين، فضجرت العساكر من طول البيكار، وكان لعسكر خراسان إذ ذاك ثلاث سنين في البيكار، ونزل العسكر بمنزلة قليلة المياه، وكان الزمان حارًا، فجرى بينهم الفتن بسبب الماء، ومشى بعض العسكر إلى بعض في التخلي عن مسعود، ووقع بينهم الخلاف، فعادت السلجوقية عليهم فانهزمت عساكر مسعود أقبح هزيمة، وثبت السلطان مسعود في جمع قليل، ثم ولى منهزمًا، وغنم السلجوقية منهم ما لا يدخل تحت الإحصاء، وقسم داود ذلك على أصحابه وآثرهم على نفسه، وعاد السلجوقية إلى خراسان، فاستولوا عليها، وثبتت قدمهم بخراسان وخطب لهم على منابرها، وذلك في أواخر سنة إحدى وثلاثين وأبعمائة، وسنذكر باقي أخبارهم إن شاء الله تعالى.....

وفيهما سير الملك أبو كاليجار من فارس عسكرًا إلى عُمان، فملكوا أصحاب مدينة عُمان. وفيها توفي أبو منصور بهرام الملقب بالعدل، وزير الملك أبي كاليجار، ومولده سنة ست وستين وثلاثمائة، وكان حسن السيرة، وبنى دار الكتب بفيروز آباد، وجعل فيها سبعة آلاف مجلد^١.

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٢-١٦٦.

تاريخ الإسلام للذهبي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب في عدة مواضع، ومنها حديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يلبس إزارا عمانيا؛

وَدَكَرَ الْوَأَقِدِيُّ أَنَّ بُرْدَةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَتْ طُولَ سِتَّةِ أَذْرُعٍ فِي ثَلَاثَةِ وَشِبْرٍ، وَإِرَارُهُ مِنْ نَسِجِ عُمَانَ، طُولُهُ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ وَشِبْرٌ فِي ذِرَاعَيْنِ وَشِبْرٍ، كَانَ يَلْبَسُهُمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ ثُمَّ يُطَوِّيَانِ!.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يتحدث الذهبي عن حروب الردة؛

بَعَثَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، وَكَانُوا قَدِ ارْتَدُّوا إِلَّا نَفْرًا تَبَتُّوا مَعَ الْجَارُودِ، فَالْتَقَوْا بِجُوعَاتٍ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَاصِرَهُمُ الْعَلَاءُ بِجُوعَاتٍ حَتَّى كَادَ الْمُسْلِمُونَ يَهْلِكُونَ مِنَ الْجَهْدِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ سَكَرُوا لَيْلَةً فِي حِصْنِهِمْ، فَبَيَّتَهُمُ الْعَلَاءُ، فَقِيلَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي اسْتَشْهَدَ يَوْمَ جُوعَاتٍ لَا يَوْمَ الْيَمَامَةِ، شَهِدَ بَدْرًا.

وَفِيهَا بَعَثَ الصِّدِّيقُ عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ إِلَى عُمَانَ وَكَانُوا ارْتَدُّوا، وَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيَّ إِلَى أَهْلِ التَّجِيرِ وَكَانُوا ارْتَدُّوا، وَبَعَثَ زِيَادَ بْنَ لَبِيدِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُزْتَدَّةِ.

فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ زِيَادًا بَيَّتَهُمْ فَقَتَلَ مَلُوكًا أَرْبَعَةً: جَمْدًا، وَمُخُوصًا، وَمُشْرَحًا، وَأَبْضَعَةَ^٢.

ويرد أيضا حين يترجم الذهبي لعكرمة بن أبي جهل؛

عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، أَبِي الْحَكَمِ عَمْرُو بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ، أَبُو عَثْمَانَ الْقُرَشِيِّ الْمَخْزُومِيِّ. كَانَ مِنْ رُؤُوسِ الْجَاهِلِيَّةِ كَأَبِيهِ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ.

١ - شمس الدين الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي،

٢٠٠٣)، ج١، ص٧٧٩.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص٤٧.

قال ابن أبي مُلَيْكَةَ: كَانَ عِكْرِمَةُ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ قَالَ: لَا وَالَّذِي نَجَّانِي يَوْمَ بَدْرٍ. أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَقَدِمَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ». وَاسْتَعْمَلَهُ الصِّدِّيقُ عَلَى عُمَانَ حِينَ ارْتَدُّوا، فَقَاتَلَهُمْ، فَأَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِمْ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ مُجَاهِدًا، فَكَانَ أَمِيرًا عَلَى بَعْضِ الْكُرَادِيِّسِ.

أَرْسَلَ عَنْهُ مُضْعَبُ بْنُ سَعْدٍ حَدِيثًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ: «مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ»، فَقُلْتُ: «وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَدَعُ نَفْقَةَ أَنْفَقَهَا عَلَيْنِكَ إِلَّا أَنْفَقْتُ مِثْلَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَالْحَدِيثُ ضَعِيفُ السَّنَدِ.

ولم يُعْقِبْ عِكْرِمَةَ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: كَانَ عِكْرِمَةُ مَحْمُودَ الْبَلَاءِ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ عُرْوَةُ وَغَيْرُهُ: اسْتَشْهَدَ بِأَجْنَادِينَ. وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ وَخَلِيفَةُ: بِهَا، وَقِيلَ: بِالْيَرْمُوكِ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ السَّبْعِيُّ: نَزَلَ عِكْرِمَةَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقُتِلَ، فَوَجَدُوا بِهِ بَضْعًا وَسَبْعِينَ مَا بَيْنَ ضَرْبَةِ رَمِيَّةٍ وَطَعْنَةٍ!

ويرد أيضا حين يترجم الذهبي لعثمان بن أبي العاص الثقفي:

عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِفِيُّ. أَخُو الْحَكَمِ، وَلَهُمَا صَحْبَةٌ.

قَدِمَ عُثْمَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدٍ ثَقِيفٍ، فَأَسْلَمَ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الطَّائِفِ لِمَا رَأَى مِنْ فَضْلِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى الْخَيْرِ وَالِدِينِ، وَكَانَ أَصْغَرَ الْوُفْدِ سَنًا. وَأَقْرَبَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عَمَرَ عَلَى الطَّائِفِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ عَلَى عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي افْتَتَحَ تَوَجَّ وَمَصَّرَهَا، وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ.^٢

ويرد أيضا حين يحدث الذهبي عن الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث بن نوفل:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيُّ النَّوْفَلِيُّ الْمَدَنِيُّ، نَزِيلُ الْبَصْرَةِ. وَيُلَقَّبُ بِبَيْتِهِ. فَذَكَرَ الزُّبَيْرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّ أُمَّهُ، وَهِيَ هِنْدٌ أَخْتٌ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ كَانَتْ تُنْفِزُهُ وَتَقُولُ:

يَا بَيْتَهُ يَا بَيْتَهُ

لَأُنْكِحَنَّ بِبَيْتِهِ

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٨.

٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٢.

جاريةٌ خدبته

تَسُوذُ أَهْلَ الْكُغْبَةِ

اضطَلَحَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَى تَأْمِيرِهِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ هُرُوبِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى الشَّامِ، وَكَتَبُوا إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بِالْبَيْعَةِ لَهُ، فَاسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهِمْ. رَوَى عَنْ: عُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَالْعَبَّاسِ، وَحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَأُمَّ هَانِيَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَعْبِ الْأَخْبَارِ، وَجَمَاعَةٍ. وَأُرْسِلَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَشَهِدَ الْجَايِبَةَ. رَوَى عَنْهُ: ابْنَاهُ إِسْحَاقُ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَأَبُو التَّيَّاحِ يَزِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالزُّهْرِيُّ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمِيرٍ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، وَهُوَ مَوْلَاهُ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَآخَرُونَ. ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ: أَنَّهُ ثِقَةٌ تَابِعِي، أَتَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ دَخَلَ عَلَيْهَا فَتَفَلَّ فِي فِيهِ وَدَعَا لَهُ.

قَالَ: وَخَرَجَ هَارِبًا مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى عُمَانَ مِنَ الْحِجَاجِ عِنْدَ فِتْنَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَمَاتَ بِعُمَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: تُؤْفَى سَنَةٌ ثَلَاثٌ!

ويرد أيضا حين يترجم الذهبي للمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ:

المُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ظَالِمٌ بِنُ سَارِقِ بْنِ صُبْحِ بْنِ كِنْدِيِّ بْنِ عَمْرِو، الأَمِيرُ أَبُو سَعِيدِ الأَزْدِيُّ العَتَكِيُّ. أَحَدُ أَشْرَافِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَوُجُوهِهِمْ، وَفُرْسَانِهِمْ، وَأَبْطَالِهِمْ، وَدَهَاتِهِمْ، وَأَجْوَادِهِمْ.

قِيلَ: وُلِدَ عَامَ الْفَتْحِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَزَا فِي خِلَافَةِ عُمَرَ. قُلْتُ: أَحْسَبُ هَذَا الْكَلَامَ فِي حَقِّ أَبِيهِ. وَرَوَى عَنْ: سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، وَالْبَرَاءِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو، وَابْنِ عُمَرَ، وَغَيْرِهِمْ. رَوَى عَنْهُ: سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو إِسْحَاقَ السَّبَّيْعِيُّ، وَعُمَرُ بْنُ سَيْفٍ، وَآخَرُونَ.

الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنْ بَيَّئْتُمُ اللَّيْلَةَ فَلْيَكُنْ شِعَارَكُمْ: حَمٌ لَا يُنْصَرُونَ».

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: كَانَ أَبُو صُفْرَةَ مِنْ أَزْدِ دَبَاءٍ فِيمَا بَيْنَ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ، أَزْتَدَ قَوْمُهُ، فَقَاتَلَهُمْ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَظَفَرَهُمْ، فَبَعَثَ بِدَرَارِيهِمْ إِلَى الصَّدِيقِ، فِيهِمْ أَبُو صُفْرَةَ غُلَامٌ لَمْ يَبْلُغْ، ثُمَّ نَزَلَ الْبَصْرَةَ فِي إِمْرَةِ عُمَرَ. وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: كَانَ الْمُهَلَّبُ يَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ فِي الْكُتَّابِ رَجُلٌ جَمِيلٌ.

وَقَالَ خَلِيفَةُ: فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ غَزَا الْمُهَلَّبُ أَرْضَ الْهِنْدِ، وَوَلِيَ الْجَزِيرَةَ لِابْنِ الرَّبِيعِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ، وَوَلِيَ حَزْبَ الْخَوَارِجِ كَمَا دَكَّرْنَا، ثُمَّ وَلِيَ حُرَّاسَانَ. وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنْ الْحَبَّاجَ بَالِغٍ فِي إِكْرَامِ الْمُهَلَّبِ لَمَّا رَجَعَ مِنْ حَزْبِ الْأَزْرَاقَةِ، فَإِنَّهُ بَدَعَ فِيهِمْ وَأَبَادَهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي وَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةٍ. قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَمِيرًا قَطُّ أَفْضَلَ مِنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَلَا أَسْحَى، وَلَا أَشْجَعَ لِقَاءً، وَلَا أَبْعَدَ مِمَّا تَكْرَهُ، وَلَا أَقْرَبَ مِمَّا تُحِبُّ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ: كَانَ بِالْبَصْرَةِ أَرْبَعَةً، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِهِ لَا يَعْلَمُ فِي الْأَنْصَارِ مِثْلَهُ: الْأَخْنَفُ فِي حِلْمِهِ وَعَفَافِهِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحَسَنُ فِي زُهْدِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَسَخَائِهِ وَمَحَلِّهِ مِنَ الْقُلُوبِ، وَالْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، فَذَكَرَ أَمْرَهُ، وَسَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي فِي عَفَافِهِ وَتَحَرِّيهِ لِلْحَقِّ. وَعَنِ الْمُهَلَّبِ قَالَ: يُعْجِبُنِي فِي الرَّجُلِ خَصْلَتَانِ: أَنْ أَرَى عَقْلَهُ زَائِدًا عَلَى لِسَانِهِ، وَلَا أَرَى لِسَانَهُ زَائِدًا عَلَى عَقْلِهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: سَمِعْتُ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ - وَكَانَ عَاقِلًا - يَقُولُ: نِعْمَ الْخِصْلَةُ السَّخَاءُ تَسُدُّ عَوْرَةَ الشَّرِيفِ، وَتَمَحِّقُ حَسِيْسَةَ الْوَضِيعِ، وَتُحْبِبُّ الْمَرْهُوَّ. وَقَالَ رَوْحُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ الْمُهَلَّبُ: مَا شَيْءٌ أَبْقَى لِلْمَلِكِ مِنَ الْعَفْوِ، وَخَيْرٌ مَنَاقِبِ الْمَلِكِ الْعَفْوُ. قَالَ خَلِيفَةُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ: مَاتَ الْمُهَلَّبُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ. وَقَالَ آخَرُ: تُؤْفَى غَازِيًا بِمَرَوْ الرُّودِ فِي ذِي الْحِجَّةِ. وَقَالَ خَالِدُ بْنُ خَدَّاشٍ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: تُؤْفَى الْمُهَلَّبُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَلَهُ سِتٌّ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَزِيدُ حُرَّاسَانَ^١.

ويرد أيضا حين يترجم الذهبي للتابعي أبي أيوب الأزدي:

أبو أيوب الأزدي العتكي البصري، ويقال: اسمه يَحْيَى بْنُ مَالِكٍ. وَقِيلَ: حَبِيبُ بْنُ مَالِكٍ. رَوَى عَنْ: أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَسَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ. رَوَى عَنْهُ: أَبُو عَمْرَانَ الْجَوْزِيُّ، وَقَتَادَةُ، وَثَابِتُ الْبُنَائِيُّ، وَعَيْرُهُمْ. وَيُقَالُ لَهُ: الْمَرَاغِيُّ، فَقِيلَ: هُوَ نِسْبَةٌ إِلَى قَبِيلَةٍ مِنَ الْأَزْدِ، وَقِيلَ: هُوَ مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ عُمَانَ^٢.

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠١.

٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٢.

ويرد أيضا حين يترجم الذهبي للتابعي الإمام جابر بن زيد:

أَبُو الشَّعْثَاءِ، جَابِرُ بْنُ زَيْدِ الْأَزْدِيِّ الْيَحْمَدِيُّ، مَوْلَاهُمْ، الْبَصْرِيُّ الْخَوْفِيُّ.

وَالْخَوْفُ نَاحِيَةٌ مِنْ عُمَانَ. كَانَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَرَوَى عَنْهُ: عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَقَتَادَةُ، وَأَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ. قَالَ عَطَاءٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ نَزَلُوا عِنْدَ قَوْلِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ لَأَوْسَعَهُمْ عِلْمًا عَمَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ وَفِيكُمْ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ؟!

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: كَانَتْ لِأَبِي الشَّعْثَاءِ حَلْقَةٌ فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ يُفْتِي فِيهَا قَبْلَ الْحَسَنِ، وَكَانَ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ. وَكَانُوا يُفَضِّلُونَ الْحَسْنَ عَلَيْهِ، حَتَّى حَفَّ الْحَسَنُ فِي أَمْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ. وَقَالَ أَيُّوبُ: رَأَيْتُ أَبَا الشَّعْثَاءِ وَكَانَ لَبِيًّا. وَقَالَ قَتَادَةُ يَوْمَ مَوْتِهِ: الْيَوْمَ دُفِنَ عِلْمُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، أَوْ قَالَ: عَالِمُ الْعِرَاقِ. وَعَنْ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْبَصْرَةَ وَمُفْتِيَهُمْ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ. وَقَالَ أَبُو الشَّعْثَاءِ: لَوْ ابْتَلَيْتُ بِالْقَضَاءِ لَرَكِبْتُ رَاحِلَتِي وَهَرَبْتُ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَالْفَلَّاسُ، وَالْبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُمْ: تُوْفِّي سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ!

ويرد أيضا حين يؤرخ الذهبي لأحداث سنة أربع وثلاثين ومائة هجرية:

فِيهَا تُوْفِّي أُسَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالرَّمْلَةِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ فِيمَا قِيلَ، وَجَعْفَرُ بْنُ رَيْبَعَةَ الْمِصْرِيُّ، قَالَهُ خَلِيفَةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ حَكِيمِ الْحَضْرَمِيِّ، وَأَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ عُمَارَةُ بْنُ جُوَيْنٍ، وَمَنْصُورُ بْنُ جَمْهُورٍ بِالْهِنْدِ، وَيَزِيدُ بْنُ يَزِيدِ بْنِ جَابِرِ فِي قَوْلٍ.

وَفِيهَا خَلَعَ الطَّاعَةَ بَسَامُ بْنُ إِبْرَاهِيمِ الْخِرَاسَانِي خَرَجَ مَعَهُ طَائِفَةٌ فَسَاقُوا إِلَى الْمَدَائِنِ، فَوَجَّهَ السَّفَاحُ لِحَزْبِهِمْ خَازِمُ بْنُ خُرَيْمَةَ، فَالْتَقَوْا فَانْهَزَمَ بَسَامٌ وَقُتِلَ أَبْطَالُهُ، ثُمَّ مَرَّ خَازِمٌ بِثَلَاثِينَ مِنَ الْحَارِثِيِّينَ خُوُولَةَ السَّفَاحِ فَكَلَّمَهُمْ فِي أَمْرٍ فَاسْتَحْفُوا بِهِ فَضْرَبَ أَعْنَاقَ الْكُلِّ، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ الْيَمَانِيَّةَ، وَدَخَلَ وُجُوهُهُمْ عَلَى السَّفَاحِ وَصَاحُوا، فَهَمَّ السَّفَاحُ بِقَتْلِ خَازِمِ بْنِ خُرَيْمَةَ، فَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ فَإِنَّ لَهُ سَابِقَةَ وَطَاعَةً، وَإِنْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَتْلَهُ فَلْيَعْرِضْهُ لِلْعَزْوِ فَإِنَّ ظَفِرَ ظَفْرِهِ لَكَ وَإِلَّا اسْتَرْخَتْ

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٩٩.

مِنْهُ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَبْعَثَهُ إِلَى عُمان، وبها خلق من الخوارج عَلَيْهِمُ ابْنُ الْجَلَنْدِي وَشَيْبَانُ
بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبِشْكَرِيِّ، فجهز معه سبع مائة فارسٍ وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْبَصْرَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَلِيٍّ لِيَحْمِلَهُمْ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي السُّفُنِ إِلَى جزيرة ابن كاوان وإلى عُمان، ففعل، فأنكى خازم بن
خزيمة في الْخَوَارِجِ وَجَرَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ شَيْبَانَ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ وَقَتَلَهُ حَتَّى بَلَغَ عِدَّةَ قَتْلِ الْخَوَارِجِ
عَشْرَةَ آلَافٍ فَقَتَلَ ابْنُ الْجَلَنْدِي وَبَعَثَ خازم بالرؤوس إلى الْبَصْرَةِ^١.

ويرد أيضا حين يترجم الذهبي لأبي جعفر الضبي:

هارون بن محمد بن هارون، أبو جعفر الضبيّ. أحد الأشراف، من أهل عُمان. سكن بغداد.
رَوَى عَنْهُ: ابنه القاضي أبو عبد الله الحسين الضبيّ في أماليه. يَزُوي عَنْ: صالح بن محمد
بن مهران الأبي، وغيره. ذكره الدارقطني فقال: ساد بعمان في حدّاته، ثم خرج عنها فلقي
علماء مكة والعراق، ودخل بغداد سنة خمسٍ وثلاثمائة، فارتفع قدره عند السلطان، وانتشرت
مكارمه، وأكثر الشعراء مدائحه، وأنفق الأموال في بَرِّ العلماء، وفي الصلّات. وكان مبرزاً في
اللغة والنحو ومعاني القرآن. وكانت داره مجمع العلماء إلي أن مات^٢.

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٩٥.

٢ - المصدر السابق، ج ٧، ص ٦٩٧.

خريدة العجائب وفريدة الغرائب

لابن الوردي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يصف ابن الوردي بلاد الواق واق:

وواق الواق: وأرضهم واسعة وقراهم عامرة وكل قرية على خور وهي أرض كثيرة الذهب والخصب والعجائب، ولا يوجد البرد عندهم أصلاً ولا المطر، وكذلك غالب بلاد السودان، وليس لهم مراكب بل تدخل إليهم المراكب من عُمان، والتجار يشترون أولادهم بالتمر ويبيعونهم في البلاد، وأهل بلاد الزنج كثيرون في العدد قليلون في العدد ويقال إن ملكهم يركب في ثلثمائة ألف راكب، كلهم على البقر. والنيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم وأكثرهم يحددون أسنانهم ويبردونها حتى ترق، ويبيعون أنياب الفيلة وجلود النمر والحديد، ولهم خزائن يخرجون منها الودع ويتحلون به ويبيعونه فيما بينهم بثمن له قيمة، ولهم ممالك واسعة!

ويخصص ابن الوردي في هذا الكتاب فقرات يصف بها عمان:

عُمان: وأرضها مجاورة لأرض الشمال، وهي أرض عامرة كثيرة الخلائق والبساتين والفواكه، إلا أنها بلاد حارة جداً. وبلاد عمان حية تسمى العريد، وتسمى الكرام، تنفخ ولا تؤذي، فإذا أخذت وجعلت في إناء وثيق، وأوثقت رأس ذلك الإناء وسد سداً محكمًا، ووضعت في إناء آخر ثان، وأخرجت من بلاد عمان، عدمت من الإناء ولا توجد فيه ولا يعرف كيف ذهبت. وهذا من أعجب العجب. وبهذه الأرض دويبه صغيرة تسمى القراد، إذا عضت الإنسان انتفخ مكانها ودود، ولا يزال الدود يسعى في باطن الإنسان المعضوض حتى يموت. وبجبال أرض عمان قرود كثيرة تضر بأهلها ضرراً كثيراً وربما لا تندفع في بعض الأوقات إلا بالسلح والعدد الكثيرة لكثرتها؛ وفي أرض عمان مغاص اللؤلؤ الجيد؛ وفي بحر عمان جزيرة قيس طولها اثنا عشر ميلاً في مثلها. وصاحب هذه الجزيرة تصل مراكبه إلى بلاد الهند ويغزوهم في غالب الأوقات ويغير على كفار الهند.

١ - عمر بن المظفر بن الوردي. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي (القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية،

٢٠٠٨)، ص ١٤٢ - ١٤٣.

ويحكى أن عنده في الجزيرة المذكورة على مرسى البحر من المراكب التي تسمى السفينات مائتي مركب، وهذه المراكب من عجائب الدنيا وليس على وجه الأرض ومتن البحور مثلها أبدًا؛ وهي أن المركب الواحد منها منحوت من خشبة واحدة؛ قطعة واحدة، والمركب الواحد منها يسع مائة رجل وخمسين، وبهذه الجزيرة دواب ومواشي وأشجار وفواكه!

ويخصص ابن الوردى في هذا الكتاب فصلاً بعنوان "بحر عُمان وجزائره وعجائبه"، يقول فيه:

وهو شعبة من بحر فارس عن يمين الخارج من عُمان، وهو بحر كثير العجائب غزير الغرائب، وفيه مغاص اللؤلؤ ويخرج منه الحب الجيد، وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة: منها جزيرة خارك: وهي كبيرة عامرة أهلة وبها مغاص اللؤلؤ.

وجزيرة خاسك: وهي بقرب جزيرة قيس وأهلها لهم خبرة بالحرب وصبر عليه في البحر، فإن الرجل منهم يسبح أيامًا في الماء وهو يجالذ بالسيف كما يجالذ غيره على وجه الأرض.

حكاية عجيبة: حكى أن بعض الملوك بالهند أهدى لبعض الملوك جوارى هنديات حسناً فلما عبرت المراكب والجوارى بهذه الجزيرة خرجن يتفسحن في مصالحنهن في أرضها فاختطفتهن الجن، ونكحهن فولدن هؤلاء القوم.

وجزيرة سلطى: وهي كبيرة وفيها قوم يسمع كلامهم وضجيجهم من مسافة بعيدة، ومن وصل إليهم يخاطبهم ويخاطبونه غير أنهم لا يُرون بأشخاصهم، ويقال إنهم من الجن وهم مؤمنون، فإذا وصل إليهم الغريب جعلوا له من الزاد ما يكفيه ثلاثة أيام فإذا أراد الرجوع إلى أهله حملوه في مركب وأوصلوه إلى قصده.

وجزيرة الشجر: وبها شجر يحمل ثمرًا كاللوز في صفته وقدره، يؤكل بقشره وهو أحلى من الشهد ويقوم مقام كل دواء، ومن أكل منه من الرجال والنساء يزداد قوة وشبابًا ولا يهرم أبدًا ولا يشيب، وإن كان آكله طاعنًا في السن وقد ذهبت قوته وابتيض شعره عاد في الحال إلى قوة الشباب واسود شعره. وذكر أن بعض الملوك بالهند زرع في أرضه فأورق ولم يثمر.

وجزيرة الدهلان: وهو شيطان في صورة إنسان راكب على طير يشبه النعامة، يأكل لحوم

الناس، إذا طلع أحد من المراكب إلى تلك الجزيرة أخذهم ودفعهم إلى مكان لا خلاص لهم منه وأكلهم واحدًا بعد واحد.

وحكي أن مركبًا ألبأته الريح إلى تلك الجزيرة، وكانوا قد سمعوا بذلك الشيطان، فلما أتاهم قاتلوه وصبروا على قتاله صبر الكرام، فلما رأى ذلك منهم صاح بهم صيحة سقطوا منها مغشيًا عليهم، فجعل يجرحهم على وجوههم إلى موضعه المعهود، وكان فيهم رجل صالح فدعا عليه فهلك وعاد إلى موضعه طالبًا لما فيه من الأموال والذخائر وأمتعة الناس.

جزيرة الصُريف: وهي جزيرة تلوح لأصحاب المراكب فيطلبونها وكلما قربوا منها تباعدت عنهم، وربما أقاموا لذلك أيامًا كثيرة فلا يصلون إليها وقيل إن أحدًا منهم لم يدخلها قط، إلا أنهم رأوا فيها دواب وأشخاصًا.

جزيرة القندج: فيها صنم من رخام أخضر ودموعه تسيل على ممر الأيام والليالي فإذا دخل الريح في جوفه صفر صفيرًا عجيبًا. ذكر المسافرون أنه يبكي على قوم كانوا يعبدونه من دون الله، وقيل إن بعض الملوك غزا عبّاد ذلك الصنم فأفناهم وأبادهم عن آخرهم واجتهد في كسر ذلك الصنم فلم يقدر ولم تعمل فيه الآلة، وكلما ضربوه بمعول عاد الضرب إلى الضارب فقتله. فتركوه وانصرفوا.

جزيرة سرندوسة: وهي كبيرة عامرة، بها أشجار وأنهار وثمار، وعند أهلها من الذهب ما لا يكيف: فمعاونهم ذهب، وأنيتهم ذهب، وقدورهم ذهب، وخوابيهم ذهب، وسلاحهم ذهب، ولهم ملك يدفع لهم كل من يقصدهم أو يقصد الخروج من عندهم بشيء من ذلك. وعجائب هذا البحر كثيرة: وذكر أن العنبر الخالص ينبت في قعر هذا البحر كما ينبت القطن في الأرض، فإذا اضطرب البحر قذف به، وربما أكل منه الحوت العظيم الجرم فيموت فيطفو على وجه الماء في اليوم الثالث فيجذبه أهل المراكب بالكلايب إلى الساحل فيأخذون العنبر من جوفه. وملكان: نوع من السمك يطفو على وجه البحر في ثالث عشر كانون الثاني، يدل ذلك على خروج ريح يضطرب لها البحر حتى يصل الاضطراب إلى بحر فارس، ويشتد هيجانه ويتكدر لونه وتنعقد ظلمته بعد طفو هذا السمك بيوم واحد.

ومنها: حيوان يعرف بالتنين شر من الكوسج، طوله كالنخلة السحوق، أحمر العينين كرية المنظر، له أنياب كأسنة الرماح، يقهر الحيوانات كلها حتى الكوسج.

ومنها: سمكة خضراء أطول من ذراع؛ لها خرطوم طويل عظيم كالمنشار تضرب به من عارضها فتقده؛ وفي هذا البحر درود صغير.

حكى القزويني: أن رجلاً من أصفهان ركبته ديون كثيرة ففارق أصفهان وركب هذا البحر صدفة مع تجار فتلاطمت بهم الأمواج حتى حلوا في الدردور ببحر فارس، فقال التجار للرئيس: هل تعرف لنا سبيلاً إلى الخلاص فنسعى فيه؟ فقال: إن سمح أحدكم بنفسه تخلصنا. فقال الرجل الأصفهاني المديون في نفسه: كلنا في موقف الهلاك وأنا قد كرهت الحياة وسئمت البقاء.

وكان في السفينة جمع من التجار الأصفهانيين، فقال الرجل لهم: هل تحلفون لي بوفاء ديوني وخلص روحى وأفديكم بروحي وأوثركم بحياتي وتحسنون إلى عيالي ما استطعتم؟ فحلفوا له على ذلك وفوق ما شرط، فقال الأصفهاني للرئيس: ما تأمرني أن أفعل فقد سلمت نفسي لله طلباً لخلصكم إن شاء الله تعالى، فقال له الرئيس: أمرك أن تقف ثلاثة أيام على ساحل هذا البحر وتضرب على هذا الدهل ليلاً ونهاراً ولا تقتر عن الضرب أبداً، قلت: أفعل إن شاء الله تعالى. فأعطوني من الماء والزاد ما أمكن.

قال الأصفهاني فأخذت الدهل والماء والزاد وتوجهوا بي نحو الجزيرة وأنزلوني بساحلها فأخذت وشرعت في ضرب الدهل فتحركت المياه وجرى المركب وأنا أنظر إليهم حتى غاب المركب عن بصري، فجعلت أطوف في تلك الجزيرة وإذا أنا بشجرة عظيمة وعليها شبه سطح فلما كان الليل وإذا بهدة عظيمة فنظرت فإذا طائر عظيم في الخلقة قد سقط على ذلك السطح الذي في الشجرة فاخفتيت خوفاً منه، فلما كان الفجر انتفض بجناحيه وطار، فلما كان الليل جاء أيضاً وحط مكانه الذي حط فيه البارحة فدنوت منه فلم يتعرض لي بسوء ولا التفت إلي أصلاً وطار عند الصباح.

فلما كان ثالث ليلة وجاء الطائر على عادته وقعد مكانه جئت حتى قعدت عنده من غير خوف ولا دهشة إلى أن نفص جناحيه فتعلقت بإحدى رجليه بكلتا يدي فطار بي إلى أن ارتفع النهار، فنظرت إلى تحتي فلم أر إلا لجة ماء البحر فكدت أن أترك رجله وأرمي بنفسي من شدة ما لقيت من التعب، فتصبرت زماناً، وإذا بالقرى والعمارة تحتي وفرحت وذهب ما كان بي من الشدة، فلما دنا الطائر من الأرض رميت نفسي على صبرة تبين في بيدر، وطار الطائر فاجتمع

الناس حولي وتعجبوا مني وحملوني إلى رئيسهم وأحضروا لي من يفهم كلامي، فأخبرتهم قصتي فتبركوا بي وأكرموني وأمروا لي بمال وأقمت عندهم أيامًا.

فخرجت يومًا لأتفرج وإذا أنا بالمركب الذي كنت فيه قد أرسى؛ فلما رأوني أسرعوا إلي وسألوني عن أمري فأخبرتهم فحملوني إلى أهلي وأقاموا لي بالمال وفوق الشرط، فعدت بخير وغنى وسلامة!

البداية والنهاية لابن كثير

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يسرد ابن كثير قصة هود عليه السلام:

وَهُوَ هُودُ بْنُ شَالِحِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقَالُ إِنَّ هُودًا هُوَ عَبْرٌ بْنُ شَالِحِ ابْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. وَيُقَالُ هُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحِ بْنِ الْجَارُودِ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْصِ بْنِ أَرَمِ ابْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَكَانَ مِنْ قَبِيلَةِ يُقَالُ لَهُمْ عَادُ بْنُ عَوْصِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَكَانُوا عَرَبًا يَسْكُنُونَ الْأَخْقَافَ وَهِيَ جِبَالُ الرَّمْلِ وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ مِنْ عَمَانَ وَحَضَرَ مَوْتَ بَارِضٍ مُطَلَّةً عَلَى الْبَحْرِ يُقَالُ لَهَا الشَّحْرُ وَاسْمُ وَادِيهِمْ مُغِيثٌ وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَسْكُنُونَ الْخِيَامَ ذَوَاتِ الْأَعْمِدَةِ الصَّخَامِ كَمَا قَالَ تَعَالَى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٨٩: ٦ - ٧ أَي عَادِ إِرْمَ وَهِيَ عَادُ الْأُولَى وَأَمَّا عَادُ الثَّانِيَةِ فَمَتَأَخَّرَةٌ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ وَأَمَّا عَادُ الْأُولَى فَهِيَ عَادُ (إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) ٨٩: ٧ - ٨ أَي مِثْلُ الْقَبِيلَةِ وَقِيلَ مِثْلُ الْعَمَدِ. وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي التَّفْسِيرِ وَمِنْ رِزْمٍ أَنَّ إِرْمَ مَدِينَةٌ تُدَوَّرُ فِي الْأَرْضِ فَتَارَةً فِي الشَّامِ وَتَارَةً فِي الْيَمَنِ وَتَارَةً فِي الْحِجَازِ وَتَارَةً فِي غَيْرِهَا فَقَدْ أَبْعَدَ التُّجَعَةَ وَقَالَ مَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَلَا بُرْهَانَ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَلَا مُسْتَنَدَ يَرْكَنُ إِلَيْهِ وَفِي صَحِيحِ ابْنِ جَبَّانَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ قَالَ فِيهِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ هُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَنَبِيِّكَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَيُقَالُ إِنَّ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَزَعَمَ وَهَبُ ابْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّ أَبَاهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا وَقَالَ غَيْرُهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا نُوحٌ وَقِيلَ آدَمُ وَهُوَ الْأَشْبَهُ.

وقيل غير ذلك والله أعلم ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام العرب العاربة وهم قبائل كثيرة منهم عاد وثمود وجرهم وطسم وجديس وأميم ومدني وعملق وعييل وجاسم وقحطان وبنو يقطن وغيرهم وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل وكان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وكان قد أخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ولكن أنطقه الله بها في غايه الفصاحة والبيان. وكذلك كان يتلفظ بها رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عَادًا وَهُمْ عَادًا الْأُولَى كَانُوا أَوَّلَ مَنْ عَبَدَ الْأَصْنَامَ بَعْدَ الطُّوفَانِ .
وَكَانَ أَصْنَامُهُمْ ثَلَاثَةَ صِدَا وَصَمُودَا وَهَرَا . فَبَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ أَحَاهُمْ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَعَاهُمْ إِلَى
اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ قَوْمِ نُوحٍ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ !

ويرد ذكر عمان أيضا حين يورخ ابن كثير لحروب الردة:

أَمَّا أَهْلُ عُمَانَ فَتَبِعَ فِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: دُو التَّاجِ . لَقِيَطُ بْنُ مَالِكِ الْأَزْدِيُّ، وَكَانَ تَسَامَى فِي
الْبَاجِلِيَّةِ الْجُلَنْدِيِّ، فَادْعَى التُّبُوءَةَ أَيضًا، وَتَابَعَهُ الْجَهْلَةُ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ، فَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا وَقَهَرَ جَيْفَرًا
وَعَبَادًا، وَالْبَجَاهُمَا إِلَى أَطْرَافِهَا، مِنْ نَوَاحِي الْجِبَالِ وَالْبَحْرِ، فَبَعَثَ جَيْفَرٌ إِلَى الصِّدِّيقِ، فَأَخْبَرَهُ
الْخَبَرَ وَاسْتَجَاشَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الصِّدِّيقُ بِأَمِيرَيْنِ، وَهُمَا حُدَيْفَةُ بْنُ مَخْصَنِ الْجَمِيمِيِّ، وَعَرْفَجَةُ
الْبَارِقِيُّ مِنَ الْأَرْدِ ; حُدَيْفَةُ إِلَى عُمَانَ، وَعَرْفَجَةُ إِلَى مَهْرَةَ، وَأَمْرُهُمَا أَنْ يَجْتَمِعَا وَيَتَّفِقَا وَيَبْتَدِئَا
بِعُمَانَ، وَحُدَيْفَةُ هُوَ الْأَمِيرُ، فَإِذَا سَارُوا إِلَى بِلَادِ مَهْرَةَ فَعَرْفَجَةُ الْأَمِيرُ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ لَمَّا بَعَثَهُ الصِّدِّيقُ إِلَى مُسَيْلِمَةَ وَأَتْبَعَهُ بِشُرْحَبِيلِ ابْنِ
حَسَنَةَ، عَجَلَ عِكْرِمَةَ وَنَاهَضَ مُسَيْلِمَةَ قَبْلَ مَجِيءِ شُرْحَبِيلٍ؛ لِيَفُوزَ بِالظَّفَرِ وَخَدَهُ، فَتَالَهُ مِنْ
مُسَيْلِمَةَ قَرِحٍ وَاللِّدِينَ مَعَهُ، فَتَفَهَّقَرَ حَتَّى جَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَقَهَرَ مُسَيْلِمَةَ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ
الصِّدِّيقُ يُلُومُهُ عَلَى تَسْرُعِهِ، قَالَ: لَا أَرَيْتَكَ وَلَا أَسْمَعَنَّ بِكَ إِلَّا بَعْدَ بِلَاءٍ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِحُدَيْفَةَ
وَعَرْفَجَةَ إِلَى عُمَانَ وَكُلِّ مِنْكُمْ أَمِيرٌ عَلَى خَيْلِهِ، وَحُدَيْفَةُ مَا دُمْتُمْ بِعُمَانَ فَهُوَ أَمِيرُ النَّاسِ، فَإِذَا
فَرَعْتُمْ فَأَذْهَبُوا إِلَى مَهْرَةَ، فَإِذَا فَرَعْتُمْ مِنْهَا فَأَذْهَبْ إِلَى الْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ فَكُنْ مَعَ الْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي
أُمَيَّةَ، وَمَنْ لَقِيْتَهُ مِنَ الْمُزْتَدَةِ بَيْنَ عُمَانَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ وَالْيَمَنِ فَانْكَلِ بِهِ . فَسَارَ عِكْرِمَةَ لَمَّا أَمَرَهُ
بِهِ الصِّدِّيقُ، فَلَحِقَ حُدَيْفَةَ وَعَرْفَجَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَا إِلَى عُمَانَ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِمَا الصِّدِّيقُ أَنْ يَنْتَهِيَا
إِلَى رَأْيِ عِكْرِمَةَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ السَّيْرِ مِنْ عُمَانَ أَوْ الْمَقَامِ بِهَا، فَسَارُوا، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ عُمَانَ
رَاسَلُوا جَيْفَرًا وَعَبَادًا، وَبَلَغَ لَقِيَطُ بْنُ مَالِكِ مَجِيءَ الْجَيْشِ، فَخَرَجَ فِي جُمُوعِهِ فَعَسَكَرَ بِمَكَانٍ
يُقَالُ لَهُ: دَبَا . وَهِيَ مَضْرُ تِلْكَ الْبِلَادِ وَسُوفُهَا الْعُظْمَى، وَجَعَلَ الدَّرَارِي وَالْأَمْوَالَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
; لِيَكُونَ أَقْوَى لِحَرْبِهِمْ، وَاجْتَمَعَ جَيْفَرٌ وَعَبَادٌ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: صَحَاؤُ . فَعَسَكَرَا بِهِ وَبَعَثْنَا إِلَى
أَمْرَاءِ الصِّدِّيقِ، فَقَدَّمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَتَقَابَلَ الْجَيْشَانِ هُنَالِكَ، وَتَقَاتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا، وَابْتُلِيَ
الْمُسْلِمُونَ وَكَادُوا أَنْ يُؤْلُوا، فَمَنَّ اللَّهُ بِكِرْمِهِ وَلُطْفِهِ؛ أَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَدَدًا فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ

١ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٧)، ج ١، ص ٢٨٢.

من بني ناجية وعبد القيس، في جماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولى المشركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم، فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل وسبوا الذراري، وأخذوا الأموال والسوق بخذافيرها، وبعثوا بالخميس إلى الصديق، رضي الله عنه، مع أحد الأمراء، وهو عذفة، ثم رجع إلى أصحابه.

وأما مهرة، فإنهم لما فرغوا من عمان كما ذكرنا، سار عكرمة بالناس إلى بلاد مهرة، بمن معه من الجيوش، ومن أضيف إليها حتى اقتحم على مهرة بلادها، فوجدهم جندين؛ على أحدهما - وهم الأكثر - أمير يقال له: المصبح. أخذ بني محارب، وعلى الجند الآخر أمير يقال له: شخریت. وهما مختلفان، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين، فراسل عكرمة شخریت، فأجابته وأنصاف إلى عكرمة، فقوي بذلك المسلمون، وضعف جأش المصبح، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة، فأغتر بكثرة من معه ومخالفة لشخریت، فتماذى في طغيانه، فسار إليه عكرمة بمن معه من الجنود، فاقتتلوا مع المصبح أشد من قتال دبا المتقدم، ثم فتح الله بالنصر والظفر، ففر المشركون وقتل المصبح وقتل خلق كثير من قومه، وغنم المسلمون أموالهم، فكان في جملة ما غنموا ألفا نجيبة، فحمس عكرمة ذلك كله، وبعث بخمسه إلى الصديق مع شخریت، وأخبره بما فتح الله عليه، والبشارة مع رجل يقال له: السائب، منبني عابد من مخزوم، وقد قال في ذلك رجل يقال له علجوم:

جزى الله شخریتاً وأفناء هاشم

وفوضم إذ سارث إينا الحلاب

جزاء مسيء لم يراقب لدمه

ولم يزوجها فيما يرجى الأقارب

أعكرم لولا جمع قومي وفعلهم

لصاقت عليكم بالفضاء المذاهب

وكنا كمن افتاد كفا بأختها

وحلت علينا في الدهور التوائب^١

ويرد أيضا حين يؤرخ ابن كثير لأحداث سنة أربع وثلاثين ومائة هجرية:

فِيهَا خَلَعَ بَسَامُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَسَامِ الطَّاعَةَ، وَخَرَجَ عَلَى السَّفَاحِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ خَازِمَ بْنَ خُزَيْمَةَ فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَ عَامَّةَ أَصْحَابِهِ، وَاسْتَبَاحَ عَشْكَرَهُ، وَرَجَعَ فَمَرَّ بِمَلَأٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ أَسْوَاحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ نُصْرَةٌ لِلْخَلِيفَةِ، فَلَمْ يَزِدُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَهَانُوا بِهِ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا وَمِثْلَهُمْ مِنْ مَوَالِيهِمْ، فَاسْتَعْدَى بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ عَلَى خَازِمِ بْنِ خُزَيْمَةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالُوا: قَتَلَ أَسْوَاحُكَ بِلَا ذَنْبٍ. فَهَمَّ السَّفَاحُ بِقَتْلِهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَمْراءِ بِأَنْ لَا يَقْتُلَهُ، وَلَكِنْ لِيَبْعَثَهُ مَبْعُوثًا صَعْبًا، فَإِنْ سَلِمَ فَذَلِكَ الَّذِي أُرِدْتُ. فَبَعَثَهُ إِلَى عُمَانَ - وَكَانَ بِهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ قَدْ تَمَرَّدُوا - وَجَهَّزَ مَعَهُ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ، وَكَتَبَ إِلَى عَمِّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ نَائِبِ الْبَصْرَةِ بِحَمْلِهِمْ فِي السُّفُنِ إِلَى عُمَانَ فَفَعَلَ، فَقَاتَلَ الْخَوَارِجَ فَكَسَرَهُمْ وَقَهَرَهُمْ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ، وَقَتَلَ أَمِيرَ الْخَوَارِجِ الصُّفْرِيَّةَ وَهُوَ الْجُلَنْدِيُّ وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ. ثُمَّ بَعْدَ أَشْهُرٍ كَتَبَ إِلَيْهِ السَّفَاحُ أَنْ يَرْجِعَ، فَرَجَعَ سَالِمًا غَانِمًا مَنْصُورًا^١.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يؤرخ ابن كثير لأحداث سنة إحدى وثلاثين ومائة هجرة النبوية:

فِيهَا غَزَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الصَّائِفَةَ فَفَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَقَتَلَ أُمَّمًا لَا يُحْصُونَ كَثْرَةً.

وَفِيهَا غَزَى الْمُقْتَدِرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ وَرَارَتِهِ وَقَلَّدَهَا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْوُزَرَاءِ وَأَقْصَدِهِمْ لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ.

وَفِيهَا كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ الدَّمَوِيَّةُ بِبَغْدَادَ فِي تَمُورَ وَآبِ فَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا.

وَفِيهَا وَصَلَتْ هَدَايَا صَاحِبِ عُمَانَ وَفِيهَا بَغَّةٌ بَيْضَاءُ وَغَزَالٌ أَسْوَدٌ^٢.

١ - المصدر السابق، ج ١٣، ص ٢٨٨.

٢ - المصدر السابق، ج ١٤، ص ٧٨٤.

ويرد أيضا حين يؤرخ ابن كثير لأحداث سنة أربع وعشرين وثلاثمائة:

وَفِيهَا وَقَعَ بِنْعْدَادَ غَلَاءٍ عَظِيمٍ وَفَنَاءٍ كَثِيرٍ، بِحَيْثُ عُدِمَ الْخُبْرُ مِنْهَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَمَاتَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ كَانَ فِي الصُّعْفَاءِ، وَكَانَ الْمَوْتَى يُقَوَّنُ فِي الطَّرِيقَاتِ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ، وَيُحْمَلُ عَلَى الْجِنَازَةِ الْوَاحِدَةَ الْإِثْنَانُ مِنَ الْمَوْتَى، وَرُبَّمَا يُوضَعُ بَيْنَهُمْ صَبِيٌّ، وَرُبَّمَا حُفِرَتِ الْحُفْرَةُ الْوَاحِدَةُ فَتُوسَّعُ حَتَّى يُوضَعَ فِيهَا جَمَاعَةٌ، وَمَاتَ مِنْ أَصْبَهَانَ نَحْوُ مِائَتَيْ أَلْفٍ إِنْسَانٍ.

وَوَقَعَ فِيهَا حَرِيقٌ بِعُمَانَ اخْتَرَقَ فِيهِ مِنَ الشُّودَانِ أَلْفٌ، وَمِنَ الْبَيْضَانِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا اخْتَرَقَ فِيهِ أَرْبَعُمِائَةَ حِمْلٍ كَافُورًا^١.

ويرد أيضا حين يؤرخ ابن كثير لأحداث سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة هجرية، وقد توفي فيها هارون بن محمد:

هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ عَمْرِو بْنِ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أَسِيدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ صُبْحِ بْنِ ذُهَلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ صَبَّةَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَالِدُ الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ هَارُونَ.

كَانَ أَسْلَافُهُ مُلُوكَ عُمَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَيَزِيدُ بْنُ جَابِرٍ أَدْرَكَهُ الْإِسْلَامُ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ هَارُونَ هَذَا أَوَّلَ مَنْ انْتَقَلَ مِنْ أَهْلِهِ مِنْ عُمَانَ فَتَزَلَّ بِنْعْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا وَرَوَى عَنْهُ ابْنُهُ، وَكَانَ فَاضِلًا مُتَصَلِّعًا مِنْ كُلِّ فَنٍّ، وَكَانَتْ دَارُهُ مَجْمَعَ الْعُلَمَاءِ فِي سَائِرِ الْفُنُونِ، وَنَفَقَاتُهُ دَارَةٌ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ لَهُ مَنَزَلَةٌ عَالِيَةً، وَمَهَابَةٌ وَافِرَةٌ بِبِنْعْدَادَ، وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ الدَّارِقُطْنِيُّ ثَنَاءً كَثِيرًا، وَقَالَ: كَانَ مَبْرُورًا فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالشَّعْرِ وَمَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْكَلامِ^٢.

ويرد أيضا حين يؤرخ ابن كثير لأحداث سنة أربعين وثلاثمائة:

فِيهَا قَصَدَ صَاحِبُ عُمَانَ الْبَصْرَةَ لِيَأْخُذَهَا فِي مَرَائِبِ كَثِيرَةٍ، وَجَاءَ لِتَضْرَهُ أَبُو يَعْقُوبَ الْهَجْرِيُّ، فَمَانَعَهُ عَنْهَا الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدِ الْمُهَلَّبِيِّ وَصَدَّهُ عَنْهَا، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَسَبَى كَثِيرًا مِنْ مَرَائِبِهِ، فَسَاقَهَا مَعَهُ فِي دِجْلَةَ، وَدَخَلَ بِهَا إِلَى بِنْعْدَادَ فِي أَبْهَةِ عَظِيمَةٍ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ^٣.

١ - المصدر السابق، ج ١٥، ص ٩٦.

٢ - المصدر السابق، ج ١٥، ص ١٩١ - ١٩٢.

٣ - المصدر السابق، ج ١٥، ص ٢٠٨.

ويرد أيضا حين يؤرخ ابن كثير لأحداث سنة خمس وخمسين وثلاثمائة:

فِي عَاشِرِ الْمُحَرَّمِ عَمِلَتِ الرُّوَامُ بِبَغْدَادَ بِدَعْتِهِمُ الشَّنْعَاءَ وَفَتَنَتَهُمُ الصَّلْعَاءَ. وَفِيهَا أَخَذَتِ
الْقَرَامِطَةُ الْهَجْرِيُونَ عُمَانَ.

وَفِيهَا قَصَدَتِ الرُّومُ أَمَدَ فَحَاصَرُوهَا، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا، وَلَكِنْ قَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا ثَلَاثِمِائَةَ وَأَسْرُوا
مِنْهُمْ أَرْبَعِمِائَةَ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى نَصِيبِينَ وَفِيهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ، فَهَمَّ بِالْهَرَبِ مَعَ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأَخَّرَ
مَجِيءُ الرُّومِ، فَتَبَّتْ مَكَانَهُ، وَقَدْ كَادُوا يُزِيلُونَ أَرْكَانَهُ!

رحلات ابن بطوطة

زار ابن بطوطة عمان سنة ١٣٣١م، وقد توقف في ظفار، وقلهات، وقريات، ومسقط، والسيب، وهرمز، من مناطق الساحل، ومن داخل عمان زار مدينة نزوى. وقد خص بالوصف منها ظفار، وقريات، ونزوى، وهرمز:

وركبنا البحر من كُلوأ إلى مدينة ظَفَار الحُمُوض، وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره راء مبنية على الكسر، وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي، ومنها تحمل الخيل العتاق إلى الهند. ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل، قد قطعته مرة في القلوط من بلاد الهند إلى ظفار في ثمانية وعشرين يوماً بالريح، ولم ينقطع لنا جري بالليل ولا بالنهار. وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء. وبينها وبين حضرموت ستة عشر يوماً، وبينها وبين عُمان عشرون يوماً. ومدين ظفار في صحراء لا قرية بها ولا عمالة لها، والسوق خارج المدينة بَرَبَضٍ يعرف بالحَزْجاء، وهي من أقدر الأسواق وأشدها تنناً وأكثرها ذبَابًا، لكثرة ما يباع فيها من الثمرات والسمك. وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين، وهو بها في النهاية من السمن. ومن العجائب أن دوابهم إنما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم. ولم أر ذلك في سواها. وأكثر باعتهما الخدم، وهن يلبسن السواد. وزرع أهلها الذرة، وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء. وكيفية سقيهم أنهم يصنعون دلوًا كبيرة، ويجعلون لها حبالًا كثيرة، ويتحزم بكل حبل عبد أو خادم، ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر، ويصبونها في صهريج يسقون منه. ولهم قمح يسمونه العَلَس وهو في الحقيقة نوع من السلّت، والأرز يجلب إليهم من بلاد الهند، وهو أكثر طعامهم. ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير، ولا تنفق في سواها. وهم أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها، ومن عاداتهم أنه إذا وصل مركب من الهند أو غيرها خرج عبید السلطان إلى الساحل، وصعدوا في صنبوق إلى المركب، ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله، وللربان وهو الرئيس، وللكراني وهو كاتب المركب، ويؤتى إليهم بثلاثة أفراس فيركبونها، وتضرب أمامهم الأبطال والأبواق من ساحل

البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير الجند، وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثاً، وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان.

وهم يفعلون ذلك استجلاباً لأصحاب المراكب. وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء، ولباسهم القطن، وهو يجلب إليهم من بلاد الهند. ويشدون الفوط في أوساطهم عوضاً عن السروال، وأكثرهم يشد فوطة في وسطه، ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر، ويغتسلون مرات في اليوم.

وهي كثيرة المساجد. ولهم في كل مسجد مظاهر كثيرة معدة للاغتسال. ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جداً.

والغالب على أهلها رجالاً ونساء المرض المعروف بداء الفيل، وهو انتفاخ القدمين. وأكثر رجالهم مبتلون بالأذر، والعياذ بالله. ومن عوايدم الحسنة التصافح في المسجد إثر صلاة الصبح والعصر، يستند أهل الصف الأول إلى القبلة، ويصافحهم الذين يلونهم. وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة، يتصافحون أجمعون. ومن خواص هذه المدينة وعجائبها أنه لا يقصدها أحد بسوء إلا عاد عليه مكروه، وحيل بينه وبينها.

وذكر لي أن السلطان قطب الدين تَمْتَهَن بن طوران شاه صاحب هرمز نازلها مرة من البر والبحر، فأرسل الله سبحانه عليه ريحاً عاصفاً كسرت مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها. وكذلك ذكر أن الملك المجاهد سلطان اليمن عَيْنَ ابن عم له بعسكر كبير، برسم انتزاعها من يد ملكها، وهو أيضاً ابن عمه، فلما خرج ذلك الأمير من داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعاً. ورجع الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها. ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم. نزلت بدار الخطيب بمسجدها الأعظم، وهو عيسى بن علي، كبير القدر كريم النفس. فكان له جوارٍ مسميات بأسماء خدام المغرب، إحداهن اسمها بنخيتة والأخرى زاد المال. ولم أسمع هذه الأسماء في بلد سواها. وأكثر أهلها رؤوسهم مكشوفة، لا يجعلون عليها العمائم. وفي كل دار من دورهم سجادة النخوص، معلقة في البيت، يصلي عليها صاحب البيت، كما يفعل أهل المغرب. وأكلهم الذرة. وهذا التشابه كله مما يقوي القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير. وبقرب من هذه المدينة بين بساتينها زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى، من

أهل ظفار. وهذه الزاوية معظمة عندهم، يأتون إليها غدواً وعشيا، ويستجرون بها. فإذا دخلها المستجير لم يقدر السلطان عليه. رأيت بها شخصاً ذكر لي أن له بها مدة سنين مستجيراً لم يتعرض له السلطان.

وفي الأيام التي كنتُ بها استجار بها كاتب السلطان، وأقام فيها حتى وقع بينهما الصلح. أتيت هذه الزاوية، فبت بها في ضيافة الشيخين أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ أبي بكر المذكور، وشاهدت لهما فضلاً عظيماً، ولما غسلنا أيدينا من الطعام أخذ أبو العباس منهما ذلك الماء الذي غسلنا به فشرب منه، وبعث الخادم بباقيه إلى أهله وأولاده فشربوه. وكذلك يفعلون بمن يتوسمون فيه الخير من الواردين عليهم. وكذلك أضافني قاضيها الصالح أبو هاشم عبد الله الزبيدي، وكان يتولى خدمتي وغسل يدي بنفسه، ولا يكل ذلك إلى غيره. وبمقربة من هذه الزاوية تربة سلف السلطان الملك المغيث، وهي معظمة عندهم، ويستجير بها من طلب حاجة، فتقضى له. ومن عادة الجند أنه إذا تم الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم، استجار بهذه التربة، وأقاموا في جوارها إلى أن يعطوا أرزاقهم.

وعلى مسيرة نصف يوم من هذه المدينة الأحقاف، وهي منازل عاد. وهناك زاوية ومسجد على ساحل البحر، وحوله قرية لصيادي السمك. وفي الزاوية قبر مكتوب عليه: هذا قبر هود بن عابر عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد ذكرت أن بمسجد دمشق موضعاً مكتوب عليه: هذا قبر هود بن عابر. والأشبه أن يكون قبره بالأحقاف لأنها بلاده، والله أعلم. ولهذه المدينة بساتين فيها موز كثير كبير الجزم. وزنتُ بمحضري حبة منه فكان وزنها اثنتي عشرة أوقية. وهو طيب المطعم شديد الحلاوة. وبها أيضاً التنبول والنارجيل المعروف بجوز الهند، ولا يكونان إلا ببلاد الهند، وبمدينة ظفار هذه، لشبهها بالهند وقربها منه؛ اللهم إلا أن في مدينة زبيد، في بستان السلطان شجيرات من النارجيل. وإذ قد وقع ذكر التنبول والنارجيل، فلنذكرهما، ولنذكر خصائصهما.

ذكر التنبول

والتنبول شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب، ويصنع له معرشات من القصب، كما تصنع لدوالي العنب، أو يغرس في مجاورة النارجيل، فيصعد فيها كما تصعد الدوالي، وكما يصعد الفلفل. ولا ثمر للتنبول. وإنما المقصود منه ورقه، وهو يشبه ورق العليق. وأطيبه الأصفر.

وتجنى أوراقه في كل يوم. وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيمًا شديدًا، وإذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه، فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها، لا سيما إن كان أميرًا أو كبيرًا. وإعطاؤه عندهم أعظم شأنًا وأدل على الكرامة من إعطاء الفضة والذهب. وكيفية استعماله أن يؤخذ قبله الفوفل، وهو شبه جوز الطيب، فيكسر حتى يصير أطرافًا صغارًا، ويجعله الإنسان في فمه ويعلكه، ثم يأخذ ورق التنبول، فيجعل عليها شيئًا من النورة ويمضغها مع الفوفل. وخاصيته أنه طيب النكهة، ويذهب بروائح الفم، ويهضم الطعام، ويقطع ضرر شرب الماء على الريق، ويفرح آكله، ويعين على الجماع. ويجعله الإنسان عند رأسه ليلاً فإذا استيقظ من نومه، أو أيقظته زوجته أو جاريته أخذ منه، فيذهب بما في فمه من رائحة كريه. ولقد ذكر لي أن جوارى السلطان والأمراء ببلاد الهند لا يأكلن غيره، وسنذكره عند ذكر بلاد الهند.

ذكر النارجيل

وهو جوز الهند، وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنًا وأعجبها أمرًا، وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما، إلا أن هذه تثمر جوزًا، وتلك تثمر تمرًا. وجوزها يشبه رأس ابن آدم، لأن فيها شبه العينين والفم، وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء، وعليها ليف شبه الشعر، وهم يصنعون به حبالًا يخيطون به المراكب عوضًا عن مسامير الحديد، ويصنعون منه الحبال للمراكب. والجوزة منها وخصوصًا التي بجزائر ذيبة المهل، تكون بمقدار رأس الأدمي. ويزعمون أن حكماء من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلًا بملك من الملوك ومعظمًا لديه، وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معادة. فقال الحكيم للملك: إن رأس هذا الوزير إذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تثمر بثمر عظيم، يعود نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا. فقال له الملك: فإن لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته، قال: إن لم يظهر، فاصنع برأسي كما صنعت برأسه. فأمر الملك برأس الوزير فقطع، وأخذ الحكيم، وغرس نواة تمر في دماغه، وعالجها حتى صارت شجرة، وأثمرت بهذا الجوز. وهذه الحكاية من الأكاذيب، ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم. ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن وإسراع السمن والزيادة في حمرة الوجه. وأما الإعانة على الباءة ففعله فيها عجيب. ومن عجائبه أنه يكون في ابتداء أمره أخضر. فمن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الحلاوة والبرودة. ومزاجه حار معين على الباءة. فاذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملعقة

وجرد بها ما في داخل الجوزة من الطعام، فيكون طعمه كطعم البيضة إذا شربت ولم يتم نضجها كل التمام، ويتغذى به. ومنه كان غذائي أيام إقامتي بجزائر ذبية المهل مدة عام ونصف عام. وعجائبه أن يصنع منه الزيت والحليب والعسل. فأما كيفية صناعة العسل منه فإن خدام النخل منه، ويسمون الفازانية، يصعدون إلى النخلة غدواً وعشياً إذا أرادوا أخذ مائها الذي يصنعون منه العسل، وهم يسمونه الأطواق، فيقطعون العذق الذي يخرج منه الثمر، ويتركون منه مقدار إصبعين، ويربطون عليه قدرًا صغيرة فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق. فإذا ربطها غدوة، صعد إليها عشياً ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور، أحدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العذق في أحد القدحين ويغسله بالماء الذي في القدح الآخر، وينجر من العذق قليلاً ويربط عليه القدر ثانية، ثم يفعل غدوة كفعله عشياً، فإذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب إذا صنع منه الرُبّ، فيصير عسلاً عظيم النفع طيباً، يشتره تجار الهند واليمن والصين، ويحملونه إلى بلادهم، ويصنعون منه الحلواء. وأما كيفية صنع الحليب منه فإن بكل دار شبه الكرسي، تجلس فوقه المرأة، ويكون بيدها عصا، في أحد طرفيها حديدة مشرفة، فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديد، ويجرشون ما في باطن الجوزة، وكل ما ينزل منها يجتمع في صحفة، حتى لا يبقى في داخل الجوزة شيء، ثم يمرس ذلك الجريش بالماء، فيصير كلون الحليب بياضاً، ويكون طعمه كطعم الحليب، ويأتمم به الناس. وأما كيفية صنع الزيت فإنهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره، فيزيلون قشره ويقطعون قطعاً ويجعل في الشمس، فإذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيتته، وبه يستصحبون. ويضعه الناس في شعورهم، وهو عظيم النفع.

ذكر سلطان ظفار

وهو السلطان الملك المغيث بن الملك الفائز ابن عم ملك اليمن. وكان أبوه أميراً على ظفار من قبل صاحب اليمن. وله عليه هدية يبعثها له في كل سنة. ثم استبد الملك المغيث بملكها، وامتنع من إرسال الهدية. وكان من عزم ملك اليمن على محاربتة، وتعيين ابن عمه ووقوع الحائط عليه ما ذكرناه آنفاً. وللسلطان قصر بداخل المدينة يسمى الحصن، عظيم فسيح، والجامع بإزائه. ومن عادته أن تضرب الطبول والبوقات والأنفار والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة العصر؛ وفي كل يوم إثنين وخميس تأتي العساكر إلى بابه فيقفون خارج المشور ساعة

وينصرفون، والسلطان لا يخرج ولا يراه أحد إلا في يوم الجمعة، فيخرج للصلاة ثم يعود إلى داره. ولا يمنع أحد من دخول المشور، وأمير جندار قاعد على بابه، وإليه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية، وهو يطالع السلطان، ويأتيه الجواب للحين. وإذا أراد السلطان الركوب خرجت مراكبه من القصر وسلاحه ومماليكه إلى خارج المدينة، وأُتي بجمل عليه محمل مستور بستر أبيض منقوش بالذهب، فيركب السلطان ونديمه في المحمل بحيث لا يرى. وإذا خرج إلى بستانه وأحب ركوب الفرس ركبته ونزل عن الجمل. وعادته أن لا يعارضه أحد في طريقه ولا يقف لرؤيته ولا لشكايته ولا لغيرها، ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب. فتجد الناس إذا سمعوا بخروج السلطان فروا عن الطريق وتحاموها. ووزير هذا السلطان الفقيه محمد العدني، وكان معلم صبيان، فعلم هذا السلطان القراءة والكتابة، وعاهده على أن يستوزره إن ملك. فلما ملك استوزره، فلم يكن يحسنها، فكان الاسم له والحكم لغيره. ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عُمان في مركب صغير لرجل يعرف بعلي بن إدريس المصيري من أهل جزيرة مصيرة. وفي الثاني لركوبنا نزلنا بمرسى حاسك وبه ناس من العرب، صيادون للسّمك، ساكنون هنالك، وعندهم شجر الكُنْدُر، وهو رقيق الورق. وإذا شرطت الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن، ثم عاد صمغاً. وذلك الصمغ هو اللُّبان وهو كثير جداً هنالك. ولا معيشة لأهل ذلك المرسى إلا من صيد السمك، وسمكهم يعرف باللحْم "بخاء معجم مفتوح"، وهو شبيهه كلب البحر. يشرح ويقدد ويقنات به. ويوتهم من عظام السمك، وسقفها من جلود الجمال. وسرنا من مرسى حاسك أربعة أيام ووصلنا إلى جبل لمعان "بضم اللام"، وهو في وسط البحر، وبأعلاه رابطة مبنية بالحجارة وسقفها من عظام السمك، وبخارجها غدير ماء يجتمع من المطر.

ذكر ولي لقيناه بهذا الجبل

ولما أرسينا تحت هذا الجبل صعَدناه إلى هذه الرابطة، فوجدنا بها شيخاً نائماً، فسلمنا عليه فاستيقظ، وأشار برد السلام فكلمناه فلم يكلمنا، وكان يحرك رأسه. فأتاه أهل المركب بطعام، فأبى أن يقبله. فطلبنا منه الدعاء فكان يحرك شفّتيه ولا نعلم ما يقول، وعليه مرقعة وقلنسوة لبد، وليس معه ركوة ولا إبريق ولا عكاز ولا نعل. وقال أهل المركب: إنهم ما رأوه قط بهذا الجبل. وأقمنا تلك الليلة بساحل الجبل، وصلينا معه العصر والمغرب، وجئناه بطعام فرده، وأقام يصلي إلى العشاء الآخرة. ثم أذن وصلينا معه. وكان حسن الصوت بالقراءة مجيداً لها،

ولما فرغ من صلاة العشاء الآخرة أوماً إلينا بالانصراف، فودعناه وانصرفنا ونحن نعجب من أمره. ثم إنني أردت الرجوع إليه لما انصرفنا، فلما دنوت منه غلب علي الخوف، ورجعت إلى أصحابي وانصرفت معهم، وركبنا البحر، ووصلنا بعد يومين إلى جزيرة الطير، وليست بها عمارة. فأرسينا وصعدنا إليها، فوجدناها ملآنة بطيور تشبه الشقاشق، إلا أنها أعظم منها. وجاءت الناس بيض تلك الطيور فطبخوها وأكلوها، واصطادوا جملة من تلك الطيور فطبخوها دون ذكاة وأكلوها. وكان يجالسني تاجر من أهل جزيرة مصيرة ساكن بظفار اسمه مسلم، ورأيتُه يأكل معهم تلك الطيور، فأنكرت ذلك عليه، فاشتد خجله وقال لي: ظننت أنهم ذبحوها. وانقطع عني بعد ذلك من الخجل، فكان لا يقربني حتى أدعو به. وكان طعامي في تلك الأيام بذلك المركب التمر والسّمك. وكانوا يصطادون بالغدو والعشي سمكاً يسمى بالفارسية شير ماهي، ومعناه أسد السمك، لأن شير هو الأسد، وماهي السمك. وهو يشبه الحوت المسمى عندنا بتارزت، وهم يقطعونه قطعاً ويشوونه ويعطون كل من في المركب قطعة، لا يفضلون أحداً على أحد ولا صاحب المركب ولا سواه، ويأكلونه بالتمر. وكان عندي خبز وكعك استصحبتهما من ظفار، فلما نفدا، كنت أقتات من ذلك السمك في جملتهم. وعيدنا عيد الأضحى على ظهر البحر، وهبت علينا في يومه ريح عاصف بعد طلوع الفجر، ودامت إلى طلوع الشمس، وكادت تغرقنا.

كرامة

وكان معنا في المركب حاج من أهل الهند يسمى بخضر، ويدعى بمولانا، لأنه يحفظ القرآن ويحسن الكتابة، فلما رأى هول البحر لف رأسه بعباءة كانت له وتناوم، فلما فرج الله ما نزل بنا قلت له: يا مولانا خضر كيف رأيت؟ قال: كنت عند الهول أفتح عيني أنظر، هل أرى الملائكة الذين يقبضون الأرواح جاءوا، فلا أراهم، فأقول الحمد لله لو كان الغرق لأتوا لقبض الأرواح. ثم أغلق عيني ثم أفتحهما، فأنظر كذلك، إلى أن فرج الله عنا. وكان قد تقدمنا مركب لبعض التجار فغرق، ولم ينج منه إلا رجل واحد خرج عوماً بعد جهد شديد. وأكلت في ذلك المركب نوعاً من الطعام لم أذقه قبل ولا بعد، صنعه بعض تجار عمان وهو من الذرة طبخها من غير طحن، وصب عليه السيلان، وهو غسل التمر، وأكلناه. ثم وصلنا إلى جزيرة مصيرة التي منها صاحب المركب الذي كنا فيه، وهي على لفظ مصير وزيادة تاء التأنيث، جزيرة كبيرة، لا عيش لأهلها إلا من السمك. ولم ننزل إليها لبعدها عن الساحل. وكنت قد كرهتهم لما رأيتهم يأكلون

الطير من غير ذكاة. وأقمنا بها يوماً، وتوجه صاحب المركب إلى داره وعاد إلينا، ثم سرنا يوماً وليلة، ووصلنا إلى مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر تعرف بصور، ورأينا منها مدينة قلهات، في سفح جبل، فخيّل لنا أنها قريبة. وكان وصولنا إلى المرسى وقت الزوال أو قبله. فلما ظهرت لنا المدينة أحببت المشي إليها والمبيت بها، وكنت قد كرهت صحبة أهل المركب، فسألت عن طريقها، فأخبرت أنني أصل إليها العصر. فاكتريت أحد البحرين ليدلني على طريقها، وصحبنى خضر الهندي الذي تقدم ذكره، وتركت أصحابي مع ما كان لي بالمركب ليلحقوا بي في غد ذلك اليوم، وأخذت أثواباً كانت لي، فدفعتها للدليل ليكفيني مؤونة حملها، وحملت في يدي رمحاً. فإذا ذلك الدليل يحب أن يستولي على أثوابي، فأتى بنا إلى خليج يخرج من البحر فيه المد والجزر، فأراد عبوره بالثياب، فقلت له: إنما تعبر وحدك وتترك الثياب عندنا، فإن قدرنا الجواز جزناً، وإلا صعدا نطلب المجاز فرجع. ثم رأينا رجالاً جازوه عومًا فتحققنا أنه كان قصده أن يعرقنا ويذهب بالثياب. فحينئذ أظهرت النشاط وأخذت بالحزم وشدت وسطي وكنت أهز الرمح، فهابني ذلك الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجازاً، ثم خرجنا إلى صحراء لا ماء بها، واشتد الأمر، فبعث الله لنا فارساً في جماعة من أصحابه ويبد أحدهم ركوة ماء فسقاني وسقى صاحبي. وذهبتنا نحسب المدينة قريبة منا، وبيننا وبينها خنادق نمشي فيها الأميال الكثيرة. فلما جاء العشي أراد الدليل أن يميل بنا إلى ناحية البحر، وهو لا طريق له، لأن ساحله حجارة. فأراد أن ننشب فيها ويذهب بالثياب. فقلت له: إنما نمشي على هذه الطريق التي نحن عليها، وبينها وبين البحر نحو ميل. فلما أظلم الليل قال لنا، إن المدينة قريبة، فتعالوا نمشي حتى نبيت بخارجها إلى الصباح. فخفت أن يتعرض لنا أحد في الطريق، ولم أحقق مقدار ما بقي، إليها، فقلت له: إنما الحق أن نخرج عن الطريق فننام، فإذا أصبحنا أتينا المدينة إن شاء الله. وكنت قد رأيت جملة من الرجال في سفح جبل هنالك، فخفت أن يكونوا لصوصاً، وقلت التستر أولى. وغلب العطش على صاحبي فلم يوافق على ذلك. فخرجت عن الطريق، وقصدت شجرة من شجر أم غيلان، وقد أعيبت وأدركني الجهد، لكنني أظهرت قوة وتجلداً، خوف الدليل. وأما صاحبي فمريض لا قوة له. فجعلت الدليل بيني وبين صاحبي، وجعلت الثياب بين ثوبي وجسدي، وأمسكت الرمح بيدي ورقد صاحبي ورقد الدليل، وبقيت ساهراً. فكلما تحرك الدليل كلمته وأريته أنني مستيقظ، ولم نزل كذلك حتى الصباح.

ثم خرجنا إلى الطريق فوجدنا الناس ذاهبين بالمرافق إلى المدينة، فبعثت الدليل لياتينا

بماء، وأخذ صاحبي الثياب. وكان بيننا وبين المدينة مهاوٍ وخنادق. فأتانا بالماء فشربنا، وذلك أو أن الحر، ثم وصلنا إلى مدينة قلّهات، وضبط اسمها بفتح القاف وإسكان اللام وآخره تاء مثناة، فأتيناها ونحن في جهد عظيم. وكنت قد ضاقت نعلي على رجلي حتى كاد الدم يخرج من تحت أظفارها، فلما وصلنا باب المدينة كان ختام المشقة، أن قال لنا الموكل بالباب: لا بد لك أن تذهب معي إلى أمير المدينة ليعرف قضيتك، ومن أين قدمت. فذهبت معه إليه فرأيتُه فاضلاً حسن الأخلاق، وسألني عن حالي وأنزلي، وأقمت عنده ستة أيام، لا قدرة لي فيها على النهوض على قدمي لما لحقها من الآلام.

ومدينة قلّهات على الساحل، وهي حسنة الأسواق، ولها مسجد من أحسن المساجد. حيطانه بالقاشاني، وهو شبه الزليج. وهو مرتفع، ينظر منه إلى البحر، والمرسى، وهو من عمارة الصالحة بيبي مريم، ومعنى بيبي عندهم الحرة. وأكلت بهذه المدينة سمكاً لم أكل مثله في إقليم من الأقاليم، وكنت أفضله على جميع اللحوم، فلا أكل سواه. وهم يشوونه على ورق الشجر، ويجعلونه على الأرز، ويأكلونه. والأرز يجلب إليهم من أرض الهند. وهم أهل تجارة، ومعيشتهم مما يأتي إليهم في البحر الهندي. وإذا وصل إليهم مركب فرحوا به أشد الفرح. وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب. وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا. فيقولون مثلاً: تأكل لا، تمشي لا، تفعل كذا لا. وأكثرهم خوارج. لكنهم لا يقدرّون على إظهار مذهبهم، لأنهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تمتهن ملك هرمز، وهو من أهل السنة. وبمقربة من قلّهات قرية طيبي، واسمها على نحو اسم الطيب إذ أضافه المتكلم لنفسه. وهي من أجمل القرى وأبدعها حسناً، ذات أنهار جارية وأشجار ناضرة وبساتين كثيرة. ومنها تجلب الفواكه إلى قلّهات. وبها الموز المعروف بالمُزوّاري، والمُزوّاري بالفارسية هو الجوهرى، وهو كثير بها، ويجلب منها إلى هرمز وسواها. وبها أيضاً التنبول، لكن ورقته صغيرة. والتمر يجلب إلى هذه الجهات من عمان. ثم قصدنا بلاد عمان، فسرنا ستة أيام في صحراء، ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع. وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس. ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة نَزْوا، وضبط اسمها بنون مفتوح وزاي مسكن وواو مفتوح، مدينة في سفح جبل، تحف بها البساتين والأنهار. يأتي كل إنسان بما عنده، ويجتمعون للأكل في صحن المسجد، ويأكل معهم الوارد والصادر. ولهم نجدة وشجاعة. والحرب قائمة فيما بينهم أبداً. وهم إباضية المذهب. ويصلون الجمعة ظهراً أربعاً، فإذا فرغوا منها قرأ الإمام آيات من

القرآن، ونثر كلامًا شبه الخطبة يُرَضِّي فيه عن أبي بكر وعمر، ويسكت عن عثمان وعلي. وهم إذا أرادوا ذكر علي رضي الله عنه كتّوا عنه بالرَّجُل، فقالوا: ذكر عن الرجل أو قال الرجل. ويُرضون عن الشقي العين ابن ملجم، ويقولون فيه: العبد الصالح قامع الفتنة. ونساؤهم يكثرن الفساد، ولا غيرة عندهم، ولا إنكار لذلك. وسنذكر حكاية إثر هذا مما يشهد بذلك.

ذكر سلطان عمان

وسلطانها عربي من قبيلة الأزد بن الغوث، ويعرف بأبي محمد ابن نبهان. وأبو محمد عندهم سمة لكل سلطان يلي عمان، كما هي أتابك عند ملوك اللور. وعادته أن يجلس خارج باب داره في مجلس هنالك، ولا حاجب له ولا وزير، ولا يمنع أحدًا من الدخول إليه من غريب أو غيره، ويكرم الضيف على عادة العرب، ويعين له الضيافة، ويعطيه على قدره. وله أخلاق حسنة. ويؤكل على مائدته لحم الحمار الإنسي، ويبيع بالسوق، لأنهم قائلون بتحليله، ولكنهم يخفون ذلك عن الوارد عليهم، ولا يظهره بمحضه. ومن مدن عمان مدينة زكي لم أدخلها، وهي على ما ذكر لي، مدينة عظيمة منها القُرَيَات وشَبَا وكَلْبَا وخورفكَّان وضحار، وكلها ذات أنهار وحدائق وأشجار ونخل، وأكثر هذه البلاد في عمالة هرمز.

حكاية

كنت يومًا عند السلطان أبي محمد بن نبهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بادية الوجه، فوقفت بين يديه وقالت له: يا أبا محمد طغا الشيطان في رأسي. فقال لها: اذهبي واطردي الشيطان. فقالت له: لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد. فقال لها: اذهبي فافعلي ما شئت. فذكر لي لما انصرفت عنه أن هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان، وتذهب للفساد، ولا يقدر أبوها ولا ذوو قرابتها أن يغيروا عليها، وإن قتلوها قتلوا بها، لأنها في جوار السلطان.

ثم سافرت من بلاد عمان إلى بلاد هرمز، وهرمز مدينة على ساحل البحر، وتسمى أيضًا موع أستان، وتقابلها في البحر هرمز الجديدة، وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ. ووصلنا إلى هرمز الجديدة، وهي جزيرة مدينتها تسمى جَرُون، بفتح الجيم والراء وآخرها نون، وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة، وهي مرسى الهند والسند، ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقيين وفارس وخراسان. وهذه المدينة سكنى السلطان، والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم، وأكثرها سباخ

وجبال ملح، وهو الملح الداراني، ومنه يصنعون الأواني المزينة والمنارات التي يضعون السرج عليها. وطعامهم السمك والتمر المجلوب إليهم من البصرة وعُمان. ويقولون بلسانهم: خرما وما هي لوت بادشاهي، معناه بالعربي التمر والسمك طعام الملوك. وللماء في الجزيرة قيمة، وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة، يجتمع فيها ماء المطر. وهي على بعد من المدينة، ويأتون إليها بالقرب فيملاًونها ويرفعونها على ظهورهم إلى البحر، يوسقونها في القوارب ويأتون بها إلى المدينة. ورأيتُ من العجائب عند باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كأنه رابية وعيناه كأنهما بابان، فترى الناس يدخلون في إحداهما، ويخرجون من الأخرى. ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح السائح أبا الحسن الأقطاراني، وأصله من بلاد الروم، فأضافني وزارني وألبسني ثوباً، وأعطاني كَمَر الصحبة، وهو يحتبي به، فيعين الجالس، فيكون كأنه مستند. وأكثر فقراء العجم يتقلدونه. وعلى ستة أميال من هذه المدينة مزار ينسب إلى الخضر وإلياس عليهما السلام. يذكر أنهما يصليان فيه، وظهرت له بركات وبراهين. وهنالك زاوية يسكنها أحد المشايخ يخدم بها الوارد والصادر، وأقمنا عنده يوماً، وقصدنا من هنالك زيارة رجل صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة، قد نحت غارًا لسكناه. فيه زاوية ومجلس ودار صغيرة له. فيها جارية وله عبید خارج الغار يرعون بقرًا له وغنمًا. وكان هذا الرجل من كبار التجار فحج البيت وقطع العلائق وانقطع هنالك للعبادة، ودفع ماله لرجل من إخوانه يتّجر له به. وبتنا عنده ليلة، فأحسن القوي وأجمل، رضي الله تعالى عنه، وسيمة الخير والعبادة لائحة عليه.

ذكر سلطان هرمز

وهو السلطان قطب الدين تَمْتَهَن طوران شاه، وضبط اسمه بفتح التاءين المعلوتين وبينهما ميم مفتوح وهاء مسكنة وآخره نون، وهو من كرماء السلاطين، كثير التواضع حسن الأخلاق، وعادته أن يأتي لزيارة كل من يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف ويقوم بحقه، ولما دخلنا جزيرته وجدناه مهياً للحرب مشغولاً بها مع ابني أخيه نظام الدين. فكان في كل ليلة يتيسر للقتال. والغلاء مستول على الجزيرة، فأتى إلينا وزيره شمس الدين محمد بن علي وقاضيه عماد الدين الشونكاري وجماعة من الفضلاء، فاعتذروا بما هم عليه من مباشرة الحرب. وأقمنا عندهم ستة عشر يوماً. فلما أردنا الانصراف قلت لبعض الأصحاب: كيف ننصرف ولا نرى هذا السلطان؟ فجننا على الوزير وكانت داره في جوار الزاوية التي نزلت بها، فقلت له، إني أريد السلام على الملك. فقال بسم الله، وأخذ بيدي فذهب بي إلى داره، وهي على ساحل البحر،

والأجفان مجلسة عندها. فإذا شيخ عليه أقبية ضيقة دنسة، وعلى رأسه عمامة، وهو مشدود الوسط بمنديل، فسلم عليه الوزير وسلمت عليه ولم أعرف أنه الملك. وكان إلى جانبه ابن أخته، وهو علي شاه ابن جلال الدين الكيجي، وكانت بيني وبينه معرفة، فأنشأت أحادثه، وأنا لا أعرف الملك، فعرفني الوزير بذلك. فخرجت منه لإقبالي بالحديث على ابن أخته دونه واعتذرت، ثم قام فدخل داره، وتبعه الأمراء والوزراء وأرباب الدولة. ودخلت مع الوزير، فوجدناه قاعدًا على سرير ملكه وثيابه عليه لم يبدلها وفي يده سبحة جوهر، لم تر العيون مثلها لأن مغاصات الجواهر تحت حكمه. فجلس أحد الأمراء إلى جانبه، وجلست إلى جانب ذلك الأمير، وسألني عن حالي ومقدمي وعمن لقيته من الملوك فأخبرته بذلك. وحضر الطعام فأكل الحاضرون ولم يأكل معهم، ثم قام فودعته وانصرفت. وسبب الحرب التي بينه وبين ابني أخيه أنه ركب البحر مرة من مدينته الجديدة برسم النزهة في هرمز القديمة وبساتينها، وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ كما قدمناه. فخالف عليه أخوه نظام الدين، ودعا لنفسه وبايعه أهل الجزيرة وبايعته العساكر، فخاف قطب الدين على نفسه وركب البحر إلى مدينة قلهاة التي تقدم ذكرها، وهي من جملة بلاده، فأقام بها شهرًا وجهز المراكب وأتى الجزيرة، فقاتله أهلها مع أخيه وهزموه. وعاد إلى قلهاة، وفعل ذلك مرارًا، فلم تكن له حيلة إلا أن يرسل بعض نساء أخيه فسمته ومات. وأتى هو إلى الجزيرة فدخلها، وفر ابنا أخيه بالخزائن والأموال والعساكر إلى جزيرة قيس، حيث مغاص الجوهر، وصاروا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند، ويغيرون على بلاده البحرية، حتى تخرب معظمها. ثم سافرنا من مدينة جرون برسم لقاء رجل صالح ببلد خنج بال. فلما عدنا البحر اكترينا دواب من التركمان، وهم سكان تلك البلاد، ولا يسافر فيها إلا معهم لشجاعتهم ومعرفتهم بالطرق. وفيها صحراء مسيرة أربع، يقطع بها الطريق لصوص الأعراب، وتهب فيها ريح السموم في شهري تموز وحزيران، فمن صادفته فيها قتلته. ولقد ذكر لي أن الرجل إذا قتلته تلك الرياح وأراد أصحابه غسله ينفصل كل عضو منه عن سائر الأعضاء. وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها بهذه الرياح، وكنا نساfer فيها بالليل، فإذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الأشجار من أم غيلان، ونرحل بعد العصر إلى طلوع الشمس. وفي هذه الصحراء وما والاها كان يقطع الطريق بها جمال اللك الشهير الاسم هنالك^١.

١ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي (الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٧)، ج ٢، ص ١٢٣ - ١٤٤.

مقدمة ابن خلدون

ذكر ابن خلدون عمان في مواضع مختلفة من كتابه (المقدمة) . منها وصفه لما يسميه بالبحر الحبشي . يقول :

والبحر الثاني من هذا البحر الحبشي، ويسمى الخليج الأخضر، يخرج ما بين بلاد السند والأحقاف من اليمن ويمر إلى ناحية الشمال مغرباً قليلاً إلى أن ينتهي إلى الأبله من سواحل البصرة في الجزء السادس من الإقليم الثاني على أربعمئة فرسخ وأربعين فرسخاً من مبدئه ويسمى بحر فارس . وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس، والأبله عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين واليمامة وعمان والشحر، والأحقاف عند مبدئه. وفيما بين بحر فارس والقلزم جزيرة العرب كأنها داخله من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب، وبحر فارس من الشرق، وتفضي إلى العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما. وهنالك الكوفة والقادسية وبغداد وإيوان كسرى والحيرة. ووراء ذلك أمم الأعاجم من الترك والخزر وغيرهم. وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها، وبلاد اليمامة والبحرين وعمان جهة الشرق منها، وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها، وسواحلها على البحر الحبشي^١.

ويرد اسم عمان أيضا في المقدمة حين يصف ابن خلدون البلدان الواقعة على البحر الهندي :

وفي الجزء السادس من غريبه بلاد نجد أعلاها في الجنوب وتباله وجرش إلى عكاظ من الشمال. وتحت نجد من هذا الجزء بقية أرض الحجاز، وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخيبر، وتحتها أرض اليمامة وعلى سمت نجران في الشرق أرض سبأ ومأرب، ثم أرض الشحر. وينتهي إلى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي إلى الشمال كما مر. ويذهب في هذا الجزء بانحراف إلى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من أعلاه مدينة

١ - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش (دمشق: دار يعرب للدراسات والنشر، ٢٠٠٤)، ج١، ص ١٤٣ - ١٤٤.

قلهات. وهي ساحل الشحر، ثم تحتها على ساحله بلاد عمان، ثم بلاد البحرين، وهجر منها في آخر الجزء. وفي الجزء السابع في الأعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الأخرى في السادس. ويغمر بحر الهند جانبه الأعلى كله. وعليه هنالك بلاد السند إلى بلاد مكران ويقابلها بلاد الطويران وهي من السند أيضًا. فيتصل السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء، وتحول المفاوز بينه وبين أرض الهند، ويمر فيه نهري الآتي من ناحية بلاد الهند، ويصب في البحر الهندي في الجنوب. وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي، وفي سمتها شرقاً بلاد بلهرا، وتحتها الملتان بلاد الصنم المعظم عندهم، ثم إلى أسفل من السند، ثم إلى أعالي بلاد سجستان^١.

من الفقرات المهمة في مقدمة ابن خلدون حديثه عن انتشار الحضارة في عمان وما جاورها من بلدان الجزيرة العربية:

وعجم المغرب من البربر، مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ أحقاب من السنين. ويشهد لك بذلك قلة الأمصار بقطرهم كما قدمناه. فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة، إلا ما كان من صناعة الصوف في نسجه، والجلد في خرزه ودبغه. فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ، لعموم البلوى بها، وكون هذين أغلب السلع في قطرهم، لما هم عليه من حال البداوة. وأما المشرق فقد رسخت الصنائع فيه، منذ تلك الأمم الأقدمين من الفرس والنبط والقبط وبنو إسرائيل ويونان والروم أحقاباً، متطاولة، فرسخت فيهم أحوال الحضارة، ومن جملة الصنائع كما قدمناه، فلم يمح رسمها. وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة، وإن ملكه العرب، إلا أنهم تداولوا ملكه آلافاً من السنين في أمم كثيرة منهم، واختطوا أمصاره ومدنه، وبلغوا الغاية في الحضارة والترف. مثل عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم والتبابعة والأدواء، فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت، فلم تبل ببلد الدولة كما قدناه. فبقيت مستجدة حتى الآن. واختصت بذلك للوطن، كصناعة الوشي والعصب وما يستجد من حوك الثياب والحريير فيها. والله وارث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين^٢.

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٨ - ١٥٩.

٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٨ - ٩٩.

وفي موضع آخر من المقدمة يرد اسم عمان حين يتحدث ابن خلدون عن عدم معرفة العرب بركوب البحر:

ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن صف لي البحر، فكتب إليه: "إن البحر خلق عظيم، يركبه خلق ضعيف، دود على عود". فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه. ولم يركبه أحد من العرب إلا من افتأت على عمر في ركوبه ونال من عقابه، كما فعل بعرفجة بن هرثمة الأزدي سيد بجيلة لما أغراه عمان، فبلغه غزوه في البحر، فأنكر عليه وعنفه أنه ركب البحر للغزو. ولم يزل الشأن ذلك حتى إذا كان لعهد معاوية أذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على أعواده. والسبب في ذلك أن العرب كانوا لبداءتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه، والروم والإفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته.

فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولاً لهم وتحت أيديهم، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمماً وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بصراء بها، فشرهوا إلى الجهاد فيه، وأنشؤوا السفن فيه والشواني، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثورهم ما كان أقرب لهذا البحر!

تاريخ ابن خلدون

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث ابن خلدون عن جغرافية الأرض:

اعلم أنّ الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدّم ذكره على سبعة أقسام من الشمال إلى الجنوب يسمّون كلّ قسم منها إقليمًا فانقسم المعمور من الأرض كلّ على هذه السبعة الأقاليم كلّ واحد منها أخذ من الغرب إلى الشرق على طوله.....

الإقليم الثاني:

وهو متّصل بالأول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مرّ ذكرها وفي الجزء الأول والثاني منه في الجانب الأعلى منهما أرض قنورية وبعدها في جهة الشرق أعالي أرض غانة ثمّ مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الأسفل منهما صحراء نستمر متّصلة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز تسلك فيها التّجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملتّمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولمتونة ومسرّاتة ولمطة ووريكة وعلى سمت هذه المفاوز شرقا أرض فزان ثمّ مجالات أزكار من قبائل البربر ذاهبة إلى أعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقيّة أرض وّدان وعلى سمتها شرقا أرض سنترية وتسمّى الواحات الدّاخلة وفي الجزء الرابع من أعلاه بقيّة أرض الباجويين ثمّ يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصّعيد حافات التّيل الدّاهب من مبدئه في الإقليم الأول إلى مصبّه في البحر فيمّر في هذا الجزء بين الجبلين الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيّه وجبل المقطم من شرقيّه وعليه من أعلاه بلد أسنا وأرمنت ويتّصل كذلك حافته إلى أسيوط وقوص ثمّ إلى صول ويفترق التّيل هنالك على شعبيين ينتهي الأيمن منهما في هذا الجزء عند اللاهون والأيسر عند دلاص وفيما بينهما أعالي ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عيذاب ذاهبة في الجزء الخامس إلى أن تنتهي إلى بحر السّويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهنديّ في الجنوب إلى جهة الشمال وفي عدوته الشرقيّة من هذا الجزء أرض الحجاز من جبل يلملم إلى بلاد يثرب

في وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدّة تقابل بلد عيذاب في العدوة الغربيّة من هذا البحر.

وفي الجزء السادس من غربيّه بلاد نجد أعلاها في الجنوب وتباله وجرش إلى عكاظ من الشّمال وتحت نجد من هذا الجزء بقية أرض الحجاز وعلى سمتها في الشّرق بلاد نجران وخيبر وتحتها أرض اليمامة وعلى سمت نجران في الشّرق أرض سبأ ومأرب ثمّ أرض الشّحر وينتهي إلى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهنديّ إلى الشّمال كما مرّ ويذهب في هذا الجزء بانحراف إلى الغرب فيمّر ما بين شرقيّه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من أعلاه مدينة قلهاث وهي ساحل الشّحر ثمّ تحتها على ساحله بلاد عمان. ثمّ بلاد البحرين وهجر منها في آخر الجزء!

ويرد أيضا حين يتحدث ابن خلدون عن الأزدي:

ومن مالك بن زيد أيضا الأزدي وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك وختعم وبجيلة ابنا أنمار بن أراش أخي الأزدي بن الغوث. وقد يقال أنمار هو ابن نزار بن معدّ وليس بصحيح، فأما الأزدي فبطن عظيم متنوع وشعوب كثيرة، فمنهم بنو دوس من بني نصر بن الأزدي وهو دوس بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزدي بطن كبير، ومنهم كان جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وديارهم بنواحي عُمان، وكان بعد دوس وجذيمة ملك بعمان في إخوانهم بني نصر بن زهران بن كعب، كان منهم قبيل الإسلام المستكبر بن مسعود بن الجرّار بن عبد الله بن معولة بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران، والذي أدرك الإسلام منهم جيفر بن الجلندي بن كركر بن المستكبر وأخوه عبد الله ملك عمان، كتب إليهما النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلموا، واستعمل على نواحيهما عمرو بن العاص^٢.

ويرد ذكر عمان في تاريخ ابن خلدون حين يتحدث عن حروب الردة:

نبح بعمان بعد الوفاة رجل من الأزدي يقال له لقيط بن مالك الأزدي يسمى في الجاهلية الجُلندي، فدفع عنها المليكين اللذين كانا بها وهما جيفر وعباد ابنا الجلندي، فارتد وادعى النبوة

١ - عبد الرحمن بن خلدون. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨)، ج١، ص ٦٧ - ٧٤.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٣.

وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين، وبعث جيفر إلى أبي بكر بالخبر، فبعث أبو بكر حذيفة بن مُحصن من جَمِيرٍ وَعَرْفَجَةَ البَارِقِي. حُدَيْفَةُ إلى عُمان وَعَرْفَجَةَ إلى مَهْرَةَ، وإن اجتمعا فالأمير صاحب العمل. وأمرهما أن يكتبا جيفر أو يأخذا برأيه. وقد كان بعث عكرمة إلى اليمامة ومَسَيْلَمَةَ ووقعت عليه النكبة كما مرّ، فأمره بالمسير إلى حذيفة وعرفجة ليقاتل معهما عمان ومهرة، ويتوجّه إذا فرغ من ذلك إلى اليمن.

فمضى عكرمة فُلحِقَ بهما قبل أن يصلا إلى عُمان وقد عهد إليهم أبو بكر أن ينتهوا إلى رأي عكرمة فراسلوا جيفرَ وعبادًا وبلغ لقيطاً مجيء الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعباد بصحار. واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكتبوا رؤساء الدين لقيط، فقدموا بجيوشهم ثم صمدوا إلى لقيط وأصحابه فقاتلوهم، وقد أقام لقيط عياله وراء صفوفه، وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني ناجية وعليهم الخريث بن راشد، ومن عبد القيس وعليهما سيحان بن صوحان، فهزم العدو المسلمون، وقتلوا نحوًا من عشرة آلاف وسبوا الدراري والنساء وتم الفتح، وقسموا الأنفال وبعثوا بالخمسة إلى أبي بكر مع عرفجة، وكان الخمس ثمانمائة رأس.

وأقام حُدَيْفَةُ بِعُمان وسار عكرمة إلى مَهْرَةَ، وقد استنفر أهل عمان ومن حولها من ناحية الأزد وعبد القيس وبني سعيد من تميم، فاقتحم على مهرة بلادهم وهم على فرقتين يتنازعان الرياسة، فأجابه أحد الفريقين، وسار إلى الآخرين فهزمهم وقتل رئيسهم ثم أصابوا منهم ألفي نجبية. وأفاد المسلمون قوة بغنيمتهم، وأجاب أهل تلك النواحي الإسلام، وهُم أهل نجد والروضة والشاطيء والجزائر والمّرّ واللبن، وأهل جيرة وظهور الشمر والقرات وذات الخيم، فاجتمعوا كلهم على الإسلام. وبعث إلى أبي بكر بذلك البشير، وسار هو إلى اليمن للقاء المهاجر بن أبي أمية كما عهد إليه أبو بكر!

ومما رواه ابن خلدون في تاريخه وفيه ذكر لعمان حديثه عن حروب الأزارقة:

وأما نجدة وهو نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن مُفْرَج الحنفي، وكان مع نافع بن الأزرق. فلما افترقوا سار إلى اليمامة ودعا أبو طالوت إلى نفسه، وهو من بكر بن وائل، وتابعه نجدة ونهب الحصارم بلد بني حنيفة، وكان فيها رقيق كثير يناهز أربعة آلاف، فقسمها في أصحابه، وذلك سنة خمس وستين. واعترض عيرًا من البحرين جاءت لابن الزبير، فأخذها

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٦ - ٥٠٧.

وجاء بها إلى أبي طالوت، فقسمها بين أصحابه. ثم رأى الخوارج أن نجدة خير لهم من أبي طالوت، فخالفوه وبايعوا نجدة. وسار إلى بني كعب بن ربيعة فهزمهم وأتخن فيهم، ورجع نجدة إلى اليمامة في ثلاثة آلاف، ثم سار إلى البحرين سنة سبع وستين، فاجتمع أهل البحرين من عبد القيس وغيرهم على محاربتة. وسالمتة الأزدي والتقوا بالعطيف، فانهزمت عبد القيس، وأتخن فيهم نجدة وأصحابه، وأرسل سرية إلى الخط فظفروا بأهله. ولما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين، بعث عبد الله بن عمر الليثي الأعور في عشرين ألفاً، ونجدةً بالعطيف فقاتلوهم، وهزمهم نجدة وغنم ما في عسكرهم. وبعث عطية بن الأسود الحنفي من الخوارج إلى عمان، وبها عباد بن عبد الله شيخ كبير، فقاتله عطية فقتله، وأقام أشهرًا وسار عنها. واستخلف عليها بعض الخوارج، فقتله أهل عمان وولوا عليهم سعيدًا وسليمان ابني عباد.

ثم خالف عطية نجدة وجاء إلى عُمان، فامتنعت منه. فركب البحر إلى كرمان، وأرسل إليه المهلب جيشًا فهرب إلى سجستان، ثم إلى السند، فقتله خيل المهلب بقندايل. ثم بعث نجدة المعرفين إلى البوادي بعد هزيمة ابن عمير، فقاتلوا بني تميم بكازمة وأعانهم أهل طويلع، فبعث نجدة من استباحهم وأخذ منهم الصدقة كرهاً. ثم سار إلى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من مخالفيها. ثم بعث أبا فديك إلى حضرموت، فأخذ الصدقة منهم. وحج سنة ثمان وستين في تسعمائة رجل، وقيل في ألفين، ووقف ناحية عن ابن الزبير على صلح عقد بينهما.

ثم سار نجدة إلى المدينة وتأهبوا لقتاله، فرجع إلى الطائف وأصاب بنتًا لعبد الله بن عمر بن عثمان، فضمها إليه. وامتحنه الخوارج بسؤاله بيعها فقال: قد أعتقت نصيبي منها. قالوا فزوجها، قال هي أملك بنفسها، وقد كرهت الزواج. ولما قرب من الطائف ولي على ما يلي نجران سعد الطلائع، ورجع إلى البحرين، وقطع الميرة عن الحرمين. وكتب إليه ابن عباس أن ثمامة بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلاها لهم، وأنتك قطعت الميرة ونحن مسلمون، فخلاها لهم نجدة.

ثم اختلف إليه أصحابه لأن أبا سنان حبي بن وائل أشار عليه بقتل من أطاعه تقيّة، فانتهره نجدة وقال: إنما علينا أن نحكم بالظاهر. وأغضبه عطية في منازعة جرت بينهما على تفضيله لسرية البر على سرية البحر في الغنيمة، فشتمه نجدة فغضب. وسأله في درء الحد في الخمر

عن رجل من شجعانهم، فأبى. وكتبه عبد الملك في الطاعة على أن يوليه اليمامة، ويهدر لهم ما أصاب من الدماء. فاتهموه في هذه المكاتبة ونقموا عليه أمثال هذه، وفارقه عطية إلى عُمان. ثم انحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فُديك عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة. واستخفى نجدة، وألح أبو فديك في طلبه، وكان مستخفياً في قرية من قرى حجر. ثم نذر به فذهب إلى أخواله من تميم، وأجمع المسير إلى عبد الملك، فعلم به أبو فديك، وجاءت سرية منهم وقاتلهم فقتلوه. وسخط قتله جماعة من أصحاب أبي فديك، واعتمده مسلم بن جبير فطعنه اثنتي عشرة طعنة، وقتل مسلم لوقته، وحمل أبو فديك إلى منزله!

ومما رواه ابن خلدون في تاريخه وفيه ذكر لعمان سرده لأحداث سنة ثلاث وثلاثين للهجرة:

ثم انتقض بسام بن إبراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان، وسار من عسكر السفاح وجماعة على رأيه سراً إلى المدائن، فبعث السفاح في أثرهم خازم بن خزيمة فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباحهم، وبلغ مرامه وانصرف، فمر بذات المطامير وبها أخوال السفاح من بني عبد المدان في نحو سبعين من قرابتهم ومواليهم.

وقيل له: إن المغيرة من أصحاب بسام عندهم، فسألهم عنه فقالوا: مر بنا مجتازاً، فهددهم إن لم يأخذه، فأغلظوا له في القول فقاتلهم أجمعين، ونهب أموالهم، وهدم دورهم، وغضبت اليمانية لذلك ودخل بهم زياد بن عبيد الله الحارثي على السفاح وشكوا إليه ما فعل بهم فهمم بقتله. وبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلوا على السفاح، وذكراه سابقة الشيعة وطاعتهم، وأنهم أتروكم على الأقارب والأولاد وقتلوا من خالفكم، فإن كان لا بد من قتله فابعثه لوجه من الوجوه، فإن قتل هو الذي تريد، وإن ظفر فلك. بعثه إلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان من عُمان، مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري، فبعث معه سبعمئة رجل، فحملهم سليمان بن علي من البصرة في السفن، وقد انضم إليه من أهله وعشيرته ومواليه وعدة من بني تميم من البصرة، فلما أرسوا بجزيرة ابن كاوان قدم خازم فضالة بن نعيم النهيلي في خمسمائة إلى شيبان، فانهزم هو وأصحابه وكانوا صفرية، وركبوا إلى عمان فقاتلهم الجندى في الإباضية، فقتل شيبان ومن معه كما مر، وشيبان هذا غير شيبان بن سلمة الذي قتل بخراسان، فربما يشتبهان.

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٨٤ - ١٨٥.

ثم ركب خازم البحر إلى ساحل عمان، فنزل وقاتل الجلندي أيامًا، أمر خازم أصحابه في آخرها أن يجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقّة، ويدوروا بالنفط، ويشعلوها بالنيران، ويرموها في بيوت القوم، وكانت من خشب. فلما اضطرت فيها النار شغلوا بأهلهم وأولادهم عن القتل، فحمل عليهم خازم وأصحابه فاستحملوهم. وقتل الجلندي وعشرة آلاف، فبعث خازم برؤوسهم إلى البصرة فبعثها سليمان إلى السفاح فدم.

ويرد أيضا حين يسرد ابن خلدون أحداث سنة إحدى وثلاثين للهجرة:

لما سار سيف الدولة عن بغداد دخلها تورون آخر رمضان سنة إحدى وثلاثين، فولّاه المتقي أمير الأمراء، وجعل النظر في الوزارة لأبي جعفر الكرخي كما كان الكوفي.

ولما سار تورون عن واسط خالفه إليها البريدي فملكها. ثم انحدر تورون أول ذي القعدة لقتل البريدي، وقد كان يوسف بن وجيه صاحب عُمان سار في المراكب إلى البصرة، وحارب ابن البريدي حتى أشرفوا على الهلاك. ثم احترقت مراكب عُمان بحيلة دبّرها بعض الملاحين ونهب منها مال عظيم. ورجع يوسف بن وجيه مهزوما في المحرم سنة اثنتين وثلاثين، وهرب في هذه الفتنة أبو جعفر بن شيرزاد من تورون فاشتمل عليه، وكان تورون عند إصعاده من بغداد استخلف مكانه محمد بن ينال الترجمان. ثم تنكّر فارتاب محمد، وارتاب الوزير أبو الحسن بن مقلة بمكان ابن شيرزاد من تورون وخافا غائلته وخوفا المتقي كذلك، وأوهماه أنّ البريدي ضمنه من تورون بخمسمائة ألف دينار التي أخذها من تركة يحكم، وأنّ ابن شيرزاد جاء عن البريدي ليخلفه ويسلمه، فانزعج لذلك وعزم على المسير إلى ابن حمدان، وكتبوا إليه أن ينفذ عسكريا يسير صحبته.^٢

مما رواه ابن خلدون في تاريخه وفيه ذكر لعمان حديثه عن استيلاء معز الدولة البويهبي على عمان وحصاره البطائح، ووفاة الوزير المهلب، وغيرها من أحداث حكم البويهيين:

انحدر معز الدولة سنة خمس وخمسين إلى واسط لقتال عمران بن شاهين بالبطائح، فأنفذ الجيش من هنالك مع أبي الفضل العباس بن الحسن، وسار إلى الأبلّة فأنفذ الجيش إلى عمان، وكان القرامطة قد استولوا عليها، وهرب عنها صاحبها نافع، وبقي أمرها فوضى، فاتفق

١ - المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٤ - ٢٢٥.

٢ - المصدر السابق، ج٣، ص٥١٥.

قاضيها وأهل البلد أن ينصبوا عليهم رجالاً منهم فنصبوه، ثم قتله بعضهم فولوا آخر من قرابة القاضي يعرف بعبد الرحمن بن أحمد بن مروان، واستكتب علي بن أحمد الذي كان وصل مع القرامطة كاتباً. وحضر وقت العطاء، فاختلف الزنج والبيض في الرضا بالمساواة وبعدهما واقتتلوا، فغلب الزنج وأخرجوا عبد الوهاب، واستقر علي بن أحمد أميراً، فلما جاء معز الدولة إلى واسط هذه السنة، قدم عليه نافع الأسود صاحب عُمان مستنجداً به، فأنحدر به من الأبله، وجهاز له المراكب لحمل العساكر، وعليهم أبو الفرج محمد بن العباس بن فساغس وهي مئة قطعة، فساروا إلى عُمان وملكوها تاسع ذي الحجة من سنة خمس وخمسين، وقتلوا من أهلها وأحرقوا مراكبها، وكانت سبعة وثمانين، وعاد معز الدولة إلى واسط، وحاصر عمران، وأقام هنالك فاعتل وصالح عمران وانصرف عنه.

سار الوزير المهلب في جمادى سنة اثنتين وخمسين إلى عُمان ليفتحها، فاعتل في طريقه ورجع إلى بغداد، فمات في شعبان قبل وصوله، وحُمل فدفن بها ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر من وزارته. وقبض معز الدولة أمواله وذخائره، وصارت إليه وحواشيه، ونظر في الأمور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العباس ابن فساغس، ولم يلقب أحد منهما بوزارة.

ولما رجع معز الدولة إلى بغداد اشتد مرضه فعهد بالسلطنة إلى ابنه عز الدولة، وتصدق وأعتق. وتوفي في ربيع من سنة ست وخمسين لاثنتين وعشرين سنة من سلطنته، وولى ابنه عز الدولة بختيار، وقد كان أوصاه بطاعة عمه ركن الدولة، وبطاعة ابنه عضد الدولة، لأنه كان أكبر سنًا وأخبر بالسياسة، ووصاه بحاجبه سبكتكين وبكاتبيه أبي الفضل المجاس وأبي الفرج، فخالف وصاياه وعكف على اللهو، وأوحش هؤلاء، ونفى كبار الديلم شراً في إقطاعاتهم. وشغب عليه الأصاعد فزادهم واقتدى بهم الأتراك، وجاء أبو الفرج محمد بن العباس من عُمان بعد أن سلمها إلى نواب عضد الدولة الذين كانوا في أمداده، وخشي أن يؤمر بالمقام بها وينفرد أبو الفضل صاحبه بالوزارة ببغداد، فكان كما ظن. ثم انتقض بالبصرة حبشي بن معز الدولة على أخيه بختيار سنة ست وخمسين، فبعث الوزير أبو الفضل العباس فسار مورياً بالأهواز، ونزل واسط وكتب إلى حبشي بأنه جاء ليسلمه البصرة، وطلب منه المعونة على أمره، فأنفذ إليه مئتي ألف درهم، وأرسل الوزير خلال ذلك إلى عسكر الأهواز أن يوافوه بالأبله لموعد ضربه

لهم، فوافوه وكبسوا حبشيًا بالبصرة، وحبسوه برامهرمز، ونهبوا أمواله. وكان من جملة ما أخذ له عشرة آلاف مجلد من الكتب، وبعث ركن الدولة بتخليص حبشي ابن أخيه، وجعله عند عضد الدولة فأقطعه إلى أن مات سنة سبع وستين^١.

ويخص ابن خلدون بابا حول المتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة، ويعرف فيه بعُمان؛

(عُمان) وهي من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعُمان وهي خامسها، إقليم سلطاني منفرد على بحر فارس من غربيه مسافة شهر، شرقيها بحر فارس وجنوبيها بحر الهند، وغربيها بلاد حضرموت، وشمالها البحرين، كثيرة النخل والفواكه وبها مغاص اللؤلؤ، سميت بعُمان بن قحطان، أول من نزلها بولاية أخيه يعرب، وصارت بعد سيل العرم للأزد. وجاء الإسلام وملوكها بنو الجلندی، والخوارج بها كثيرة. وكانت لهم حروب مع عمال بني بويه وقاعدتهم نزوى، وملك عُمان من البحر ملوك فارس غير مزة، وهي في الإقليم الثاني، وبها مياه وبساتين وأسواق، وشجرها النخل. وكانت بها في الإسلام دولة لبني شامة بن لؤي بن غالب. وكثير من نسابة قريش يدفونهم عن هذا النسب، أولهم بها محمد بن القاسم الشامي، بعثه المعتضد أعانه ففتحها وطرده الخوارج إلى نزوى قاعدة الجبال، وأقام الخطبة لبني العباس وتوارث ذلك بنوه، وأظهروا شعار السنة. ثم اختلفوا سنة خمس وثلاثمائة وتحاربوا، ولحق بعضهم بالقرامطة، وأقاموا في فتنة إلى أن تغلب عليهم أبو طاهر القرمطي سنة سبع عشرة عند اقتلاعه الحجر وخطب بها لعبيد الله المهدي وترددت ولاية القرامطة عليها من سنة سبع عشرة إلى سنة خمس وسبعين. فترهب واليها منهم، وزهد وملكها أهل نزوى الخوارج وقتلوا من كان بها من القرامطة والروافض، وبقيت في أيديهم ورياستها للأزد منهم. ثم سار بنو مكرم من وجوه عُمان إلى بغداد، واستخدموا لبني بويه وأعانوهم بالمراكب من فارس، فملكوا مدينة عُمان وطردها الخوارج إلى جبالهم، وخطبوا لبني العباس. ثم ضعفت دولة بني بويه ببغداد فاستبد بنو مكرم بعُمان وتوارثوا ملكها، وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم علي بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم، وكان ملكا جوادا ممدوحا. قاله البيهقي ومدحه مهيار الديلمي وغيره، ومات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة بعد مدة طويلة في الملك. وفي سنة اثنتين وأربعين ضعف ملك بني مكرم وتغلب عليهم النساء والعبيد، فزحف إليها الخوارج وملكوها، وقتلوا بقيتهم وانقطع

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

منها رسم الملك، وصار في حجار من مدر هذا الإقليم قلهاث هي عرصة عُمان على بحر فارس من الإقليم الثاني ومما يلي الشحر وحجاز في شمالها إلى البحرين بينهما سبع مراحل، وهي في جبال منيعة، فلم تحتج إلى سور، وكان ملكها سنة ثمان وأربعين زكريا بن عبد الملك الأزدي من ذرية رياسة. وكان الخوارج بنزوى مدينة الشراة يدينون لهم، ويرون أنهم من ولد الجلندی.

ومما رواه ابن خلدون وفيه ذكر لعمان، وصفه لبلاد حضرموت:

بلاد حضرموت. قال ابن حوقل: هي في شرقي عدن بقرب البحر، ومدينتها صغيرة ولها أعمال عريضة، وبينها وبين عمان من الجهة الأخرى رمال كثيرة تعرف بالأحفاف، وكانت مواطن لعاد. وبها قبر هود عليه السلام، وفي وسطها جبل بشام، وهي في الإقليم، الأول. وبعدها عن خط الاستواء اثنتا عشرة درجة، وهي معدودة من اليمن، بلد نخل وشجر ومزارع. وأكثر أهلها يحكمون بأحكام علي وفاطمة، ويغضون عليًا للتحكيم.

وأكبر مدينة بها الآن قلعة بشام فيها خيل الملك، وكانت لعاد مع الشحر وعُمان، وغلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان. ويقال إن الذي دل عادًا على جزيرة العرب هو رقيم بن إرم، كان سبق إليها مع بني هود فرجع إلى عاد، ودلهم عليها، وعلى دخولها بالجوار فلما دخلوا غلبوا على من فيها. ثم غلبهم بنو يعرب بن قحطان بعد ذلك، وولى على البلاد فكانت ولاية ابنه حضرموت على هذه البلاد، وبه سميت الشحر من ممالك جزيرة العرب مثل الحجاز واليمن. وكان معقلا عن حضرموت وعمان، والذي يسمى الشحر قصبته، ولا زرع فيه ولا نخل، إنما أموالهم الإبل والمِعْز، ومعاشهم من اللحوم والألبان، ومن السمك الصغار، ويعلفونها للدواب. وتسمى هذه البلاد أيضًا بلاد مهرة، وبها الإبل المهرية، وقد يضاف الشحر إلى عُمان، وهو ملاصق لحضرموت، وقيل هو بسائطها.

وفي هذه البلاد يوجد اللبان، وفي ساحله العنبر الشحري وهو متصل في جهة الشرق. ومن غربها ساحل البحر الهندي الذي عليه عدن، وفي شرقيها بلاد عُمان وجنوبها بحر الهند مستطيلة عليه، وشمالها حضرموت كأنها ساحل لها، ويكونان معًا لملك واحد. وهي في الإقليم الأول، وأشد حرًا من حضرموت. وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت أو من قضاة، وهم كالوحوش في تلك الرمال، ودينهم على رأي الإباضية منهم.

١ - المصدر السابق، ج٤، ص ١١٩ - ١٢٠.

وأول من نزل بالشحر من القحطانية مالك بن حمير، وخرج على أخيه مالك وهو ملك بقصر عُمدان فحاربه طويلاً، ومات مالك فولي بعده ابنه قضاة بن مالك فلم يزل السكسك يحاربه إلى أن قهره، واقتصر قضاة على بلاد مهرة. وملك بعده ابنه أطاب ثم مالك بن الحاف، وانتقل إلى عُمان وبها كان سلطانه. قال البيهقي: وملك مهرة بن حيدان بن الحاف بلاد قضاة، وحارب عمه مالك بن الحاف صاحب عُمان حتى غلبهم عليها، وليس لهم اليوم في غير بلادهم ذكر. وبلاد الشحر مدينة مَرَباط وِضْفان على وزن نزال. وِضْفان دار ملك التبابعة، ومرباط بساحل الشحر وقد خربت هاتان المدينتان. وكان أحمد بن محمود الحميري ولقبه الناخودة، كان تاجرًا كثير المال يعبر إلى صاحب مرباط بالتجارة. ثم استوزره، ثم هلك فملك أحمد الناخودة. ثم خربها وخرب ضفان سنة تسع عشرة وستمئة، وبنى على ساحل مدينة ضفا بضم الضاد المعجمة وسماها الأحمدية باسمه، وخرب القديمة لأنها لم يكن لها مرسى!

ومما رواه ابن خلدون في تاريخه وفيه ذكر لعمان حديثه عن أيام بني بويه في عمان:

قد تقدم لنا أن عُمان كانت ليوסף بن وجيه، وأنه حارب بني البريدي بالبصرة حتى قارب أخذها، حتى عملوا الحيلة في إضرام النار في سفنه فولى هاربًا في مُحْرَم سنة اثنتين وثلاثين، وأنه ثار عليه مولاه في هذه السنة فغلبه على البلد وملكها من يده. ولما استوحش معز الدولة من القرامطة كتب إليهم ابن وجيه صاحب عُمان يطعمهم في البصرة، واستمدهم في البر وسار هو في البحر سنة إحدى وأربعين، وسابقه الوزير المهلبى من الأهواز إليها، وأمه معز الدولة بالعساكر والمال فاقتتلوا أيامًا. ثم ظفر المهلبى بمراكبه وما فيها من سلاح وعدة.

ولم يزل القرامطة يناورونها حتى غلبوا عليها سنة أربع وخمسين، واستولوا عليها وهرب رافع عنها. وكان له كاتب يعرف بعلي بن أحمد ينظر في أمور البلد والقرامطة بمكانهم من هجر فاتفق قاضي البلد، وكان ذا مشير وعصابة، على أن ينصبوا للنظر في أمورهم أحد قوادهم فقدموا لذلك ابن طغان ففتك بجميع القواد الذين معه، وثأر منه بعض قرابتهم فقتلوه فاجتمع الناس على تقديم عبد الوهاب بن أحمد بن مروان من قرابة القاضي مكانه فولوه، واستكتب علي بن أحمد كاتب القرامطة قبله من الجند فامتعضوا لذلك فدعاهم إلى بيعته فأجابوه وسأواهم في العطاء مع البيض فسخط البيض ذلك، ودارت بينهم حرب سكنوا آخرها واتفقوا وأخرجوا عبد الوهاب من البلد واستقر علي بن أحمد الكاتب أميرًا فيها.

ثم سار معز الدولة إلى واسط سنة خمس وخمسين، وقدم إليه نافع مولى ابن أخيه الذي كان ملكها بعد مولاه فأحسن إليه وأقام عنده حتى فرغ من أمر عمران بن شاهين، وانحدر إلى الأبله في رمضان من السنة، وجهاز المراكب إلى عُمان مائة قطعة، وبعث فيها الجيوش بنظر أبي الفرج محمد بن العباس، وتقدم إلى عضد الدولة بفارس أن يمدهم بالعساكر من عنده فوافاهم المدد بسيراف، وساروا إلى عُمان فملكوها يوم الجمعة يوم عرفة من السنة وفتكوا فيها بالقتل وأحرقوا لهم تسعين مركبًا، وخطب لمعز الدولة وصارت من أعماله.

كان معز الدولة قد سار سنة خمس وخمسين إلى واسط لمحاربة عمران بن شاهين فطرقه المرض سنة ست وخمسين فسار إلى بغداد، وخلف أصحابه بواسطة على أن يعود إليهم فاشتد مرضه ببغداد، وجدد العهد لإبنه بختيار. ثم مات منتصف ربيع الآخر من السنة فقام ابنه عز الدولة بختيار مكانه، وكتب إلى العساكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعادوا. وكان فيما أوصى به معز الدولة ابنه بختيار طاعة عمه ركن الدولة والوقوف عند إشارته، وابن عمه عضد الدولة لعلو سنه عليه وتقدمه في معرفة السياسة، وأن يحفظ كاتبيه أبا الفضل العباس بن الحسن وأبا الفرج بن العباس والحاجب سبكتكين فخالف جميع وصاياه، وعكف على اللهو وعشرة النساء والمغنين والصفاعين فأوحش الكاتبين والحاجب فانقطع الحاجب عن حضور داره. ثم طرد كبار الديلم عن مملكته طمعًا في إقطاعاتهم فشغب عليه الصغار، واقتدى بهم الأتراك في ذلك، وطلبوا الزيادات. وركب الديلم إلى الصحراء وطلبوا إعادة من أسقط من كبارهم، ولم يجد بداً من إجازتهم لإنحراف سبكتكين عنه فاضطربت أموره، وكان الكاتب أبو الفرج العباس في عُمان منذ ملكها فلما بلغه موت معز الدولة خشي أن ينفرد عنه صاحبه أبو الفضل العباس بن الحسن بالدولة فسلم عُمان لعضد الدولة، وبادر إلى بغداد فوجد أبا الفضل قد انفرد بالوزارة ولم يحصل على شيء!

ومما رواه ابن خلدون في تاريخه وفيه ذكر لعمان حديثه عن أخبار عضد الدولة في

ملك عمان:

لما توفي معز الدولة كان أبو الفرج بعُمان فسار عنها لبغداد، وبعث إلى عضد الدولة بأن يتسلمها فولياها عمر بن نبهان الطائي بدعوة عضد الدولة. ثم قتلته الزنج وملكوا البلد وبعث عضد الدولة إليها جيشًا من كرمان مع قائده أبي حرب طغان، وساروا في البحر وأرسوا على

١ - المصدر السابق، ج٤، ص ٥٨٧ - ٥٨٨.

صحار، وهي قسبة عُمان، ونزلوا إلى البر فقاتلوا الزنج وظفروا بهم. واستولي طغان على صحار سنة إثنين وستين. ثم اجتمع الزنج إلى مدينة الرستاق على مرحلتين من صحار فأوقع بهم واستلحمهم وسكنت البلاد. ثم خرج بجبال عمان طوائف الشراة مع ورد بن زياد منهم، وبايعوا لحفص بن راشد، واشتدت شوكتهم. وبعث عضد الدولة المظفر بن عبد الله في البحر فنزل في أعمال عُمان وأوقع بأهل خرخان. ثم سار إلى دما على أربع مراحل وقاتل الشراة فهزمهم وهرب أميرهم، ورد بن حفص إلى نزوى، وهي حصن تلك الجبال. ولحق حفص باليمن فصار فيه معلماً واستقامت البلاد ودانت لطاعة عضد الدولة.

كان ظاهر بن الصنمد من الحرومية، وهي البلاد الحارة، قد ضمن من عضد الدولة ضمانات واجتمعت عليه أموال. ولما سار عضد الدولة إلى العراق وبعث وزيره المظفر بن عبد الله إلى عمان خلت كرمان من العساكر، فطمع فيها ظاهر وجمع الرجال الحروميّة. وكان بعض موالي بني سامان من الأتراك واسمه مؤتمر استوحش من ابن سيجور صاحب خراسان فكاتبه ظاهر وأطمعه في أعمال كرمان، فسار إليه وجعله ظاهر أميراً. ثم شغب عليه بعض أصحاب ظاهر، فارتاب به مؤتمر وقاتله فظفر به وبأصحابه، وبلغ الخبر إلى الحسين بن علي بن الياس بخراسان فطمع في البلاد وسار إليها، واجتمعت عليه جموع. وكتب عضد الدولة إلى المظفر بن عبد الله وقد فرغ من أمر عُمان بالمسير إلى كرمان، فسار إليه سنة أربع وستين وثلاثمائة ودوخ البلاد في طريقه. وكبس مؤتمرا بنواحي مدينة قمّ فلحق بالمدينة وحصره فيها حتى استأمن، وخرج إليه ومعه ظاهر فقتله المظفر وحبس مؤتمرا ببعض القلاع، وكان آخر العهد به. ثم سار إلى ابن إلياس وقاتله على باب جيرفت وأخذه أسيراً وضاع بعد ذلك خبره، ورجع المظفر ظافراً وصلحت كرمان لعضد الدولة^١.

وفي السياق نفسه، يتحدث ابن خلدون عن استيلاء صمصام الدولة على عمان ورجوعها لمشرف الدولة:

كان مشرف الدولة استولى على فارس وحُطِب له بعُمان، وولى عليها أستاذَ هرمز فانتقض عليه وصار مع صمصام الدولة، وخطب له بعمان فبعث مشرف الدولة إليه عسكرياً فهزموا أستاذَ هرمز وأسرّوه، وحبس ببعض القلاع وطولب بالأموال وعادت عمان إلى مشرف الدولة^٢.

١ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٥٩٧ - ٥٩٨.

٢ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٦٠٩.

ومما رواه ابن خلدون وفيه ذكر لعمان حديثه عن عزل الظهير أبي القاسم عن البصرة واستقلال أبي كاليجار بها:

قد قدمنا حال الظهير أبي القاسم في ملك البصرة بعد صهره أبي منصور بختيار وأنه عصى على أبي كاليجار بدعوة جلال الدولة. ثم عاد إلى طاعته واستبد بالبصرة، وكان ابن أبي القاسم بن مكرم صاحب عُمان يكتب أبا الجيش وأبا كاليجار بزيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة فأجيب إلى ذلك، وجهز له أبو كاليجار العساكر مع العادل أي منصور بن مافنة، وجاء أبو الجيش بعساكره في البحر من عُمان وحاصروا البصرة براً وبحراً وملكوها، وقبض على الظهير واستصفيت أمواله وصور على تسعين ألفاً فحملها في عشرة أيام، ثم على مئة ألف وعشرة آلاف فحملها كذلك، ووصل الملك أبو كاليجار إلى البصرة سنة إحدى وثلاثين، وأنزل بها ابنه عزَّ الملوك والأمير أبا الفرج بن فسانجس وعاد إلى الأهواز ومعه الظهير أبو القاسم!

وفي باب آخر يتحدث ابن خلدون عن أخبار عمان وابن مكرم:

قد قدمنا خبر أبي محمد بن مكرم، وأنه كان مدبراً لدولة بهاء الدولة وقبله ابنه أبو الفوارس، وأن ابنه أبا القاسم كان أميراً بعُمان منذ سنة خمس عشرة، ثم توفي سنة إحدى وثلاثين وخلف بنين أربعة وهم: أبو الجيش والمهذب وأبو محمد وآخر صغير لم يذكر اسمه. وكان علي بن هطال صاحب جيش أبي القاسم فأقره أبو الجيش، وبالغ في تعظيمه حتى كان يقوم له إذا دخل عليه في مجلسه فنكر ذلك المهذب على أخيه، وحقد لها له ابن هطال فعمل دعوة واستأذن أبا الجيش في إحضار أخيه المهذب لها، وأحضره وبالغ في خدمته حتى إذا طعموا وشربوا وانتشوا فاوضه ابن هطال في التوثب بأخيه أبي الجيش، واستكتبه بما يوليه من المراتب ويعطيه من الإقطاع على مناصحته في ذلك. ثم وقف أبو الجيش على خطة أخبره أنه لم يوافق ثم قال له: وبسبب ذلك كان نكيره عليك في شأني فقبض أبو الجيش على أخيه واعتقله ثم خنقه. ثم توفي أبو الجيش بعد ذلك ببسير وهم ابن هطال بتولية أخيه محمد فأخفته أمه حذراً عليه، ورفعت الأمر إلى ابن هطال فولى عمان وأساء السيرة وصادر التجار، وبلغ ذلك إلى أبي كاليجار فأمر العادل أبا منصور بن مافنة أن يكتب المرتضى نائب أبي القاسم بن مكرم بجبال عمان، ويأمره بقصد ابن هطال في عمان. وبعث إليه العساكر من البصرة فسار إلى عمان وحاصرها

١ - المصدر السابق، ج٤، ص ٦٤٥ - ٦٤٦.

واستولى على أكثر أعمالها. ثم دس إلى خادم كان لابن مكرم، وصار لابن هطال، وأمره باغتياله فاغتياله وقتله. ومات العادل أبو منصور بهرام بن مافنة وزير أبي كاليجار سنة ثلاث وثلاثين، ووزير بعده مهذب الدولة وبعث لمدافعتهم عنها، وكانوا يحاصرون جيرفت فأجفلوا عنها، ولم يزل في اتباعهم حتى دخلوا المفازة ورجع مهذب الدولة إلى كرمان فأصلح فسادهم^١.

وفي موضع آخر يتحدث ابن خلدون أيضا عن ثورة الإمام حفص بن راشد على بني بويه:

كان أبو المظفر بن أبي كاليجار أميرًا على عُمان، وكان له خادم مستبد عليه فأساء السيرة في الناس، ومد يده إلى الأموال فنفروا منه. وعلم بذلك الخوارج في جبالها فجمعهم ابن رشد منهم وسار إلى المدينة فبرز إليه أبو المظفر وظفر بالخوارج. ثم جمع ثانية وعاد لقتال أبي المظفر والديلم وأعانه عليهم أهل البلد لسوء سيرتهم فهزمهم ابن راشد وملك البلد، وقتل الخادم وكثيرًا من الديلم والعمال، وأخرب دار الإمارة وأسقط المكوس، واقتصر على ريع العشر من أموال التجار والواردين. وأظهر العدل ولبس الصوف، وبنى مسجدًا لصلاته وخطب لنفسه، وتلقب الراشد بالله. وقد كان أبو القاسم بن مكرم بعث إليه من قبل ذلك من حاصره في جبله وأزال طمعه^٢.

وفي موضع آخر يتحدث ابن خلدون عن تاج الدين أبي بكر الخوارزمي الذي غزا عمان واحتل قلهات وهرمز:

وقد تقدم لنا أنه كان من جملة أمراء خوارزم شاه تكش تاج الدين أبو بكر، وأنه كان كريًا للدواب. ثم ترقى به الأحوال إلى أن صار سزوان لتكش، والسروان مقدم الجهاد. ثم تقدم عنده لجلده واستماتته، وصار أميرًا وولاه قلعة زوزن. ثم تقدم عند علاء الدين محمد بن تكش، واختصه فأشار عليه بطلب بلاد كرمان لما كانت مجاورة لوطنه فبعث معه عسكريًا، وسار إلى كرمان سنة اثنتي عشرة، وصاحبها يومئذ محمد بن حرب أبي الفضل الذي كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر فغلبه على بلاده وملكها. ثم سار إلى كرمان وملكها كلها إلى السند من نواحي كابل، وسار إلى هرمز من مدن فارس بساحل البحر، واسم صاحبها ميك فطاعه وخطب لخوارزم شاه، وضمن مالا يحمله، وخطب له بقلهات وبعض عُمان من وراء النهر لأنهم

١ - المصدر السابق، ج٤، ص٦٤٦.

٢ - المصدر السابق، ج٤، ص٦٥٥.

كانوا يتقربون إلى صاحب هرمز بالطاعة، وتسير سفنهم بالتجار إلى هرمز لأنه المرسى العظيم الذي تسافر إليه التجار من الهند والصين. وكان بين صاحب هرمز وصاحب كيش مغاورات وفتن، وكل واحد منهما ينهى مراكب بلاده أن ترسي ببلاد الآخر. وكان خوارزم شاه يطيف بنواحي سمرقند خشية أن يقصد التتر أصحاب كشلي خان بلاده!

العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية

علي بن الحسين الخزرجي

يخصص الخزرجي في كتابه فصولاً وصفحات عديدة لتاريخ ظفار أيام الدولة الرسولية. ومن ذلك حديثه عن وفاة العلامة أبي عبد الله القلعي سنة ٦٣٠هـ:

وفي هذه السنة توفي الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن ابن علي بن أبي علي القلعي بفتح القاف وسكون اللام نسبة إلى قلعة حلب بالشام وقيل نسبة إلى قلعة بلدة بالمغرب هذا قول الجندي. وقال الأسنوي في طبقاته أنه منسوب إلى قلعة بينها وبين زبيد نحو يوم ولم يذكر الأسنوي اسم هذه القلعة التي نسبه إليها ولا في أي ناحية هي من زبيد وهذا غلط من الأسنوي والله اعلم. وكان القلعي المذكور فقهياً عالماً كبيراً عاملاً له مصنفات كثيرة مشهورة انتفع الناس بها. منها قواعد المذهب ومنها مستعذب ومنها إيضاح الغوامض في علم الفرائض مجلدان جيدان جمع فيه بين مذهب الشافعي وغيره وأورد فيه طرفاً من الجبر والمقابلة والوصايا. وله احتراز المذهب. وله لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار. وله كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ يعني ألفاظ المذهب. وله تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة. وله كتاب أحكام القضاة. وله غير ذلك. وأكثر ما توجد مصنفاته في ظفار وحضرموت ونواحيها وعنه انتشر الفقه في تلك الناحية ولم ينتشر العلم عن أحد في تلك الناحية كما انتشر عنه وأعيان فقهاء أصحابه وأصحاب أصحابه. وحج من مر باط فأخذ عنه بمكة وزبيد وغيرهما من البلاد التي مر بها خلق كثير. وكانت وفاته بمرباط في السنة المذكورة وقبره هناك والله أعلم!

ويرد ذكر ظفار في هذا الكتاب حين يصف الخزرجي غزو الرسوليين لها:

وفي سنة ثمان وسبعين كان فتح مدينة ظفار الحبوزي وقتل صاحبها سالم بن إدريس وقتل معه يومئذ نحو من ثلاثمائة رجل وأسّر خلق كثير. وكان السبب في ذلك حدوث مجاعة

١ - علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بسيوني عسل، ومحمد بن علي الأكواع (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣)، ج١، ص ٥٦ - ٥٧.

عظيمة وقحط شامل وقع في بلد حضرموت، فأقبل أصحابها إلى سالم بن إدريس وطلبوا منه ما يدفعون به كل تلك السنة عنهم وسلموا إليه مصانع حضرموت وحسنوا له ذلك ورغبوا له فيه، فأجابهم إلى ما طلبوا وخرج معهم إلى حضرموت لتمام ما قد شرعوا فيه، وهو أمر لم يسبقه إليه أحد من آبائه ولم يعلم دهاهم ولا مكرهم. فلما أخذوا منه جميع ما طلبوا سلموا إليه المصانع فقبضها وعاد إلى ظفار. ورأى أنه قد أفلح وأنجح، وأن حضرموت قد صارت تحت يده وفي قبضته. فلما رجع إلى ظفار مال أهل حضرموت ميلاً واحدةً إلى مصانعهم فأخذوها طوعاً وكرهاً ولم يكن دونها حائل يحول بينهم وبينها فأصبح لامال ولا بلد وكاد يهلك أسفاً على تضييع أمواله في غير مواضعها، فاتفق من القضاء المبرم أن مولانا السلطان الملك المظفر، رحمة الله عليه، ندب سفيراً إلى ملوك فارس بهدية جيدة، وصحبته جماعة من التجار، فصرفتهم الريح ورمت بهم إلى ساحل ظفار، فقبضهم سالم بن إدريس وقبض ما معهم من الهدية والأموال والبضائع، وسوّلت له نفسه أن هذا جبران ما فات عليه في حضرموت، فراسله السلطان بذلك وكتبه وقال له: لم يجز بذلك عادة من أهلك، ونحن نحاشيك من قطع السبيل، وأنت تعلم ما بيننا وبين والدك، وما بيننا وبينك، والمكانة بيننا، وغير أنا نتأدب بأداب القرآن الكريم قال الله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) فازداد غلظةً وجهلاً، ورجع الجواب يقول فيه: هذا الرسول فأين العذاب؟ وغير ذلك من الجهل، ثم لم يكن بعد ذلك إلا أنه أفسد صاحب الشحر راشد بن شجيعة وحمله على العصيان، فمال إليه هرباً من الخراج الذي عليه لصاحب اليمن، وكان عليه خراج معلوم يحمله في كل سنة إلى الخزانة المعمورة فكان حتفه في سوء رأيه:

والأمر لله رُب مجتهدٍ

ما خاب إلا لأنه جاهدٌ

ومتقٍ والسهام مرسلَةٌ

يجيى عن حائصٍ إلى صارذٌ

فخرج الأمر عقيب ذلك إلى والي عدن، وهو الأمير شهاب الدين غازي بن المعمار، بالتقدم إلى ساحل ظفار بالسواقي والرجال، فوصل ظفار، ولم تكن حرب طائلة ثم عاد إلى عدن المحروسة. فلما رجع ابن المعامر من ظفار نهض سالم بن إدريس، وسولت له نفسه الغارة على ساحل عدن، ولم يكره ذلك صاحب الشحر. فوصلت غارته في البحر إلى الساحل ساحل

عدن، وكان السلطان يومئذ في الجند فاستنكر الناس ذلك الأمر من سالم بن إدريس؛ إذ لم يقدم على مثله صاحب الهند ولا الصين ولا ملوك فارس؛ فاستشاط السلطان غيظاً وخرج أمره بعمرة الشواني والمراكب والطرايد وأنواع مطايا البحر، وتقدم ركابه العالي إلى ثغر عدن المحروس والمقدمين، وأنفق من الذهب والفضة ما يزيد على عدد الحصى، وجهاز الأمراء والمقدمين والعساكر المنصورة من الخيل والرّجل، وملاً البر والبحر خيلاً ورجلاً وأزواداً، وسارت العساكر ثلاث فرق؛ فرقة في البحر وهم معظم الرجل فيهم الشيخ فارس بن أبي المعالي الجزائري والشيخ محمد بن محمد بن ناجي والشيخ الهمام بن علي بن غواص المليكي وشمس الدين بن المكبوس والشيخ بدر الدين حسن بن علي المذحجي وهو أكثرهم جيشاً. وكان المقدم على أهل البحر الأمير سيف الدين سنقر الترنجلي نقيب المماليك البحرية. وسارت الفرقة الثانية مع الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الجنيد وهم العرب وكانوا ثلاثمائة فارس، ساروا على طريق حضرموت قهراً على رقاب أهلها، وهي مشحونة بقلاع بني الحبوضي وأحلافهم، ولم يكن في تلك الجهة من أحلاف السلطان إلا أبا شماخ والشيخ عمر بن علي بن مسعود وفيهم أيضاً ميل إلى بني الحبوضي.

وطلب أهل ظفار الذمة فأذم لهم الأمير شمس الدين أردمر ودخلت الأعلام السعيدة المظفرة مدينة ظفار يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور. ووقع العفو عن الناس كلهم ولا يؤخذ لأحد منهم شيء، واختطب الخطباء على منابر ظفار بالألقاب الشريفة المظفرية في يوم الجمعة الثالث من شهر شعبان. وتسلم العسكر السلطاني مدينة شيام في حضرموت يوم الثامن من شهر رمضان وقبض كافة بني الحبوضي يوم السادس والعشرين من شهر رمضان من قصر ظفار، وأرسل بهم الأمير شمس الدين أردمر إلى الأبواب الشريفة، فأمر السلطان بحملهم إلى زبيد فلم يزالوا تحت الصدقات السلطانية حتى انقضى آخرهم ولم يبق منهم أحد في وقتنا هذا. ولما افتتح السلطان رحمه الله مدينة ظفار في التاريخ المذكور كما ذكرنا، وقتل سالم بن إدريس، ارتعدت الأقطار القصية هيباً للسلطان وامتلات من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين لما رأوا من علو همته وعظيم نعمته. أرسل صاحب عُمان بهديته فرسين ورمحين إلى الأمير شمس الدين أردمر وهو يومئذ في ظفار، ووصلت هدايا صاحب الصين، ووصل صاحب البحرين إلى زبيد، ورتب الأمير شمس الدين أردمر في ظفار نائباً وهو الأمير سيف

الدين سنقر الترنجلي، وجعل الحسام التوريزي معه وعده من مشايخ العرب ومقدمي الرجال وعاد إلى اليمن.

وقال صاحب السيرة المظفرية يمدح الملك المظفر من قصيدة طويلة منها هذا:

فاسأل به الأيام فهو عقيدها
والعلم فهو مصنف ومؤلف
واسأل شَبام وحضرموت ومن بها
أو عبد يوسف صادق أم مخلف
أم راضها بالسيف أغلب لم يزل
للحق يُنصفُ، والأعادِي ينسفُ
إذا أصبحت ببقاع حَزِيم خيله
كالطير للمهج الكرائم يخطفُ
يرمي العدى بشواظ كل مثقف
فيه لمعوج الطغاة مثقفُ
فهنالك ما بيتُ نعى بتهامةٍ
إلا بسيف أبي الممهد تقطفُ
من لا يفوت عليه نيل مرامةٍ
لو أنه خلف الكواكب يقذفُ
هو في الأعباد كالأقارب حاضرُ
كالشمس من كل المطالع تشرفُ
ومن الملوك الصيد تحت لوائه
فَرَقُّ وأخرى في حديد تَرْسِفُ

ليست ظفارُ بمعظمٍ في مُلكه
 بل في مواهبه تهوت وتضعفُ
 كالبحر ليس يزيد في أمواجه
 نهزُ وليس يضُرُّهُ من يغرفُ
 أظفارُ بدعٍ من مدائن حازها
 بالسيف لا تحصى ولا هي تحصفُ
 أم تلك يدعُ من حصون شواهق
 تبدو فتنكر في النجوم وتعرفُ
 ألفت بساحتك الرِّحالَ ملوكُها
 فبطل بابك شملهم متألفُ
 أدنيت قاصيهم فككت أسيرهم
 ألبستهم أمنت من يتخوفُ
 هي عادة لك من قديم لم تنزل
 للذنب تغفر والشدائد تكشفُ
 كم من ملوكٍ قد أضعت دماءهم
 لما عصوك ولم تُضع من خلفوا

قال صاحب العقد الثمين وقال أخوه كندة مهنئاً للسلطان الملك المظفر رحمة الله عليه:
 بسم الله الرحمن الرحيم (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين) مطالع صدق
 بالنصر نورها. وتباشير صدق تضاعف على العالمين سرورها. وسطوات ملك دفع من البدعة
 بطلها. وجيوش نصر عقدت الأرض لمشارك قساطلها. وهدمت من ربوع البغي منزلها. حتى
 حلت الخسار. ونزلت بوائق البوار. بمن نهض فلم يقدر. وزاحم فلم يصبر. فالحمد لله الذي
 حبا لمولانا المقام الأعظم السلطاني العالمي العاملي الجواد الرحيمي الملكي المظفري، خلد
 الله ملكه في عصور الأزمان ومعاطف الملوان وهذا الفتح المبين. وأحمد بسيفه نار المبطلين.

وليست ب بكر لم يرَ الناسَ مثلها
ولكن عَوَاتِ كَانَتْ مِثْلُهَا قَبْلُ
وحين وردت البشارة وضح الحق للمرتابين
وازدادت طمأنينة قلوب المطمئنين.
وعاين الناسَ هَامَاتٍ مَقْطَعَةً
جاءت من البحر تسري بين أمواج
تؤمها هامةٌ كانت متوجّةً
أودى بها الملك الصنديد ذو التاج
ساق المظفر جيش النصر من عدن
يأتم في البحر أفواج بأفواج
وأفعم البرّ حتى ضاق واسعُه
بجحفلٍ لجب الأصوات عجاج
من كل معاجةٍ تعدو وتسكنها
وكل نهدي حموم السد معاج
كتائبُ لأبي المنصور ما فترت
لفرط أَيْنِ وتهجيرٍ وإدلاجٍ
تشق في فلوات البيد سابعه
بحرًا من الرمل إلا أنه ساج
يا طول ذلك من جِلٍّ ومرتحل
وكثر شدِّ وإلجامٍ وإسراجٍ
حتى وردت ظفارًا بعد ما نبذت
ما في البطون من افلاءٍ وأمشاجٍ

وبعد أن عقدت في عوقد فتناً
 ما كان سالمها بالسالم الناج
 ما أنعلت ثم حتى منهم انتعلت
 نصالكم من دم الأجواف ثجاج
 تعساً لسالم من غاو لقد سلكت
 به الغواية نهجاً شراً منهاج
 فصار مورد أمرٍ غير مُصدِرِه
 وصار ولأج حربٍ غير خراج
 أضحت بعوقد منه جثة طرحت
 والرأس في كل أرض فوق معراج
 رام المضاهاة جهلاً فاعتدى سفهاً
 ولا مضاهاة بين الدّر والعاج

ولا زالت الثغور معمورة. والجيوش مؤيدة منصوره. وعقود التهاني منتظمة السلوك. والجنود
 المظفرية قافلة بجماجم الملوك. ما همم ركام. وسجع على فروع الأيك حمام!

ويرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يؤرخ الخزرجي لأحداث سنة ٧٠٤هـ؛

وفي هذه السنة توجه الأمير سيف الدين طغريل نحو الباب الشريف متبرئاً من صنعاء
 بسبب معارضة حصلت بينه وبين الطواشي ياقوت متولي الأملاك السلطانية، فأبرأه السلطان
 منها وأقطعها ولده المظفر، وسار نائبه لقبضها في ثاني عشر ذي القعدة.

ثم أن الأمير شمس الدين عاد إلى عُمان مرة أخرى وجاءهم الإمام محمد ابن المطهر إلى
 هنالك فجهز السلطان لحرهم الأمير سيف الدين طغريل فقصدهم إلى عُمان فنزلوا الجوف
 فقصدهم إليه فطلعوا صعدة فسار بعدهم وأغار إلى فلة وأخرب ما قدر عليه من مخلافهم.
 ووقعت ذمة إلى آخر القعدة. وعاد إلى صنعاء فدخلها خامس خروجه من صعدة^٢.

١ - المصدر السابق، ج، ١، ص ١٨١ - ١٨٧.

٢ - المصدر السابق، ج، ١، ص ٢٩٩.

قلائد الجمان للقلقشندي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث القلقشندي عن الأزدي:

من كهلان: الأزدي، بفتح الهمزة وسكون الزاي ودال مهملة في الآخر وأصله: أزد، والألف واللام فيه للمح الصفة، التي هي الأزدي وهو الذعر. ويقال فيهم: الأسد، بالسین المهملة بدل الزاي.

وهم: بنو الأزدي بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان.

قال الجوهري: وهو بالزاي أفصح.

قال أبو عبيد: كان له من الولد: مازن، ونصر. والهنيء، وعبد الله، وعمرو.

واعلم أن الأزدي من أعظم الأحياء وأكثرها بطوناً وأمدّها فروعاً.

وقد قسمها الجوهري إلى ثلاثة أقسام: أحدها: أزد شنوءه بإضافة أزد إلى شنوءه، بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو ساكنة ثم همزة بعدها هاء، وهم: بنو نصر بن الأزدي. وشنوءة لقب لنصر غلب عليه.

والثاني: أزد السراة: بإضافة أزد إلى السراه. وهو موضع بأطراف اليمن نزلت به فرقة منهم فعرفت به.

والثالث: أزد عُمان: بإضافة أزد إلى عُمان، وهي مدينة بالبحرين نزلتها طائفة منهم فعرفوا بها.

ومن أزد عُمان: ابنا الجُلندي، ملك عُمان، كتب إليهما النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهما إلى الإسلام مع عمرو بن العاص- رضي الله عنه- كتاباً فيه، بعد البسملة: من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبيد ابني الجلندي: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تُقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوءتي في ملككما. وكتب أبي بن كعب.

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال أنه صلى الله عليه وسلم كتب إليهما: من محمد رسول الله لعباد الله الاشبذين ملوك عُمان وأسد عُمان، من كان منهم بالبحرين، أنهم إن آمنوا، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وأعطوا حق النبي صلى الله عليه وسلم، ونسكوا نسك المسلمين، فإنهم آمنون، وأن لهم ما أسلموا عليه، غير أن مال بيت النار لله ورسوله، وأن عشور التمر صدقة ونصف عشور الحب، وأن للمسلمين نصرهم ونصحهم، وأن لهم على المسلمين مثل ذلك، وأن لهم الرحي يطحنون بها ما شاءوا.

قال أبو عبيد: وبعضهم يرويه لعباد الله الإسب، اسماً أعجمياً نسبهم إليه.

قال: وإنما سمو بذلك لأنهم نسبوا إلى عبادة فرس، وهو بالفارسية: إسب، فنسبوا إليه. وهم قوم من الفرس، وقيل من العرب، ويجوز أن يكون الكتاب لهؤلاء.

فلما وصل عمرو عُمان اجتمع بعبيد ثم ناجى جيفر، فأسلما جميعاً. وكان من كلام جيفر: والله لقد دلتني على نبوة هذا النبي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهي عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر!

١ - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢)، ص ٩١ - ٩٣.

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يصف القلقشندي جزيرة العرب:

والحاصل أن السائر على حدود جزيرة العرب فيه من أطراف برية الشام من البلقا جنوباً إلى أيلة، ثم يسير على شاطئ بحر القلزم وهو مستقبل الجنوب والبحر على يمينه إلى مدين إلى ينبع إلى البروة إلى جدة إلى أول اليمن إلى زيد إلى أطراف اليمن من جهة الجنوب ثم يعطف مشرقاً ويسير إلى ساحل اليمن وبحر الهند على يمينه حتى يمر على عدن ويجاوزها حتى يصل إلى سواحل ظفار من مشاريق اليمن إلى سواحل مهرة، ثم يعطف شمالاً ويسير على سواحل اليمن وبحر فارس على يمينه ويتجاوز سواحل مهرة إلى عمان من بلاد البحرين إلى جزيرة أوال إلى القطيف إلى كاظمة إلى البصرة إلى الكوفة، ثم يعطف إلى الغرب ويفارق بحر فارس ويسير والفرات على يمينه إلى سليمة إلى البلقا حيث بدأ.

ودور هذه الجزيرة على ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تقويم البلدان سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً بسير الأتقال فمن البلقا إلى الشراة ثلاثة أيام، ومن الشراة إلى أيلة نحو ثلاثة أيام، ومن أيلة إلى الحجاز وهي فرضة المدينة المنورة النبوية نحو من عشرين يوماً، ومن الحجاز إلى ساحل الجحفة نحو ثلاثة أيام، ومن ساحل الجحفة إلى جدة وهي فرضة لمكة ثلاثة أيام، ومن ساحل جدة إلى عدن نحو من شهر ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو من شهر، ومن مهرة إلى عمان إلى البحرين نحو من شهر، ومن هجر إلى عبادان من العراق نحو من خمسة عشر يوماً، ومن عبادان إلى البصرة نحو يومين، ومن البصرة إلى الكوفة نحو اثني عشر يوماً، ومن الكوفة إلى بالس نحو عشرين يوماً، ومن بالس إلى سلمية نحو سبعة أيام، ومن سلمية إلى مشاريق غوطة دمشق نحو أربعة أيام، ومن مشاريق غوطة دمشق إلى مشاريق حوران نحو ثلاثة أيام، ومن مشاريق حوران إلى البلقا نحو ستة أيام!

١ - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإياري (بيروت: دار الكتاب اللبنانيين، ١٩٨٠)، ج١، ص ١٥ - ١٦.

ويرد أيضا حين يتحدث القلقشندي عن بني الدليل من قبائل العرب:

بنو الدليل - بالتشديد وبكسر الدال المهملة وسكون الياء ولام في الآخر، بطن من عبد القيس بن ربيعة من العدنانية، قال الجوهري: وهما ديلان أحدها الدليل بن شداد بن أقصى بن عبد القيس، والثاني الدليل بن عمرو بن وداعة بن أقصى بن عبد القيس، وعبد القيس يأتي نسبه عند ذكره في حرف العين المهملة. قال الجوهري: ومنهم أهل عُمان، والنسب إلى الدليل ديلي بزيادة ياء النسبة^١.

ويرد أيضا حين يتحدث القلقشندي عن العمالقة:

العمالقة - قبيلة من العرب العاربة البائدة، وهم بنو عمليق ويقال عملاق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام وهم أمة عظيمة يضرب بهم المثل في الطول والجثمان، قال الطبري: وتفرقت منهم أمهم في البلاد فكان منهم أهل المشرق، وأهل عُمان، والبحرين، والحجاز، وكان منهم ملوك العراق والجزيرة وجبارة الشام وفراعنة مصر^٢.

ويرد أيضا حين يتحدث القلقشندي عن أسواق العرب في الجاهلية:

قد كان للعرب في الجاهلية أسواق يقيمونها في شهور السنة وينتقلون من بعضها إلى بعض، ويحضرها سائر قبائل العرب من بعد منهم ومن قرب، فكانوا ينزلون دومة الجندل أول يوم من ربيع الأول، فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء، فيعشرهم رؤساء آل بدر في دومة الجندل وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشرهم بعض رؤساء كلب، فتقوم سوقهم إلى آخر الشهر، ثم ينتقلون إلى سوق هجر وهو المشهور في ربيع الآخر فتقوم أسواقهم بها، وكان يعشرهم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم، ثم يرتحلون نحو عُمان بالبحرين، فتقوم سوقهم بها، ثم يرتحلون فينزلون إرم وقرى الشحر فتقوم أسواقها بها أياما، ثم يرتحلون فينزلون عدن من اليمن أيضا فيشترون منه اللطائم وأنواع الطيب، ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت، ومنهم من يجوزها إلى صنعاء، ثم تقوم أسواقهم بها ويجلبون منها الخز والأدم والبرود وكانت تجلب إليها من معافر، ثم يرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرم فتقوم أسواقهم بها، ويتناشدون الأشعار

١ - المصدر السابق، ج، ١، ص ٥٦.

٢ - المصدر السابق، ج، ١، ص ١٤٩-١٥٠.

ويتحاجون، ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم، كان أحدهم الأقرع بن حابس، ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج ويرجعون إلى أوطانهم!

الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يصف الحميري قرية في بلاد الزنج اسمها "البانس":

قرية في آخر عمارة الزنج، وهي جامعة أهلة بالناس، وهم يعبدون الرجيم، والرجيم عندهم طبل كالبتية مجلد من جهة واحدة، ويربطون في ذلك الجلد شريطاً يجذبونه به فيكون له صوت هائل يسمع على ثلاثة أميال ونحوها، ومدينة البانس آخر عمالة الزنج وتتصل بها أرض سفالة الذهب، وجميع بلاد الزنج بضائعهم الحديد وجلود النمر الزنجية وهي جلود حمر ناعمة جداً وليس عندهم دواب، إنما يتصرفون بأنفسهم وينقلون أمتعتهم على رؤوسهم وعلى ظهورهم إلى مدينتي منبسة وملندة فيبيعون هناك ويشترون، وليس للزنج مراكب يسافرون بها إنما تدخل إليهم المراكب من عُمان وغيرها إلى جزائر الهند فيبيعون هناك متاعهم، وللغرب في قلوب الزنج رعب عظيم ومهابة، فلذلك متى عاينوا رجلاً من العرب تاجرًا أو مسافرًا سجدوا له وعظموا شأنه وقالوا بكلامهم: هنيئًا لكم يا أهل اليمن، والمسافرون لبلادهم يسرقون أبناء الزنج بالتمر يخذعونهم به، فينقلونهم من مكان إلى مكان حتى يقبضوا عليهم ويخرجوهم من بلادهم إلى البلاد التي يكونون بها، ويقابل بلاد الزنج الساحلية جزائر تسمى الزابج وهي كبيرة وأرضها واسعة وأهلها سمر جدًا وتزرع بها الذرة وقصب السكر وشجر الكافور!

ويرد أيضا حين يصف الحميري البحرين:

هي بلاد واسعة شرقيها ساحل البحر، وجوفها متصل باليمامة، وشمالها متصل بالبصرة، وجنوبها متصل ببلاد عُمان، وقاعدتها هجر، وأهلها عبد القيس. ومن بلاد البحرين الأحساء والقطيف وبيشة والزارة والخط الذي تنسب إليه الرماح الخطية وغيرها. وهي بلاد سهلة كثيرة الأنهار والعيون عذبة الماء ينبطون الماء على القامة والقامتين، والحناء والقطن على شطوط أنهارها بمنزلة السوسن، وهي كثيرة النخل والفواكه، ولها تمر إذا انتبد وشرب اصفرت الثياب من عرقه، ويساتينهم على نحو

١ - محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار السراج، ١٩٨٠)، ص ٧٤.

ميل منها ولا يأتونها إلا غدواً أو رواحاً لإفراط حر الرمضاء، وإن حوافر الدواب تسقط فيها إذا احتدمت، وهي مخصوصة بتعظيم الطحال ولذلك قال بعض الشعراء:

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله
ويغبط بما في بطنه وهو جائع

ولها مدن كثيرة وبلاد البحرين منهالة الكثنان جارية الرمل حتى يسكروه بسعف النخل وربما غلب عليهم في منازلهم، فإذا أعياهم حملوا النقوض وتحولوا، وقد كان من البحرين إلى عُمان طريق فغلب عليه الرمل ومنع من سلوكه فلا يوصل اليوم من البحرين إلى عُمان إلا في البحر. وفي البحرين على طريق البصرة جزائر مسيرة يومين وثلاثة وفيها آثار وبناء وخرابات يرفئ فيها أصحاب السفن إذا هاجت الرياح وفي تلك الجزائر صيد كثير وفي جزيرة خارك منها جزر غليظ يقطع بالقدوم لغلظه، وميرة البحرين تجلب إليها من فارس، ويقال إن اليمامة والبحرين والقريتين وما يليها كانت لطسم وجديس، وفي اليمامة كانت زرقاء اليمامة، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرف الياء.

ولما سار حسان بن تبان أسعد أبو يكر بملك اليمن بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كانوا بالبحرين كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم إلى آخر الخبر، ذكره ابن إسحاق.

وبها كان خروج أبي فديك الخارجي تغلب عليها سنة اثنتين وسبعين، ووجه إليه عبد الملك بن مروان عشرين ألفاً من أهل البصرة والكوفة وكانت بينهم معركة عظيمة وحمل إليه أهل المصريين حتى استباحوا عسكر الخوارج وقتلوا أبا فديك وحصروهم في المشقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة!

ويرد ذكر عمان في هذا الكتاب أيضاً حين يصف الحميري موضعاً يسمى "برهوت":

برهوت في نحر بلاد حضرموت من بلاد الشحر في جهة اليمن ببلاد عُمان، فيها أطمه يسمع صوتها كالرعد من أميال كثيرة تقذف من قعرها بجمر كالجبال وقطع من الصخر سود حتى يرتفع ذلك في الهواء ويدرك حسها من أميال كثيرة ثم تنعكس سفلاً فتھوي إلى قعرها وحولها.^٢

١ - المصدر السابق، ص ٨٢.

٢ - المصدر السابق، ص ٨٦.

ويرد أيضا حين يعرف الحميري بمنطقة "الخط":

الخط ساحل ما بين عُمان إلى البصرة ومن كاظمة إلى الشحر، وقيل الخط قرية على ساحل البحرين فيها الرماح الجياد، وإذا نسبت إليها قلت: رماح خطية - بفتح الخاء - فإذا جعلت النسبة اسماً قلت: خطية - بكسر الخاء - وقيل الخط قرى عُمان، والخط لا ينبت القنا ولكن مرسى سفن القنا، كما قيل مسك دارين ولا مسك يوجد بها إنما هي مرفأ سفن الهند.

وحكوا أن العلاء بن الحضرمي لما وجهه الصديق إلى البحرين لمحاربة من ارتد بها، أتى إلى الخط حتى نزل على الساحل فجاءه نصراني فقال: ما لي إن دلتك على مخاضة تخوض منها الخيل إلى دارين، قال: وما تسألني؟ قال: أهل بيت بدارين، وتمام الخبر في حرف الدال!

ومن القرى العمانية التي وصفها الحميري "دبا":

دباً مثل عصا، موضع بظهر الحيرة، ودبا فيما بين عُمان والبحرين، كان وفد الأزدي من أهل دباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالإسلام، فبعث فيهم مصداً منهم يقال له حذيفة بن اليمان الأزدي من أهل دبا، وكتب له فرائض صدقات أموالهم ثم رسم له أخذها من أغنيائهم وردها على فقرائهم، ففعل ذلك حذيفة ورد فاضلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يجد لها موضعاً، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا الصدقة وارتدوا، فدعاهم حذيفة إلى التوبة فأبوا، وأسمعوه شتم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا قوم أسمعوني الأذى في أبي وأمي ولا تسمعوني الأذى في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبوا إلا ذاك وجعلوا يرتجزون:

لقد أتانا خبر ردي... أمست قريش كلها نبي... ظلم لعمر الله عبقرى... فكتب حذيفة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما كان منهم فاغتاظ أبو بكر عليهم غيظاً شديداً وقال: من لهؤلاء ويل لهم، ثم بعث إليهم عكرمة بن أبي جهل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم استعمله على سفلى بني عامر بن صعصعة مصداً، فلما بلغته وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انحاز إلى تبالة في أناس من العرب ثبتوا على الإسلام، فكان مقيماً بتبالة فجاءه كتاب أبي بكر رضي الله عنه، وكان أول بعث بعثه إلى أهل الردة: أن سر فيمن قبلك من المسلمين إلى أهل دبا، فسار عكرمة في نحو ألفين من المسلمين ورأس أهل الردة لقيط بن مالك فلما بلغه مسير عكرمة بعث ألف رجل من الأزد يلقونه، وبلغ عكرمة أنهم في جموع كثيرة فبعث طليعة، وكان

لأصحاب لقيط أيضًا طليعة، فالتقت الطليعتان فتناوشوا ساعة ثم انكشف أصحاب لقيط، وبعث أصحاب عكرمة فارسًا يخبر عكرمة، فلما أتاه الخبر أسرع بأصحابه ومن معه حتى لحق طليعته ثم زحفوا جميعًا ميمنة وميسرة وسار على تعبئة حتى أدرك القوم فالتقوا فاقتتلوا ساعة، ثم رزق الله تعالى عكرمة عليهم الظفر فهزمهم وأكثر فيهم القتل، ورجعوا منهزمين أجمعين إلى لقيط بن مالك، فأخبروه أن جمع عكرمة مقبل إليهم وأنهم لا طاقة لهم بهم، وفقدوا من أصحابهم بشرًا كثيرًا، منهم من قتل ومنهم من أسر، فلما انتهوا إلى لقيط مفلولين قوي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بمن معه من المسلمين فناهضهم وناوشهم، وجاء عكرمة في أصحابه فقاتل معهم فأصابوا منهم مائة أو نحوها في المعركة ثم انهزموا حتى دخلوا مدينة دبا فتحصنوا فيها وحصروهم المسلمون شهرًا أو نحوه وشق عليهم الحصار إذ لم يكونوا أخذوا له أهبة، فأرسلوا إلى حذيفة رجلًا منهم يسأله الصلح، فقال: إلا أخيرهم، بين حرب مجلية أو سلم مخزية، قالوا: أما الحرب المجلية فقد عرفناها فما السلم المخزية؟ قال: تشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، وأن ما أخذنا منكم فهو لنا وما أخذتموه منا فهو رد علينا، وأنا على حق وأنكم على باطل وكفر، نحكم فيكم بما رأينا فأقروا بذلك، فقال: اخرجوا من مدينتكم عزلاً لا سلاح معكم، ففعلوا، فدخل المسلمون حصنهم، فقال حذيفة رضي الله عنه: إني قد حكمت فيكم أن أقتل أشرافكم وأسبي ذراريكم، فقتل من أشرافهم مائة رجل، وسبى ذراريهم، وقدم حذيفة رضي الله عنه بسبيهم إلى المدينة، وهم ثلثمائة من المقاتلة وأربعمائة من الذرية والنساء، وأقام عكرمة بدبا عاملاً عليها لأبي بكر رضي الله عنه، فلما قدم حذيفة رضي الله عنه بسبيهم إلى المدينة اختلف فيهم المسلمون فكان زيد بن أسلم يحدث عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه أنزلهم دار رملة بنت الحارث، وهو يريد أن يقتل من بقي من المقاتلة، فكان من كلام عمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله قوم مؤمنون إنما شحوا على أموالهم والقوم يقولون: والله ما رجعنا عن الإسلام ولكن شحنا على أموالنا، فيأبى أبو بكر رضي الله عنه أن يدعهم بهذا القول، ولم يزلوا موقفين بدار رملة حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه وولي عمر رضي الله عنه فدعاهم فقال: قد كان من رأيي يوم قدم بكم على أبي بكر رضي الله عنه أن يطلقكم وقد أفضى إلي الأمر فانطلقوا إلى أي البلاد شئتم فأنتم قوم أحرار لا فدية عليكم، فخرجوا حتى نزلوا البصرة، وكان فيهم أبو صفرة والد المهلب وهو غلام يومئذ، وكان في من نزل البصرة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رأي المهاجرين فيهم إذ استشارهم أبو بكر رضي الله عنه

كان قتلهم أو فداءهم بأعلى الفداء، وكان عمر رضي الله عنه يرى ألا قتل عليهم ولا فداء، فلم يزالوا محتبسين حتى ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرسلهم بغير فداء.

ويروى عن عمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى فيهم بأربعمائة، فصار فداء، ثم نظر في ذلك فقال: لا سباء في الإسلام فهم أحرار، والأول أكثر. وعن عروة: لما قدم أهل غزو دبا المدينة قافلين أعطاهم أبو بكر رضي الله عنه خمسة دنانير خمسة دنانير!

ويرد ذكر عمان أيضا حين يصف الحميري بلدا يسمى "دولاب":

دولاب بينه وبين الأهواز فرسخان، فيه كانت الواقعة بين أهل البصرة وبين الخوارج، قتل فيها نافع بن الأزرق رئيس الخوارج الأزارقة، وذلك في سنة خمس وستين، تراحفوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد، وقاتل في المعركة مسلم بن عبيس رئيس أهل البصرة ونافع بن الأزرق رئيس الأزارقة، وكانوا اقتتلوا زهاء شهر حتى كره بعضهم بعضاً وملوا القتال، فإنهم لمتواقفون متحاجزون إذ جاءت سرية للخوارج جامعة لم تكن شهدت القتال فحملت على الناس فانهزم الناس وقتل أمير البصرة، وقال قطري بن الفجاءة في ذلك:

لعمرك إنني في الحياة لزاهد
وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها
شفاء لذي بث ولا لسقيم
لعمرك إنني يوم أظم وجهها
على نائبات الدهر جد لئيم
فلو شهدتني يوم دولاب أبصرت
طعان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طففت علماء بكر بن وائل
وأحلافها من يحمده وسليم

ومال الحجازيون نحو بلادهم
وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول حرها
وولت شيوخ الأزد فعل هزيم
فلم نر يومًا كان أكثر مقعصًا
يمج دمًا من فائظ وكليم
وضاربة خدًا كريمًا على فتى
أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولابٍ ولم تك موطنًا
له أرض دولابٍ ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا
تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم
بجنات عدن عنده ونعيم

ولما أوقع الخوارج بدولاب بأهل البصرة هالهم ذلك وراعهم، ثم بلغهم أن الخوارج متوجهون نحو البصرة ففزعوا إلى الأحنف بن قيس، وقدم المهلب بن أبي صفرة خلال ذلك ومعه عهده بولاية خراسان من قبل عبد الله بن الزبير، فقال الأحنف: ما أرى لهذا الأمر إلا المهلب، وأجمع على ذلك الناس وامتنع المهلب من ذلك، فكتب على لسان ابن الزبير إلى المهلب إن الأزارقة المارقة قد أصابوا جنداً للمسلمين كان عددهم كثيرًا وأشرفهم كثيرًا، وقد كنت وجهتك إلى خراسان، وقد رأيت لما ذكر أمر هؤلاء الخوارج أن تكون أنت على قتالهم، ورجوت أن تكون ميمونًا مباركًا على أهل مصرك، والأجر في ذلك أفضل من المسير إلى خراسان، فسر إليهم راشدًا، فقاتل عدو الله وعدوك ودافع عن حقوقك وحقوق أهل مصرك، فإنه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير خراسان إن شاء الله. فانتخب من الناس اثني عشر ألفًا ثم تنام له زهاء عشرين ألفًا، ثم مضى يؤم سوق الأهواز، ثم خندق عليه ووضع المسالحي وأدكى العين وأقام

الأحراس، ولم يزل الجند على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم، وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها، فكانت الخوارج إذا أرادوا بيات المهلب وجدوا أمرًا محكمًا، فلم يقابلهم قط إنسان كان أشد عليهم ولا أعيظ لقلوبهم منه، والتقى الناس فاقتتلوا كأشد القتال، فصبر بعضهم لبعض عامة النهار، ثم إن الخوارج شدت على الناس في جمعها شدة منكرا فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين لا تلوي أم على ولد حتى بلغت البصرة هزيمة الناس، فنادى مناد أن قتل المهلب، ونعي بالبصرة، فنسي الناس رجالهم وأقام أهل كل دار يبكون المهلب لا يسألون عن أحد، وضرب المهلب يومئذ على جبهته، ولم يبق يومئذ أحد من ولده إلا جرح، وأسرع المهلب حتى سبقهم إلى مكان يفاع في جانب عن سنن المهزومين، ثم إنه نادى الناس: إلي عباد الله، فتأب إليه جماعة من قومه من أهل عُمان، فاجتمع إليه منهم نحو ثلاثة آلاف، فلما نظرهم رضي جماعتهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهزمون وينزل النصر على الجمع القليل فيظهرون، ولعمري ما بكم الآن قلة، إني بجميعةكم لراض، وإنكم لأنتم أهل الصبر وفرسان المصر، وما أحب أن أحدًا ممن انهزم معكم، لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا، عزمت على كل واحد منكم لما أخذ عشرة أحجار معه أو ما استطاع، ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فإنهم الآن من ذلك آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانكم، والله إني لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم، ففعلوا، ثم أقبل زحفًا فلا والله ما شعرت الخوارج إلا والمهلب يضاربهم بالمسلمين في جانب عسكرهم، ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح كاملاً، فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل الرجل منهم فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يشخه ثم يطعنه بعد ذلك برمحه أو يضربه بسيفه، فلم يقاتلهم إلا ساعة حتى قتل عبيد الله بن الماحوز وأخوه عثمان وضرب الله وجوه أصحابه، وأخذوا عسكر القوم وما فيه، وقتل الأزارقة قتلاً ذريعاً، وأقبل من كان من الأزارقة في طلب المنهزمين من أهل البصرة راجعين وقد وضع لهم المهلب خيلاً ورجالة في الطريق تختطفهم وتقتلهم فانكفأوا راجعين مفوليين، فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصابوا ابن الماحوز مقتولاً، وقال رجل من موالي المهلب: لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة، رميت به رجلاً فأصبت أصل أذنه فصرعته ثم أخذت الحجر فصربت به آخر على هامته فصرعته، ثم ضربت آخر ثالثاً، وقال رجل من الخوارج:

أتانا بأحجار ليقتلنا بها

وهل يقتل الأبطال ويحك بالحجر

ودعا المهلب الرقاد بن عبد وسعيد بن زيد الجهضمي فقال: أمعنا في الأرض فمن لقيتما من الناس فأعلماه حياتي، وامضيا إلى البصرة فأخبرا أهلها بالظفر، وسبق غلام من بني سعيد إلى البصرة فأتى الأحنف فأخبره حتى انتهى إلى أمر المهلب وما صنع، فبكى الأحنف وقال: يا ابن أخي هلك المهلب وهلك أهل المصرين، فقال الغلام: عهدي والله بعبيد الله وعثمان ابني الماحوز قتيلين، إن الرائد لا يكذب أهله، قال: دعني من الظفر وأخبرني عن أخي المهلب، وكيف كان أمركم، فقال الغلام: نعم، أطبقت الحرب علينا يوماً وليلة لا تثني حدًا ولا تزايل منكباً يموج بعضنا ببعض، ونادى مناد: قتل المهلب، فانجلت الغياية عن ابني الماحوز قتيلين في حماة القوم، وبقوا بغير أمير فولوا أمرهم قطرياً، وبقيت بقية وهم قل، ونظرت إلى السيوف قد طيرت قلنسوة المهلب عن رأسه مخضباً بالدماء، فلما رأينا وجهه جهرنا بالتكبير، وتركت رؤوس الخوارج تنغف وهي إليك سراع وأنا منصفك: إن كنت صادقاً فلي حكمي وإن كنت كاذباً فتحكموا في، فقال الأحنف: ما أظنك إلا كاذباً، والقصة أطول من هذا^١.

ومن المواضع العمانية الأخرى التي وصفها الحميري في كتابه أيضا جبل يسمى

رأس المحجمة:

رأس المحجمة جبل عال في بلاد عُمان، عال على ضفة البحر ويندفن في الماء فلا يعلم حيث يصل وربما تكسرت المراكب عليه، وفي رأس المحجمة مغايص اللؤلؤ^٢.

ويذكر الحميري جبلا آخر في عمان اسمه "رسوب":

هو جبل الأحقاف في عُمان، وقد تقدم ذكر الأحقاف وقوم عاد في حرف الألف، ورسوب متصل بأرض الأحقاف، وهو بلد واسع غلب عليه الرمل بسوافي الرياح فعفا أثره، وهو الذي ذكره الله عز وجل، والبحر يضرب بسفح الجبل، ويركب منه البحر إلى جزيرتين ينزلهما قوم من مهرة بأغانمهم، طولهما اثنا عشر فرسخاً^٣.

١ - المصدر السابق، ص ٢٤٧ - ٢٤٩.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٦٥.

٣ - المصدر السابق، ص ٢٧٢.

ويرد أيضا حين يصف الحميري مدينة سبأ في اليمن منوها بأن بعض طوائفها من أهل عمان:

سبأ مدينة باليمن هي الآن خراب، وهي مدينة بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام المذكورة في القرآن، وبها طوائف من اليمن من أهل عمان، وبها كان السد الذي خرّقه سيل العرم المذكور في القرآن.

قالوا: ولم تزل أرض سبأ من أخصب أرض، وأهلها في أرغد عيش، وكانت مسيرة شهر للراكب المجد في مثل ذلك، وكان الملك يسير منها جنائناً من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها لا تواجه الشمس ولا يفارقه الظل مع تدفق المياه وصفاء الهواء واتساع الفضاء، فمكتثوا كذلك ما شاء الله لا يعاندهم ملك إلا قصموه، ولا يعارضهم جبار إلا كسروه، وكانت سمة الملك الذي يملك البلد مأرب فاشتهر البلد باسمه قال الشاعر:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ

بينون من دون سيله العرما

وقيل: إن مأرب سمة قصر الملك في ذلك الزمان وقال أبو الطمحان:

ألم تر مأرباً ما كان أحصنه

وما حوالبه من سور وبنيات

وكانت أرض سبأ في بدء الزمان عامرة تركبها السيول وتعمها الوحول فجمع ملك من ملوك حمير الحكماء وأحضر البصراء وشاورهم في دفع ذلك السيل وإزاحة ما كان من أمره، فأجمعوا على حفر مصارف له إلى برار تؤديه إلى البحار، فحشد الملك لذلك أهل

مملكته حتى صرف الماء واتخذ سدًا في الموضع الذي كان فيه مبدأ جريان الماء من الجبل إلى الجبل، وذلك نحو فرسخ، رضمه بالحجارة والحديد، وجعل فيه ثلاثين مجراً للماء في استدارة الذراع على أصح هندسة وأكمل تقدير، يجتذبون منها مقداراً من الماء معلوماً وشرّباً للأرض مقسوماً، وبعث الله إليهم اثني عشر نبياً، وكانوا يعبدون الشمس، فأرسل إليهم رسلاً يدعونهم إلى الحق ويزجرونهم عن الباطل ويذكرونهم آلاء الله، فأنكروا نعمة الله وقالوا: إن كنتم صادقين فادعوا الله أن يسلبنا ذلك، حتى قالت امرأة منهم:

إن كان ما نصبح في ظلاله... من ربكم فليطلق بماله... إليه عنا وإلى عياله...

فدعت عليهم الرسل، فأرسل الله عليهم السيل بفأرة خرقت ذلك السد المحكم والصخر المرضم ليكون ذلك أثبت في العبرة، فأباد الله خضراءهم وأذهب أموالهم ومزقوا كل ممزق وباعد بين أسفارهم؛ وأول ما تكهن سطيح الغساني في أمر سيل العرم، وكان عمرو بن عامر بلغه علم ذلك فرأى يوماً جرذاً يقل برجله صخرة ما يقلها خمسون رجلاً، فرجع وهو يقول:

أبصرت أمراً هاج لي برح السقم

يسحب فهراً من جلاميد العرم

فأجمع على الخروج من أرض سبأ وبيع ماله بها وأعمل الحيلة في ذلك، وتم له ذلك ثم أندر الناس فتمرقوا أيادي سبأ وتمزقوا كل ممزق، وبعض هذا المذكور في ذكر مأرب^١.

ويرد ذكر عمان في هذا الكتاب أيضا حين يصف الحميري سرنديب:

ولأهل سرنديب نظر في زراعة النارجيل، ويقومون بحفظه ويبيحونه للصادر والوارد ابتغاء الأجر وطلب المثوبة، وأهل عمان وغيرها من بلاد اليمن ربما قصدوا إلى هذه الجزائر التي فيها النارجيل، فيقطعون من خشب النارجيل ما أحبوه ويصنعون من ليفه حبلاً يحرزون به ذلك الخشب وينشئون منه مراكب ويصنعون منه صواريخها، ويفتلون من خوصه حبلاً، ثم يسقون تلك المراكب بخشب النارجيل ويمضون بها إلى بلادهم، فيبيعونه هناك ويتصرفون به^٢.

ومن المدن العمانية التي وصفها الحميري سمائل، ولكنه يسميها "سنابل":

سنابل قرية بأرض عُمان منها مازن بن الغضوبة الطائي، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: وسبب إسلامه ووفوده على النبي صلى الله عليه وسلم وإقطاعه له أرض عُمان، قال: عترت يوماً عتيرة، وهي الذبيحة، فسمعت صوتاً من الصنم يقول: يا مازن أقبل أقبل فاسمع ما لا يجهل، هذا نبي مرسل، جاء بحق منزل، فأمن به كي تعدل، عن حر نار تشعل، وقودها بالجنديل. قال مازن: فقلت والله إن هذا لعجب، ثم عقرت بعد أيام عتيرة أخرى، فسمعت صوتاً أبين من الأول، وهو يقول: يا مازن اسمع تسر، ظهر خير وبطن شر، بعث نبي من مضر، بدين الله الأكبر، فدع نحيئاً من حجر، تسلم من حر سقر. قال مازن: فقلت إن هذا

١ - المصدر السابق، ص ٣٠٢-٣٠٣.

٢ - المصدر السابق، ص ٣١٣.

والله لعجب، وإنه لخير يراد بي، وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا: ما الخبر وراءك. قال: خرج بتهامة رجل يقول لمن أتاه: أجيئوا داعي الله، يقال له أحمد، فقلت: هذا والله نبأ ما سمعت، فثرت إلى الصنم فكسرتة أجدادًا، وشدت راحلتي ورحلت حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشرح لي الإسلام فأسلمت، وأنشأت أقول:

كسرت يا جر أجدادًا وكان لنا
ربًا نظيف به ضلًّا بتضلال
بالباشمي هداننا من ضلالتنا
ولم يكن دينه منا على بال
يا راكبًا بلغن عمرًا وإخوتها
أنبي لما قال ربي يا جر قال

وقلت: يا رسول الله، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر وبالهلوك إلى النساء، وألحت علي السنون فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال، وليس لي ولد، فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتني بالحيا ويهب لي ولدًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرّام الحلال وأتهم بالحيا وهب له ولدًا"، فقال مازن: فأذهب الله عني كل ما أجد. وأخصبت عمان، وتزوجت أربع حرائر ووهب الله تعالى لي حبان بن مازن وأنشأت أقول:

إليك رسول الله سقت مطيتي
تجوب الفيافي من عُمان إلى العزج
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى
فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج
إلى معشر خالفت في الله دينهم
فلا رأيهم رأيي ولا شرحهم شرجي
وكنت امرءًا بالدعب والخمر مولعًا
شبابي حتى أذن الجسم بالنهج

فأصبحت همي في جهاد ونيتي
ولله ما صومي ولله ما حجبي^١

ويرد ذكر عمان أيضا حين يصف الحميري جزيرة سقطرى؛

سقوطرى، أو سقطرى جزيرة معروفة من الإقليم الأول، وبينها وبين الساحل مجريان بالرياح الطيبة، وهي جزيرة واسعة القطر جليلة القدر نامية الشجر، طولها ثمانون فرسخًا، وأكثر نباتها شجر الصبر، ولا صبر يفوق صبرها في الطيب كالذي يتخذ بحضرموت اليمن وبالشحر وغيرها، وتتصل من جهة الشمال والمغرب ببلاد اليمن، بل هي محسوبة منه ومنسوبة إليه، وبها من جميع قبائل مهرة، وبها نخل كثير، ويسقط إليها العنبر، وإذا قيل لمهري: يا سقطري، غضب، وتقابلها بلاد الزنج، وأكثر أهل هذه الجزيرة نصارى، لأن الإسكندر لما غلب على ملك فارس وغزت أساطيله جزائر الهند وقتل ملك الهند، وكان معلمه أرسطوطاليس قد أوصاه بطلب جزيرة الصبر فكان في بال الإسكندر ذلك من أجل وصية معلمه، فعند فراغه من أخذ جزائر الهند وتغلبه عليها وعلى ملوكها أخذ راجعًا في بحر الهند إلى جهة البحر العُماني إلى أن وصل إلى جزيرة سقطرى فأعجبه طيب ثراها واعتدال هوائها، فكتب إلى معلمه بذلك، فأجابه يأمره بأن ينقل أهلها عنها ويستبدلهم باليونانيين ويوصيهم بحفظ شجرة الصبر وحياطتها لما في ذلك من المنافع الطيبة، وأنه لا تتم الايارات إلا به، مع انتفاع جميع الأمم بتصرفه لأنه في ذاته دواء جليل كثير المنافع، ففعل الإسكندر ذلك فأخرج عنها جملة أهلها ونقل إليها قومًا من اليونانيين، وأمرهم بحفظ شجرة الصبر والقيام بها وغراستها وإدامة تنميتها، ففعلوا ذلك إلى أن ظهر دين المسيح فآمنت به، فدخل أهل سقطرى في دين النصرانية، وبقايا ذراريهم بها إلى هذا الوقت مع سائر من سكنها من غيرهم، وأوراق شجر الصبر تجمع في شهر يولييه، ويستخرج لعباها ويطبخ في قدور النحاس وغيرها، ويوضع في زقاق ويجفف في شهر أغشت للشمس، ويباع منه بهذه الجزيرة قناطر فيتجهز به إلى الآفاق شرقًا وغربًا.

وقد يسقط العنبر إلى جزيرة سقطرى، ومن عُمان إلى الساحل إلى سقطرى، والطريق من عُمان إلى مسقط على الساحل ثم منه إلى سقطرى، وبها الصبر الذي لا يعدل به كما قلناه^٢.

١ - المصدر السابق، ص ٣٢٦.

٢ - المصدر السابق، ص ٣٢٧-٣٢٨.

ومن المواضع العمانية التي وصفها الحميري في كتابه أيضا بلاد الشَّحْر من جنوب عُمان:

بكسر أوله وإسكان الحاء المهملة، هو شِخْر عُمان، وهو ساحل اليمن، وهو ممتد بينها وبين عُمان.

وأرض الشحر متصلة بأرض حضرموت، وفيها قبائل مهرة، وهي دار عاد الأولى، الذين أرسل الله تعالى إليهم نبيهم هودًا عليه السلام، وكانوا ثلاث عشرة قبيلة، وهو عادُ بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وكان الملك بعد نوح عليه السلام تأثل في عاد الأولى قبل سائر الممالك، وذلك قوله تعالى: "وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ" قيل: كانوا في هيئة النخل طولًا، وكانوا في القوة واتصال الأعمار بحسب ذلك، وآثارهم بالشحر ومواقع مساكنهم تدل على عظم أجسامهم، وكان عادٌ جبارًا بعيد العمر، وتزوج ألف امرأة، ورأى من صلبه أربعة آلاف ولد، وعاش ألف سنة ومئتي سنة، وابنه شداد هو الذي بنى إرم ذات العماد، وهذه عادُ الثانية، إذ قال تعالى في الأولى: "أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى"، وقال في هذه الثانية: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ"، وبلاد عاد: الشحر وحضرموت والأحقاف، فلما سخط الله تعالى عليهم جعلها مفاوز، وكانت أخصب البلاد.

والشحر مدينة كبيرة وليس بها زرع ولا ضرع، ويكون بها العنبر، وشجرها الكُنْدُر، ومنها يحمل إلى الآفاق، واللاك بها كثير.

والإبل المنتجة عند هؤلاء العرب لا يُعدل بها شيء في سرعة جريها ومن غريب ما يُنسب إليها أنها تفهم الكلام وتعلم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه، ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت بلا تأخر. وقصبة أرض مهرة تسمى الشحر، ولسان مهرة مستعجم جدًا لا يكاد يفهم، وهو اللسان الحميري في القديم، وهم أكثر أهل الأرض رواحل، وجل مكاسبهم الإبل والمِعْز، والسمك يصاد في ذلك البحر وبلاد عمان، وعندهم حوت صغير جدًا يصاد ويُشتمس وتعلف به الدواب والإبل. وأهل مهرة لا يعرفون الحنطة ولا خبزها إنما أكلهم السمك وشربهم الألبان وقليل الماء، قد اعتادوا ذلك وألفوه فلا يعدلون عنه، ومن تغرب منهم فأكل الحنطة تألم وربما مرض. وطول بلاد مهرة تسعمئة ميل، وهي كلها رمال سيالة والرياح تسفيها، ومن آخر بلاد الشحر إلى عدن ثلاثمئة ميل.

وفي هذه المدينة أشجار اللاك والكندر، وهي أشجار مثل أشجار التوت إلا أنها لا تورق بل
تَحْمَلُ أغصانها كلها الكندر.^١

ومن المدن العمانية التي وصفها الحميري في كتابه هذا صحار:

صحار مدينة كبيرة بأرض عمان وهي قسبة عمان، وهي على ساحل البحر، مقدارها فرسخ
في فرسخ، ومياهها من الآبار.

وهي أقدم مدن عمان وأكثرها أموالاً قديماً وحديثاً، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما
لا يحصى عددهم، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن ويتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها
واسعة، وبها النخيل والموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار الطيبة، وكان في قديم الزمان تسافر
منها مراكب الصين فانقطع ذلك لأن عامل جزيرة كيش أنشأ أسطولاً، فغزا به بلاد اليمن الساحلية
فأضر بالمسافرين والتجار ولم يترك لأحد مالا وأضعف البلاد وانقطع السفر عن عمان، وعاد إلى
عدن. وكان بصحار مجتمع للتجار، ومنها يتجهز لكل بلدة وإلى بلاد الهند والصين.^٢

ويذكر الحميري موضعاً في عمان اسمه "صدينة":

صدينة في بلاد عُمان، قرية ذات مياه سائحة.^٣

ومن المدن العمانية التي وصفها الحميري صحم على ساحل الباطنة، لكنه يسميها "ضخم":

ضخم من مدن عُمان وهي في الجبال، وماؤها من العيون، وبها نخل كثير، وقصب السكر،
وبها أشجار يقال لها الأطواق تشبه شجر المقل، تقطع منها عروق ثم توضع في الماء فيسيل منها
ماء يسكر من ساعته، وعامتهم أصحاب شعور وجُمَم.^٤

ويذكر الحميري مدينة غربية في عمان اسمها "عتر"، ويصفها بأنها واسعة:

عتر مدينة واسعة هي فرضة عُمان، وبنائها بالخشب والحشيش، إلا حماماتها فإنها جيدة البناء
وبها مسجد جامع على الساحل، وأكثر طعامهم الذرة ومبلغ منافع صاحبها سبعون ألف دينار.^٥

١ - المصدر السابق، ص ٣٣٨-٣٣٩.

٢ - المصدر السابق، ص ٣٥٤-٣٥٥.

٣ - المصدر السابق، ص ٣٥٦.

٤ - المصدر السابق، ص ٣٧٦.

٥ - المصدر السابق، ص ٤٠٨.

ويرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يعرف الحميري بعُمان؛

مضمومة الأول مخففة الميم، مدينة معروفة، سميت بعُمان بن سنان بن إبراهيم، كان أول من اختطها، وقال الشاعر:

أين عُمان من قصور عُمانِ

وهي فرضة البحر من العروض، وإليها ينسب العُماني الشاعر.

وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان عباد وجيفر ابنا الجلندي.

وبلاد عُمان متصلة بأرض مهرة، وهي مجاورة لها من جهة الشمال، وبلاد عمان مستقلة في ذاتها عامرة بأهلها وهي كثيرة النخل والفواكه والموز والرمان والتين والعنب، وهي بلاد حارة وبلاد عمان حية تسمى العربد وإليها ينسب السكران المعربد وهي حية تنفخ ولا تؤذي. ويحكى أنها أخذت ووضعت في آنية زجاج وتوثق من رأسها وأخرجت من بلاد عمان فتفقدت الآنية ولم توجد الحية فيها والأخبار بهذا شائعة. وبعمان أيضًا دُوَيْبَة تسمى القُراد إذا ظفرت بجارحة من الإنسان عضته، فلا تزال عضتها تربي وتزيد إلى أن تتقيح وتتدود ولا يزال ذلك الدود يسعى في جوف الإنسان حتى يموت. وبجبال عمان قرده كثيرة تضر بأهلها إضرارًا كليًا، وربما اجتمع منها العدد حتى لا يطاق دفاعها إلا بالخروج إليها بالسهم والسلاح العام وحينئذ يقدر على دفاعها. ويتصل بأرض عمان من جهة المغرب ومع الشمال أرض اليمامة.

وبلاد عمان ثمانون فرسخًا، فما والى البحر منها سهول ورمال وما تباعد منه حزون وجبال ولها عدة مدن ومدينة عمان حصينة على ساحل البحر، ومن الجانب الآخر جبل فيه مياه سائحة قد أجريت إلى المدينة، وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه كما قلناه وطعامهم الحنطة والشعير والأرز والجاورس وكان الذي أجرى الماء من الجبل إلى المدينة رجل مجوسي يقال له أبو الفرج كان له من الصامت ثمانمئة كنجلة دنانير كل كنجلة تسعة أمنا، وهو الذي اتخذ بعمان خانات للتجار مفروشة مكان الأجر باللبن المتخذة من نحاس في كل لبنة من مئة إلى مئة وخمسين مئًا، وخراج أهل عمان على المقاطعة ثمانون ألف دينار. وفي الأمثال: من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان. وأهدى صاحبُ عمان إلى الكعبة بعد العشرين والأربعمئة محاريب، زنة المحراب أزيد من قنطار فضة، وقناديل فضة في نهاية الأحكام،

وسُمَّرت المحاريبُ في جوف الكعبة مما يقابل بابها وذلك إثر أخذ أمير مكة أبي الفتح الحسن بن جعفر الحسيني لحلي الكعبة من المحاريب وغيرها.

وعمان بها أبواب حديد وبها مياه وأسواق وموز كثير ونهر جار ونخيل وسائر الفواكه، وهي فرضة الصين، وبها مرفأ الصين وتحمل من سيراف الأمتعة إليها والحمولة في قوارب ثم توفّر السفينة العظيمة حتى تُلَجَج في البحر العظيم فتسير بالريح الطيبة مقدار أربعين يوماً إلى خمسين يوماً حتى تنتهي إلى مدينة تسمى الشحر.

وحكي أن رجلاً عمانياً ورد مكة بلؤلؤتين لم ير مثلهما فباعهما بألفي دينار ذهباً من رجل سمرقندي وخرج من مكة في يومه، فلما كان بعد عدة أيام قدم من قبل صاحب عمان رسول يطلب الذي باع اللؤلؤتين ويذكر أنهما سرقتا من قصره، فطلب المشتري فعمي أثره وخفي خبره ووصل بهما إلى مدينة دمشق فأهدى إحداهما إلى صاحبها فأعطاه بها عشرة آلاف دينار ثم سار إلى سمرقند فأهدى الثانية إلى صاحبها فكافأه عليها بخمسة عشر ألف دينار فهاتان اللؤلؤتان من مغاص عمان وما والاها من هذه المواضع^١.

من المواضع العمانية التي وصفها الحميري أيضا في كتابه جبلا كسير وعوير:

جبلان في بحر عُمان، وهو بحر فارس، وهم يقولون: كسير وعوير وثالث ليس فيه خير، وهي جبال سود ذاهبة في الهواء لا نبات عليها ولا حيوان فيها، يحيط بها موج من البحر متلاطم تجزع منه النفوس، ولا بد للمراكب من الدخول في وسطها والاجتياز بها، فمخطئ ومصيب، وهي على طريق من قطع من عمان إلى سيراف، ولا تكاد تسلم عندها سفينة، وهما غائران تحت الماء لا يظهر منهما شيء، فانظر هل يناقض هذا ما تقدم من أنهما ذاهبان في الجو والماء يكسر على أعلاههما، وأهل البحر يعرفون مكانهما فيتجنّبوهما^٢.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يصف الحميري جزيرة قيس، ويسمياها "كيش":

كيش جزيرة في وسط البحر، بحر فارس، وهي جزيرة مربعة طولها اثنا عشر ميلاً في مثل ذلك عرضاً، وكان وليها عامل من اليمن فحصنها وأحسن إلى أهلها، وعمرها وأنشأ بها أسطولاً فغزا به بلاد اليمن الساحلية وأضر بالمسافرين والتجار، ولم يترك لأحد مالا، وأضعف البلاد

١ - المصدر السابق، ص ٤١٢-٤١٣.

٢ - المصدر السابق، ص ٥٠٠.

وانقطع بذلك السفر من عمان إلى عدن، وكان يغزو بهذا الأسطول مدينة الزابج، وأهل الهند يخافونه ويهابون شره ويواسونه بالمراكب التي يكون طول المركب منها طول الغراب الكامل من عود واحد يجذف فيه مائتا رجل، وكان عنده من هذه المراكب المنحوتة خمسون مركباً، كل واحد منها من قطعة واحدة، وعنده من سائر المراكب الملفقة جملة، وليس لأحد به طاقة. ولمدينة كيش زروع وأغنام وأبقار وكروم، وبها مغايص للؤلؤ الجيد.^١

ويرد ذكر عمان أيضا في هذا الكتاب حين يعرف الحميري بكلمة مزون:

بفتح الميم، مدينة عُمان، كانت الفرس تسمي عُمان مزون، وقيل مزون قرية من قرى عُمان سكنها اليهود، وكانت الخوارج تسمي المهلب بن أبي صفرة المزوني، ولذلك قال الكمي:

فأما الأزد أزد أبي سعيد

فأكره أن أسميها المزونا.^٢

ومن المدن العمانية التي عرفها الحميري العاصمة مسقط:

في طريق عمان على البحر، يمر عليها من أراد بلاد الهند والصين فيسير مع الشمال تلقاء الجنوب حتى يصير إلى مسقط هذه، وهي بين جبلين، وترفاً هناك السفن وتستقي من آبار هناك عذبة المياه وتحمل منها الحجارة لرمي العدو إذا خرج عليه ثم تسير منها مع الشمال، وجبال العرب ماثلة ظاهرة، حتى تمر مقدار تسعين فرسخاً إلى حدود الشحر وحضرموت.^٣

١ - المصدر السابق، ص ٥٠٥.

٢ - المصدر السابق، ص ٥٤٢.

٣ - المصدر السابق، ص ٥٥٩.

تاريخ الخلفاء للسيوطي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث السيوطي عن حروب الردة:

وفي سنة اثنتي عشرة بعث الصديق العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وكانوا قد ارتدوا فالتقوا بجواثي فنصر المسلمون وبعث عكرمة بن أبي جهل إلى عُمان وكانوا قد ارتدوا وبعث المهاجر بن أبي أمية إلى أهل النجير وكانوا قد ارتدوا وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلى طائفة من المرتدة وفيها مات أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والصعب بن جثامة الليثي وأبو مرثد الغنوي وفيها بعد فراغ قتال أهل الردة بعث الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى أرض البصرة فغزا الأبله فافتتحها وافتتح مدائن كسرى التي بالعراق صلحًا وحرابًا وفيها أقام الحج أبو بكر الصديق ثم رجع فبعث عمرو بن العاص والجنود إلى الشام فكانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ونصر المسلمون وبشر بها أبو بكر وهو بأخر رمق واستشهد بها عكرمة بن أبي جهل وهشام بن العاصي في طائفة^١.

ويرد اسم عمان أيضا في فصل خصه السيوطي عما روي عن أبي بكر الصديق من

الحديث المسند:

السابع والستون: حديث "إني لأعلم أرضًا يقال لها عُمان ينضح بناحيتها البحر بها حي من العرب لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر" أحمد وأبو يعلى^٢.

ويرد أيضا حين يسرد السيوطي الأحداث التي وقعت سنة خمس وثلاثمائة هجرية:

وفي هذه السنة وردت هدايا صاحب عُمان وفيها طير أسود يتكلم بالفارسية والهندية أفصح من البغا^٣.

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي

١ - السيوطي. تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش (القاهرة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤)، ص ٦٢.

٢ - المصدر السابق، ص ٧٥.

٣ - المصدر السابق، ص ٢٧٦.

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين ينقل السيوطي أقوالاً لأيوب بن القريّة النمري:

ويحكي أن الحجاج سال ابن القرية عن طبائع أهل الأرض، فقال: أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة وأعجزهم عنها؛ رجالها حفاة، ونساؤها عراة، وأهل اليمن أهل سمع وطاعة، ولزوم الجماعة، وأهل عُمان عرب استنبطوا، وأهل البحرين قبط استعربوا، وأهل اليمامة أهل جفاء، واختلاف آراء. وأهل فارس أهل باس شديد، وعز عتيد، وأهل العراق أبحث الناس عن صغيرة، وأضيعهم لكبيرة. وأهل الجزيرة أشجع فرسان، واقتل للأقران. وأهل الشام أطوعهم لمخلوق وإعصارهم لخالق. وأهل مصر عبيد لمن غلب، أكيس الناس صغارًا، وأجهلهم كبارًا.

وعن ابن القرية قال: الهند بحر هادر، وجبلها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر. وكرمان مأوها وشل، وثمرها دقل، ولصها بطل. وخراسان مأوها جامد، وعدوها جاهد. وعُمان حرها شديد، وصيدها عتيد. والبحرين كناسة بين المصريين. والبصرة مأوها ملح، وحر بها صلح، مأوى كل تاجر، وطريق كل عابر. والكوفة ارتفعت عن حر البحرين، وأسفلت عن برد الشام، وواسط جنة، بين كماء وكنة، والشام عروس، بين نساء جلوس، ومصر هواؤها راكد، وحرها متزائد، تطول الأعمار، وتسود الابشار.

وقال بعضهم: يقال في خصائص البلاد في الجوهر: فيروزج نيسابور، وياقوت سرنديب، ولؤلؤ عُمان، وزبرجد مصر، وعقيق اليمن، وجزَع ظفار، وكاري بلخ، ومرجان إفريقية¹.

١ - جلال الدين السيوطي. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧)، ج٢، ص٣٣٧-٣٣٨.

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يروي ابن العماد أحداث سنة اثنتين وثمانين هجرية؛

وفيها توفي المهلب بن أبي صفرة الأزدي أمير خراسان صاحب الحروب والفتوح أمير عبد الملك بن مروان على خراسان قال أبو إسحاق السبيعي لم أر أميرًا أيمن نقيبة ولا أشجع لقاء ولا أبعد مما يكره ولا أقرب مما يحب من المهلب ومولده عام الفتح ولأبيه صحبة وأبو صفرة هو ظالم بن سراق من أزد العتيك أزد دبا ودبا بين عمان والبصرة وقال عبد الله بن الزبير هو سيد العراق وخلف أولادًا نجبًا كراما قيل بلغ عددهم ثلاثمائة ولد وحمى البصرة من الشراة بعد جلاء أهلها عنها إلا من كانت به قوة فهي تسمى بصرة المهلب قال ابن قتيبة ولم يكن يعاب إلا بالكذب وقيل فيه راج الكذب وكان ولي خراسان فعمل عليها خمس سنين ومات بمرور روز من نواحي هراة بينها وبين بلخ واستخلف ابنه يزيد ابن المهلب ويزيد ابن ثلاثين سنة فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج ومشورته وولى قتيبة بن مسلم!

ويرد أيضا حين يروي ابن العماد أحداث سنة أربع وثمانين هجرية؛

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية، وهي جدته، لكن قال في "القاموس": القرية: كجربة الحوصلية، ولقب جماعة بنت جشم أم أيوب بن يزيد الفصيح، المعروف الهلالي. انتهى.

وكان أميًا فصيحًا، وارتفع شأنه بالفصاحة والخطابة، قدم على الحجاج فأعجبه، وأوفده على عبد الملك، ولما قام ابن الأشعث، بعثه الحجاج إليه، فقال له ابن الأشعث: لتقومن خطيبا بخلع عبد الملك، وتسب الحجاج، أو لأضربن عنقك، فقال: أيها الأمير، إنما أنا رسول، قال: هو ما أقول لك، ففعل ذلك، وأقام عنده، فلما هزم ابن الأشعث، كتب الحجاج، إلى عماله أن لا يجدوا أحدا من أصحاب ابن الأشعث إلا أرسلوه إليه أسيرا. فكان فيمن أرسلوا ابن القرية، فسأله الحجاج عن البلدان والقبائل، فقال:

١ - عبد الحي بن أحمد بن العماد العسكري الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط (بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٦)، ج ١، ص ٣٣٤-٣٣٥.

أهل العراق أعلم الناس بحق وباطل.
 وأهل الحجاز أسرع الناس إلى فتنة، وأعجزهم فيها.
 وأهل الشام أطوع الناس لخلفائهم.
 وأهل مصر عبيد من غلب.
 وأهل البحرين نبط استعربوا.
 وأهل عُمان عرب استنبطوا.
 وأهل الموصل أشجع الفرسان وأقتل للأقران.
 وأهل اليمن أهل سمع وطاعة، ولزوم للجماعة.
 وأهل اليمامة أهل جفاء واختلاف أهواء، وأصبر عند اللقاء.
 وأهل فارس، أهل بأس شديد، وشر عتيد وزيف كثير، وقرى يسير.
 وأما القبائل فقال: قريش أعظمها أحلاما وأكرمها مقاما.
 وبنو عامر بن صعصعة أطولها رماحا، وأكرمها صباحا.
 وبنو سليم أعظمها مجالس، وأكرمها محابس.
 وثقيف أكرمها جدودا، وأكثرها وفودا.
 وبنو زبيد ألزمها للرايات، وأدركها للثارات.
 وقضاعة أعظمها أخطارا، وأكرمها نجارا وأبدعها آثارا.
 والأنصار أثبتتها مقاما، وأحسنها إسلاما، وأكرمها أياما.
 وتميم أظهرها جلدا وأكثرها عددا.
 وبكر بن وائل أثبتتها صفوفا، وأحدّها سيوفا.
 وعبد القيس أسبقها إلى الغايات، وأصبرها تحت الرايات.
 وبنو أسد أهل تجلّد وجلد، وعسر ونكد.

ولخم ملوك، وفيهم نوك، أي حمق.
وجذام يوقدون الحرب ويسعرونها، ويلقحونها ثم يمرونها.
وبنو الحارث رعاة للقديم وحماة عن الحرير.
وعك ليوث جاهدة، في قلوب فاسدة.
وتغلب يصدقون إذا لقوا ضربا، ويسعرون للأعداء حربا.
وغسان أكرم العرب أحسابا، وأثبتها أنسابا. قال: وأمنع العرب في الجاهلية أن تضام قريش،
كانوا أهل رهوة لا يستطاع ارتقاؤها، وهضبة لا يرام انتزاؤها في بلدة حمى الله ذمارها، ومنع
جارها. وسأله عن مآثر العرب في الجاهلية فقال: كانت العرب تقول:
جمير أرباب الملك، وكندة لباب الملوك، ومذحج أهل الطعان، وهمدان أحلاس الخيل،
والأزد آساد الناس.
وسأله عن الأراضي فقال: الهند بحرها دُرّ، وجبلها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر، وأهلها
طغام كقطع الحمام.
وخراسان ماؤها جامد وعدوها جاحد.
وعُمان بلد شديد، وصيدها عتيد.
والبحرين كناسة بين المصْرَيْن.
واليمن أصل العرب، وأهل البيوتات والحسب.
ومكّة رجالها علماء جفاة، ونساؤها كساة عراة.
والمدينة رسخ العلم فيها وظهر منها.
والبصرة شتاؤها جليد، وحرها شديد، وماؤها ملح، وحر بها صلح.
والكوفة ارتفعت عن حر البحر، وسفلت عن برد الشام، وطاب ليلها، وكثر خيرها.
وواسط جنة بين حماة وكّنة.

قال : وما حماتها وكتبتها؟ قال : البصرة والكوفة تحسدانها وما ضرّها، ودجلة والفرات يتجاذبان بإفاضة الخير عليها.

والشام عروس بين نسوة جلوس.

وسأله عن الآفات فقال : آفة الحلم الغضب.

وآفة العقل العجب.

وآفة العلم النسيان.

وآفة السخاء المنّ عند البلاء.

وآفة الكرام مجاورة اللئام.

وآفة الشجاعة البغي.

وآفة العبادة الفترة.

وآفة الذهن حديث النفس.

وآفة الحديث الكذب.

وآفة المال سوء التدبير.

وآفة الكامل من الرجال العدم.

قال فما آفة الحجاج بن يوسف؟ قال : لا آفة لمن كرم حسبه، وطاب نسبه، وزكا فرعه، فقال : أظهرت نفاقا، ثم قال : اضربوا عنقه، فلما رآه قتيلا ندم.

وفيهما ظفر أصحاب الحجاج بابن الأشعث فقتلوه بسجستان، وطيف برأسه في البلدان، واسم ابن الأشعث عبد الرحمن بن محمد.

وفيهما توفي عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، وكان حنّكه النبي صلى الله عليه وسلم بريقه عند ولادته، ومات بعُمانَ هاربا من الحجاج، وهو ابن أخت معاوية!

١ - المصدر السابق، ج١، ص٣٤٢-٣٤٧.

ويرد أيضا حين يروي ابن العماد أحداث سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة هجرية، ذاكرا وفاة العلامة العماني ابن دريد؛

وفيها أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري اللغوي العلامة صاحب التصانيف أخذ عن الرياشي وأبي حاتم السجستاني وابن أخي الأصمعي وعاش ثمانيا وتسعين سنة. قال أحمد بن يوسف الأزرق: ما رأيت أحفظ من ابن دريد؛ ما رأيت قرئ عليه ديوان إلا وهو يسابق في قراءته. وقال الدارقطني: تكلموا فيه. قاله في "العبر". وقال ابن خلكان: إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق. قال المسعودي في كتاب مروج الذهب في حقه: كان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر، وانتهى في اللغة، لم يوجد مثله في فهم كتب المتقدمين، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها، وكان يذهب بالشعر كل مذهب؛ فطورا يجزل وطورا يرق، وشعره أكثر من أن نحصيه، فمن جيد شعره قصيدته المقصورة التي أولها:

إماترى رأسي حاكى لونه

طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض في مسوده

مثل اشتعال النار في جمر الغصنا

وكان من تقدم من العلماء يقول: إن ابن دريد أعلم الشعراء، وأشعر العلماء. ومن مليح

شعره قوله:

عزراء لو جلت الخدور شعاعها

للمس عند شروقها لم تشرق

غصن على دعص تأود فوقه

قمر تألق تحت ليل مطبق

لو قيل للحسن احتكم لم يعدها

أو قيل خاطب غيرها لم ينطق

فكأننا من فرعها في مغرب

وكأننا من وجهها في مشرق

تبدو فيهتف بالعيون ضياؤها

الويل حل بمقلة لم تطبق

وكانت ولادته بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ونشأ بها وتعلم فيها وسكن عُمانَ وأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم عاد إلى البصرة وسكنها زماناً، ثم خرج إلى نواحي فارس وصحب ابني ميكان، وكانا يومئذ على عمالة فارس، وعمل لهما كتاب الجمهرة، وقلداه ديوان فارس، فكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه، فأفاد معهما أموالاً عظيمة، وكان لا يمسك درهماً سخاء وكرماً، ومدحهما بقصيدته المقصورة، فوصلاه بعشرة آلاف درهم، ثم انتقل إلى بغداد وعرف الإمام المقتدر بالله خبره ومكانه بالعلم؛ فأمر أن يُجرى عليه خمسون ديناراً في كل شهر، ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته. وكان واسع الرواية لم ير أحفظ منه. وسئل عنه الدارقطني: أثقة هو أم لا؟ فقال: تكلموا فيه. وقيل إنه كان يتسامح في الرواية؛ فيسند إلى كل واحد ما يخطر له. وقال أبو منصور الأزهري البغوي: دخلت عليه فرأيتَه سكران فلم أعد إليه. وقال ابن شاهين: كنا ندخل عليه فنستحي من العيدان المعلقة والشراب المصقى. وذكر أنّ سائلاً سأله شيئاً فلم يكن عنده غير دَنٍّ من نبيذ فوهبه له، فأنكر عليه أحد غلمانه وقال: تتصدق بالنبيذ؟ فقال: لم يكن عندي شيء سواه، ثم أهدي له بعد ذلك عشر دانان من النبيذ فقال لغلامه: أخرجنا دناً فجاءنا عشرة. وينسب إليه من هذه الأمور شيء كثير. وعرض له فالج فسقى الترياق فشفي، ثم عاوده الفالج بعد حول لغذاء ضار تناوله فبطل من محزمه إلى قدميه، وكان مع هذا الحال ثابت العقل صحيحَ الذهن يردّ فيما يسأل ردّاً صحيحاً. وقال المرزباني: قال لي ابن دريد: سقطت من منزلي بفارس فانكسرت ترقوتي، فسهرت ليلتي، فلما كان آخر الليل غمضت عيني، فرأيت رجلاً طويلاً أصفر الوجه كوسجاً، دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال: أنشدني أحسن ما قلت في الخمر فقلت: ما ترك أبو نواس لأحد شيئاً، فقال: أنا أشعر منه، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا أبو ناجية من أهل الشام، وأنشدني:

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
أت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكّت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقلت له: أسأت، فقال: ولم؟ قلت: لأنك قلت: حمراء؛ فقدمت الحمرة، ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقائق؛ فقدمت الصفرة. فهلا قدمتها على الأخرى؟ فقال: وما هذا الاستقصاء يا بغيض؟ وتوفي يوم الأربعاء لثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان. ودُرِّيد بضم الدال المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة، وهو تصغير أدرد، والأدرد الذي ليس فيه سن وهو تصغير ترخيم لحذف الهمزة من أوله، كما تقول في تصغير أسود سويد، وأزهر زهير. انتهى ما أورده ابن خلكان ملخصاً!

سمط النجوم العوالي

للعصامي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يتحدث العصامي عن ملك عاد بن عوص:

وَمَاتَ أَرْفَخَشْدَ وَمَعْنَاهُ مُصْبِحٌ مَضِيءٌ وَهُوَ مِنَ الْعُمَرِ أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ وَخُمْسَ وَسِتُّونَ سَنَةً فَقَامَ بِأَمْرِ أَبِيهِ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ قَلِيلُونَ لِأَنَّ إِبْلِيسَ جَعَلَ يَغْوِي بَنِي آدَمَ لَمَّا مَاتَ أَرْفَخَشْدَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَإِذَا نَزَلَ وَاحِدٌ مِنْ بَنِي سَامٍ إِلَى بَنِي يَافَثَ وَحَامٍ وَرَأَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ اللَّذَاتِ وَالشَّرَابِ وَالزَّيْنِ وَأَنْوَاعِ الطَّرْبِ افْتَتَنَ بِذَلِكَ فَهَجَرُوا بِلَادَهُمْ وَتَبِعُوا الْقَوْمَ وَصَارَ الرَّجُلُ يَجْذِبُ مِنْ بَنِي أَبِيهِ وَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ يَنْقُصُونَ وَتَمَّ لِإِبْلِيسَ مُرَادُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ شَالِغٍ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِبَنِي يَافَثَ وَحَامٍ وَاشْتَدَّ كُفْرُهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ بَنُو قَابِيلِ اللَّعِينِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَتَقَاتِلُونَ وَلَا يَغْرُؤُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَا يَتَعَرَّضُ كَافِرُهُمْ لِمُؤْمِنِهِمْ وَاخْتَطَاوا الْأَرْضَ وَمَلَّئُوهَا عَرْضًا وَطَوَّلًا وَشَكَّتِ الْأَرْضُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ وَتَزَوَّجَ شَالِغٌ وَوَلِدَ لَهُ عَابِرٌ وَهُوَ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعْنَى شَالِغِ الرَّسُولِ وَشَالِغٌ وَبَنُو أَبِيهِ قَدْ سَكَنُوا الْمَوْضِعَ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ نُوحٌ لِنَأَى يَضَاقِقُوا بَنِي حَامٍ وَيَافَثَ وَقَدْ رَضُوا مِنْهُمْ بِالْمِتَارِكَةِ وَكَانَ بَنُو يَافَثَ قَدَمُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ وَمَلَكُوهُ اسْمُهُ خَامِرُ بْنُ يَافَثَ وَكَثُرَ بَغِيهِمْ وَإِبْلِيسُ نَكَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذَلِكَ طَوِيلَ عُمَرِ شَالِغٍ إِلَى أَنْ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَأَمَرَ أَنْ يَسْتُودِعَ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ وَالْحَكْمَ وَالنُّورَ ابْنَهُ عَابِرَ وَهُوَ هُودُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَعَا وَأَوْصَى إِلَيْهِ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي الثُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ وَقَبِضَ شَالِغٌ وَعَمَرَهُ أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ فَسَلَكَ بِهِ مَسَلَكَ آبَائِهِ وَذَفَنَهُ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ فَاضْطَرَبُوا بَعْدَ مَوْتِ شَالِغٍ وَتَبَاغَضُوا وَفِي زَمَنِهِ مَلِكٌ عَادُ بْنُ عَوْصِ بْنِ إِرْمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ الْقَبِيلَةُ كَانَتْ رَجُلًا خَيْرًا شَدِيدَ الْخَلْقِ يَعْبُدُ الْقَمَرَ رَأَى مِنْ صِلْبِهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَلِدَ مِنْهُمْ شَدِيدٌ وَشَدَادٌ وَعُلْوَانٌ وَكَانَتْ بِلَادُهُ مُتَّصِلَةً بِالْيَمَنِ وَهِيَ بِلَادُ الْأَخْقَافِ وَسَنَجَارِ وَالِدَمِّ وَالدهناءِ وَيَرِينِ إِلَى عَمَانَ وَحَضَرَمَوْتِ وَكَانَ يُقَالُ الْعَقْبَةُ عَادَ كَمَا يُقَالُ لِبَنِي تَمِيمٍ تَمِيمٌ ثُمَّ يُقَالُ لِلأُولَى مِنْهُمْ عَادُ الأُولَى وَإِرْمٌ تَسْمِيَةٌ لَهُمْ بِاسْمِ جَدِّهِمْ وَلَمِنْ بَعْدِهِمْ عَادُ الأَخِيرَةَ قَالَ تَعَالَى {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادُ الأُولَى} النَّجْمُ ٥٠ وَكَانُوا أَعْطُوا مِنَ الْخَلْقِ وَالْقُوَّةِ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ قَبْلَهُمْ وَلَا

بعدهم ولذلك تجبروا فسموا جبارين واحتقروا من سواهم من الخلق من ولد يافث وحام وهم الذين ملكوا سائر الأقاليم وكان على أولاد سام بنابيل كيومرث بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح وهو أول ملك بنابيل وقسم عاد الأرض بين ولديه شديد وشداد فهلك شديد وكان أظلم وأطغى من أبيه عاد ومات عاد وله من العمر ألف ومائتا سنة فرجع الملك إلى شداد بن عاد وقوم هذا هم عاد الثانية وهم الذين قالوا {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} فصلت ١٥ روى أن الرجل منهم كان يحمل الصخرة على الحية فيهلكهم وكان طول الرجل منهم مائة وعشرين ذراعا بذراعهم وعرضه ستون ذراعا وكان أحدهم يضرب الجبل الصغير فيقطعه وكانوا يسلخون العمدة من الجبال فيجعلون طول العمدة مثل طول الجبل الذي يسلخونه من أسفله إلى أغلته ثم ينصبون العمدة فينبون فوقها القصور وأراد شداد ملك الأرض كلها فوجه إلى بني يافث وبني حام وبقيّة بني سام من أهل بيته وقومه ثلاثة نفر مع كل واحد منهم عشرة آلاف من الجبابرة من ولد عاد ووجه إلى أولاد سام الذين بنابيل ابن أخيه الصخاك بن علوان بن عاد وهو الذي تسميه العجم ايراسف ولما جاءهم هرب منه ملكهم جمشيد لعلمه أن لا طاقة له بقتال الجبابرة الذين معه فطلبه الصخاك حتى ظفر به فامتلىخ أمعاه ونشره بمنشار وملك أرضه ومملكته ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ووجه إلى ديار حام ابن عمه الوليد بن عمليق وبه سمي العملاقة وهو ابن دومع ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح وكان على بني حام ملكة يقال لها بطريا أخت حوريا التي بنى لها جبيرة المؤتفكي العملاقي مدينة الإسكندرية فوصل الوليد بن عمليق إليها واستولى وغلب على ملكها وقتلها وملك مصر وعمر عمرا طويلا وهو الذي بنى الأهرام على أحد الأقاليم ولما مات ولي مصر ابنه الريان بن الوليد بن عمليق ووجه إلى ولد يافث ابن أخيه غانم بن علوان أخا الصخاك بن علوان وكان ملك يافث قبراسيات بن ترك بن يافث بن نوح فغلبه غانم واستولى على ملكه وأرضه ولم يزل شداد ملكا إلى أن بنى المدينة وأخذته الصيحة عند إرادة دخولها فتولى بعده رجل يقال له الخلجان بن عتيد آخر عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وانتقلوا من ديارهم إلى الأحقاف من عمان إلى حضرموت فرعا مما أصاب قومهم من الصيحة وقصة بناء المدينة وصفها مذكور مشهور لا تطول بذكره قال ابن بابويه وجدت في كتاب المعمر بن عثمان أنه ذكر عن هشام بن سعيد الرحال قال وجدنا بالإسكندرية حجرا مكتوبا فيه أنا شداد بن عاد وأنا الذي شيدت العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وجندت الأجناد وسددت بساعدي السواد فبنيتها إذ لا شيب ولا موت وإذا الحجارة مثل الطين في اللين وكنزت كنزا في

البُخر لم يُخرجه أحد حتّى أمة مُحَمَّد، ثمّ تزوج شالِخ مَرْجَانة وَقيل معلب بنت عوليم فولدت له عَابِر بَعِين مُهمّلة وباء مُوحدة مَفْتُوحَة وَكَانَ أَشبه ولد آدَم بِآدَم فَلَمَّا وَضَعته سَمِعته النداء والأصوات من كل مَكَان هَذَا نور مُحَمَّد يكسر كل صنم وَيقتل كل من طَعى وَكفر فَخرج عَابِر أكمل قومه جمالاً وَقَد أرسل بنبوة خَاصَّة وَمَن حَدِيثه أَنه لماء أَهلك الله شَدَادًا وَغِيبت عَنْهُم المَدِينَة وطلبوها فلم يجدوها ولوا عَلَيْهِم أَخَا عَاد واسمه الخلجان بن عوص بن إرم بن سَام بن نوح كَمَا تقدم وانتقلوا من تِلْكَ الديار فَرَعَا مِمَّا أَصَاب قَوْمَهُم إِلَى الأَخْقَاف والأَحْقَاف رمال مَا بَيْن عمان إِلَى خَضْرَمُوت وَمضى لَهُم سُنُون لَا يَدِينون بدين وَلَا يَعْرِفُونَ الله وملكوا الأَرْض كلها وقهروا أَهلَهَا بقوتهم وَبقي الوَلَاة الثَّلَاثَة المُتَقَدَّم ذكرهم مَعَ من مَعَهُم بِمَضْر وَغَيْرهَا كَمَا هم قد ملكوا البِلَاد بعد شَدَاد وقطن هُوَلاءِ بالأَحْقَاف وَكَانُوا إِحْدَى عَشْرَة قَبِيلَة العتود والجلود وصداء ودقل وزمر وشود وزمل وَحمد والسمود وجاهد ومناف فَبَجَاءَهُم إِبْلِيس فِي صُورَة شيخ يرتعد وَزعم أَنه من أَوْلَاد شِيث وَأَنه كَانَ على سيف البُخر مِمَّا يَلِي جده قد انْفَرَد لعبادة ربه وسألهم مَا الَلْبِي وَأفَعَمَكُم إِلَى هَذِهِ الأَخْقَاف والرمل وَغَيْرهَا أَخصب وَأحسن فحدثوه حَدِيث هَلَاك عَاد وَالمَدِينَة فَصَحِكَ وَقَالَ هل سَمِعْتُم أَحدا فِي الأَرْض لَا رب لَهُ قَالُوا لَا قَالَ لَوْ كَانَ مَعَهُ رب يبعده وَيَسجد لَهُ مَا أَصَابَهُ شَيْءٌ كَمَا كَانَ مَعَ آبَائِهِ الأَوَّلِينَ وَهَا هُوَ معي يحفظني ويرعاني وَأخرج لَهُم صنمًا لطيفًا من الذَّهَب الأَحْمَر عَيْنَاهُ من الأَزْرَق فَوَضَعهُ وَسجد لَهُ وَقَد وكل ماردا كلما سجد لَهُ قَالَ لَهُ المارد اذْفَع رَأْسَكَ وسلني مَا بدا لَكَ فَلَمَّا سمعُوا ذَلِكَ قَالُوا هَذَا هُوَ الحق وَنحن لَا إِلَه لَنَا وسنشاور ملكنا الخلجان فنحت لَهُم إِبْلِيس حجرا وَأمرهم أَن يبنوا لَهُ بَيْتًا ويمنعوه فِيهِ ففَعَلُوا ووكّل بِهِ مارداً وَقَالَ لَهُم اجعلوا هَذَا اليَوْم عيدًا تذبحون عِنْدَهُ وتتقربون إِلَيْهِ بالقربانين يخاطبكم بِجَمِيعِ مَا تُرِيدُونَ فسجدوا لَهُ فحاطبهم المارد بقوله يَا أَهل عَاد لَوْ كَانَ هَذَا الفِعْل مِنكُمْ قَدِيمًا مَا كنت أَهلكت ملككم شَدَاد والآن قد عَفَوْتُ عَنْكُمْ فاستقيموا على عبادتي أُوْمِنكُمْ من كل سوء وَأخصب بِلَادَكُمْ وَسَمَاهُ لَهُم الهنأة فَصَارَ صنم الخلجان وَهُوَ أول صنم اتحدته عَاد فاتخذت كل قَبِيلَة مِنْهُم صنمًا سموه باسم سيد قبيلتهم ولم يَزَالُوا كَذَلِكَ عاكفين على عِبَادَة الأَصْنَام حتّى أذن الله فِي هلاكهم!

١ - عبد الملك بن حسين العصامي. سبط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي

محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ج١، ص١٥٩-١٦٢

خلاصة الأثر

في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم المحبي لأحمد بن محمد الحبشي :

أَبُو طَالِبِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْحَبَشِيِّ ابْنَ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ
أَسَدِ اللَّهِ ابْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْأُسْتَاذِ الْأَعْظَمِ الْفَقِيهِ الْمُقَدَّمِ وَلِدِ بَدْمَيْنَةَ مَرِيَمَةَ مِنْ أَرْضِ
حَضْرَمَوْتٍ وَاشْتَغَلَ بِالْفَنُونِ وَجَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بَيْنَ حَسَنِ الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى أَرْضِ
السَّوَاهِلِ وَأَخَذَ بِهَا عَنْ جَمَاعَةٍ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْهِنْدِيَّةِ وَأَخَذَ بِهَا عَنْ بَعْضِ الْفُضَلَاءِ وَكَانَ
كَثِيرَ الاسْتِحْضَارِ لِلْمُسْتَحْسِنَاتِ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْحِكَايَاتِ وَلَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ ثُمَّ وَفَدَ عَلَى بَعْضِ مُلُوكِ
الْهِنْدِ فَوَقَعَ عِنْدَهُ مَوْقِعًا عَظِيمًا وَجَلَسَ عِنْدَهُ لِلتَّدْرِيسِ الْعَامِ وَكَانَ عَالِمًا بِعِلْمِ الْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ
وَكَانَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ الْأَدَبُ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَاشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ وَلَزِمَ الطَّرِيقَةَ الْمَوْصِلَةَ وَرَجَعَ إِلَى
وَطَنِ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَتَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ سَقَطُوا عَلَى أَرْضِ عُمان وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً حَتَّى مَاتَ وَكَانَتْ
وَفَاتِهِ سَنَةٌ خَمْسٌ وَخَمْسِينَ وَأَلْفٌ وَدُفِنَ بِأَرْضِ عُمان فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ دَفْنِهِ فِي لِحْدِهِ سَمِعُوا هَزَّةً
وَطَلَعَ مِنْهَا نُورٌ لِحَقِّ عَنَانِ السَّمَاءِ فَنَبَشُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَجِدُوا جِثَّتَهُ وَلَا الْكَفْنَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى!

١ - محمد أمين بن فضل الله المحبي. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دون تحقيق (بيروت: دار صادر، ١٩٨٤)، ج١،

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم الشوكاني للسيد أبي طالب بن أحمد الحضرمي:

السيد الفاضل أبو طالب بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي الحسيني الحضرمي ولد بمدينة مريمة من حضرموت، واشتغل بالفنون، وجمع الله تعالى له بين حسن الحفظ والفهم، ثم رحل إلى السواحل وأخذ بها عن جماعة، ثم رحل إلى البلاد الهندية، وأخذ بها عن بعض العلماء. وكان كثير الاستحضار للمستحسنات من الأشعار والحكايات، وله نظم ونثر، وغلب عليه الأدب، ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة، ورحل إلى عُمان وأقام بها مدة (مات) فيها في سنة ١٠٥٥ خمس وخمسين وألف رحمه الله!

١ - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دون تحقيق (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج٢، ص ٣٨٠.

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر

لعبد الرزاق البيطار

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم البيطار للشاعر العماني راشد بن سعيد الرواحي:

راشد بن سعيد الرواحي من أذكى أدياء البحرين وعمان. قد ترجمه أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري بقوله: روح جثمان الأدب، ونور عين الفضل والحسب، الشاعر المجيد، البليغ الوحيد، فمن لطائفه قوله:

إنّي لقيت من الهوى وفنونه
أمرًا عجيبًا واقفًا في بالي
من ذات خال غضة ميادة
تصمي قلوبًا للورى بالخال
تُصمي الليوث بلحظها إن أرسلت
سهماً مصيياً من عيون غزال

وقوله:

إنّ ظني في سيدي لجميل
ورجائي فيه عريض طويل
وإليه قد تبثُّ من كل ذنب
ومتابي إلى رضاه سييل

وإليه فوضت كل أموري

وهو نعم المولى ونعم الوكيل

وله في الأدب باع ما أطولها، ويراع لنظم عقود اللآلئ ما أجملها وأجملها، وفكرة ما أعلاها، وأحقتها بالمديح وأولائها، توفي رحمه الله سنة ألف ومائتين ونيّف وعشرين^١.

ويرد ذكر عمان أيضا حين يترجم البيطار للقاضي والشاعر العماني محمد بن سالم الدرمني:

القاضي سالم بن محمد الدرمني من علماء البحرين وعمان: أديب هو في وجه الزمان غرة، وأريب ليس للزمان منه سوى الجمال والمسرة، قد امتطى متن البديع والبيان، وركب ظهر البحرين وعمان، وقد ترجمه أحمد بن محمد الأنصاري فقال ما ملخصه: القول فيه أنه أشعر أهل مصره، وخاتمة بلغاء قطره، مَلَكَ أزمة البراعة واللسن، وظفر بكل معنى برائق حسن، اجتمعت به غير مرة لاستنشاق أرج أنفاسه، في خميلة أرض هي مسقط رأسه، فوجدته سالماً من الفظاظه كاسمه، متحلياً بحلية الفضل اللامع، نوره من محاسن نثره ونظمه، فمن لطائفه قوله م قصيدة أرسل بها إليّ متشوقاً وأنا إذ ذاك باليمن الميمون:

فيا أبيض الأخلاق والوجه إت مذ

تناءيت أيامي غدت كلها سودا

ولا زلت إن أتهمث يهوى تهامة

فؤادي وإن أنجدت يوماً هوى نجدا

فمهما تسر يشفعك قلبي أينما

توجهت لا تسعي إلى وجهة فردا

وذكرك في قلبي يلذوفي فمي

كأنني أحسو من تذكرك الشهدا

١ - عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار (بيروت: دار صادر، ١٩٩٣)، ص ٦٢٥.

نأيتَ فعن جفني نأى بعدك الكرى
فهل كنتما وگلتما للنوى وعدا
فيا أحمدُ المحمود طبعًا إلى متى
بأفعالك الحسنی تعلمني الحمدا
لقد نَدَّ عنك السوء يا ابن محمد
ودمتَ كريمًا لا نُصیب له نِدًا
وقوله في ذكر المحبوب عند الشدة والكروب:

ولقد ذكرتُك يا بشينة في السفز
والفلك في البحر المحيط قد انكسر
والموج من طوفانه متلاطم
والموت للأنياب منه قد كشر
والناس قد غرقوا معًا إلا أنا
أرجو الحمام تجاه وجهي ما استتر
وبقيت في لوح غريق كله
والماء لي كلي إلى رأسي غمر
ومكثت حينًا من طعام معدمًا
فيه وتذكاري يقوم به الذكر
ويعجبني قوله من قصيدة مدح بها السيد النبيل، محمد بن خلفان الوكيل، عليهما رحمة
الملك الجليل:

نفسی فدی الإلف الذي صار بي
برًا وما عانيت منه جفا

شمائل راقته ورقت له
 فمنه ما أحلى وما أطفأ
 كأنه في حسن أخلاقه
 لنجل خلفان الوكيل اقتفى
 محمد من ما هفا قلبه
 لريبة قط وعنهما هفا
 لم يك بالمخلف عهداً ولا
 كل امرئ فوه يرى مخلفاً
 وجود بالمال ويسطو فكم
 أمن من قوم وكم خوفاً
 وما أتاه مذنب تائباً
 يطلب منه العفو إلا عفا
 وما شدد الدهر على شيعة
 إلا عليهم جوده خففاً
 وبالندى منه يوفيههم
 إذا رأى الدهر لهم طففاً
 إذا قضى أو جاد أو صال أو
 قال حكى في فعله المصطفى
 يصلح ما اختل بتدبيره
 مارتقت دنياه إلا رفاً
 توفي رحمه الله عام ألف ومائتين وبضعة عشر^١

١ - المصدر السابق، ص ٦٤٨-٦٤٩.

ويرد أيضا حين يترجم البيطار للإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي:

الإمام الأجد سعيد بن الإمام أحمد البوسعيدي من علماء عمان والبحرين: قال صاحب
الحديقة: ماذا أقول فيمن تفرع من جرثومة السيادة، وترعرع في رياض الحبور والسعادة، وتتوج
بتاج العز الزهر، وحظي في دهره بالعيان الأخضر، وتناول نواله، واتسع في الفضل مجاله:
كانت الألسن عن أوصافه

وغدا المدح به مفتخرا

فمن لطائفه، وبديع طرائفه، ما كتبه إلى أخيه الهمام سلطان ابن أحمد الإمام:

إذا شحت الخضراء بالوبل فالتمس

تجد جود سلطان على الناس كالمطر

فإن عز مطلوبي فليس شماتة

وإن حصل المطلوب فالفوز بالظفر

وقوله يرثي ولده السيد حمد رحمه الله تعالى:

وافى حمامك يا حبيبي بالعجل

نار تلهب في ضميري تشتعل

يا من له شرف وفضل في الورى

أمسى وحيداً مفرداً دون الأهل

الله أكبر من مصاب عمنا

همًا وغمًا لا يبید ولا يفل

حمد حوى المجد الشريف تغيرت

أيامه قد كان يضرب بالمثل

صبرًا لأولاد الإمام ومن لهم

من أخوة وأقارب فيما نزل

لا غرو هذا قد أتى خير الورى

لم تمنع الأموال عنه ولا الدول

وقوله رحمه الله:

لهفي على زمن مضى
ما ذقت أحلى منه شي
لما ذكرت عهوده
جرت الدموع وقلت أي

وله قصائد كثيرة، وأبيات شهيرة، وأوصاف ممدوحة، وشمائل مشروحة. رحمه الله تعالى!

ويرد أيضا حين يترجم البيطار للعلامة الشيخ جاعد بن خميس الخروصي:

الشيخ جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي العماني: إمام في المعارف كامل، وهمام في اللطائف والفضائل، قد ترجمه صاحب الحديقة، فقال في أوصافه الأنيقة: أشهد أنه العلم المفرد، والأجل ممن ركع وسجد، وهدى من ضل وأضل بعلومه وأرشد، فهو اليوم زعيم قومه، وكبيرهم الذي صغرت أقرانه لقصورهم عن المقابلة له في صلاته وصومه، تصانيفه دلائل الإعجاز، وتأليفه محشوة بمحاسن الحقيقة والمجاز. فمن لطائفه قوله:

خذ هالك يا ابن الأكرمين كتابا
يحيي القلوب ويفتح الأبوابا
واظب على التعليم درسًا بالعشا
والليل، وافتح بالنهار كتابا
وإذا أتيت إلى المدارس لا تكن
عند المعلم لاهيًّا لعبا
وكذاك طاعة والديك ففيهما
بر تنال من الإله ثوابا

توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف وثلاثين^٢.

١ - المصدر السابق، ص ٦٥٠-٦٥١.

٢ - المصدر السابق، ص ٤٥٢.

نزهة الخواطر لعبد الحي الحسيني

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم الحسيني لمحمد بن الحارث العلافى؛

خرج على الحجاج وقتله مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، ولما انهزم ابن الأشعث أتى محمد عمان ثم خرج إلى السند واحتفى بداهر ابن صصة ملك السند، فلما ولي سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي مكران وقتل سعيد صفوي بن لام الحمامي في ذنب اجتراره وكان من العلافين خرج عليه محمد وعاوية ابنا الحارث وكان معهما خمس مائة مقاتل فقتلوه وغلبوا على مكران، فلما أخبر به الحجاج ولي مجاعة بن سعر التميمي على ثغر الهند فغزا مجاعة وغنم ولحق محمد ومعاوية مع رجالهما بالسند وسكنوا بأرور سنة خمس وثمانين، ولما فتح محمد بن القاسم الثقفي السند وقتل داهر خرج محمد من أرور وسار إلى برهمناباد واجتمع بجي سنكه، ولما سار جي سنكه إلى كشمير خرج معه وعاد من أثناء الطريق، كما في تاريخ السند. وفي تحفة الكرام إنه استأمن محمد بن القاسم المذكور فأمنه، انتهى. وإسم علاف هو أبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهو أبو جرم، كما في فتوح البلدان.

ويرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم الحسيني للشيخ محمد بن حسين الأنصاري؛

الشيخ العالم المحدث محمد بن حسين بن محسن بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني، أحد الأدباء المشهورين، ولد ببلدة حديدة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف تقريباً كما أخبرني بها، وقرأ على والده بعض رسائل النحو والفقاه الشافعي، وكذلك على عمه الأكبر الشيخ محمد بن محسن اليماني، وقدم بهوبال نحو سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف، فلازم عمه وصنو أبيه الشيخ ازين العابدين وتأدب عليه، وأخذ عنه الفقه والحديث، وقرأ على المولوي عبد الله البلكرامي نائب قاضي بهوبال بعض رسائل النحو والمنطق والفقاه والأصول، وعلى مولانا

١ - عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسيني. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دون تحقيق (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩)، ج١، ص٣٤.

عبد الحق بن محمد أعظم الكابلي بعض رسائل المنطق، وعلى مولانا يوسف علي الكوباموي بعض الكتب الدراسية في الفقه والأصول والحكمة، وأخذ عنه العروض والقافية، وقرأ على المفتي عبد القيوم بن عبد الحي البكري البرهانوي، المجلد الأول من صحيح البخاري وبعضاً من جامع الصغير وأجازه بما قرأه إجازة خاصة، وقرأ على نجله يوسف بن عبد القيوم مسند الإمام أحمد وأوليات الشيخ محمد سعيد سنبل وإجازات والده وجده، فأجازه برواية ذلك عنه، وقرأ على القاضي محمد بن عبد العزيز المجهلي شهري جملة صالحة من صحيح البخاري وبلوغ المرام وقد أجازه بكل ما تجوز له روايته وتصح عنه درايته، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار، وأجازه الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي الحسني الفاسي بروايته عن الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي المهاجر عن الشيخ محمد عابد بن أحمد علي السندي صاحب حصر الشارد، ولما رجع إلى بهوبال ولي التدريس في مدرسة والده، فدرس وأفاد بها مدة طويلة، وسافر إلى الحجاز ثم إلى الشارقة من بلاد عُمان ثم قدم لكهنؤ وولي التدريس بدار العلوم لندوة العلماء، وإني قرأت عليه ببلدة بهوبال الوافي بعلمي العروض والقوافي مع شرحه الصغير للدمنهوري والمقامات للحريري وديوان المتنبي وكتاب الحماسة والمعلقات السبع وغيرها. وله مصنفات منها الطرز الموشى بفوائد الإنشاء في مجلد، والمورد الصافي في العروض والقوافي، والنور الساطع المقتبس من محاسن البدع الطالع^١.

ويرد أيضا حين يترجم الحسيني لداود بن نصر العماني :

داود بن نصر بن الوليد العماني المجاهد قدم السند وقاتل أهلها وفتح البلاد، ثم استعمله محمد بن القاسم الثقفي على مدينة ملتان^٢.

ويرد ذكر مسقط عاصمة عمان حين يترجم الحسيني للشيخ أحمد بن محمد البنهباني :

الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن باقر الشيعي البنهباني الأصفهاني أحد الرجال المشهورين، ولد بكرمانشاه في محرم سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، وقرأ النحو والعربية والمنطق والحكمة على جماعة من الأعلام، ثم تفقه على والده، ولازمه إلى سنة عشر ومائتين وألف، ثم سار إلى النجف وقرأ معالم الأصول على الشيخ إسماعيل اليزدي قراءة بحث وإتقان،

١ - المصدر السابق، ج٨، ص١٣٣٩.

٢ - المصدر السابق، ج١، ص٣٣.

وقرأ الاستبصار على الشيخ جعفر النجفي، وقرأ بعض الكتب على الشيخ علي الطباطبائي واستفاض عن السيد مهدي بن مرتضى الطباطبائي فيوضاً كثيرة، وحصلت له الإجازة عن الشيخ مهدي الشهرستاني والسيد محسن البغدادي ومرزا مهدي الموسوي المشهدي والشيخ حمزة القائني، وسافر إلى مسقط وقدم الهند سنة ثلاث وعشرين فدخل حيدر آباد، ولبث بها عند أبي القاسم ابن الرضي التستري الوزير المشهور، ثم جاء إلى فيض آباد ولكهنؤ في أيام سعادة علي خان، وصنف كتباً عديدة بفيض آباد ولكهنؤ.

ومن مصنفاته المحمودية حاشية الصمدية صنفه في الخامس عشر من سنه، وله نور الأنوار في تفسير بسم الله والدرر الغروية في أصول الأحكام الإلهية، وشرح المختصر النافع إلى مبحث الغسل، وله رسالة قوت لا يموت في أحكام الصوم والصلاة، وشرحه مخزن القوت صنفه بفيض آباد، وله تحفة المحبين في فضائل الأئمة الطاهرين صنفه بفيض آباد، وله رسالة في إثبات الخلافة لسيدنا علي رضي الله عنه بلا فصل صنفه بفيض آباد، وله نيك وبد أيام كتاب في التاريخ صنفه بفيض آباد، وله تحفة الإخوان في التاريخ صنفه بحيدر آباد، وله عقد الجواهر الحسان صنفه بحيدر آباد، وتنبية الغافلين صنفه بلكهنؤ، وكشف الرين والمين عن حكم صلاة الجمعة والعيدين، وله مرآة الأحوال وكشف الشبهة عن حكم المتعة وله غير ذلك من الرسائل، كما في نجوم السماء^١.

١ - المصدر السابق، ج ٧، ص ٩٠٢.

رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية لعبد الله باكثير

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب ضمن ترجمة أحمد بن عيسى بن محمد العريضي:

وإذا عدنا إلى العوائق التي اعترضته في بادئ الأمر برز لنا منها تألب الأباضيين عليه لزعزحته عن الإقامة بحضرموت وفي ذلك العهد تكاد حضرموت تكون كلها أباضية كما تسرب إليها هذا المذهب من الإقليم العماني بوازع تبعيتها سياسيًا لسلطين عمان غير أن أهل السنة والجماعة والشيعية بحضرموت واليمن اجتمعت كلمتهم على نصرته وتثبيت قدمه في استيطان حضرموت ووقعت وقائع حربية بين الفريقين كان الفشل في جميعها في صفوف الأباضية ولم تجردهم الإمدادات التي ترد إليهم من عمان وغيرها، وكانت المعركة الفاصلة ببحران جهة القطن حيث انكسرت شوكة الأباضية ولم تقم له بعدها قائمة وكان بعدها انتقاله من الهجرين وما بعدها كما تحدثنا.

وأحسبك لمست استيلاء سيدنا المهاجر على قلوب الحضرميين قاطبة باستقامة أخلاقه وكرمه الباذخ ولين جانبه وعظاته وإرشاداته حتى انتقل خلق كثير من المذهب الأباضي إلى مذهب أهل السنة والجماعة كما تلاشى هذا المذهب من حضرموت على مرور السنين!

١ - عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الكندي. رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية (القاهرة: مطبعة العلوم، ١٣٥٨هـ)، ص ٣٦.

من بيروت إلى الهند

للأب لويس شيخو

زار الأب لويس شيخو مسقط يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٨٩٥، أثناء رحلته إلى الهند،
وخصص هذا الوصف لعُمان؛

وصلنا في صباح يوم الأربعاء ١١ كانون أول إلى لنجه من مدن فارس الساحلية المفتوحة لتجارة العجم، وهي حسنة الموقع كثيرة البساتين، إلا أنّ حركتها التجارية دون حركة بوشهر، وأهم من لنجه مدينة بندر عباس التي بلغنا إليها في اليوم التالي، وهذه المدينة كانت تُدعى كمرون، فلما اختارها الملك شاه عباس في أوائل القرن السابع عشر كقرضة بلاد كرمان انتسبت إليه، وموقعها قريب من مضيق هرمز، وفيها تُباع بضائع العجم لا سيّما الصمغ العربي والطنافس الغالية الثمن، والشالات والأنسجة العجمية والمصاغات المختلفة، ولقربها من جزيرة العرب يُقبل على بضائعها عرب عُمان واليمن، وأهلها نحو عشرين ألفاً، ولإنكلترا بازائها جزيرتان صغيرتان اسمهما كشم ولارك أرادت أن تحصنهما، ثمّ أهملتهما لاحتدام حَرِّهما في الصيف.

ومن بندر عباس دخلت السفينة في مضيق هرمز الذي يوصل خليج العجم ببحر عُمان، وهرمز جزيرة في شمالي المضيق لا يزيد اليوم أهلها على ٥٠٠ وكانت قديماً كبيرة عامرة فترقى إليها المراكب وتنقل إليها أمتعة الهند فترسل إلى كرمان وسجستان وخراسان، فاستولى عليها البرتغاليون في القرن السادس عشر، ودخلها المرسلون اليسوعيون، وكان أولهم الأب غسبار برزه (G. Barzee) في عهد القديس فرنسيس كسفاريوس، فنشر فيها الدين الكاثوليكي، ثمّ غلب الإنكليز البرتغاليون في القرن السابع وأخربوا المدينة.

وأهل هرمز قومٌ من صعاليك العرب يرتزقون من الصيد، وهناك مناجم من المغرة، وهو طينٌ أحمر فيه شيءٌ من أوكسيد الحديد، يُتخذ كصبغ، فبعضٌ من سكان مسقط يستخرجونه لحساب أصحابه، وفي مسقط أيضاً معادن أخرى من الرصاص والفضة ليس أحدٌ يُعنى باستثمارها.

وصلنا في صباح لجمعة ١٣ كانون أول إلى مسقط بعد أن عدلت باخرتنا جاوة عن سواحل العجم ميممةً جوانب العرب، سائرة إلى الجنوب الغربي، فدخلنا بحر عُمان المتّصل بالأوقيانوس الهندي، ثمّ نفذت السفينة بين صخورٍ عالية حتى أرسينا في مرفأً طبيعي تصونه الصخور عن هبوب الرياح، وإذا نحن أمام قصرٍ عالٍ على جانبيه بيوتٌ أوروبية لقناصل الدول وعمال شركات المراكب والدواوين البحرية، في وسطها شجرُ النخل، وكلّ هذه المباني تشرفُ عليها من كل أنحائها صخورٌ بركانية منتصبة عمودياً حولها على شكل نصف دائرة، فاستغربنا هذا المنظر ومتمعنا النظر بمشاهدته ساعةً ثم انحدرنا إلى البر لنشاهد المدينة عن كثب، فأفادونا أنّ القصر الذي كان ألفت أبصارنا هو لسلطان عُمان المُسمّى فيصل بن تركي، المتولّي على بلاد عمان التي موقعها شرقي جزيرة العرب على سواحل البحر شمالي حضر موت واليمن، وجنوبي البحرين، يملك على نحو مليونين ونصف من العرب، ومسقط هذه حاضرة مُلكه ومن مُدنه مطرح وصحار. ومدينة مسقط لا تُرى من البحر، فإنّها واقعة وراء الصخور التي تحجبها، فسرنا إليها وإذا هي كقرية كبيرة، إلا أنّها متجمّعة يكتنفها سورٌ وتقطعها سوقٌ مقبّبة للتجار وأهل الصنائع، وأكثرهم من العجم والهنود والحبش، أما العرب فيسكن كثير منهم في الخيم المجاورة للمدينة، إلا بعض أهل الحضر الساكنين في البيوت، ولغتهم مشوبةٌ بألفاظ أعجمية، وسألنا بعضهم عمّا لديهم من الكتب المخطوطة أو المطبوعة فلم نعثر على شيءٍ منها سوى مطبوعاتٍ حجرية مُبتذلة، وسوق الآداب عندهم كاسدة حتى إنّ صغارهم لا يجدون هناك من يُعنى بتربيتهم وتعليمهم، لكن البروتستانت فتحوا عندهم مُستودعا لنشر التوراة على حساب الجمعية البريطانية فيوزعونها كما يفعلون في البحرين، وقد رأينا الوكيل الذي عهد إليه أمرها، فصرّح لنا بأنّه لا يكاد يجد في تلك الجهات من يستفيد من بضاعته حتى ولو أهداهم إياها.

ومدينة مسقط تجارية أكثر منها أدبية لوقوعها في مدخل بحر العجم، ولعلّها المدينة الوحيدة من بلاد عُمان ترسي عندها السفن البخارية فتأتيها بالبضائع الأوروبية ومحصولات الهند وطلع العجم، وتنقل منها مرافق عمان، وأهلها اليوم يبلغون نحو ٣٠,٠٠٠ يرتزقون برعية المواشي وبمحصل النخل.

وقد عرف الأوروبيون ما لمسقط من حُسن الموقع، وكان أول من فتحها منهم الفاتح الشهير أبو كرك سنة ١٥٠٧، فتملكها البرتغاليون إلى سنة ١٦٥٨، ومن آثارهم كنيسة سان للرهبان

الأغوسطين، هما اليوم جامعان ثم انتزعا منها الإنكليز، وفي القرن الثامن عشر تولى عليها سلاطين من الوطنيين إلى عصرنا يضربون النقود باسمهم، لكن الإنكليز يرقبون حركات أمرائها وقد أمدوا سلطانها فيصل في هذه السنة بجيش وأخذوه من أيدي طلاب دولته، فردوهم بمبلغ من المال، ثم بسطوا على حضرته حمايتهم، بل كادوا يعدونه كأحد عمالهم، وللإنكليز في مسقط قنصل ينقاد السلطان لمشورته، ومدخل المرفأ مُحصن بالقلاع التي تخفق فوقها راية السلطان مع الراية الإنكليزية.

وقد خافت فرسة أن تفقد ما لها في تلك الجهات من نفوذ، فسعى أحد تجارها هناك المرحوم غوغويه (A. Goguyer) لدى حكومة دولته كي تقيم في مسقط لها قنصلاً، فلبت مُلتَمسه، وكان أول قنصلها سعادة المسيو أوتافي الذي نُقل منذ عهد قريب إلى قنصلية دمشق، تعين قنصلاً على مسقط سنة ١٨٩٠، وكان يوم مرورنا ملازمًا داره، مبلوًا بحمى خبيثة، فزرناه وسرر بمواجهتنا، وليس من الكاثوليك سواه مع عماله ولا كنيسة لهم، وأخبرناه ما يلقاه في مهنته من المشاكل بمعارضة الدولة الإنكليزية، وأعلمنا بأن شركة الساجري الفرنسية قد قررت إرسال مراكبها إلى البصرة مرة في الشهر، وقد أجرت الأمر فعلا بعد مدة، لكننا عرضت عنه لمزاحمة السفن الإنكليزية.

وبعد أن انتهينا من تفقد المدينة، عدنا إلى مركبنا الذي كان عيّن ساعة سفره في ظهر النهار، ولما قرب ميعاد إقلاعه وإذا برجل عليه بزة جندي الإنكليز، ركب السفينة وسأل عنا، فسلمني كتابًا إنكليزيًا بتوقيع القنصل الإنكليزي في مسقط يقول فيه بأنه بلغه أنّ أحد المرسلين الكاثوليكيين مبرز في لعب الشطرنج، فيؤمل من لطفنا بأن نشرّفه في داره القنصلية ليختبر بنفسه جذق اللاعب.

ولإدراك الأمر، لا بدّ أن نُعلم القارئ استطرادًا بأنّ حضرة رفيقي الأب يوسف شلفون كان مُغرماً منذ حدائته بلعب الشطرنج الملقّب بلعب الملوك، وإذا وجد على ظهر السفينة قوماً من الهنود يلعبون به راقبهم ليتحقّق ما قيل عنا مهارتهم، وهذا اللعب قد اخترعه صصّه أحد أجدادهم، فلا غرّو أن يكون لهم فيه السبق على سواهم، لكنّه لم يلبث أن لحظ أنّ المُخبّر دون المُخبّر، فلاعبهم وعجمهم، ونال منهم غير مرّة، فشاع خبره بين الركاب، وطلبت السائحة الإنكليزية السيدة تانر (Miss Tanner) ثم ربّان المركب وغيرهما أن يرضى بملاعبتهم،

فكان له الفوز في أغلب الأحيان، ولما نزل الركابُ إلى مسقط ذكروا للقنصل الإنكليزي جُذق الأب في لعب الشطرنج، فأحبَّ أن يعاينه ويلعبه، فأرسل لنا ذلك الكتاب يدعونا إلى منزله. فأخذني العجبُ من هذه الدعوة وعارضتُ الجندي بقولي إنَّه حان وقت السفر، ولا ندحة لنا للنزول إلى البر، فكان جوابه أن القنصل يستطيع أن يوقف السفينة ويؤخِّر سفرها، على أنني بعد مشاورة رفيقي أجبْتُ كتابياً سعادة القنصل شاكرًا له حُسن ولائه ومعتمدًا لديه بقرب ساعة السفر مُصريحًا له بأن تأخير سفر السفينة لداعٍ غير مهم لما يسوء ركاب السفينة فأقنعه جوابنا، على أن معرفة الربان بمضمون كتاب القنصل زادتُه اعتبارًا لشخصنا وأمر بأن نُحصي في عداد ركاب الدرجة الأولى، وعند الظهيرة برح مركبنا مرفأً مسقط ووجهُ سيره نحو الجنوب الشرقي إلى جهات الهند، فجرى بقية نهاره، ثم طُول الليل وصباح الأحد الواقع في ١٥ كانون أول، فوصل بعد مسير عشرين ساعة إلى مرفأ كوراتشي، وهي مدينة حديثة من مدن الهند واقعة في معاملة السند، يمرُّ قريبًا منها شعب من نهر الهندوس الزاخر، وكان أملنا أن ننقل من مركبنا جاوة ساعة وصولنا إلى مركب آخر يسير إلى عدن، لكنَّ ذلك المركب كان سافر قبل وصولنا بخمس ساعات فتحتمَّ علينا أن نذهب إلى بمباي بعد لبوثنا يومين في كوراتشي، لأنَّ مركبنا جاوة كان يحتاج إلى هذه المدَّة ليُفرغ ما شحنه من البضائع والغلات من البصرة والعجم ومسقط، فرأينا في الأمر عناية خاصة من الله لتُعاین شيئًا من أحوال الهند!

مرآة الحرمين

لإبراهيم رفعت باشا

يرد ذكر عمان في هذا ضمن فصل جغرافي موجز يصف جزيرة العرب:

حدودها - شبه جزيرة العرب أو "جزيرة العرب" كما يسميها العرب أو "الجزيرة" فقط كما يسميها بعضهم هي ثلاثة أشباه الجزائر الآسيوية الكبيرة الواقعة في جنوب آسيا. تحدها البحار من ثلاث نواح فتفصلها عما يليها في هذه النواحي فصلاً تاماً. يحدها البحر الأحمر غرباً، والمحيط الهندي جنوباً، وبحر عُمان والخليج الفارسي شرقاً. أما حدودها الشمالية العامة فمبهمة غير واضحة، فقد يلحقون بها شبه جزيرة سيناء وبادية الشام والجزيرة والعراق وقد لا يفعلون. وهذه الجهات تعد منها من الوجهة الطبيعية وإن كانت لا تعد منها من الوجهة السياسية. وعلى كل حال فمساحة الجزيرة العربية تبلغ نحو ألف ألف ميل مربع أي نحو ثلث القارة الأوربية.

شواطئها - يكاد الشاطئ الغربي يكون خطأً مستقيماً وهو على العموم قليل المرافئ الصالحة لرسو السفن. وأهم الجزائر الواقعة بالقرب منه والتابعة لبلاد العرب جزائر فرسان وكمران وبريم الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب. والشاطئ الجنوبي الممتد في تقوس وانحناء من مضيق باب المندب إلى رأس الحد به عدة ثغور حسنة، أهمها عدن والمكلا والشحر وبالقرب منه جزيرة سقطرى وجزائر كوريا موريا. وأما الشاطئ الشرقي الممتد من رأس الحد إلى الكويت فرملي قريب الغور، وتقع قريباً منه جزائر البحرين الشهيرة. هذا ويبلغ طول الشواطئ العربية من السويس إلى مصب الفرات نحو ١٠٠٠ ميل.

أهمية موقعها: هذا الموقع المتوسط الذي تقع به بلاد العرب بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط وبين آسيا وأفريقية الشمالية اللتين هما أهم أقطار العالم التجارية في العصور القديمة والمتوسطة ومن أهم أقطاره التجارية في العصور الحديثة قد جعل لبلاد العرب منذ

أقدم أزمنة التاريخ أهمية تجارية عظيمة بحرية وبرية كما يعلم المطلع على تاريخ العرب في الجاهلية والإسلام.

الجو والنبات والحيوان: الجو - ليس جو بلاد العرب على حالة واحدة في جميع أنحاءها بل هو يختلف اختلافاً بيئياً من مكان لآخر. فالجهات المنخفضة القريبة من البحار حارة وغير صحية، والجهات المرتفعة جافة صحية. ويسقط المطر بنجد في فصلي الربيع والخريف. وقد تنخفض درجة الحرارة شتاءً باليمن فتفوت درجة التجمد. وقد ترتفع في الصيف فتبلخ ٨٠ درجة "بمقياس فهرنهايت" وتستفيد هذه البلاد من الرياح الموسمية فيسقط بها المطر في مارس ويولية وأغسطس وسبتمبر. وقد يدوم فصل المطر في الحجاز نحو خمسة أسابيع من فصل الخريف. وأما الجهات الشمالية فالمطر بها نادر وإذا سقط فإنما يسقط في فصل الشتاء.

النبات - تعد اليمن أخصب أنحاء الجزيرة العربية، ويزرع بها البن والفاكهة والخضروات. ومن حاصلات الحجاز الحناء والبلسم. وأهم حاصلات حضرموت البخور. وأهم مزروعات عُمان والأحساء النيلة. وأما النخل فينمو في أكثر أنحاء الجزيرة. وقد جلب إلى بلاد العرب من الخارج شجر جوز الهند والموز فنما بها نمواً حسناً.

الحيوان - أهمه الإبل والغنم والخيل والحمير، وكلها تعد في الطبقة الأولى من نوعها ولا سيما مهاري "مهرة" وخيل نجد. ويوجد النعام ببعض الصحارى العربية غير أنه قليل. ويكثر السمك بخليج عُمان، ويستخرج من مغاصات اللؤلؤ الشرقية ما قيمته سنوياً نحو ٣٠٠,٠٠٠ جنيه.

الوصف الطبوغرافي: كان جغرافيو الإغريق والرومان يقسمون بلاد العرب بالنظر إلى طبيعة أرضها إلى ثلاثة أقسام: بلاد العرب الحجرية، وبلاد العرب السعيدة، وبلاد العرب الرملية؛ فأما الأولى فكانت عندهم شبه جزيرة سيناء؛ وأما الثانية فهي بلاد اليمن؛ وأما الثالثة فكل ما عدا هذين الإقليمين من بلاد العرب. وأما العرب فكانوا يقسمونها باعتبار المواضع والأقاليم. وأساس تقسيمها عندهم جبال السراة التي تمتد من أطراف بادية الشام إلى اليمن؛ فتقسم جزيرة العرب إلى قسمين: غربي، وشرقي. فالغربي وهو أصغرهما ينحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل إلى شاطئ البحر الأحمر، وقد صار هابطاً أو غائراً فسموه الغور أو تهامة؛ والقسم الشرقي وهو أكبرهما يمتد شرقاً وهو على ارتفاعه إلى أطراف العراق والسموأة فسموه نجداً لهذا السبب. وسموا الجبل الفاصل بين تهامة ونجد "الحجاز" وهو عبارة عن جبال تتخللها المدن والقرى.

وجعلوا ما تنتهي به نجد في الشرق حتى يصل إلى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان وما والاها ويسمونها العروص، وسموا القسم الجنوبي بلاد اليمن وحضرموت والشحر.

وأما الجغرافية الحديثة فتميل إلى تقسيم بلاد العرب باعتبار قربها من البحر أو بعدها عنه. وعلى هذا الاعتبار تنقسم بلاد العرب إلى قسمين كبيرين: بلاد العرب المتصلة بالبحر وتشمل الحجاز وعسيرًا واليمن وحضرموت ومهرة "الشحر" وعمان والأحساء "البحرين"؛ وبلاد العرب غير المتصلة بالبحر وهذه تشمل نجدًا والصحارى الداخلية. وسنتبع هذا التقسيم ونذكر كلمة موجزة عن كل قسم من هذه الأقسام:

بلاد العرب المتصلة بالبحر:

الحجاز - أهم الأقطار العربية من الوجهة التاريخية، فيه نبت الإسلام ومنه درج كما سترى في الفصل التاريخي الآتي. وهو يمتد بوجه عام من رأس خليج العقبة إلى حدود اليمن إذا اعتبرنا عسيرًا داخله فيه كما يصنع بعض الجغرافيين. وبه من الأودية وادي الحمد ووادي الرمة. وأهم مدنه مكة المشرفة والمدينة المنورة والطائف الشهيرة بفواكهها الجيدة. وأهم ثغوره الواقعة على البحر الأحمر، الوجه والحوراء وينبع ورابع وجدة، وكلها محطات للحجاج المصريين. وينزله من القبائل العربية الآن عرب الحويطات في الإقليم الشمالي المسمى حسمي، وعرب عنزة شمالي المدينة، ويلى ما بين العقبة والوجه، وقريش شمالي عرفة والطائف، وهذيل في الجبال التي بين مكة والطائف، وثقيف في جنوب وشرقي الطائف.

عسير - تتسع جبال السراة جنوبي مكة والطائف فتكون الإقليم المعروف بعسير والواقع بين الحجاز شمالاً واليمن جنوباً. وهذا الإقليم على العموم من أخصب وأجمل الأقاليم العربية وأغناها من الوجهة الاقتصادية. أهم أوديته: وادي ضلع ووادي بيشة. وأهم مدنه: أبها ومحائل وصيبا. وأهم ثغوره: القنفذة. وأهم قبائل عسير: قبائل قحطان التي هي أصل القبائل اليمنية.

اليمن - وتنقسم إلى قسمين غير متساويين: تهامة اليمن التي هي عبارة عن امتداد تهامة عسير والحجاز، ونجد اليمن ويتضمن أربع هضاب فرعية: هضبة نجران في الشمال، وهضبة مأرب في الشرق، وهضبة صنعاء في الوسط، وهضبة تعز في الجنوب. وأهم مدن اليمن صنعاء، وهي العاصمة ثم صعدة ومأرب الشهيرة بآثارها القديمة وبريم وتعز ولحج وزبيد. وأهم ثغور اليمن الحديدية ومخا الواقعتان على البحر الأحمر، وعدن الواقعة على المحيط الهندي والتابعة

لإنجلترا "وكذلك جزيرة بريم الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب".

حضر موت - وهي عبارة عن الإقليم الواقع شرق اليمن، سطحها جبلي يشقه واد متسع يساير الشاطئ نحو مائة ميل ويسمى وادي الكسر. وأهم مدن حضر موت: شبام. وأهم ثغوره: المكلة وسيحوت، وبحضر موت، كما باليمن آثار حضارة عربية قديمة.

مهرة - وكان جغرافيو العرب يسمونها "الشحر" وتمتد شرقاً من سيحوت إلى حاسك وتشتهر منذ القدم بالبخور والصمغ. وأهم ثغورها: الشحر ومرباط. هذا وأرض مهرة الممتدة من حاسك إلى عُمان قاحلة وداخلها غير معروف بالمرّة.

عُمان - هي أبعد جهات العرب من ناحية الشرق. يمتد شاطئها من رأس الحد إلى الرأس المعروف برأس مسندم. وتكثر به المرافئ الجيدة كما يكثر السمك بمياهه، وأهل عُمان مشهورون من قديم الزمان بالمهارة في الملاحة والاتجار مع بلاد الهند. وأما سطح عمان فجبلي يبلغ ارتفاعه في الجبل الأخضر. وعاصمة عمان هي مسقط وتقع إلى الشمال منها صحار عاصمة عمان القديمة.

الأحساء - وكانت تعرف في عهد الدولة العربية الإسلامية بالبحرين أو هجر التي كانت عاصمتها إذ ذاك. وأما لفظ الأحساء فاسم المدينة التي أنشأها القرامطة في القرن الرابع الهجري بالقرب من هجر. والأحساء ثلاثة أقسام: قسم جنوبي ويعرف بالقواسم، وقسم متوسط هو عبارة عن شبه جزيرة "قطر" التي تشتهر هي وجزائر البحرين باستخراج اللؤلؤ، وقسم شمالي غربي يمتد من قطر إلى الكويت ويسمى "القطيف" وأهم مدن قطر الحفوف، وأهم مدن القطيف الكويت التي ستكون يوماً ما مركزاً تجارياً عظيماً لحسن موقعها الجغرافي. وأهم حاصلات الأحساء: البلح ويضرب المثل بكثرتة.

بلاد العرب الداخلية: ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: البادية ونجد والدهناء.

البادية - ونطلقها مجازاً على الأرض الواقعة شمال نجد وإلا فهي عبارة عن بادية العراق والجزيرة والشام. ويلى هذه البوادي بادية السماوة التي سلكها خالد بن الوليد عند منصرفه من العراق إلى الشام بأمر من أبي بكر الصديق. وهي فلاة لا يأمن سالكها الهلاك فيها عطشاً وجوعاً. وتلي بادية السماوة الواحة المعروفة قديماً بدومة الجندل وتعرف اليوم بالبحوف. وهذه الواحة

واقعة على الوادي الآتي من حوران والمعروف بوادي السرحان. وتلي الجوف صحراء "النفود" وهي فلاة قاحلة لا ماء بها.

نجد - هضبة عظيمة تلي "النفود" ويبلغ ارتفاعها أحياناً أكثر من ٥٠٠٠ قدم، تشققها أودية تكثر زروعها وحيوانها. وأهم هذه الأودية: وادي الرمة ووادي الدواسر. ونجد تنقسم إلى أقسام: حرة خيبر في الغرب، والقصيم في الشمال ونجد الأصلي في الجنوب. ويقع إلى الجنوب والشرق من نجد الإقليم المعروف باليمامة والذي يطلق العرب عليه وعلى البحرين معاً اسم "العروض". هذا وجو نجد أصح أجواء بلاد العرب، وأهم بلدان نجد الرياض وحائل وعنيزة، وتنزله في الوقت الحاضر من القبائل بنو سبيع وعنزة وقبائل تنتمي إلى بني هلال المشهورة.

الدهناء - صحراء مترامية الأطراف مجهولة الداخل تمتد من جنوبي نجد إلى الحدود الصحراوية لعمان ومهرة وحضرموت واليمن. ليست بها عيون ولا أودية، وإنما تجودها الأمطار في فصل المطر فتعشب فيؤمها البدو بخيامهم وإبلهم فيرعونها نحو ثلاثة أشهر، فإذا حل فصل الجفاف ارتحلوا عنها. ويطلق على هذه الفلاة أسماء مختلفة، فالقسم الواقع منها بين شرق اليمن وشمال غربي حضرموت يسمى "صيهده". والجزء الواقع شمال شرقي حضرموت يسمى "الأحفاف". والجزء الواقع شمال مهرة يسمى "وبار" على أنها تسمى بوجه عام "الدهناء" لحمرة رمالها. وكثيراً ما يطلقون عليها "الربع الخالي" أي غير المعمور.

التقسيم السياسي الحاضر: إن حال بلاد العرب السياسية مضطربة في الوقت الحاضر إضطراباً كبيراً، وذلك نتيجة الحرب العالمية الكبرى وزوال سلطة الدولة العثمانية عن هذه البلاد. غير أنه يمكننا أن نقول في تصوير الحال السياسية العامة لبلاد العرب إن بها اليوم من الإمارات ما يأتي: "١" الإمارة الزيدية في القسم الجبلي من اليمن.

"٢" الإمارة الإدريسية في أراضي الشافعية من تهامة اليمن وبعض تهامة عسير.

"٣" السلطنة السعودية الوهابية في جميع نجد بما في ذلك إقليم عسير.

"٤" الحكومة الهاشمية التي انحصرت في جدة.

"٥" إمارة آل الصباح بالكويت عند نهاية الخليج الفارسي.

"٦" مشيخة قطر.

”٧“ مشيخة حضرموت وهي تحت الحماية الإنجليزية.

”٨“ سلطنة عمان المستقلة ويسكنها الخوارج الإباضية.

ولا يمكن القول بما ستؤول إليه الأحوال السياسية في هذه البلاد، نسأله تعالى أن يوفق أهلها إلى ما فيه جمع شملهم وتوحيد كلمتهم ورجوعهم كما كانوا في صدر الإسلام إخواناً متحابين كملة في نفوسهم إنه بالإجابة جدير!

رحلتنا الهندية العربية

لمحمد رشيد رضا

زار العلامة الشهير محمد رشيد رضا عمان في ١٢ جمادى الأولى عام ١٣٣٠هـ (١٩١٣) أثناء عودته من الهند، وكتب عنها مقالا في مجلة المنار بعنوان "شكر علني لأهل عمان والكويت"، يقول فيه:

شكرنا في الجزئين الأول والثاني لإخواننا مسلمي الهند حفاوتهم بنا وحسن ضيافتنا، ووعدنا بأن نشكر مثل هذه الحفاوة لإخواننا العرب الكرام في مسقط والكويت والعراق، وقضت كثرة المواد التي لا يمكن تأخيرها أن نرجى الوفاء بهذا الوعد إلى هذا الجزء.

سافرت من بمبي صباح الجمعة لتسع خلون من جمادى الأولى للعام الماضي في سفينة إنكليزية قاصداً مسقط عن طريق كراچي، وكنت حريصاً على السفر في إحدى بواخر الشركة العربية التي يديرها في بمبي مؤسسوها من أصدقائنا تجار العرب، وكان ذلك يسرهم أيضاً، وقد تحدثنا به مع مدير الشركة الهمام الشيخ محمد المشاري في قصر الزعيم الكبير صديقي ومضيفي الشيخ قاسم إبراهيم فعلمنا أن انتظار مواعيدها يضيع عليّ أياماً كثيرة، وقد انتقلنا في ميناء كراچي إلى سفينة إنكليزية أخرى حملتنا إلى مسقط فوصلنا إليها ضحوة يوم الاثنين (٢٩ج١٢ أبريل) وعندما رست كان قد وصل إليها زورق بخاري من السلطان الكريم السيد فيصل ملك عمان يحمل بعض رجاله لاستقبالي، وكان كلف من يعتمد عليه في بمبي أن يخبره عن سفري منها ببرقية يعرف بها موعد وصولي، فصعدوا ومعهم صديقي الفاضل السيد يوسف الزواوي، أكبر سادات مسقط بعد أسرة السلطان وأكبر تجارها قدراً وجاهاً وشهرة، فعفرزف الجماعة بي، وبعد السلام نزلنا إلى الزورق فحملنا إلى رصيف قصر السلطان فصعدنا القصر وبعد السلام والمكث مع السلطان ساعة من الزمان ذهبنا إلى دار ضيافته التي أعدها لنا. وكان صديقنا السيد الزواوي أعد داراً جديدة له على الطرز الحديث؛ لأكون فيها مدة وجودي في مسقط فنفس عليه السلطان ولم يسمح له بذلك.

أقمت في مسقط أسبوعاً كان يختلف إليّ كل يوم وكل ليلة منه وجهاء البلد وأذكياءه ويلقون الأسئلة الدينية والفلسفية والأدبية والاجتماعية، وزارني السلطان في دار الضيافة أيضاً ومكث معي عدة ساعات، وزرته في مجلس حكمه عدة مرات، وكان يلقي عليّ في كل مرة الأسئلة المختلفة، وكان يكون معه في مجلسه أخوه السيد محمد وهو كثير المطالعة في الكتب، ولكنه لا يحب البحث في المجالس في كل ما يطلع عليه من المسائل، وقد عهد السلطان إلى كاتبه الخاص من أهل السنة الزبير بن علي أن يتولى أمر العناية بضيافتي، وإلى كاتبه الشيخ إبراهيم بأن يتعاهدني معه أيضاً.

وأدّب لي صديقي السيد الزواوي مادتين حافظتين، إحداهما في داره العامرة في نفس مسقط، دعا إليها علماء ووجهاء البلد، والأخرى في دار له بقرية سداب وهي على مسافة ميل من مسقط ذهبنا إليها بزورق السلطان في البحر، وعدت أنا ماشياً مع بعض المدعوين براً؛ لأجل الرياضة ورؤية ثنية الجبل التي يسلك منها إلى مسقط المطوقة بالجبل. وقد دعا إلى هذه المأدبة مع وجهاء مسقط وجهاء القرى المجاورة لها، فأجاب الدعوة عشرات منهم، وكان الغرض من ذلك أن يسمعوا كلامي وتذكيري بآيات الله، وقد فاض معين السخاء العربي الهاشمي في هذه المأدبة على فقراء القرية الذين اعتادوا أن يعيشوا إلى ضوء نار السيد الزواوي الذي هو مظهر لقول الشاعر:

* ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا *

فتراه بين مظاهر الكرم والنعيم، لا يغفل عن مراعاة ما يمكن تحصيله من فوائد العلم والدين، بنى لنفسه عدة دور فخمة جميلة في مدخل البلد على البحر وهو موقع غير واسع، يشارك هو فيه السلطان وقنصل الإنكليز في الملك، ويسكن في دار له فيه قنصل أمريكة، وبنى لله مسجداً هو أنظف مساجد البلد وأزهاها، وقد جر إليه الماء بأنابيب الرصاص (المواسير) وجعل له عدة حنفيات، وعلى هذه الطريقة اقترح عليّ يوم المأدبة الأولى وكانت للغداء في يوم الجمعة أن أعظ

الناس في مسجده بعد صلاة الجمعة فأجبت، وكان من تأثير الكلام فيهم أن ارتفعت أصواتهم بالبكاء والنحيب والنشيج، واقترح عليّ أيضاً أن أتكلم وأذكر من يحضر المأدبة من الوجهاء والخواص فأجبت، ونجله الكبير الشيخ عبد القادر له ذوق في النظام وميل إلى

الصناعة، وقد مد من دارهم في سداب إلى دارهم في مسقط مَسْرَّة (تليفون) فكانت هي الوحيدة في تلك القرية.

وسافرت من مسقط ضحوة يوم الإثنين لتسع عشرة خلون من الشهر ومكنت في مجلس السلطان زهاء ثلاث ساعات من أول نهار السفر كان يلقي فيها عليَّ الأسئلة الكثيرة في العقائد وما يتعلق بها والأحكام الشرعية والاجتماعية والتاريخية، وتارة يشير إلى رجاله بأن يسألوا، وكانوا جميعاً يُسرون من الأجوبة، ثم نزلنا إلى البحر فودعني السلطان على رصيف قصره ونزل معي في زورقه البخاري جميع من كان ثم من أنجاله الكرام وهم خمسة أكبرهم السيد نادر، ومعهم بعض كتابه وحاشيته ومن سوء حظي أن كان ولي عهده السيد تيمور مسافراً فلم أره، وظل هو واقفاً على الرصيف حتى بعد الزورق عنه، فودعته الوداع الأخير بالإشارة.

ونزل معنا أيضاً صديقنا الزواوي ونجله السيد علي ابن عم السلطان وصهره وقد سافر معنا قاصداً البصرة فرأيت منه رقيقاً تقياً نقيّاً صفيّاً. وقد مكث معنا أولاد السلطان والزواوي ساعة من الزمن في الباخرة ثم ودعناهم الوداع الأخير، وعادوا إلى مسقط موشحين بجلايب شكري الخالص وودي الدائم، إن شاء الله تعالى (وسنصف مسقط وتكلم عن حالة أهلها الاجتماعية في الرحلة).

جرت السفينة بنا من مسقط ظهر يوم الاثنين، وهي إنكليزية تقطع في الساعة ١٢ ميلاً فقط، وفي ضحوة اليوم الثاني خرجت بنا عن محاذاة جبال عمان ودخلت في الخليج الفارسي فصرنا نرى بر فارس عن اليمين وبر العرب عن اليسار، ووقفت بنا فجر يوم الخميس في موضع من عرض البحر كان ينتظرنا فيها مركب شراعي كبير أرسله إلينا الشيخ مبارك الصباح صاحب الكويت، وكان علمُ بأننا نصل إليه في هذا الوقت في هذه الباخرة مما كُتِبَ إليه من بُمبَي ومسقط، فنزلنا فيه قبل طلوع الشمس فأقلع بنا والرياح لينة والبحر رهو، ثم قويت الرياح قليلاً في النهار فبلغ بنا الكويت قبل غروب الشمس^١.

١ - محمد رشيد رضا. رحلتنا الهندية العربية. مجلة المنار (١٩١٣)، ج١٦، ص٣٩٦ - ٣٩٩.

الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني

يخصص البتنوني صفحات في هذا الكتاب لعُمان وتاريخها وذلك في فصل "صفة جزيرة العرب"؛

حكومة عُمان وتسمى إمامة واقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب. وكل ساحل عُمان عامر بالبلاد والسكان، وطوله من ثغر مر بط إلى بحيث جزيرة القَطْر نحو ٢٢٠٠ كيلومتر. وعرضه في داخل البلاد إلى الغرب نحو ٣٠٠ كيلومتر، وعاصمتها مسقط. وتنقسم البلاد إلى البطنة "تهامة" ولا تمتد أكثر من ٤٠ كيلومتر أغلبها مغطى بالنخيل المشهورة بجودة ثمره، ثم إلى قسم الجبال وأكبرها الجبل الأخضر، وارتفاعه نحو ٣٠٠٠ متر، وفيه كثير من الغابات والأحراش. ويوجد بين هذه الجبال وديان كثيرة خصبة تسقى بواسطة مجاري ماء لها خزانات وسدود، كما كان شأنها في هذه البلاد من قديم الزمان. وأهم حاصلات عمان التمر والحنطة والذرة والشعير والبرسيم والنيلة والخضر وكثير من أنواع الفاكهة لا سيما الجوز الهندي والمانجو، ومن محاصيلها خشب الند والصندل والصمغ العربي والصبر والتبناك. وفي جبال هذا الإقليم كثير من المعادن بالأخص الحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح الجبلي. وعلى سواحلها مغاصات كثيرة للؤلؤ وأشهرها في مدن صحار، ودمار، ومسقط. وأهل السواحل يشتغلون بصيد السمك ويصدرون منه كميات كبيرة إلى بلاد العجم وغيرها، ويجففون منه كميات كثيرة، وما يبقى من التصدير يغذون منه البقر ويسمدون به الأرض. وهذه البلاد مشهورة بخيلها وبقرها وغنمها، وجوها حار كثير الجفاف.

وعدد أهالي حكومة عمان يبلغ مليوناً وستمائة ألف شخص. ومساحتها لا تقل عن ثمانين ألف ميل مربع، وعاصمتها مسقط أو مسكت وسكانها ٢٥ ألف نفس، وبينها وبين مكة أكثر من ألفين كيلومتراً. ولها ميناء صغيرة ترسو السفن فيها. وتنقسم سكانها إلى قسمين: البدو أو سكان الخيام وهم قوم رحل وراء المرعى وفي الغالب من العرب العدنانية، ثم المتحضرون ويقال لهم العُمانيون وهم خليط من الهنود والعجم والبلوچستان والعرب والزنوج. وأهل عمان

على مذهب الإباضية المنسوب إلى عبد الله بن إياض المرّي "من المرية من أعمال طرابلس الغرب" الذي استولى على أفريقية الشمالية سنة ١٥٢ هـ وادعى فيها الخلافة.

وكانت عمان تابعة لحكم التبابعة، وأسلمت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت الخوارج تلجأ إليها هرباً من خلفاء بني أمية والعباسيين، لبعدها عن العمران الإسلامي. وكان تجارها ينتقلون في جزر المحيط الهندي مثل جاوة وسومطرة وغيرها من سواحل أفريقيا الشرقية. ومن كثرة احتكاكهم بأهالي تلك البلاد أذاعوا فيهم دين المسلمين وقبحوا لهم الوثنية ففشا فيهم الإسلام. وكثر توارد العرب إلى تلك الجهات وتقربوا من أهلها بالمصاهرة وما زالوا حتى أصبحت لهم الكلمة فيهم والسيادة عليهم.

وفي سنة ١٥٠٨م استولى البورتغاليون على سواحل عمان واتخذوا مسقط قاعدة لغاراتهم البحرية، ووجهوا عنايتهم لتحصينها. ولما استولى الشاه عباس على جزيرة هرمز سنة ١٦٢٢، لجأ أهلها إلى مسقط فازدادت بهم أهميتها. وفي سنة ١٦٥٨ ثار أهالي مسقط على البورتغاليين وطردهم من أرضهم. وبعد مدة استولى الهولنديون على مسقط فطردهم أهلها. ثم أتى الإيرانيون بقصد فتح بلادهم فاستصرخ العمانيون بأحمد بن سعيد حاكم الشحر، فحضر وساعدهم على طردهم، فبايعوه ونادوا به سلطاناً في سنة ١١٦٧هـ. وامتد حكم ابن سعيد شمالاً إلى جزيرة القطر وجزائر البحرين، وجنوباً إلى حضر موت وظفار، ثم توفي سنة ١١٨٨هـ، وتولى مكانه ابنه عبد الصمد. ولما مات تولى بعده ابنه سلطان بن عبد الصمد. ولما مات تولى عمه سعيد أحمد بن سعيد. فأدرك أهمية مركز بلاده الجغرافي وعرف أن مستقبلها مرتبط بالقوة البحرية. فأنشأ أسطولاً مركباً من ثلاثين سفينة حربية، وسلحها بالمدافع واستولى بقوته على جزيرة هرمز في الخليج العجمي، ثم استولى على جزيرة سوقطرة وجزيرة زنجبار، ثم وضع يده على سواحل زنجبار ورأس غاردافوي: وبذلك أصبح له السلطان المطلق في خليج العجم والبحر الهندي. وأنشأ طرقاً كثيرة في بلاده التي أصبحت محط الرحال للتجار من الهند وفارس وشرق أفريقيا ومصر. وكان الوهابيون قبل هذا الزمن قد أغاروا على عُمان ووضعوا خراجاً سنوياً على أصحابها، ولكن السلطان سعيد امتنع من أدائه إليهم. فأغاروا عليه وأحرقوا كثيراً من بلاده ولم ينقذه منهم إلا تحولهم عنه إلى حرب إبراهيم بن محمد بن علي باشا الذي قضى عليهم القضاء المبرم. بعد ذلك مال سعيد إلى الراحة، فباع أسطوله وقسم مملكته بين أولاده الثلاثة: فجعل

زنجبار وما يليها من سواحل أفريقيا وجزيرة سوقطرة إلى ولده ماجد، وجعل القسم الشمالي من مملكته وهو جزائر خليج البصرة وما يليه من الساحل الغربي لابنه الأكبر التويني، وجعل القسم الجنوبي إلى ابنه تركي.

ولما توفي سعيد طلب التويني من أخيه ماجد أن يؤدي إليه خراجا سنويًا فلم يقبل. فقامت بينهما الحرب مدة سنتين حتى تدخل الإنكليز وأصلحوا بينهما على أن يستقيل ماجد بزنجبار، وأن يؤدي في نظير ذلك إلى أخيه التويني كل سنة أربعين ألف ريال.

ثم نازع التويني أخاه تركيا في نصيبه فنقم الناس عليه وانفضوا من حوله وبايعوا أخاه تركيا، وساعده الإنكليز على دخوله مسقط. فهرب التويني إلى فيصل الوهابي، فأرسل معه جيشا بقيادة ابنه عبد الله واستولى على بلاد عمان وسلمها إلى التويني، وانفرد بالحكم فيها حتى توفي سنة ١٢٨٥هـ. وخلفه ابنه سالم فقبض على عمه تركي وسجنه، ثم أخلى سبيله بمدخلة الإنكليز فسافر إلى بومباي. أما سالم فإنه ثار عليه في السنة الثالثة من حكمه رجل من قرابته اسمه عزان، ونزع منه الملك. فبلغ ذلك تركيا وهو في بومباي فأسرع إلى بلاده وقتل عزان واستولى على عمان سنة ١٢٨٧. وكان أخوه ماجد قد مات في زنجبار، فعين أخاه برغشا سلطانا عليها.

ومن ثم بقيت حكومة عمان على غاية الصفاء مع الإنكليز. ومن سنة ١٧٩٨ إلى الآن عقدت بين الحكومتين جملة معاهدات تضمن بها للسلطان مرتبا شهريا من خزينة الهند وتكفل له استقلال وحفظ الأمن في داخلية بلاده، وذلك كله في نظير عدم تنازله عن شيء من بلاده إلى حكومة أخرى.

ومن هذا الوقت أخذت يد الإنكليز تمتد إلى أطراف هذه المملكة واحدا بعد الآخر: فاستولت على جزائر كوريا موريا سنة ١٨٥٤م، وعلى جزائر خشم الواقعة في مضيق هرمز سنة ١٨٧٦، وفي هذه السنة نفسها أعلنت حمايتها على جزيرة سوقطرة. وكان سلطان زنجبار تنازل سنة ١٨٩٠ لألمانيا عن قسم من بلاده يبتدىء من مصب نهر روفوما جنوبا وينتهي إلى ونغا شمالا في مقابل ٤ ملايين مارك. فبادرت إنكلترا فوضعت يدها على ما بقى لسلطنة زنجبار من السواحل، ثم أعلنت حمايتها على جزيرة زنجبار نفسها، وبعدها عقدت مع إيطاليا استولت هذه بموجبها على قسم مما يلي بلاد الصومال^١.

١ - محمد لبيب البتوني. الرحلة الحجازية (القاهرة: مطبعة الجمالية، ١٩١١)، التمهيدي، ص ٤٤ - ٤٧.

الرحلة اليمانية لعبد المحسن البركاتي

يخص البركاتي لعمان بابا عنوانه "بلاد عمان وتسمى إمامة مسقط":

وهي واقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من جزيرة العرب وكل ساحل عُمان عامر بالقرى والسكان وطوله من ثغر مربط إلى جزيرة القطر ألفا كيلو متر وعرضه من داخلية البلاد ثلاثمائة كيلو متر وتنقسم البلاد إلى (البطنة) أي تهامة ولا تمتد أكثر من أربعمئة كيلو متر أغلبها مغطى بالنخيل المشهور بجودة ثمره، ثم إلى قسم الجبال وأكبرها الجبل الأخضر، وارتفاعه ألفان وأربعمائة متر عن سطح البحر، وفيه كثير من الغابات والأحراش. ويوجد بين جبالها وديان كثيرة خصبة تسقى بواسطة أنهار جارية، وأهم حاصلات عمان التمر والحنطة والذرة والشعير والنبيلة والبرسيم والخضر وكثير من أنواع الفواكه لاسيما الجوز الهندي والانبه وهي المنجه. ومن محاصيلها خشب الند والصندل والصبغ العربي والصبغ والتبناك. وفي سواحل عمان مغاصات كثيرة اللؤلؤ وأشهرها في مدن سحار ودمار ومسقط. وأهل السواحل يشتغلون بصيد السمك وتجفيفه ويصدرون منه كميات وافرة إلى بلاد العجم وغيرها وكذا إلى الخارج. هذه البلاد مشهورة بالهجن التي لا يوجد لها نظير في السير والشكل الجميل والمناظر الحسنة، والهجن المذكورة مشهورة بالنياق العمانيات، وكذا يوجد بها الخيل. ومن مواشها البقر والغنم. وتهامة عمان حارة وجبالها معتدلة الهواء. وعدد سكان هذا الإقليم يبلغ ثلاثة ملايين على الأقل وأغلب عربان هذه المنطقة عدنانيون. ووادي عمان ينقسم إلى جملة قبائل تحكمها أمراء منها البعض منهم تابع للدولة العثمانية والبعض تابع لأمير مسقط المحتمي الآن بالدولة الإنجليزية ثم يلي بلاد عمان جزائر البحرين وهي شمال مسقط^١.

١ - شريف عبد المحسن البركاتي. الرحلة اليمانية لشريف مكة حسين بن علي (لندن: دار الوراق، ٢٠٠٧)، ص ١٥٠ - ١٥١.

الأعلام

لخير الدين الزركلي

يرد ذكر عمان في هذا الكتاب حين يترجم الزركلي لبعض الأئمة والأعلام العمانية، ومنها:

”أحمد البوسعيدي (١١٩٦-١٢٠٠ هـ ١٧٨٢ م) أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الأزدي العماني - بضم العين وتخفيف الميم - المتلقب بالمتوكل على الله: مؤسس الدولة البوسعيدية المعاصرة في عمان، وأبو ملوكها، وهم إباضيو المذهب. كان في منشئه من القادة الولاة الشجعان، استعمله سيف بن سلطان فأعجبه سيرته فولاه على ”صحار“ ثم جعله سيف دولته وموضع شوكته وفوض إليه الأمور كلها. ولما صارت الدولة إلى سلطان بن مرشد استقر أحمد في صحار. ومات سلطان عنده (سنة ١١٥٥ هـ) في حربه مع العجم، وكانوا قد توغلوا في الديار العمانية، فقاتلهم أحمد وأجلاهم عنها وقتل كثيرين منهم بمكيدة صنعها لهم، وخضعت له البلاد وأحبه أهلها، فانتقل إليه ملك اليعاربة. وفي أيامه ادعى ”بلعرب ابن حمير“ الإمامة فقتله أحمد (سنة ١١٦٧) وصفت له الدولة ويوبع بالإمامة في هذه السنة، وصار إليه ملك عمان ومسقط، واستمر إلى أن توفي.“^١

”أحمد بن سليمان بن عبد الله بن أحمد بن الخضر، من بني النضر: مؤرخ، من أكابر علماء الإباضية وأدبائهم في عمان. قتله ”خردلة الجبار“ وأحرق كتبه فلم يبق منها إلا ما نسخ في حياته. وكان يسكن سمائل (من البلاد العمانية) من كتبه ”سلك الجمان في سيرة أهل عمان“ مجلدان، و”الوصيد في التقليد“ مجلدان، و”قرى البصر في جمع المختلف من الأثر“ أربع مجلدات، و”ديوان شعر“ وكان ينعت بأشعر العلماء وأعلم الشعراء.“^٢

”الأهيف بن حمحام الهنائي: قائد شجاع من إباضية عمان، كان رئيس قومه (بني هناءة)

١ - خير الدين الزركلي. الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢)، ج١، ص ١٣٠.

٢ - المصدر السابق، ج١، ص ١٣٢.

وولي قيادة جيش عزان بن تميم (أحد أئمة الإباضية) وقاتل من خالفه إلى أن قتل عزان (انظر ترجمته) فنهض الأهيف يريد الأخذ بثأره، وجمع حشدًا من رجالات عمان، فقاتل المسمى محمد بن بور (عامل المعتضد العباسي في البحرين) وكان قد توغل في أراضي عمان، وعلم ابن بور بزحف الأهيف، فخافه وانقلب يريد (البحرين) فطمع الأهيف به فلحقه وأدركه في مكان يدعى (دما) فاقتتل جيشاهما، وتراجع ابن بور إلى الشاطئ فوصلت إليه نجدة حملت على الأهيف فانهمزم أصحابه وقتل مع كثير من عشيرته.^١

”بركات بن محمد بن إسماعيل القضاعي الحميري: من أئمة الإباضية بعمان. بويغ له يوم مات أبوه (سنة ٩٢٤هـ) ولم يتفق أهل عمان على بيعته. وتعددت الإمامة في أيامه فضعف أمره، وتغلب كثيرون على البلاد، واستمر إلى أن توفي بنزوى.“^٢

”بلعزب بن حمير (١١٦٧-١١٧٥هـ، ١٧٥٤-١٧٥٥م) بلعرب بن حمير بن سلطان بن يوسف بن مالك العربي: تاسع الأئمة اليعربيين في عمان. بويغ له بنزوى، بعد خلع سيف بن سلطان (سنة ١١٤٥هـ) وقاتله سيف بن سلطان فظفر بلعرب. وجاء سيف بجيش من العجم، فاقتتلا سنة ١١٥٠ ففاز سيف، وانهمز جيش بلعرب. وبعد فتنة كبيرة استعفى بلعرب من الإمامة، وتسمى بها سيف (سنة ١١٥١) ثم أعاده إليها بعضهم نحو سنة ١١٦٠ وحاربه أحمد بن سعيد البوسعيدي فقتله.“^٣

”بلعزب بن سلطان (١١٠٤-١١٠٥هـ، ١٦٩٣-١٧٠٠م) بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي: ثالث الأئمة اليعربيين، من الإباضية، في عمان. بويغ له بنزوى، يوم وفاة أبيه (سنة ١٠٩١هـ) وسار على سنن الصالحين من أسلافه، حزمًا وعدلاً. ونشبت فتنة بينه وبين أخيه سيف بن سلطان، فقاتله، واستولى سيف على حصون عمان كلها إلا حصن (بيرين) فحاصر أخاه بلعرب فيها، فمات في الحصار. وكان فقيهاً أديباً، له شعر جيد.“^٤

”تزكي بن سعيد (١٣٠٥-١٣٠٥هـ، ١٨٨٨-١٨٨٨م) تركي بن سعيد بن سلطان: صاحب عمان. كان قد رحل منها في أيام تملك ابن أخيه سالم بن ثويني، وأقام في الهند إلى أن صار الأمر إلى (عزان بن قيس) فعاد إلى مسقط (وكانوا يسمونها مسكد) ووالاه من كان فيها من النجديين، فقتل

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠.

٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩.

٣ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣-٧٤.

٤ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣.

عزان، واستولى على أكثر مملكة عُمان. وظل باقيها في أيدي من كانت لهم قبل >إمامة عزان. واستمر، كلما نشبت ثورة أطفالها، إلى أن توفى.^١

”ثُوَيْني بن سعيد (١٢٨٢-٠٠هـ، ١٨٦٦-٠٠م) ثويني بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد ابو سعدي: ملك عمان ومسقط. وليهما بعد وفاة أبيه (سنة ١٢٧٣هـ) وجعل إقامته في الثانية. وسار سيرة حسنة. رماه ابنه سالم بن ثويني برصاصة قتلته في (صحار) طمعاً بالملك من بعده.^٢ ”جابر بن زَيْد (٢١-٩٣هـ، ٦٤٢-٧١٢م) جابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء: تابعي فقيه، من الأئمة. من أهل البصرة. أصله من عُمان. صحب ابن عباس. وكان من محور العلم، وصفه الشماخي (وهو من علماء الإباضية) بأنه أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه آطامه. نفاه الحجاج إلى عُمان. وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: لما مات جابر بن زيد قاد قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق.^٣

”الجُلُنْدَى (٠٠-١٣٤هـ، ٠٠-٧٥١م) الجلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي الأزدي: أمير عمان وعظيم الأزد فيها. كان إباضياً، من الشجعان. وهو الذي قتل شيبان بن عبد العزيز الصفري. وكانت عُمان أشبه بالمقاطعة المستقلة في أيام بنى أمية، فلما استولى بنو العباس أرسل السفاح خازم ابن خزيمة في جيش لإخضاعها، فقاتله الجلندي فقتل، وقتل معه نحو عشرة آلاف من أصحابه.^٤“

”الحَوَارِي بن مالك (٠٠-٨٣٢هـ، ٠٠-١٤٢٩م) الحواري بن مالك: من أئمة الأزد الإباضيين، في عمان. بويغ له سنة ٨٠٩هـ واستمر إلى أن توفي بنزوى.^٥“

”الخليل بن شاذان (٠٠-٤٢٥هـ، ٠٠-١٠٣٤م) الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي: من أئمة الإباضية في عمان. بويغ له سنة ٤٠٧هـ، فأحسن ضبط الأمور، ودانت له البلاد بعد اضطرابها. وفي أيامه هاجم جند العباسيين عُمان، فضعف عن صدهم، فأسروه، ثم أطلقوه. واستمر إلى أن توفى.^٦“

١ - المصدر السابق، ج٢، ص٨٤.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص١٠٢.

٣ - المصدر السابق، ج٢، ص١٠٤.

٤ - المصدر السابق، ج٢، ص١٣٣.

٥ - المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٨.

٦ - المصدر السابق، ج٢، ص٢١٨.

”خُنْبَش بن محمد (٥٠٠ - ٥١٠ هـ، ١١١٦ م) خنِيش بن محمد بن هشام: من أئمة الإباضية في عُمان. توفي بنزوى.“^١

”الْحُبْسِي (١٠٨٩ - نحو ١١٥٠ هـ ١٦٧٨ - نحو ١٧٣٧ م) راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي النزوي العماني: شاعر مجيد، من أهل عمان. اشتهر في أيام إمامة بلعرب بن سلطان. ولد في عين بني صارخ من قرى (الظاهرة) من عمان، ورمد وعمي في طفولته، وانتقل إلى بيرين، فرباه الإمام بلعرب اليعربي، فلما مات هذا انتقل إلى أرض (الحزم) من ناحية الرستاق (في عمان) ثم سكن نزوى إلى أن مات. وله في اليعريين ووقائعهم قصائد كثيرة في (ديوان شعر) شرحه بعض العلماء.“^٢

”راشِد اليَحْمُدي (٥٠٠ - ٤٤٥ هـ ١٠٥٣ م) راشد بن سعيد اليعمدي: من أئمة الإباضية في عمان. بويع له حوالي سنة ٤٢٥ هـ، بعد وفاة الخليل بن شاذان. وكان حازماً عاقلاً، عالماً بالدين، عارفاً بالأدب، يقول الشعر. توفي بنزوى.“^٣

”راشِد بن النَّصْر (٥٠٠ - نحو ٢٨٥ هـ ٥٠٠ - نحو ٨٩٨ م) راشد بن النصر اليعمدي: من أئمة الأزدي الإباضية في عمان. بايع له معظم رجال الدولة العمانية يوم خلع الصلت بن مالك (سنة ٢٧٢ هـ) وأقام بنزوى. وانتفض عليه كثير من وجوه الأزدي، فقاتلهم، ولم تحمد سيرته. وعمت الفتنة فسارت القبائل إلى دار الإمامة بنزوى، وأسروه بعد أن هزموا جنوده وأنصاره، وعزلوه من الإمامة، وحبسوه مقيداً، سنة ٢٧٧ هـ. ثم عادوا إليه بعد مدة، فأعادوه إلى الإمامة ثانية سنة ٢٨٠ هـ. ولم يلبثوا أن قالوا بضلاله وخلعوه.“^٤

”سالم بن ثُوَيْيِّي (١٢٩٠-١٣٠٠ هـ ١٨٧٣ م) سالم بن ثويني بن سعيد بن سلطان: ملك عُمان ومسقط. في سيرته إساءات. كان في صباه يساعد أباه في تدبير مملكته، ثم طمع بالانفراد في الملك، فاغتال أباه (سنة ١٢٨٢ هـ) في ميناء صحار، وانفرد بالأمر. وذهب إلى مسقط فجمع رؤساء القبائل وأخبرهم بأنه قتل أباه لظلمه، فرضوا عن عمله، وأقروه. فاستمر سنتين وأشهرًا، وثاروا عليه، فاستنجد بالبرتغاليين، وكانت لهم سفن مسلحة في شاطئ مسقط، فأعانوه بطلقة

١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١١.

٣ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢.

٤ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢-١٣.

مدفع واحدة، ثم خذلوه. وخلص سنة ١٢٨٥ هـ، فرحل إلى الهند في أيام استيلاء تركي بن سعيد على الدولة العمانية، فمات فيها بعيداً عن أهله ووطنه.^١

”الخزوصي (١٣٠١-١٣٣٨ هـ = ١٨٨٤-١٩٢٠ م). سالم بن راشد بن سليمان بن عامر الخروصي: من أئمة الإباضية في عمان. ولد بها في إحدى قرى الباطنة. وتفقه في بلدة العوابي، ثم في القابل، من الشرقية. وبويع بالإمامة في مسجد تنوف سنة ١٣٣١ هـ فكتب إلى الأقاليم يدعوها إلى طاعته. وجهز جيشاً افتتح به نزوى ومنح، وإزكى، والعوابي، وسمايل، وبدبد. وجاءه إنذار من القنصل البريطاني، بمسقط، في عدم التعرض لها أو لمطرح، وذلك في أواخر أيام السلطان فيصل بن تركي. فأجابه الخروصي بأن فيصلا (قد خلعه المسلمون وقعد هذه المدة بسبيل الغلبة والقهر) ثم يقول: (وأنتم معشر هذه الدولة يجب عليكم أن تكفوا عن أمر المسلمين ولا تعتدوا علينا ومن اعتدى علينا فالله يعيننا عليه إلخ) وبعد وفاة فيصل، توسط حاكم (أبي ظبي) بالصلح بين الإمام الخروصي والسلطان تيمور بن فيصل، وكان من شروط تيمور أن يرد الإمام حصني بديد وسمايل. وأبى الإمام ذلك. واقتتل جيشاهما (سنة ١٣٣٣ هـ قال صاحب نهضة الأعيان: وما كانت (مسقط لتنجو من السقوط لولا قوات بريطانيا) واستمر في جهاد وسيرة حسنة إلى أن كان خارج نزوى، في عسكره لتأديب قبيلة تدعى وهيبة امتنعت عليه، ونزل بالخضراء، من وادي عندام، فنام، فاغتاله أعرابي فزاري بإغراء من بعض قومه. وقتل به.^٢

”البُو سَعِيدِي (١٢١٨ - ٠٠٠ هـ = ١٨٠٣ - ٠٠٠ م). سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدي: ثاني الأئمة البوسعيديين الإباضيين في عمان ومسقط. ولي بعد وفاة أبيه (سنة ١١٩٦ هـ وأقام في (الرستاق). وكان أديبا، يقول الشعر، إلا أنه - كما في تحفة الأعيان - (لم يعدل في ملكه ولم يرض المسلمون عنه) وخرج عليه شيخ من كبار رعاياه يعرف بـ أبي نهبان، فاضطرب أمره، وضعف، فاستولى أخوه (سلطان بن أحمد) على أكثر بلاده، وانحصرت سلطته في الرستاق. ومات قبل مقتل أخيه سلطان.^٣

١ - المصدر السابق، ج٣، ص٧١.

٢ - المصدر السابق، ج٣، ص٧١-٧٢.

٣ - المصدر السابق، ج٣، ص٩١.

”الرَّاشِدِي (٠٠٠ - ١٣١٤ هـ = ٠٠٠ - ١٨٩٧ م). سعيد بن حمد بن عامر بن خلفان الراشدي: فاضل، من إباضية عمان. توفي في ميناء مطرح (قرب مسقط) له منظومتان: إحداهما نونية، في (الرد على من يدعي قدم القرآن) والثانية لامية، في (الدفاع والجهاد)“^١.

”سَعِيد بن سُلْطَان (٠٠٠ - ١٢٧٣ هـ = ٠٠٠ - ١٨٥٦ م). سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيديّ: سلطان عمان. وليها بعد مقتل عمه (بدر بن أحمد) سنة ١٢٢٠ هـ وأقام بمسقط. ونشب قتال بينه وبين بعض عمال الإمام سعود بن عبد العزيز، فباع لسعود، وأصبحت مسقط وسائر بلاد عمان تابعة لنجد (سنة ١٢٢٣ هـ وتقص عهده سنة ١٢٢٤ فاستنجد بالإنكليز، واستعان ببعض مراكبهم. وتجدد القتال بينه وبين مجاوريه من عمال سعود. ثم استعان بحكومة إيران (سنة ١٢٢٥ هـ وقتلهم وانهمزم. وعاد، فأصلح بعض أمره. وعقد معاهدة تجارية مع بريطانيا سنة ١٢٥٥ هـ جاء فيها: (أن رعايا صاحب الجلالة البريطانية يمنحون الحرية الكاملة في الدخول والإقامة والمتاجرة والمرور مع بضائعهم في جميع أراضي صاحب العظمة سلطان مسقط) قال جورج رنس: ومعنى ذلك، ولو من حيث المبدأ، أن تفتح أمام الأجانب مناطق يصرّ كثيرون من زعماء الداخل على إحصاها في وجوههم. كما عقد معاهدتين مع الفرنسيين، الأولى سنة ١٢٢٢ والثانية ١٢٦٠ هـ ومعاهدة مع الحكومة الاميركية سنة ١٢٤٩ وقعتها إدموند روبرتس Edmund Roberts في القصر السلطاني بمسقط. وطالت مدته في السلطنة أكثر من خمسين عاما. ومات في البحر، في سفينة كان قاصدا بها زنجبار، وحمل إلى زنجبار فدفن فيها“^٢.

”سَعِيد بن عبد الله (٠٠٠ - ٣٢٨ هـ = ٠٠٠ - ٩٤٠ م). سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب، من قريش: أحد أئمة الإباضية في عمان. بويع على أثر فتن كثيرة في الديار العمانية، واستقر له الأمر حوالي سنة ٣٢٠ هـ وكان فقيها عالما بالدين، حسنت سيرته واطمأن الناس في أيامه. واستشهد في إحدى الوقائع“^٣.

”الْيَعْرُبِي (٠٠٠ - ١٠٩١ هـ = ٠٠٠ - ١٦٨٠ م). سلطان بن سيف بن مالك اليعربي: ثاني أئمة اليعاربة الإباضية في عمان. بويع يوم وفاة الإمام ناصر بن مرشد (سنة ١٠٥٠ هـ بنزوى، فطرد البرتغاليين من مسقط - وكانت في قبضتهم - وبني سفنا كثيرة حمى بها شواطئ بلاده. وهاجم

١ - المصدر السابق، ج٣، ص٩٣.

٢ - المصدر السابق، ج٣، ص٩٥.

٣ - المصدر السابق، ج٣، ص٩٧.

مراكز البرتغاليين في بلاد الهند وسواحل إفريقية. قال جيان Guillain في كتابه (وثائق تاريخية): إن الرحالة البرتغالي (القس مانويل جودنهو) دَوّن في رحلته من الهند إلى البرتغال، مارا بالخليج الفارسي، سنة ١٦٦٣ م، ما ترجمته: (لم يكتف سلطان بن سيف بإجلائنا عن بلاده، بل اجترأ على اقتفاء أثرنا حتى بالبلاد التابعة لنا، إذا حاصر منباسة ((Mombasa وأزعجنا في بومبي Pompee، وأسرت سفنه سفائن برتغالية كثيرة). وازدهرت مملكة عمان في أيامه. وكان شجاعاً حازماً متواضعاً لرعيته، غير محتجب عنهم، يسير في الطريق وحده، يسلم على الناس ويحادثهم. واستمر إلى أن توفي بنزوى.^١

”اليَعْرَبِي (١١٣١ - ١١٠٠ هـ = ١٧١٩ - ١٧٠٠ م). سلطان (الثاني) بن سيف بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي: خامس الأئمة اليعريين الإباضية في عمان. بويع له بالرستاق، بعد وفاة أبيه (سنة ١١٢٣ هـ وقوي أمره، فقاتل في البر والبحر. ونشبت بينه وبين العجم حروب ظفر فيها. واستولى على (البحرين) و(لاك) و(هرموز). وبنى حصن (الحزم) وانتقل إليه. وسالته الأيام، فاستمر إلى أن توفي في حصن الحزم.^٢

”البُو سَعِيدِي (١٢١٩ - ١٢٠٠ هـ = ١٨٠٤ - ١٧٩٥ م). سلطان بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي: صاحب مسقط وعمان. وهو أبو ملوك مسقط وزنجبار بعد ذلك. ويقال له سلطان ابن الإمام. انتزع الحكم من أخيه سعيد، واستقرت البلاد في أيامه. قال صاحب تحفة الأعيان: (وكان الملك البحري أيام اختلاف اليعاربة متفرقاً في أيدي عمالهم، مثل الهند ومباسة وزنجبار وما بعدها، وكل عامل قد استبد برأيه وانفرد بما تحت يده وادعى المملكة لنفسه، فسعى سلطان في رد ما أمكنه من ذلك، ولم يتم له الأمر وإنما تم لولده سعيد بن سلطان).

وهاجم البحرين سنة ١٢١٦ هـ وأخذها من آل خليفة. فاستنجدوا بعبد العزيز بن محمد ابن سعود، فأمدهم بجيش أخرج عساكر سلطان، وقتل منها ماينيف على ألفي رجل. ثم مات سلطان قتيلاً في مناوشة، وهو في سفينة صغيرة على مقربة من شاطئ مسقط، كان ذاهباً بها إلى بندر عباس، فقتله رجال من (القواسم) أهل (رأس الخيمة). وهو الذي أمضى الاتفاق مع شركة الهند الشرقية، سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م، بتقديم الإنكليز في المعاملات التي تتم في داخل

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠٩-١١٠.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٠.

بلاده، على الفرنسيين والهولنديين. وأمضى اتفاقاً آخر مع (جون مالكولم) سنة ١٢١٤ هـ - ١٨٠٠ م يخول الإنكليز إقامة معتمد دائم في مسقط.^١

”التَّبْهَانِي (٠٠٠ - ٩٧٣ هـ = ٠٠٠ - ١٥٦٥ م). سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان: من ملوك الدولة النبهانية في بلاد عمان. ملك نزوى في أيام بركات بن محمد (سنة ٩٦٤ هـ واستمر إلى أن توفي.“^٢

”الْيَعْرُبِي (٠٠٠ - ١١٥٥ هـ = ٠٠٠ - ١٧٤٢ م). سلطان (الثالث) بن مرشد بن عديّ اليعربي: عاشر الأئمة اليعربيين من الإباضية في عمان، وآخرهم. بويغ له بعد خلع سيف بن سلطان (سنة ١١٥٤ هـ وقاتله سيف، فظفر سلطان وخلصت له الحصون والبلاد، إلا أن سيفاً جاءه بجيش من إيران، فنشبت بينها حروب، أصيب فيها سلطان بجراحات توفي على أثرها.“^٣

”الْقَطِيفِي (٠٠٠ - ١٢٦٦ هـ = ٠٠٠ - ١٨٥٠ م). سليمان بن أحمد بن الحسين، من آل عبد الجبار، البحراني القطيفي نزيل مسقط من بلاد عمان: فقيه إمامي، من أهل القطيف. مات بمسقط. له كتب، منها (النجوم الزاهرة في فقه العترة الطاهرة) و(شرح فصول المحقق الطوسي) و(شرح الإيساغوجي) ومنظومة في المنطق سماها (جواهر الأفكار) وأرجوزة في (أصول الفقه).“^٤

”سُلَيْمَان التَّبْهَانِي (٠٠٠ - نحو ٩١٠ هـ - نحو ١٥٠٥ م) سليمان بن سليمان النبهاني: ملك شاعر من بني نبهان (ملوك عمان) خرج على الإمام أبي الحسن بن عبد السلام النزوي واستولى على عمان (بعد ذهاب دولة آبائه النبهانيين) وحكمها مدة وخلعه أهل عمان بإمامة محمد ابن اسماعيل وكان شاعراً حماسياً مجيداً له (ديوان شعر).“^٥

”التَّبْهَانِي (٠٠٠ - ١٠١٩ هـ - ٠٠٠ - ١٦١١ م) سليمان بن مظفر بن سلطان النبهاني: من ملوك الدولة النبهانية في بلاد عمان. نشأ في (بهلى) وصار إليه الملك وهو ابن اثنتي عشرة سنة. فاستولى على مملكة عمان كلها. وحاربه أهل نزوى فظفر. وتعاقبت الفتن في أيامه فقتل كثير من فرسان قومه، وضعف أمره. واستمر إلى أن توفي.“^٦

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠٨-١٠٩.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٠.

٣ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٠.

٤ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٢.

٥ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٦.

٦ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٥.

”سَيْفُ بنِ سُلْطَانَ (١١٢٣ - ١٧١١ هـ) سيف بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي: من أئمة الإباضية في عُمان. وهو رابع اليعربيين. خرج على أخيه الإمام بلعرب ابن سلطان، لوحشة كانت بينهما، فقاتله وحصره في حصن يبرين. ومات بلعرب محصورًا، فتمت البيعة لسيف سنة ١١٠٤ هـ، وضبط المملكة العمانية وحسنت سيرته، ولقب بقيد الأرض - لضبطه البلاد- وكان شجاعًا همامًا، هاجم البرتغاليين في دمان (Daman) شمالي بومباي، وجزيرة سالست (Salsette) قرب بومباي، وأسر منهم ١٤٠٠ أسير، وأنقذ منبسة (Mombasa) من أيديهم سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨ م) وخضعت له زنجبار وهاجم أطراف الهند والعجم بجيش، قيل: فيه ستة وتسعون ألف فارس. وعمرت في أيامه عُمان بما غرس فيها من نخيل وأشجار. واجتمع له أسطول جهزه بأضخم المدافع في عصره. واستمر إلى أن توفي بالرستاق.“^١

”سَيْفُ بنِ سُلْطَانَ (١١٥٥ - ١٧٤٢ م) سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي: ثامن الأئمة اليعربيين في عُمان. خلفه والده صغيرًا، وأراد بعض الأعيان مبايعته، فخالفهم آخرون لصغر سنّه وانشق العمانيون، ففرقت كلمتهم، وقاتل بعضهم بعضًا في فتنة عم شرها، إلى أن بلغ الحلم، فعقد له بالإمامة سنة ١١٤٠ هـ، بنزوى. ولم تحمد سيرته، فخلع سنة ١١٤٥ هـ وأخرج من نزوى، فجمع جيشًا وقاتل الإمام بلعرب بن حمير (وكان قد بويع له بعده) فظفر بلعرب، فكاتب ”سيف“ بعض أمراء العجم يطلب نصرتهم، فسيروا جيشًا تغلب على بلعرب، سنة ١١٥٠ هـ، واستولى سيف على البلاد. وبقي من معه من الإيرانيين وأساءوا إلى الناس، وقتلوا كثيرًا من أهل نزوى حتى كادوا يفنونهم. واستعفى بلعرب من الإمامة، فتسمى بها سيف (سنة ١١٥١ هـ) وأخرج الإيرانيين من البلاد، ودانت له حصون عُمان. ثم بدرت منه هنات أغضبت رعيته، فخلع سنة ١١٥٤ هـ، وبويع لسُلطان بن مرشد. فقاتله سيف ولم يظفر، فرحل إلى العجم، وجاء بجيش كبير من شيراز وغيرها، فقاتل سلطان بن مرشد، فقتل سلطان، وتوفي سيف على أثره.“^٢

”العُماني (١٧٥ هـ = ٧٩١ م). شبيب بن عطية العماني: من أئمة الإباضية. كان من أصحاب الجلندی ابن مسعود. وقام بالإمامة بعد مقتله (١٣٤) وحمدت

١ - المصدر السابق، ج٣، ص١٤٩.

٢ - المصدر السابق، ج٣، ص١٤٩-١٥٠.

سيرته. وقيل: لم يكن إماماً، وإنما كان محتسباً شديداً على (الجباية) وهم المتسلطون يومئذ على عمان من غير أهلها.^١

”اليخُمدي (٢٧٥-٠٠ هـ - ٨٨٩ م) الصلت بن مالك الخروصي اليعمدي: من أئمة الإباضية في عمان بويغ له بعد وفاة المهنا بن جيفر (سنة ٢٣٧ هـ) وحسنت سيرته وفي أيامه طما سيل عظيم فأغرق منازل عمان كلها ونقض البرتغاليون عهدهم فهاجموا جزيرة سقطرى (Socotra) وكانت تابعة لعمان وقتلوا كثيراً من أهلها فسير إليهم جيشاً في مئة مركب فأنقذها وهزم محتليها واستمر في الإمامة خمسة وثلاثين عاماً وخلع وعاش بقية عمره منزويًا في نزوى.“^٢

”السَّالِمِي (١٣٣٢-٠٠ هـ - ١٩١٤ م) عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، أبو محمد: مؤرخ فقيه، من أعيان الإباضية. انتهت إليه رئاسة العلم عندهم في عصره. مولده ووفاته في عمان. وكان ضريباً. من تصانيفه (جوهر النظام في علمي الأديان والاحكام-ط) أرجوزة، و(تحفة الأعيان في تاريخ عمان-ط) جزآن، و(حاشية الجامع الصحيح للربيع بن حبيب الفراهيدي -ط) الأول والثاني منه، وهو في أربعة أجزاء، و(طلعة الشمس-ط) أصول الفقه، و(شرح طلعة الشمس-ط) جزآن، و(بهجة الأنوار-ط) وهو شرح أرجوزة له في أصول الدين سماها (أنوار العقول) و(بلوغ الأمل-خ) منظومة في أحكام الجمل في الإعراب. وغير ذلك.“^٣

”الطَّائِي (١٣٩٣ - ٠٠٠ هـ = ١٩٧٣ م). عبد الله بن محمد الطائي: شاعر من رجال الوطنية في الخليج. ولد ونشأ في البحرين وتوظف في الكويت ورأس بعثتها في دبي. وحرر مجلة ”هنا البحرين“ وولي وزارتي الأنباء والعمل في إمارة مسقط وسلطنة عمان وتوفي ببلده. له كتب، منها ”الفجر الزاحف - ط“ ديوان من نظمه و”وداعاً أيها الليل الطويل - ط“ من شعره صدر بعد وفاته، و”شعراء من الجزيرة“؛^٤

”عَبْدُ الْمَلِكِ بن حُمَيْد (٢٢٦ - ٠٠ هـ - ٨٤١ م) عبد الملك بن حميد، من بني علي بن سودة الأزدي، من بني ماء السماء: إمام إباضي. بويغ له في عمان، بعد وفاة غسان بن عبد الله (سنة

١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٦.

٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠٩-٢١٠.

٣ - المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٤.

٤ - المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٥.

٢٠٧هـ) وسار سيرة مرضية. وكبر، فخاف الناس على الدولة، فقام بتصريف أمورها (موسى بن علي) إلى أن توفي عبد الملك بنزوي.^١

”عَزَّار بن فَلَاح (١٠٢٤ - ١٠٠) (١٦١٥ - ٠٠م) عرار بن فلاح النبهاني: من ملوك الدولة النبهانية في بلاد عُمان. كان له مُلك الظاهرة (في عُمان) وناصر ابن عمه سليمان بن مظفر أيام تملكه بنزوي وعمان. وصحبه الى أن مات، فملك بعده وقاتل أعداءه. واستمر إلى أن توفي في حصن القرية.^٢

”عَزَّان بن تَمِيم (٢٨٠٠٠ - ٢٨٠٠٠) (٨٩٣ - ٠٠م) عزان بن تميم الخروصي الأزدي: من أئمة الإباضية في عمان. بويغ له بنزوي، بعد خلع راشد بن النصر سنة ٢٧٧هـ، فعزل أكثر ولاية راشد. وكانت أيامه كأيام من قبله، فتنًا وخطوبًا. وتخلف كثير من أهل عمان عن بيعته. وزحف عليه محمد بن بور (عامل المعتضد العباسي في البحرين) فاستولى على (جلفار) و(توام) و(السر) بعد قتال شديد، وقصد (نزوي) وفيها عزان (الإمام) فتخاذل أصحابه عنه فخرج إلى (سمد الشان) فتبعه محمد بن بور، واقتتلا، فانهمز أهل عمان، وقتل عزان. وأرسل (ابن بور) رأسه إلى المعتضد ببغداد.^٣

”عَزَّان بن قَيْس (٢٨٧٠٠ - ٢٨٧٠٠) (١٨٧٠ - ٠٠م) عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد البوسعيدي: من أئمة عمان. بويغ بالإمامة في (مسقط) بعد خلع السلطان سالم بن ثويني (سنة ١٢٨٥هـ) وضربت المدافع ووفدت الوفود، ورفعت الرايات البيض، وهي شعار عزان وآله (وشعار آل سلطان ابن الامام: الأحمر) وكان عزان موفقًا في قمع الفتن، شجاعًا حازمًا، استولى على ما كان متفرقًا في أيدي الأمراء وأبناء الأمراء، من البلاد، وقاتل من عصاه في ذلك، وحسنت سيرته، واطمأن الناس في أيامه، على قصرها. وخرج عليه تركي ابن سعيد بن سلطان ابن الإمام، في جموع حشدها، فقاومه عزان ثم لجأ إلى حصن (مطرح) فأصابته رصاصة قتلته. ومدة إمامته سنتان وأربعة أشهر ونصف شهر.^٤

١ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ١٥٨.

٢ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٢٢٣.

٣ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٢٢٨.

٤ - المصدر السابق، ج، ٤، ص ٢٢٨.

”الخروصي (٥٠٠-٨٩٤هـ) (٠٠-١٣٨٩م) عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان الخروصي: من أئمة عُمان. بويغ له سنة ٨٨٥هـ، وقاتل بني نبهان حكام الديار العمانية في عصره، ففضى على سلطانهم واحتاز أموالهم وأراضيهم سنة ٨٨٧ واستمر إلى أن توفي.^١“

”غَسَّانُ اليَحْمَدِي (٥٠٠-٢٠٧هـ) (٠٠-٨٢٣م) غسان بن عبد الله اليعمدي: من أئمة عمان الإباضية. بويغ بعد غرق الوارث بن كعب (سنة ١٩٢هـ وأقام في (نزوى) ونعتت في أيامه ببيضة الإسلام، وكان يقال لها قبل ذلك (تخت ملك العرب) وأخصبت بلاد عمان في عهده، وحمدت سيرته. وكان البوارج- مجوس الهند- يقعدون بأطراف عمان ويسلبون منها ويسبون ويلجأون إلى ناحية فارس والعراق، فقطع غسان دابرهم.^٢“

”مانع بن سَنان (٥٠٠ - نحو ١٠٤٠ هـ - ٠٠ - نحو ١٦٣٠ م) مانع بن سنان العميري: أمير. كان صاحب سمائل (في عُمان) وفي أيامه قام المؤيد العربي بتوحيد المملكة العمانية، فقاتله مانع، ثم صالحه مضمراً العداء. وعرف منه المؤيد ذلك، فسير إليه من قتله في حصن لؤي.^٣“

”الحاضري (٥٠٠-٩٤٢هـ - ٠٠-١٥٣٥م) محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن محمد الحاضري القضاعي الحميري: من أئمة الإباضية في عمان. نشأ في نزوى (بيت الإمامة) وكان وجيهاً في قومه قوي الجسم غضوباً للحق أبصر سليمان بن سليمان النبهاني (ملك عمان) يطارد امرأة فأمسكه عنها وصرعه على الأرض وناصره أهل عمان فنصبوه إماماً سنة ٩٠٦ هـ فاستمر إلى أن توفي بنزوى.^٤“

”محمَّد بن حَنَبِش (٥٥٧ - ٠٠٠ هـ = ١١٦٢ - ٠٠٠ م). محمد بن حنبلش بن محمد بن هشام: من أئمة عمان. عقد له بالإمامة يوم مات أبوه (سنة ٥١٠ هـ واستمر إلى أن توفي بنزوى).^٥“

”القلهاتي (٥٠٠ - بعد ١٢٨٧ هـ = ٠٠٠ - بعد ١٨٧٠ م). محمد بن سعيد القلهاتي: مؤرخ من علماء الإباضية، في (مسقط) عمان. كان معاصراً للإمام عزان بن قيس سلطان مسقط. وصنف في أيامه كتاب (الكشف والبيان - خ) تاريخ عام تكلم فيه عن بعض الأدباء والمذاهب ولاسيما

١ - المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٦.

٢ - المصدر السابق، ج ٥، ص ١١٩.

٣ - المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٦٨.

٤ - المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٧.

٥ - المصدر السابق، ج ٦، ص ١١٩.

المذهب الإباضي. أنجزه في العام الذي قتل بن عزان. منه نسخة في الظاهرية بدمشق (٨٧٥ تاريخ) وقلهاة التي ينسب إليها، من بلاد مسقط.^١

”الخَلِيلِي (١٩٥٤-١٣٧٣ هـ) محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان، أبو عبد الله الخروصي الخليلي: من أئمة الإباضية في عُمان. انتخب للإمامة سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠م) واستمر إلى أن توفي في (نزوى) عاصمة عمان، عن نيف وسبعين عامًا. وكان المرجع الأعلى لبلاده في القضاء والإدارة وسياسة الدولة. يبرم الأحكام بعد أن ينظر فيها (مجلس الشورى) المؤلف من كبار رجاله. وله في كل يوم مجلس عام في حصن (نزوى) يدخله من شاء من رعاياه لعرض أمورهم عليه. وكان شديد الحذر من الأجانب، يمتنع عن مقابلتهم ما استطاع، ويحاول جهده الحيلولة بينهم وبين التجول في بلاده. وزحف سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥م) بجيش من بدو عمان وحضرها، بقصد واحة (البريمي) فوصل المدينة (عبري) ولم يتجاوزها، لخلاف دب في صفوف رجاله، ولأخبار انتشرت بينهم بأن قبيلة (نعيم) القاطنة في (البريمي) أرسلت تطلب النجدة، من عبد الله بن جلوي عامل الملك عبد العزيز آل سعود في الأحساء، مالا ورجالا وسلاحًا، استعدادًا للمقاومة. وعاد إلى نزوي، وأصبحت مدينة (عبري) من ذلك الحين الحد الغربي لأراضي الإمامة في عمان. وكان فقيهاً عادلاً أحبه شعبه وساد الأمن في أيامه. وضعف بصره، ولازمته حمى (الملاريا) في أعوامه الأخيرة إلى أن توفي.^٢

”مَحْمَد بن ناصر (١١٤٠-١٧٢٧م) محمد بن ناصر بن عامر بن رمثة بن خميس الغافري: من أئمة عُمان. كان شجاعاً، قوي العصبية، مطاعاً في قومه. قبل الإمامة وبعدها. له وقائع كثيرة في أيام إمامة يعرب بن بلعرب وغيره. واجتمعت على إمامته الكلمة في نزوى (سنة ١١٣٧ هـ) فشمروا عن ساعد الجد وقاتل العصاة والمخالفين بدوًا وحضرًا، وكاد يستتب له الأمر في المملكة العمانية كلها لولا رصاصة أصابته في إحدى المعارك بصحار، فمات فيها.^٣

”المُطَيَّرِي (١٢٢٨ - ٠٠٠ هـ = ١٨١٣ - م). مطلق بن محمد المطيري: قائد شجاع من عمال الإمام (سعود بن عبد العزيز) في نجد. زحف على عمان بالجيش سنة ١٢٢٢ هـ وشايعه بعض أهل عمان، فقاتله صاحبها السلطان (سعيد بن سلطان) فاستولى مطلق على أطرافها الشمالية

١ - المصدر السابق، ج٦، ص١٤١.

٢ - المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٦.

٣ - المصدر السابق، ج٧، ص١٢١.

وضرب على أهلها الجزية، واستمر ثلاث سنوات، يسير عنها ويرجع إليها، فأدى إليه سلطانها الخراج، ليدفعه عن البلاد بعد أن عجز عن دفعه بالقتال، فاتخذ توام (وهي البريمي) معقلا. واستمر إلى أن فاجأه رجال الحجرين، بجيش، على حين غفلة، فدافع عن نفسه وقتل سبعة من رجالهم بيده، ثم تمكنوا منه فقتلوه^١.

”النَّبْهَانِي (٠٠٠ - ١٠٢٥ هـ = ٠٠٠ - ١٦١٦ م). مظفر بن سليمان بن مظفر النبهاني: من ملوك الدولة النبهانية في بلاد عُمان. ولي بعد وفاة عرار بن فلاح (سنة ١٠٢٤ هـ واستمر شهرين، وتوفي في حصن القرية.“^٢

”المُهَنَّأ بن جَيْفَر (٠٠٠ - ٥٢٣٧ هـ - ٠٠٠ - ٨٥١ م) المهنا بن جيفر اليعمدي: من أئمة عمان. بويع له بعد وفاة عبد الملك بن حميد (سنة ٥٢٦ هـ) وكان حازماً عادلاً أنشأ أسطولاً فيه ثلاثمائة مركب، وجهاز جيشاً قوياً، فهابه المحارب وأخلص له المسالم. وكانت إقامته بنزوى من الديار العمانية، واستمر إلى أن توفي.“^٣

”مُهَنَّأ بن سُلْطَان (٠٠٠ - ١١٣٣ هـ - ٠٠٠ - ١٧٢٠ م) مهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك بن بلعرب (أبي العرب) اليعربي: سادس الأئمة اليعريين في عمان. بويع له بحصن الحزم بعد وفاة سلطان بن سيف (سنة ١١٣١ هـ) واطمأن الناس في أيامه. ثم خرج عليه يعرب بن بلعرب بن سلطان، داعياً إلى إمامة سيف بن سلطان بن سيف (المتوفى سنة ١١٥٥ هـ) فلم يثبت له مهنا، فقبض عليه يعرب وقتله.“^٤

”ابن نِجَاد (٠٠٠ - ٥٧٩ هـ - ٠٠٠ - ١١٨٣ م) موسى بن أبي المعالي بن موسى بن نجاد: من أئمة الإباضية في عمان. بويع له سنة ٥٤٩ هـ، واستمر إلى أن قتله ملك عمان في أيامه محمد بن مالك اليعمدي، فقتل ابن نجاد في الواقعة.“^٥

”مُوسَى بن مُوسَى (٠٠٠ - ٢٧٨ هـ - ٠٠٠ - ٨٩١ م) موسى بن موسى السامي، من بني سامة ابن لؤي بن غالب: قاض، من فقهاء الإباضية المقدمين ووجههم. من أهل عمان. كان له الشأن في أيام

١ - المصدر السابق، ج٧، ص٢٥٣.

٢ - المصدر السابق، ج٧، ص٢٥٦.

٣ - المصدر السابق، ج٧، ص٣١٦.

٤ - المصدر السابق، ج٧، ص٣١٦.

٥ - المصدر السابق، ج٧، ص٣٢٩.

الإمام راشد بن النضر اليعقوبي، ثم ثار عليه وشارك في خلعه ويابح بالإمامة عزان بن تميم، فأقره عزان على القضاء في عمان، فاستمر أقل من سنة، وعزله عزان، فجمع موسى جمعًا في قرية ازكي (بقرع عمان) فقاتله عزان، وقتله.“^١

”ناجية بنت جرم بن ربان، من قضاة، أم غالب: أم جاهلية. من أهل عُمان. تزوجها (سامة بن لؤي، من قريش) في رحلة قام بها إلى عمان. وولد له منها (غالب) وعرفت بأم غالب. ثم مات وهو صغير. ومات بعده سامة. وكان لسامة ابن آخر، من غير ناجية، اسمه (الحارث) فتزوج بناجية، بعد أبيه (وكان ذلك مألوفًا في الجاهلية، يسمونه، أو سماه المسلمون فيما بعد: نكاح المقت) فولدت منه (عبد البيت) فعرف هذا بابن ناجية - نسبة إلى أمه - واتسع نسله (بنو ناجية) ورحلوا قبل الإسلام إلى بلاد أخوالهم (بني جرم) في عمان، وجاوروا الأزد. ثم كان لهم ذكر في الإسلام، وفي حديث غير متفق على صحته: (هم مني!) أو (هم مني، وأنا منهم) أو (هم حي مني) وسكنوا البصرة، في أيام الفتوح، وكان من زعمائهم فيها الخريت بن راشد (انظر ترجمته) وخرج في ثلاثمئة منهم إلى الكوفة، لنصرة علي بن أبي طالب (في خلافته) فشهدوا معه الجمل وصفين، ثم خالفوه في (التحكيم) وانصرفوا إلى جهة فارس، فبعث علي إليهم معقل بن قيس الرياحي، فقاتلوه في (الأهواز) وخضعوا، إلا جماعة منهم، بينهم الخريت، أبادهم معقل قتلاً وسبيًا واسترقاقًا. واشترى مصقلة بن هبيرة الشيباني من علي، بعد الوقعة، من استرق منهم. وكانت في البصرة (محلة) لبني ناجية، تنسب إليهم. ومن مشاهيرهم فيها (حبيب بن شهاب) قال الزبيري: كان له قدر، وأقطعه عبد الله ابن عامر نهراً بالبصرة. ومنهم بكر بن قيس الناجي البصري (من رجال الحديث، توفي سنة ١٠٨هـ) قلت: والنسابون مختلفون في (ناجية) هل هي كما ذكرت هنا، اعتمادًا على ما نقل عن النسابة (الكلبي) وعلى ما جاء في (نسب قريش) للزبيري، وجمهرة الأنساب لابن حزم، وما أورده ياقوت الحموي في أحد كتبه؟ أم (ناجية) رجل، هو ابن سامة بن لؤي القرشي، كما في اللباب لابن الأثير؟ أو هو، كما يقول الجرميون (وذكره البكري في معجم ما استعجم): (ناجية بن جرم بن ربان، تزوج هند بنت سامة بن لؤي)؟ وليس هذا الخلاف بجديد، وقد قال شاعر من قريش:

١ - المصدر السابق، ج٧، ص٣٢٩.

وسامة منا، فأما بنو

ه، فأمرهم عندنا مظلم

ومن القائلين بأن (ناجية) امرأة، من يجعل نسبها: ناجية بنت الخزرج بن جددة بن جرم.^١

”المؤيّد اليُزْبِي (١٠٠٤-١٠٥٠هـ ١٥٩٥-١٦٤٠م) ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب، من ولد نصر بن زهران اليعربي: أول الأئمة اليعاربة في عمان. نشأ في الرستاق كغيره من رؤساء العرب، بعد أن تقسمت بلاد المملكة العمانية وصارت ممالك، فتراسل الوجوه والعلماء وتشاوروا، وقد فشا في البلاد ظلم الأمراء والملوك، فاتفقوا على البيعة لإمام واحد يجمع كلمتهم، واختاروا صاحب الترجمة، فبايعوا له بالإمامة في الرستاق سنة ١٠٢٤هـ، فنهض بهم وهاجم البلدان فاستولى على القلعة وقرية نخل وازكى ونزوى واستقر فيها. ثم اتسع سلطانه وجعل أهل البلاد يقدون عليه بطاعتهم، فانتمت له الديار العمانية كلها. أخباره ومناقبه كثيرة. وكان مظفراً حازماً حمدت سيرته، واستمر إلى أن توفي بنزوى.“^٢

”ناصر بن أبي نَبهان (١١٩٢ - ١٢٦٣ هـ = ١٧٧٨ - ١٨٤٧ م). ناصر بن أبي نهبان: داهية، من شيوخ العلم في الديار العمانية. اشتهر بعمل (السحر) وخافه سلاطين بلاده وأمراؤها. له أخبار كثيرة مع السلطان سعيد بن سلطان ابن الإمام وغيره في أيامه. ولد في العليا وتوفي في زنجبار. ويظهر أن له (كتاباً) دَوّن فيه بعض حوادث عصره في عمان، نقل عنه السالمي في عدة مواضع من الجزء الثاني من تحفة الأعيان.“^٣

”هُنَاءة بن مالك بن فهم، من الأزدي: جدُّ جاهلي. كانت منازل بنيهِ في جهات عُمان. من نسله (الأهيف بن حمّام) المتقدمة ترجمته، و(يحيى بن يزيد) من رجال الحديث، له ترجمة في تهذيب التهذيب، و(عقبة بن سلم) و(لاه المنصور البحرين والبصرة.“^٤

”الوارث الخُرُوصِي (١٩٢-٠٠ هـ ٨٠٨-٠٠ م) الوارث بن كعب الخروصي اليعمدي: من أئمة الإباضية في عُمان. وهو أول من ولي الإمامة من بني خروص. ولها سنة ١٧٩ هـ، وسار سيرة

١ - المصدر السابق، ج٧، ص٣٤٤.

٢ - المصدر السابق، ج٧، ص٣٥٠.

٣ - المصدر السابق، ج٧، ص٣٥٠.

٤ - المصدر السابق، ج٨، ص٩٦.

السلف الصالح. وفي أيامه أرسل الرشيد العباسي ابن عمه عيسى بن جعفر لمهاجمة عمان، فوجه إليه الوارث من هزم جيشه وأسرته. واستمر إلى أن توفي غرقاً في سيل جارف بوادي (كلبوه) من نزوى. ومدة إمامته ١٢ عاماً وستة أشهر.^١

”يحمد بن حمى بن جشم بن نصر بن زهران: جدُّ جاهلي. بنوه بطن من الأزدي، من كهلان، كانت لبعضهم دولة في بلاد عُمان، ابتدأت سنة ١٩٢ هـ. ونزل ناس منهم البصرة، ومن هؤلاء سعيد بن حيان الأزدي اليحمدي البصري (من رجال الحديث، ولي القضاء ببلخ) وآخرون.“^٢

”يُعْرَبُ بن بَلْعَرَب (١١٣٥-٠٠هـ، ١٧٢٣-٠٠م) يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي: سابع الأئمة اليعريين في عُمان، من الإباضية. خرج على الإمام مهنا ابن سلطان (سنة ١١٣٢ هـ) وقتله، وأقام سنة يحكم البلاد باسم سيف بن سلطان (المتوفى سنة ١١٥٥) ثم دعا يعرب إلى إمامة نفسه، وتاب من بغيه على مهنا؛ فبويع له سنة ١١٣٤ وأقام بنزوى، فنشبت الثورة في البلاد، وخرجت الرستاق وسيت ومسكد (مسقط) ونخل وسمائل، عن طاعته. وضعف أمره، فخلع، وطلب الإقامة في حصن جبرين فأجيب إلى طلبه، فلم يلبث أن دخل نزوى وتحصن فيها، وناصره بعض الأمراء، فاستمر إلى أن توفي بنزوى.“^٣

١ - المصدر السابق، ج ٨، ص ١٠٨.

٢ - المصدر السابق، ج ٨، ص ١٣٣.

٣ - المصدر السابق، ج ٨، ص ١٩٢-١٩٣.

قائمة المصادر

- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابراهيم (بغداد: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧).
- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد. تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: عزت العطار الحسيني (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨).
- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب. أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، تحقيق: حاتم صالح الضامن (دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٣).
- ابن النديم، محمد بن اسحاق. الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧).
- ابن الوردي، عمر بن المظفر. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي (القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية، ٢٠٠٨).
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله. المسالك والممالك، تحقيق: دي غويه (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩).
- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش (دمشق: دار يعرب للدراسات والنشر، ٢٠٠٤).
- ابن خلدون، عبد الرحمن. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٧).
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي. المختصر في أخبار البشر، دون تحقيق (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، د.ت).

- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دون تحقيق (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٩).
- الاضطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي. المسالك والممالك (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤).
- الأندلسي، ابن حزم. جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣).
- باشا، إبراهيم رفعت. مرآة الحرمين (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٥).
- البتونني، محمد لبيب. الرحلة الحجازية (القاهرة: مطبعة الجمالية، ١٩١١).
- البركاتي، شريف عبد المحسن. الرحلة اليمانية لشريف مكة حسين بن علي (لندن: دار الوراق، ٢٠٠٧).
- البغدادي، الخطيب. تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢).
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد. المسالك والممالك، تحقيق: سعد غراب (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢).
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦).
- البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، دون تحقيق (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨).
- البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار (بيروت: دار صادر، ١٩٩٣).
- التنوخي، المحسن بن علي. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥).

- الجزري، عز الدين ابن الأثير. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧).
- الجزري، عز الدين ابن الأثير. اللباب في تهذيب الأنساب، دون تحقيق (بيروت: دار صادر، ١٩٨٠).
- الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢).
- الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ).
- الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى. عجلة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٣).
- الحسيني، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دون تحقيق (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان، دون تحقيق (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥).
- الحميري، عبد الملك بن هشام بن أيوب. التيجان في ملوك حمير، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية (بيروت: دار العودة، ١٩٩٥).
- الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار السراج، ١٩٨٠).
- الحميري، نشوان بن سعيد. خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي (بيروت: دار العودة، ١٩٧٨).
- الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بسيوني عسل، ومحمد بن علي الأكوع (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣).
- الديروري، أبو حنيفة. الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر (القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، ١٩٦٠).

- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢).
- الذهبي، شمس الدين. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوَّاد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣).
- رضا، محمد رشيد. رحلتنا الهندية العربية. مجلة المنار (١٩١٣).
- الزركلي، خير الدين. الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢).
- الزمخشري، جار الله. الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض (القاهرة: دار الفضيلة، ١٩٩٩).
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور. الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢).
- السيوطي، جلال الدين. تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش (القاهرة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤).
- السيوطي، جلال الدين. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دون تحقيق (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
- الشيباني، خليفة بن خياط. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ).
- شيخو، لويس. من بيروت إلى الهند. موقع الوراق، ص ٥٤-٥٥.
- الطبري، أبو جعفر. تاريخ الرسل والملوك، دون تحقيق (بيروت: دار التراث، ١٣٨٧ هـ).
- العصامي، عبد الملك بن حسين. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨).
- العكري، عبد الحي بن أحمد بن العماد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط (بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٦).

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. آثار البلاد وأخبار العباد. دون تحقيق (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠).
- الكندي، عبد الله بن محمد بن سالم باكثير. رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية (القاهرة: مطبعة العلوم، ١٣٥٨هـ).
- اللواتي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي (الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٧).
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دون تحقيق (بيروت: دار صادر، ١٩٨٤).
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن. الأزمنة والأمكنة، تحقيق: خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦).
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف أسعد داغر (بيروت: دار الهجرة، ١٤٠٩هـ).
- المغربي، الحسين بن علي بن الحسين. الإيناس في علم الأنساب، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٨٠).
- المغربي، علي بن موسى بن سعيد. الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي (بيروت: منشورات المكتب التجاري، ١٩٧٠).
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١).

- المقدسي، المطهر بن طاهر. البدء والتاريخ، دون تحقيق (بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٣).
- الهاشمي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو. المُحَبَّر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتير (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت).
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، تحقيق: ماركس جوزيف مولر (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٤).
- الواقدي، محمد بن عمر. فتوح الشام، دون تحقيق (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧).
- اليعقوبي، أحمد بن جعفر. تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا (بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠).

الفهرس


- ٥ أنساب الخيل لابن الكلبي
- ٧ فتوح الشام للواقدي
- ٨ كتاب التيجان لابن هشام الحميري
- ٤٥ تاريخ خليفة
- ٥٠ المحبر لابن حبيب
- ٥٣ المعارف لابن قتيبة الدينوري
- ٥٦ أنساب الأشراف للبلاذري
- ٩٤ فتوح البلدان للبلاذري
- ٩٨ كتاب المسالك والممالك لابن خَزْدَأْبَةَ
- ١٠٠ الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري
- ١٠٢ تاريخ يعقوبي
- ١٠٧ تاريخ الرسل والملوك للطبري
- ١٢١ صفة جزيرة العرب للهمداني
- ١٢٧ المسالك والممالك للاصطخري
- ١٣٠ مروج الذهب للمسعودي
- ١٣٨ البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي
- ١٤٠ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي
- ١٤٨ الفهرست لابن النديم

- نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي..... ١٥١
- تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي..... ١٦٤
- الإيناس بعلم الأنساب للوزير المغربي..... ١٦٥
- الأزمنة والأمكنة للمرزوقي..... ١٦٨
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي..... ١٧٠
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي..... ١٧١
- المسالك والممالك للبكري..... ١٧٦
- معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري..... ١٨٢
- الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري..... ١٩٢
- نزهة المشتاق في ارتياد الآفاق للإدريسي..... ١٩٣
- الأنساب للسمعاني..... ١٩٨
- خلاصة السير الجامعة لنشوان الحميري..... ٢٠٢
- عجالة المبتدي وفضالة المنتهي للحازمي..... ٢٠٦
- الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة للحازمي..... ٢٠٧
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي..... ٢١٤
- معجم البلدان لياقوت الحموي..... ٢١٩
- الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري..... ٢٤٩
- شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد..... ٢٦٩
- آثار البلاد وأخبار العباد لأبي عبد الله القزويني..... ٢٧٨
- كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي..... ٢٨١
- المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء..... ٢٨٣

٢٨٧	تاريخ الإسلام للذهبي.....
٢٩٣	خريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي.....
٢٩٨	البداية والنهاية لابن كثير.....
٣٠٤	رحلات ابن بطوطة.....
٣١٦	مقدمة ابن خلدون.....
٢١٩	تاريخ ابن خلدون.....
٣٣٤	العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسين الخزرجي.....
٣٤١	قلائد الجمان للقلقشندي.....
٣٤٣	نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي.....
٣٤٦	الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري.....
٣٦٣	تاريخ الخلفاء للسيوطي.....
٣٦٥	شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.....
٣٧٢	سمط النجوم العوالي للعصامي.....
٣٧٥	خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي.....
٣٧٦	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني.....
٣٧٧	حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار.....
٣٨٣	نزهة الخواطر لعبد الحي الحسيني.....
٣٨٦	رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية لعبد الله باكثير.....
٣٨٧	من بيروت إلى الهند للأب لويس شيخو.....
٣٩١	مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا.....
٣٩٧	رحلتنا الهندية العربية لمحمد رشيد رضا.....

٤٠٠	الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتونني
٤٠٣	الرحلة اليمانية لعبد المحسن البركاتي
٤٠٤	الأعلام لخير الدين الزركلي
٣٢١	قائمة المصادر

للاطلاع على قائمة إصداراتنا :

 بيت الغشام للصحافة والنشر والإعلان

@bait.alghsham